الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عربي 21
مستوى ص
متقن أدنى

365 يوماً مع خاتم الأنبياء ﷺ



تأليف:
نوردان داملا

الرسومات:
عثمان تورهان

365 يوماً

مع

خاتم الأنبياء ﷺ

المؤلّف:
نوردان داملا

الرسومات:
عثمان تورهان

ترجمة:
زينة إدريس

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



لا تنسوا...



عند ذكر رسول الله، وصحابته الكرام، والزعماء الدينيين الأجلاّء، أن تنسبوا إليهم الصفات والألقاب التي يستحقّونها، احتراماً لهم.

احتراماً لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فإنّنا نورد هذه العبارة بعد ذكر اسمه ﷺ.

وتستخدم عبارة ﵁ بعد ذكر اسم أيّ صحابيّ أمضى فترة من حياته بالقرب من رسول الله أو بصحبته.

عند قراءة هذا الكتاب

حضرات الأهل والمربّين الأعزّاء،

نهـدف مـن خـلال كتابنا هذا أن يشـعر الأطفال كما لو أنّ رسـول اللـه ﷺ زائر في بيوتنا، وأن يمضوا في قراءته أوقاتاً ممتعة ولا تنسى.

تـمّ إعداد الكتاب بحيث يمكن قراءته يوميـاً خلال عام واحد. هكذا تمّ اختيار 365 قصّـة من حيـاة نبيّنا الحبيب بالترتيب الزمني. ونحن نشـجّعكم على قـراءة القصص مع أطفالكم من اليوم الأوّل حتّى اليوم 365، لكي تطّلعوا أنتم أيضاً على حياة رسول الله.

بما أنّ الأطفال قد يواجهون صعوبة في متابعة فترات زمنية طويلة، نوصيكم بقراءة قصة واحدة كلّ يوم. فهذا الأمر يتيح للأطفال التفكير في القصّة، كما سيشعرهم بالفضول والحماس لسماع القصّة التالية. قد يجد أطفالكم صعوبة في فهم بعض النصوص بسبب المفـردات الجديـدة. لهذا السـبب، نشـجّعكم على الإشـراف عليهم في أثنـاء القراءة، والإجابة عن تسـاؤلاتهم للتأكّد من صحة فهمهم لمضمون القصّة. وتجدر الإشـارة إلى أنّ الكتاب يتضمّن خارطة للعالم الإسلامي في عهده الذهبي، كهدية مع الكتاب. ونرجو منكم أن تطلبوا من الأطفال العثور على اسم المكان الذي يرد في القصة على الخارطة. بهـذه الطريقة يتعرّف الأطفال على المناطق الهامّة المرتبطة بأحداث وشـخصيات ذلك الزمن.

بالإضافـة إلـى ذلك، بوسـعكم الاسـتفادة مـن المواضيـع المطروحة فـي القصّة، كالكـرم، والإخلاص، وحسـن الضيافة، والصدق، والعطف، والرحمـة التي يتعامل بها رسـول الله وصحبه رضي الله عنهم. اسـتخدموا هذه المثل العليا والأخلاق الرفيعة لتأصيلها في أطفالكم. ونأمل أن يساهم كتابنا في صياغة أطباع هذا الجيل وأخلاقه من خلال شخصيّة نبينا الحبيب المستقيمة والعظيمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل التركي
365 GÜNDE SEVGILI PEYGAMBERIM
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر

365 يوماً مع خاتم الأنبياء ﷺ

تأليف: **نودان داملا**

ترجمة: **محمد أمين آي**

تمت ترجمة هذا الكتاب بمساعدة صندوق منحة
معرض الشارقة الدولي للكتاب للترجمة والحقوق

الطبعة الأولى
1435 هـ - 2014 م

ردمك 978-614-01-1184-4

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

المحتويات

365 يوماً

مع

خاتم الأنبياء ﷺ



اليوم 1

إنّه آتٍ إلى عالمنا

تلوّنت الأرض بالأزهار، والعصافير، والفراشات، وتزيّنت بفواكه ونباتات من كلّ صنف ولون. امتلأت الطرقات بضحك الأطفال وأصواتهم، وتصاعد خرير الأنهار وملأ الأجواء بهجة. مع أن كلّ بقعة في العالم شعّت بجمال مختلف، إلاّ أن البؤس خيّم على حياة الناس. كان كلّ مكان حافلاً بأحداث غريبة.



نسي الناس الله الذي رزقهم كلّ هذا الجمال. ولم يعبدوه، بل عبدوا كثيراً من الأشياء الأخرى. منهم من عَبَدَ النار، ومنهم من عبد الشمس. حتّى أنّ بعضهم عبد الماشية. كانوا يصلّون لتماثيل شبيهة بالدمى، نحتوها بأيديهم من الخشب والحجارة، تسمّى الأصنام أو الأوثان. لكن في الواقع، الله هو الذي خلق الحجارة، والنار، والخشب. وهو الذي خلق الماشية والشمس. وهو وحده الذي يستحقّ العبادة. في ذلك الزمن، كان الأغنياء يضطهدون الفقراء. ولم يكن الناس يرغبون في أطفالهم الإناث. تكبّروا على الفقراء، وأهملوا العجائز، ولم يعالجوا المرضى. باختصار، لم يكن الجنس البشري يحظى بالاحترام الذي يستحقّه. ولم يحترم أيّ من الناس الأوامر والقوانين الإلهية، بل عاشوا في فوضى تامّة. كان من الصعب على العالم أن يضمّ في أرجائه الجميلة أناساً جهلة كهؤلاء لا تعرف قلوبهم المحبّة والرحمة.



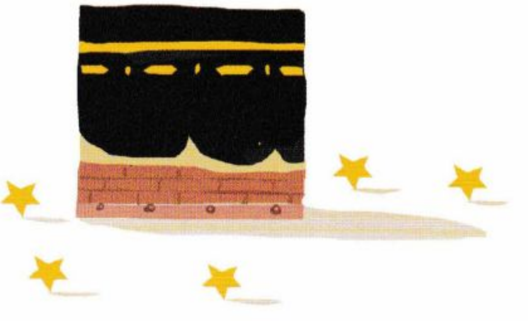
بعث الله عدداً كبيراً من الرسل منذ سيّدنا آدم عليه السلام. فقاموا بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده، واتّباع الصراط المستقيم، وفعل الصالحات، والتحلّي بالصدق. لكن في كلّ مرّة، يُضلّ الشيطان الناس بعد مدّة، فينسون الأوامر والنواهي التي أتى بها الرسل.

مرّت ست مئة عام على مجيء سيّدنا عيسى عليه السلام. وأصبح العالم مستعدًّا لاستقبال نبيّ آخر يضع حدًّا للظلم، والاضطهاد، والقسوة التي شاعت بين الناس. سيأتي ويجلب إلى العالم السلام، والعدل، والازدهار. لكن متى؟

اليوم
2

الكعبة المشرّفة، جوهرة الأرض

اقترب موعد ظهور نبيّنا. كان زعيم مكّة هو عبد المطّلب، المتحدّر من سلالة النبيّ إبراهيم 0 عليه السلام، والذي سيصبح قريباً جدّ نبيّنا الحبيب. أحبّ الكعبة كثيراً، وبذل ما في وسعه لحمايتها. كما أحسن ضيافة الناس الذين يأتون للطواف حول الكعبة. فهذا البناء مقدّس بالنسبة إلى كثير من الناس لأنّه أوّل مكان للعبادة على وجه الأرض. لقد كان جوهرة الأرض. كان الله قد أمر آدم عليه السلام، أوّل إنسان ونبيّ، ببناء الكعبة.



مرّت قرون عديدة منذ ذلك الوقت، وانهارت جدران الكعبة. فطلب الله من النبيّ إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام إعادة بناء الكعبة. وقال لهما إنّ الناس سيجتمعون في هذا المكان لعبادة الله. كما طلب منهما دعوة الناس إلى الحجّ عند الكعبة. فأصبح الحجّ زيارة دينية خاصّة مرتبطة بالنبيّ إبراهيم عليه السلام. منذ ذلك الحين، أصبح الناس يقدّرون الكعبة تقديراً عظيماً. غير أنّهم نسوا دين إبراهيم عليه السلام، وأخذوا يعبدون الأصنام. على الرغم من ذلك، ظلّوا يحترمون الكعبة.

كان الناس يأتون من أماكن بعيدة لزيارة الكعبة في مدينة مكّة المكرّمة. لكنّ الاهتمام الذي أبداه الناس لهذا البناء المقدّس أزعج البعض. وكان على رأس الذين يكرهون الكعبة شخص يدعى أبرهة، حاكم اليمن. أراد أبرهة منع الناس من زيارة الكعبة. لهذا السبب، بنى هيكلاً عظيماً وغطّاه بالذهب. بعد ذلك، أخذ يدعو الناس إلى معبده. أراد لهذا الهيكل أن يحلّ محلّ الكعبة كمركز للعبادة. كانت الهياكل هي أماكن خاصّة يذهب إليها بعض الناس للتعبّد، لكن ليس الأنبياء. مرّ وقت طويل، لكنّ هيكل أبرهة لم يحظَ بكثير من الزائرين. فثار جنونه وقرّر تدمير الكعبة، ثمّ بدأ يعدّ العدّة لذلك.



اليوم
3

مالك الكعبة

لتدمير الكعبة، جهّز أبرهة جيشاً كبيراً، ثمّ انطلق في صباح أحد الأيّام إلى مكّة. كان جيش أبرهة مؤلّفاً من فيلة ضخمة أتى بها من أماكن بعيدة لم ترَ قريش مثلها في حياتها. زيّن أبرهة الفيلة بأقمشة ملوّنة، وكان أقواها فيل ضخم أطلق عليه اسم محمود. سار محمود على رأس الجيش، وكان يهزّ الأرض بكلّ خطوة من أقدامه. كان أبرهة واثقاً أنّ محمود سيدمّر الكعبة بضربة واحدة. عندما اقترب الجيش من مكّة، قامت مجموعة من الجنود بسلب ممتلكات تعود لقريش. ومن الممتلكات التي نهبها جيوش أبرهة، مئتا جمل لعبد المطّلب. وقف أبرهة على تلّة مجاورة تُشرف على الكعبة التي بدت مثل ألماسة برّاقة. قبل دخول المدينة، أراد أن يقابل زعيم مكّة. لهذا السبب، أرسل بطلب عبد المطّلب. قال له إنّه أتى لتدمير الكعبة وحسب. وإن لم يواجه أيّ مقاومة، لن تراق نقطة دم واحدة. ثمّ سأله ما إذا كان يريد شيئاً منه. أجاب عبد المطّلب: «لقد استولى جنودك على مئتين من جِمالي، وأريد أن تعيدوها إليّ». فوجئ أبرهة بهذا الردّ، وقال له: «توقّعت أن تطلب منّي ألاّ أدمّر الكعبة. لكنّني لا أراك مهتمًّا سوى بجمالك. لقد كنتُ أكنّ لك تقديراً كبيراً، لكنّني أرى الآن أنّني أخطأت في اعتبارك حاكماً محترَماً». أجاب عبد المطّلب: «إنّ للبيت ربًّا سيمنعه». عندئذ ثار غضب أبرهة وصاح قائلاً: «ما كان ليُمنَع منّي». فصاح عبد المطّلب: «أنت وذاك». فاستعاد قطيع الجِمال وعاد إلى مكّة. ثمّ ذهب إلى الكعبة مباشرة ودعا الله قائلاً:



«يا ربّ، لا أرجو لهم سواكا
يا ربّ، فامنع منهم حماكا
إنّ عدو البيت من عاداكا
امنعهم أن يُخربوا قُراكا».

بعد ذلك، طلب من قريش إخلاء المدينة، وغادر معهم إلى تلّة مشرفة على مكّة. من هناك، أمكنهم معرفة ما يجري عند الكعبة.

اليوم
4

طيور أبابيل

ظنّ أبرهة أنّه لم يعد بينه وبين هدم الكعبة أيّ عائق. فأعطى على الفور الأمر لجيشه بالزحف إلى البيت الحرام. في تلك اللحظة، ركع محمود، الفيل الضخم الذي يثق به كثيراً، وربض على الأرض.



بذل الجنود جهدهم لإجباره على الوقوف، لكن من دون جدوى. كلّما حاولوا توجيه الجيش نحو اليمن، كان الفيل ينهض. لكن عندما يعيدونه باتجاه الكعبة، كان يجثم على الأرض مجدّداً، ولم تُفلح محاولاتهم لإجباره على الوقوف.

بينما كان أبرهة وجيشه منشغلين بإجبار محمود على الوقوف والتوجّه إلى الكعبة، حدث أمر غريب. فجأة، غطّت السماء سحابة من الطيور، وانتشرت فوق الجيش. كانت تلك هي طيور أبابيل، التي حملت في مناقيرها ومخالبها حجارة صغيرة. كانت تلك الظاهرة غريبة، لأنّ الطيور بدت وكأنّها تتصرّف بأمر من مصدر واحد. وفي لحظة واحدة أسقطت الطيور الأحجار على جنود أبرهة. كان الجندي يسقط على الأرض فور إصابته بالحجارة. صُدم أبرهة، وفرّ هارباً مع عدد من الجنود. لكن أثناء فراره، أصيب بالأحجار هو أيضاً وسقط على الأرض. هكذا دمّرت تلك الطيور الصغيرة جيشاً عظيماً، وحمى الله أثمن جوهرة على وجه الأرض.



اليوم
5

فرحة العالم

لم تكن قد وُلدتَ بعد. بل كان ثمّة أناس وأطفال آخرون، وقلّة من الأشخاص الطيبين. فقد امتلأ العالم بالشرور، وأصبح من الضروري مجيء قائد يهدي الناس إلى طريق الخير، ويجلب



معه السعادة. كان الله عزّ وجلّ قد وعد أن يرسل نبيًّا وقائداً. وكلّ المخلوقات أدركت ذلك، فقد كان العالم يحتاج إليه.

في يوم الاثنين من شـهر أبريل من عام 571 م، وقع الحدث المنتظر. في ذلك اليوم، عمّت الفرحة الدنيا بأسرها. ما السبب؟ ما الذي حدث؟ لقد أضاء نور ساطع وجه الأرض. فالضيف الذي انتظره العالم مطوّلاً وصل أخيراً. وكان العالم ينتظر هذا النبأ بفارغ الصبر. في تلك الليلة، ظهر نجم في السماء. رأى حكيم يهودي النجم وفهم أنّه إشارة إلى ولادة نبيّ. راح اليهودي يصيح في شوارع يثرب قائلاً: «يا معشر اليهود، طلع الليلـة نجم أحمد الذي ولد به!» انزعج اليهود الذين سـمعوا ذلـك الخبر، لأنّ هذا النبيّ الجديد لـم يولد بينهم. فهو أكثر العِباد قُرباً من الله، وأعظم الأنبياء. حتّى ذلك اليوم، أثنى جميع الأنبياء على هذا النبيّ، من موسى، إلى داوود، إلى عيسى عليه السلام. كلّهم بشّروا الناس بمجيئه!

نعـم، الضيـف الـذي انتظره العالـم مطوّلاً قـد وصل أخيـراً! في المسـتقبل، سيسـمّيه كلّ المسلمين، كباراً وصغاراً، «**نبيّنا الحبيب**». ونحن أيضاً سنسمّيه كذلك.

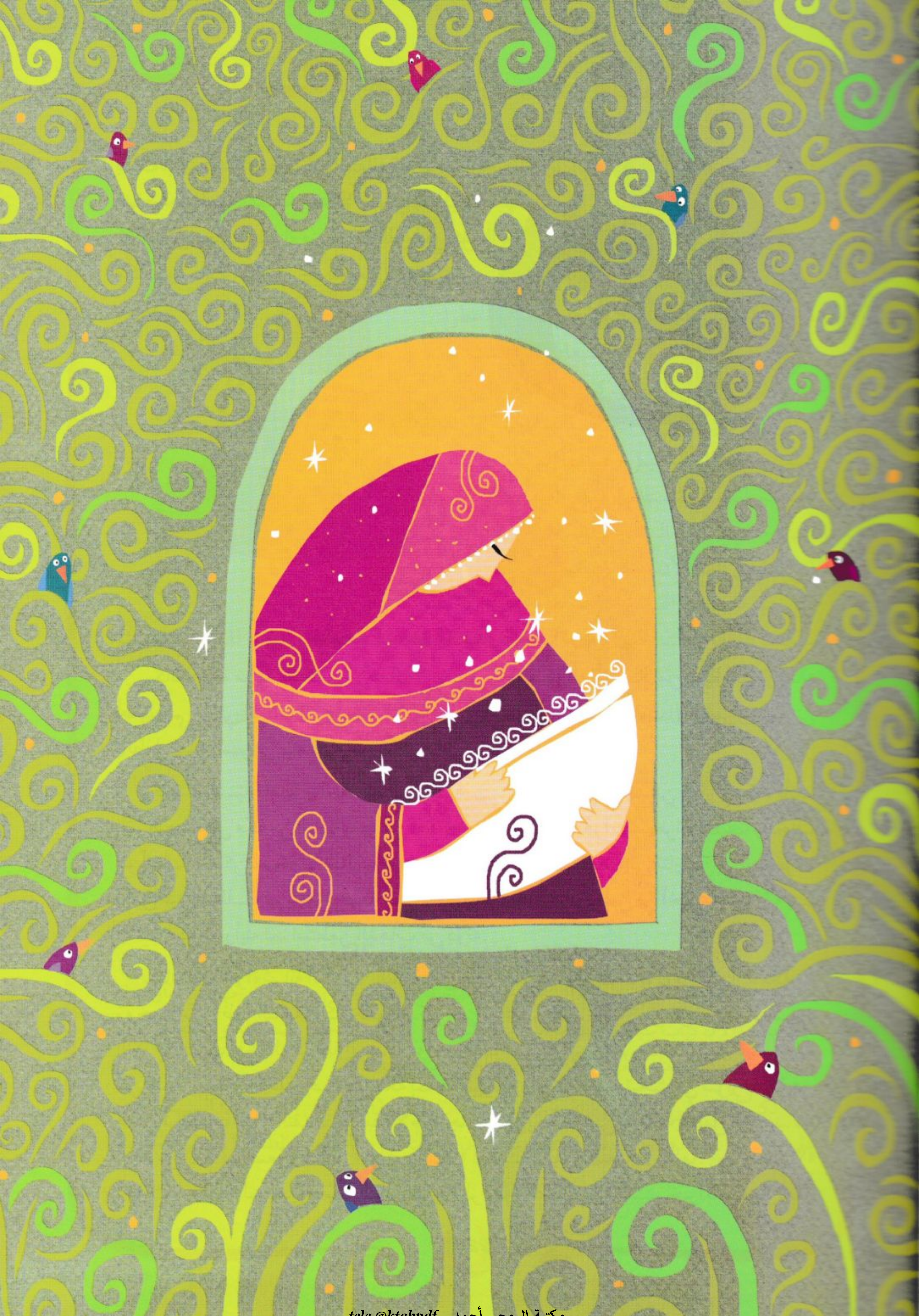
اليوم 6

ولادة نبيّ

كان في مكّة بيت تعيش فيه أمّ سـعيدة تدعى آمنة. كانت السـيّدة آمنة أكثر الأمّهات سـروراً وحناناً في العالم، لأنّها أمّ الطفل المنتظر. ملأت السـعادة وجهها وهي تقول للمحيطين بها إنّها لمّـا وضعـت هذا الطفل، رأت في منامها نوراً خرج منها أضاء منه قصور الشـام. كان الطفل ينام بهـدوء غافـلاً عن العالم المحيط به. ذاك هو سـيّد الأنبياء. اجتمع حولـه الموجودون في الغرفة وراحوا يردّدون عبارات المديح لذلك الطفل الجميل.

كان والـد الطفـل، ويدعى عبد الله، قد توفّي قبل رؤية ابنـه. لكنّ جدّه كان على قيد الحياة، وكان رجـلاً قوياً، ومحبوبـاً، وكريماً. إنّه عبد المطّلب، زعيم مكّة. ذهـب الجيران فوراً إلى عبد المطّلـب وزفّـوا له نبأ ولادة حفيده قائلين له إنّه قـد رزق بحفيد جميل لم تر قريش مثله من قبل. فذهب عبد المطّلب فوراً إلى بيته واحتضن الطفل بفرح كبير، وقال: «ليكوننّ لابني هذا شـأن». وأطلق عليه اسم محمّد.

عندما كانت السيّدة آمنة حاملاً بطفلها، رأت حلماً. وفي ذلك الحلم، قيل لها أن تسمّي ابنها



بذلك الاسم. بمناسبة ولادة الطفل، قام الجدّ بذبح أضحية من أجله. ثمّ أقام احتفالاً ضخماً شارك فيه كلّ الناس، حتّى الفقراء منهم. عمّ الفرح في كلّ مكان. وشعّت مكّة بنور جديد مع ولادة سيّدنا محمّد.



اليوم
7

حليمة السعدية، مرضعة الرسول

كانت مكّة مدينة مكتظّة، والأطفال لا يحتملون طقسها. لذلك، كان من عادة أهلها إرسال أطفالهم حديثي الولادة إلى البادية، لتقوم على رعايتهم أمّ مرضعة. كانت الأمّ المرضعة تعتني بالطفل لعدّة أشهر في بيئة ذات هواء أكثر نقاءً.

بحثت السيّدة آمنة والجدّ عبد المطّلب عن مرضعة للطفل محمّد من خارج مكّة. فأتت المرضعات إلى مكّة من البادية بحثاً عن أطفال يعتنين بهم. كان هواء الصحراء النظيف والجافّ هو أنسب الأماكن لصحّة الأطفال. وجدت بعض النساء أطفالاً، فعدن إلى منازلهنّ في الصحراء، لكنّ عبد المطّلب لم يجد مرضعة لحفيده بعد، فمعظمهنّ لم يرغبن في أخذ محمّد لأنّه يتيم الأب. لكن لو رأينه لما استطعن الذهاب من دونه.

كان ثمّة امرأة شابّة أتت من البادية على ظهر حمارها. راحت تتجوّل في شوارع مكّة مع زوجها على ظهر الناقة. وكان طفلها يبكي بين ذراعيها. فقد جفّ اللبن من صدرها، بسبب الجوع والتعب. فخلال الرحلة إلى مكّة، واجها مصاعب كثيرة. ورفض الحمار السير، كما جفّ لبن الناقة العجوز. هكذا وصلا إلى مكّة بمشقّة كبيرة. وراحت حليمة تبحث في شوارع مكّة عن طفل ترضعه. أخيراً، التقت حليمة بالأمّ والجدّ اللذين يبحثان عن مرضعة للطفل الجديد. دنا الجدّ من الأمّ المرضعة وسألها: «من أين أنت؟» أجابت: «أنا من البادية». سألها: «وما اسمك؟» أجابت: «حليمة السعدية». سُرّ الجدّ بطباعها الرقيقة والمهذّبة، واستبشر خيراً باسمها. فعلّق

قائلاً: «حِلم وسَعد». ثمّ أخبرها أنّ لديه حفيد، لكن لم ترغب أيّ امرأة بإرضاعه لأنّه يتيم الأب. وعرض عليها إرضاع الطفل. فرحت حليمة كثيراً، فهي لم ترغب في العودة إلى منزلها خالية الوفاض. وافقت على العرض، وذهبت مع الجدّ لرؤية الطفل.



كان الطفل محمّد نائماً تحت الأغطية البيضاء. ما إن دخلت حليمة إلى المنزل حتّى اشتمّت عطراً جميلاً. فغمر قلبها الدفء والسعادة. ابتسمت وهي تتأمّل الطفل بإعجاب كبير. حملته بين ذراعيها وقامت بإرضاعه. ويا للمفاجئة! كيف حدث ذلك؟ قبل وصولها إلى منزل عبد المطّلب، لم تستطع إرضاع طفلها، لأنّ لبنها جفّ بسبب المصاعب التي واجهتها في الطريق. أمّا الآن، فقد أرضعت الطفلين بكل سهولة. قبّلت السيّدة آمنة طفلها وداعبته. كانت سعيدة لأنّها وجدت أخيراً مرضعة له. الآن، سينشأ نشأة حسنة. هكذا، جهّزته للرحلة. وأعطت هدايا قيّمة لحليمة، ثمّ ائتمنتها على ابنها.

عرفت السيّدة آمنة أنّ الله سبحانه وتعالى سيحمي طفلها. هكذا ودّعته وهي تدعو له بالسلامة.

اليوم 8

الطفل الذي جلب البركة

كان الطفل محمّد في طريقه إلى خارج مكّة. أخذته المرضعة وزوجها وتوجّها إلى ديارهما. راحا يتساءلان كيف سيقومان بهذه الرحلة. فالمسافة طويلة، والحمار ضعيف، والناقة بلا لبن. بدءا المسير وفكرهما مشغول، ثمّ أخذا استراحة بعد برهة.

لكي لا يمرض الأطفال الرضّع، كان يجب أن يشربوا الكثير من اللبن. لهذا السبب، كان على حليمة أن تتغذّى جيّداً. لكن كيف سيجدان في أثناء الرحلة اللبن والطعام؟ ستفرح حليمة كثيراً لو أنّ الناقة العجوز أعطت بعض اللبن.

هكذا ذهب زوج حليمة ليحلب الناقة. عندما همّ بحلبها، لم يصدّق عينيه. فقد كان اللبن يقطر من ضرعها. عندئذ، راح يحلبها على الفور، وملأ الإناء حتّى حافّته. نادى زوجته بحماس عظيم: «يا حليمة! والله إنّي لأراك قد أخذتِ نسمة مباركة، ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه؟».

نظرت حليمة إلى الطفل محمّد بكثير من الأمل وقالت: «هذا ما أتمنّاه أنا أيضاً». شربا اللبن حتّى ارتويا. ثمّ ثبّتا الطفلين على ظهر الناقة من جديد، وتابعا رحلتهما بأمل كبير.

في الطريق، وقع حدث مفاجئ آخر. فالحمار الذي وصل إلى مكّة بصعوبة كبيرة، استعاد الآن نشاطه وقوّته. كان يحاول إيصال الضيف بأسرع ما يمكن إلى المكان المقصود. كم هذا رائع! في لحظة واحدة، تغيّر كلّ شيء. فجأة، تضاعف لبن حليمة، وبدأت الناقة العجوز تدرّ اللبن، واستعاد الحمار الضعيف قوّته. ما معنى كلّ ذلك؟ لا شكّ أنّ هذا حدث بسبب الطفل محمّد، الذي سيصبح نبيًّا، مع أنّ أحداً لا يعرف ذلك بعد.

وصلت حليمة وزوجها إلى منزلهما من دون أيّ صعوبة. الآن، سيعيش الطفل محمّد في البادية لمدّة من الزمن.

اليوم
9

منزل حليمة

مضت فترة من الزمن لم تشهد فيها سماء البادية سحباً محمّلة بالأمطار، واستمرّ الجفاف طويلاً. لكن بما أنّ المطر يعني الحياة، ظلّت عيون الناس معلّقة بالسماء، ترجو سقوط المطر. فحياة الحيوانات تعتمد على الماء. ومن دونه، سيكون مصيرها الجوع والضعف، ولن تدرّ اللبن. كذلك، يحتاج الناس إلى المطر، لأكل اللحوم وشرب الماء واللبن. فهذا هو كلّ ما يملكونه، ومن دونه لا يجدون الغذاء. بدأ الأطفال يعانون من الجوع، وأصبحت وجوههم شاحبة كالدقيق. كم سيفرح الناس لو أنّ المطر يتساقط عليهم. غير أنّ الأيّام أخذت تتوالى من دون أن يتحقّق أملهم.



كان ثمّة منزل واحد بدا مختلفاً كما لو أنّه في الجنّة. ذاك هو المنزل الجديد للطفل محمّد، منزل حليمة السعدية.

عـرف هـذا البيـت الفـرح، والوفـرة، والبركة، خلافاً لـكلّ بيـوت البادية. ففـي حين كانت الحيوانـات الأخـرى جائعة وبـلا لبن، كانت حيوانـات حليمة تتمتع بالنشـاط، وتنتج الكثير من اللبن. كما أنّ أطفالها كانوا أفضل حالاً بكثير من بقيّة الأطفال. لم تكن وجوههم شـاحبة من أثر الجوع، بل كانوا أقوياء وفرحين. عرفت حليمة جيّداً سبب هذه التغييرات المفاجئة. لا شكّ في أنّ الطفل محمّد هو الذي أتى إليهم بتلك البركة والسعادة.

اليوم 10

أغنام حليمة

شـعرت المرضعات اللواتي لم يقبلن بإرضاع محمّد باسـتغراب كبير. رأين مواشي حليمة سمينة وأضرعها ممتلئة، فقلن لرعاتهم: «ويلكم ألا تُسرّحون حيث يُسرّح راعي حليمة؟» كانت الأغنام سمينة بحيث تمشي بصعوبة واللبن يقطر منها.



حتّى الرعاة اسـتغربوا ذلك. فهم يأخذون قطعانهـم إلـى المراعي نفسـها، لكنّهـا لا تدرّ لبنـاً. ذهبوا إلى حليمة وسـألوها عن السـبب. فأجابتهـم قائلة إنّ السـبب لا يتعلّق بالمرعى، بل هو بركة من الله. فقد بدأ كلّ شيء في طريق العودة من مكّة. لم يفهم الرعاة كلام حليمة، بل انصرفوا متعجّبين.

اليوم 11

فرحة المرضعة

قامت حليمة السعدية بتربية محمّد بعناية كبيرة، تماماً كما وعدت. علّمته الكلام والفصاحة، وحـان الوقـت لإعادة الأطفال إلـى ذويهم. حزنت حليمة بسـبب ذلك. فمع الوقت، نشـأ رابط



بينهـا وبيـن الطفـل، ولـم ترغـب في فراقه، لكـن عليها أن تعيده إلـى أمّه. هكذا، قامـت بتجهيزه هـي وزوجهـا على مضض، ثمّ انطلقا إلى مكّة. كان أهل القبيلـة قد اعتادوا هم أيضاً على الطفل محمّد، وصعب عليهم فراقه. لذلك، عندما همّت حليمة وزوجها بالرحيل، أخذ الناس يصيحون خلفهما: "لا تأخذاه، فليبق معنا بعد. فنحن لم نرَ طفلاً مثله من قبل. لقد جلب لنا الخير والبركة، فليبق معنا قليلاً بعد".

في الواقع، هذا ما أرادته حليمة أكثر من الجميع. بعد رحلة طويلة، وصلوا إلى منزل السيّدة آمنة. كانت آمنة قد اشتاقت إلى طفلها كثيراً. وبينما هي تحتضنه وتقبّله، أخبرتها حليمة عن مدى اختلافـه عن الأطفـال الآخرين وكم أحبّته القبيلـة. ثمّ راحت تخبرها عن حسـن خلقه وطباعه. أخبرتهـا بالتفصيـل كيف ينام، وكيف يمشـي، وكيف يتحدّث. وفي أثناء ذلـك، كانت آمنة تزداد فرحاً بابنها.

في تلك الأيّام، كان الطاعون منتشـراً في مكّة. فخشـيت آمنة من أن يلتقط طفلها المرض. كذلك شعرت حليمة بالقلق، فتجرّأت على سؤالها: "رُدّوا علينا ابني فلنرجع به، فإنّا نخشى عليه وباء مكّة".

وافقت السـيّدة آمنة وعبد المطّلب على بقاء الطفل مع حليمة السـعدية لمدّة أطول، حفاظاً على صحّته. عندئذٍ، فرحت حليمة، وشعرت كما لو أنّها امتلكت العالم. احتضنت الطفل محمّد بقوّة، وعادت به إلى البادية.

اليوم 12

مظلّة من السحاب

كان محمّد يكبر بسـرعة وسـط إخوته بالرضاعـة. فالأطفال الذين يرضعـون من أمّ واحدة يصبحـون إخوة بالرضاعة، حتّـى لو كانوا من أبويـن مختلفين. كلّما خـرج إخـوة محمّد لرعـي الماشـية، كان يبقى بمفـرده. غير أنّه أراد الخـروج معهـم والتجـوّل فـي المراعي لرؤيـة الأزهار، وإطعـام الخـراف، واللعـب معهـم. في أحـد الأيّـام، أخبر حليمة بذلك. عادة، لم تكن حليمة تسمح له بالذهاب خوفاً عليه من الحرّ. لكن عندما رأت مدى حزنه، لم تعد تسـتطيع





المقاومة. أخيراً، سمحت له بالخروج مع إخوانه في اليوم التالي، ففرح بذلك كثيراً.

استيقظ محمّد مع شروق الشمس للذهاب مع أخويه عبد الله والشَيماء. وبينما كانت حليمة تجهّزه، أخذت توصي ولديها برعايته، وحمايته، وعدم تركه تحت الشمس طوال النهار.

وعدت الشيماء أمّها بالاعتناء بمحمّد. ثمّ خرج الثلاثة وهم يمشون يداً بيد خلف الأغنام.

بينما كان محمّد يسير في الحقول، أخذ يفكّر في السماء، والشمس، والأرض، وكيف خُلقت بهذا الجمال. من الذي صنعها؟ الخالق هو الذي أحسن صنعها. وكلّما فكّر محمّد أكثر، ازداد حبّه له.

عندما بدأ حرّ الشمس يزداد، ظهرت غيمة بيضاء رقيقة جدًّا فوق محمّد، وأظلّته. أينما ذهب تبعته الغيمة كالمظلّة، ولم تفارقه أبداً. لم يدرك محمّد ذلك، لكنّ أخته بالرضاعة، الشيماء، لاحظت السحابة وتعجّبت كيف تتبع أخاها. عندما عادوا إلى المنزل في المساء، أخبرت الشيماء أمّها بما حدث. فلم تستغرب ما سمعته، بل سُرّت لأنّها رأت تلك الغيمة من قبل عندما كان محمّد طفلاً رضيعاً. عرفت أنّه طفل مميّز وأنّه سيصبح رجلاً عظيماً يوماً ما، وشكرت الله على ذلك.

اليوم 13

رجلان بملابس بيضاء

في أحد الأيّام المشمسة، خرج محمّد ليرعى الغنم مجدّداً مع أخويه. بينما كانت الأغنام تتجوّل في الحقل، جلس في الجوار يفكّر بعمق، في حين غطّ أخوه عبد الله في نوم عميق في ظلّ إحدى الأشجار. فجأة، ظهر رجلان غريبان بملابس بيضاء أمام محمّد. راقباه عن بُعد، ثمّ ألقيا عليه التحيّة بابتسامة عريضة. بدا من مظهرهما أنّهما شخصان لطيفان.



كان أحدهما يحمل طبقاً ذهبياً بين يديه. وكان الطبق مليئاً بالثلج حتّى حافته. نظر محمّد بدهشة إلى الرجلين اللذين اقتربا

منه بهدوء. من دون أن يسبّبا له أيّ أذى، مدّداه على الأرض وغسلا صدره بالثلج. عند انتهائهما، اختفيا على الفور. لم يخف محمّد ولم يشعر بالذعر.

في هذا الوقت، استيقظ عبد الله من نومه ورأى كلّ ما حدث. فركض إلى المنزل وهو يقول: «أدرِكا أخي القُرَشيّ، قد جاءه رجلان فأضجعاه فشقّا بطنه».

قلقت حليمة كثيراً وهُرعت إلى محمّد. لم تر أحداً بجانب الصبيّ، غير أنّ وجهه كان شاحباً. سألته حليمة: «ما لك يا بنيّ؟» فأخبرها محمّد بالقصّة.

بدا محمّد وهو في الرابعة من عمره من أكثر الأطفال وسامة. شعرت حليمة بالقلق عليه أكثر من ذي قبل بعد تلك الحادثة لأنّها عرفت أنّه طفل مميّز جدًّا. فتحدّثت مع زوجها، وقرّرا إعادته إلى أمّه خوفاً من أن يحلّ به أيّ مكروه.



عندما وصلوا إلى مكّة، روت حليمة للسيّدة آمنة كلّ ما جرى. لكنّ السيّدة آمنة لم تفاجأ بل قالت لها: «إنّ لابني هذا شأناً». ثمّ أعطت حليمة كثيراً من الهدايا. أمّا عبد المطّلب فقد فرح كثيراً بحفيده الذي نشأ نشأة حسنة، وعاد إلى أحضانه. فقرّر أن يقيم له احتفالاً. هكذا، عاد محمّد إلى مكّة مجدّداً. احتضنته حليمة وقبّلته مرّة أخيرة، وفرحت لأنّها أعادته سليماً معافى إلى أمّه. سيعيش هذا الطفل الرائع الآن في مكّة مع والدته السيّدة آمنة.

اليوم 14

مع أمّه



كان محمّد طفلاً سليماً وجميلاً. حياة الصحراء كانت مفيدة له جدًّا؛ فبفضلها نشأ من دون أن يصاب بأمراض. وها هو الآن يعود إلى حضن أمّه الدافئ. بعودته، شعّ البيت بالنور. أحبّه الجميع حبًّا جمًّا، من أمّه وجدّه، إلى أعمامه وعمّاته. وكان هو وعمّه الأصغر، العبّاس، متقاربَين في السنّ، يلعبان سوية ويتّفقان كثيراً.

ساعد محمّد أمّه في المنزل لأنّه كان حريصاً على رضاها وعلى عدم

إتعابها. كان طفلاً مهذّباً جدًّا، واهتمامه بالنظافة أدهش والدته. أضف إلى أنّه كان صادقاً، يمقت الكذب.

أحبّه أطفال مكّة كثيراً، شأنهم شأن أطفال البادية. وكانوا يتنافسون على اللعب معه. لم يفرّق محمّد بين أصدقائه، بل صادق الجميع، سواء كانوا فقراء أم أغنياء، وجميلين أم قبيحين.

اليوم
15

الشوق إلى أبيه

ذاع صيت محمّد خلال وقت قصير. فقد أثار حسن خلقه واحترامه للآخرين إعجاب كلّ من رآه.

أصبح محمّد الآن في السادسة من عمره. خلال ذلك الوقت، عاش بسعادة في منزله في مكّة، واستمتع بحنان أمّه بعدما طال فراقه لها.

في أحد الأيّام، قرّرت السيّدة آمنة اصطحاب ابنها لرؤية أقاربه في مدينة يثرب. أرادته أن يتعرّف عليهم ويزور قبر والده. رافقتهم في تلك الرحلة الطويلة مربّيته، أمّ أيمن. تحمّس محمّد للسفر كثيراً. فقد أراد أن يقابل أخواله وأن يزور قبر أبيه. سافروا على ظهر الجمل ليل نهار.

وصلوا إلى يثرب بعد بضعة أيّام. كانت يثرب مدينة جميلة مليئة ببساتين الخضار والفاكهة. عندما وصل محمّد، احتضنه أخواله وقبّلوه. كانوا يتعرّفون عليه للمرّة الأولى. بعد ذلك، اصطحبت آمنة ابنها إلى قبر أبيه. كان والد محمّد، عبد الله، رجلاً طيّباً جدًّا. توفّي من دون أن يتمكّن من رؤية ابنه الصغير، وهذا ما أحزن السيّدة آمنة كثيراً.

تأثّر محمّد كثيراً لدى رؤية قبر أبيه. من يعلم كم كان ليحبّه لو أنّه على

قيد الحياة! لكان أظهر له الاحترام وأطاعه في كلّ شيء. راح الطفل يبكي بصمت، فاحتضنته أمّه بحنان، ومسحت دموعه وقبّلت وجنتيه بعطف كبير، ثمّ غادرا المكان.

مع أنّ محمّداً افتقد إلى أبيه، إلاّ أنّه أدرك أنّ عليه أن يتحلّى بالصبر، وأن يتقبّل هذا الواقع.

اليوم 16

أيّام لا تُنسى

أحبّ أطفالُ يثرب محمّداً. فهذه هي المرّة الأولى التي يرون فيها طفلاً مثله. كانوا هم أيضاً أطفالاً صالحين، لكنّ محمّداً مختلف. فهو مؤدّب، وذكيّ، ولطيف مع الجميع. اجتمع حوله كلّ أصدقائه الجدد، واصطحبوه في جولة في يثرب.



اتّفق كثيراً مع ابن خاله عنيزة، ولعبا في الحديقة كلّ يوم. فمنزل خاله أشبه بالقصر.

كان في باحة المنزل حوض كبير. فتعلّم محمّد في غضون بضعة أيّام السباحة. وأتى أصدقاؤه للسباحة معه واستمتعوا كثيراً. ركبوا الجياد، وتعلّموا رماية السهام، وتسابقوا مع بعضهم. أصبحت هذه المدينة الجميلة أكثر جمالاً مع كلّ هذه الألعاب. استضاف أهل المدينة محمّداً وأسرته بسرور كبير، وكانت تلك من أجمل الأيّام التي أمضاها محمّد في طفولته. سيحتفظ بها دائماً في قلبه لأنّها ستصبح من ذكريات الطفولة التي لا تُنسى.

اليوم 17

أنباء سارّة

كان محمّد مسروراً جدًّا في يثرب. فقد أحبّ هذه المدينة كثيراً، وشعر أنّ الأيّام تمرّ بسرعة في منزل خاله. ذات يوم، كان جالساً مع مربّيته أمّ أيمن في باحة المنزل. فمرّ يهوديان، ورأيا محمّداً. أخذا يتأمّلانه جيّداً، كمن وجد شخصاً يبحث عنه. انزعج محمّد من نظراتهما الفضولية، ودخل مسرعاً. عندئذ، سألا أمّ أيمن: «ما اسم هذا الطفل؟» لم تكن المربّية تعرفهما، فأحسّت بالارتباك وخشيت أن يؤذياه. سألتهما: «لماذا تسألان؟» أجابا: «لا تخشي شيئاً، لكنّه يشبه طفلاً نبحث عنه. لهذا السبب نحن نسألك، ما اسمه؟ نحن لا ننوي إيذاءه». اقتنعت المربّية بحسن نواياهما، فأجابت: «اسمه محمّد». فبدا الفرح في عيونهما على الفور. ابتسما لبعضهما، على الأرجح هذا هو الطفل الذي يبحثان عنه. قالا للمربّية: «هلاّ ناديته من فضلك؟» فنادته أمّ أيمن. تأمّل اليهوديان محمداً عن كثب، ثمّ طلبا الإذن للنظر إلى ظهره. كان على ظهر محمّد وحمة. قال الرجلان بحماس: «أجل، إنّه هو!» فارتبكت المربّية أكثر من ذي قبل. قال أحد اليهوديين: «هذا الصبيّ سيصبح خاتم الأنبياء. فأوصافه مطابقة لأوصاف خاتم الأنبياء في كتبنا». ثمّ أضاف: «والعلامة التي على ظهره هي ختم النبوّة». شكر اليهوديان أمّ أيمن ورحلا، وهكذا اكتُشفت أولى العلامات في يثرب. هل محمّد هو النبيّ المنتظر؟ شعر الجميع بالفضول لمعرفة ذلك. فرؤيته كانت مصدر فرح كبير، وكذلك محبّته والعيش بقربه.

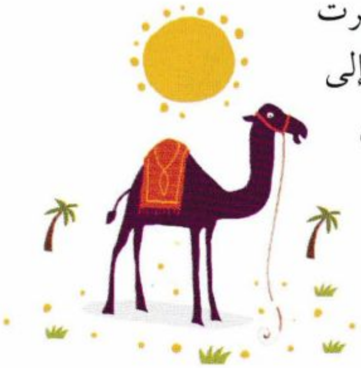




اليوم
18

موت الأمّ

أقام محمّد صداقات عديدة في يثرب. عاش أيّاماً مليئة بالفرح والبهجة، وحان وقت العودة إلى مكّة. كان جدّه وأقاربه الآخرون ينتظرون عودته. فودّع أهله في يثرب، وانطلق عائداً مع والدته ومربّيته.



سافروا لعدّة أيّام ليل نهار في الصحراء الجافّة. غير أنّ أمّه شعرت بالضعف والتعب. وبعد أيّام من السفر، مرضت فجأة. فاضطرّوا إلى أخذ استراحة في قرية الأبواء. عندما وصلوا، انهارت الأمّ. فركض محمّد لاحتضانها، ووجد حرارتها مرتفعة جدًّا. أخذ يروح ويجيء محاولاً إيجاد المساعدة. لكنّ السيّدة آمنة كانت خائرة القوى، وكان نَفَسُها ضعيفاً. مدّد محمّد أمّه في حضنه، وفهم أنّها مريضة جدًّا. أخذ يبكي بصمت. فتحت السيّدة آمنة عينيها قليلاً وطلبت الماء بصوت خافت. فأعطاها ابنها بعض الماء. حدّقت إليه مطوّلاً وأمسكت بيديه الناعمتين، واحتضنت ابنها للمرة الأخيرة، ثم رحلت عن هذا العالم.

أتى أهل الأبواء لتقديم المساعدة، وحفروا لها قبراً. الله يحبّ من يحبّونه، ويساعدهم في المحن. وبما أنّ محمّداً يحبّ الله كثيراً، كان الله يساعده دائماً. وفي أصعب أوقاته، منحه القوة والصبر.

اليوم
19

محمّد في كنف جدّه

استأنف محمّد رحلته مع مربّيته أمّ أيمن بأعين دامعة، وتركا السيدة آمنة في مقبرة الأبواء. بعد رحلة طويلة وشاقّة، وصلا إلى مكّة. انتشر نبأ وفاة السيدة آمنة في مكّة، وحزن عليها الجميع. أصبح محمّد الآن يتيم الأب والأمّ. فاحتضنه جدّه بقوّة وقرّر الاعتناء بالصغير من الآن فصاعداً.

كان هذا الجدّ الطيّب كريماً، يحبّ صنع المعروف مع جميع الناس. لم يكن يتردّد في توزيع الطعام على الفقراء والمساكين. حتّى أنّه كان يفكّر في الحيوانات التي تعيش في البراري، ويأخذ لها الطعام.

كان جدّ محمّد بالنسبة إليه الأمّ والأب والجدّ في آن واحد. اصطحبه معه أينما ذهب، ولم يفترق عنه أبداً.

لم يكن محمّد قد تجاوز السادسة من عمره، لكنّه كان طفلاً ناضجاً. حاول ألاّ يثقل على أقاربه، وبذل ما في وسعه لكي لا يسبّب لهم أيّ إزعاج. لاحظ أعمامه وعمّاته ذلك، فحاولوا إيلاءه مزيداً من الاهتمام. أصبحت عمّته الصغرى صفيّة، وعمّه الأصغر حمزة، صديقاه. هكذا عوضّه الله على صبره وحسن خُلُقه بأسرة تحبّه كثيراً.

اليوم 20

دعوات جدّه

كان لدى عبد المطّلب وسادة يضعها أمام الكعبة. لم يكن يجلس عليها أحد سواه، لكنّه كان يفرح كثيراً لو جلس عليها محمّد. وإن حاول أحد إنزاله من عليها، قال له: «دعوه فإنّ لابني هذا شأناً». كما أنّ أحداً لم يكن يدخل غرفة عبد المطّلب سواه. كان الجدّ يتناول الطعام معه، ولا يسمح لأحد بالأكل قبل انضمام محمد إليهم. نظراً إلى كلّ هذا الحبّ الذي أحاط به عبد المطّلب حفيده، عاش محمّد سعيداً مطمئنًّا.



في أحد الأيّام، أضاع عبد المطّلب ناقته. بحث عنها في كلّ مكان، لكنّه لم يجد لها أثراً. لم يرغب محمّد في رؤية جدّه حزيناً، فخرج هو أيضاً للبحث عن الناقة. مرّ وقت طويل، ولم يعد إلى البيت. فظنّ الجميع أنّه ضاع هو الآخر. شعر الجدّ بقلق كبير على حفيده، ولم يعرف ماذا يفعل. نسي أمر الناقة، وبدأ يبحث عن محمّد.

أخيراً، دفع به خوفه وعجزه إلى الكعبة. فرفع يديه إلى السماء، ودعا الله قائلاً: "يا ربّ، أعد إليّ ابني". ثمّ سالت دموعه بغزارة حتّى ابتلّت لحيته. نظر إلى الأفق مطوّلاً، وفي تلك اللحظة رأى طيفاً آتياً من بعيد. إنّه هوّ! أجل، إنّه هو! ذاك هو حفيده الحبيب يعود ومعه ناقته الضائعة. لقد عثر محمد على الناقة وأعادها إلى جدّه. ركض إليه الجدّ واحتضنه بقوّة، ثمّ قال له: "بنيّ الحبيب! كم خفت عليك! من الآن فصاعداً، لا تبتعد عن ناظري أبداً. لا تذهب بمفردك إلى أيّ مكان". منذ ذلك اليوم، لم يسمح عبد المطّلب لمحمّد بالابتعاد عنه أبداً. فنشأ بأمان وطمأنينة تحت حماية جدّه. أحبّه الجميع وعاملوه معاملة خاصّة، لكنّ هذا الأمر لم يفسده أبداً.

اليوم 21

الطفل الذي مدحه الملوك

اضطرّ عبد المطّلب إلى مغادرة مكّة لمدّة. بصفته سيّد قريش، ذهب لتهنئة ملك تم تتويجه حديثاً. غير أنّه لم يستطع أخذ محمّد معه. فالرحلة طويلة وشاقّة، كما أنّ هذا اللقاء رسميّ. ولن يكون من المناسب اصطحاب طفل إليه.

انطلق في رحلته مع وفد من وجهاء مكّة. غير أنّ فكره ظلّ مشغولاً بحفيده. بعد رحلة مضنية، وصل المسافرون أخيراً. فاستقبلهم الملك بحفاوة، وأبدى احتراماً كبيراً لعبد المطّلب. استقبله في قصره لعدّة أيام، وأحسن ضيافته.

في أحد تلك الأيّام، استدعى الملكُ عبدَ المطّلب، وقال له: «يا عبد المطلب، إنّي مفوّض إليك من علمي أمراً لو غيرك كان لم أبح له به، ولكنّي رأيتك معدنه، فأطلعتك عليه فليكن مصوناً حتى يأذن الله فيه، فإنّ الله بالغ أمره. إنّي أجد في العلم المخزون والكتاب المكنون الذي ادّخرناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبراً عظيماً وخطراً جسيماً». فوجئ عبد المطّلب وقال: «مثلك يا أيها الملك برّ، وسرّ، وبشر، ما هو؟» كان الملك رجلاً طيّباً وحكيماً، قرأ كثيراً من الكتب. فأجاب: «إذا ولد مولود بتهامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، إلى يوم القيامة. هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد، يموت أبوه وأمّه، ويكفله جدّه وعمّه. وقد وجدناه مرارا، والله باعثه جهارا، وجاعل له منا أنصارا، يعزُّ بهم أولياءَه، ويُذلُّ بهم

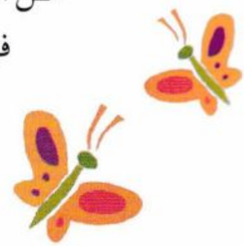




أعداءَه، ويفتتح كرائم الأرض، ويضرب بهم الناس عن عرض، يخمد الأديان، ويكسر الأوثان، ويعبد الرحمن. قولُه حكم وفصل، وأمره حزم وعدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله».

بينما كان الملك يتحدّث، شعر عبد المطّلب بالسرور. فهذه الأوصاف مطابقة لأوصاف حفيده. لا يمكن أن يكون هذا الولد سوى حفيده محمّد. كان الملك يعرف كلّ شيء. نظر جيّداً إلى عبد المطّلب وقال له: «والبيت ذي الطنب، والعلامات والنصب، إنّك يا عبد المطلب لجده من غير كذب!».

كان عبد المطّلب يشعر أنّ حفيده سيكون ذا شأن عظيم يوماً ما. وعندما سمع هذا الكلام من الملك، شعر بمزيد من الثقة، وقال: «أيّها الملك، كان لي ابن كنت له محبًّا... فزوجته كريمة من كرائم قومه... فجاءت بغلام بين كتفيه شامة فيه كلّ ما ذكرت من علامة، مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمّه». فرح الملك لأنّه لم يكن مخطئاً في ظنّه، ونصح عبد المطّلب قائلاً: «فاحفظ ابنك، واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً».



كان الملك وعبد المطّلب على قناعة أنّ ذاك الطفل هو محمّد. أعطى الملكُ عبدَ المطّلب الهدايا الثمينة قبل رحيله. كان الجدّ يفتقد كثيراً إلى حفيده، ويرغب في رؤيته بأسرع ما يمكن. بعد رحلة طويلة وشاقّة، وصل إلى دياره أخيراً. فاحتضن محمّداً وقبّله. من الآن فصاعداً، سيعتني به أكثر من ذي قبل.

اليوم 22

لم يعد عملاقاً

كان عبد المطّلب، جدّ محمّد، محبوباً من قبل كثيرين في مكّة. أمضى معظم حياته في عمل الخير ومساعدة أهل مدينته. وبذل كلّ ما في وسعه ليكون أهل مكّة مرتاحين لا ينقصهم شيء. وبالنسبة إلى محمّد، الذي عرف طعم اليتم والوحدة، كان جدّه مثل جبل عملاق يتّكئ عليه. لكن مع مرور الزمن، لم يعد عبد المطّلب قادراً على النهوض من سريره بعد أن أقعده المرض. وحان الوقت لرحيله عن هذا العالم. عرف ذلك هو أيضاً، ولم يكن لديه سوى همّ واحد. خاف بعد



وفاته أن يبقى محمّد الصغير وحيداً. فبعد أن فقد أباه وأمّه، ماذا سيحلّ به عندما يخسر جدّه أيضاً؟ استدعى الجدّ أبناءه وأحفاده وجمعهم عنده. لم يكـن محمّد قد رأى جـدّه مريضاً من قبل. كان عبد المطّلب يتحدّث بصوت واهن، تماماً مثل السـيّدة آمنة قبل وفاتها. فبدأ يفهم أنّه على وشك أن يخسر جدّه، وأخذ يبكي. ماذا سيفعل إن مات جدّه؟ بينما كان يفكّـر بذلـك، ناداه الجدّ. قال له بصـوت ضعيف: "يا بنيّ، حان الوقت لأغـادر هذا العالـم. عندمـا أرحل، سـيعتني بـك أعمامك. أخبرني، مع مـن تحبّ أن تعيش؟" كان لـدى محمّد كثير مـن الأعمـام. جميعهم أحبّوه كثيراً، لكنّ أبا طالب كان أكثر مـن يحبّه محمّد. احتضن محمّد أبا طالـب، فأخـذه هذا الأخير بين ذراعيـه. فرح الجدّ كثيراً بذلك، لأنّـه كان يعرف أنّ أبا طالب هو أفضـل من يسـتطيع العناية بمحمّـد. فقال وهو ممدّد في فـراش المرض: "يا أبا طالب! سـأترك محمّـداً فـي رعايتك. هل تعدنـي أن تعتني به جيّـداً؟" أجاب أبو طالب: "لا تخـف عليه يا أبي. سـآخذ محمّـداً إلى منزلي وأرعاه مثل أولادي. أعـدك أن أحميه من كلّ أذى". اطمأن الجدّ بهذا الكلام. نظر مطوّلاً إلى حفيده، ثمّ غادر العالم مرتاح البال. في ذلك الوقت، كان الطفل محمّد، الذي سيصبح يوماً ما **نبيّنا الحبيب** ﷺ، ما زال في الثامنة من عمره.

سـرعان ما انتشـر نبأ الوفـاة، وعمّ الحزن أرجـاء المدينـة. فتوافد الناس من شـتّى الأماكن والبقـاع لتأديـة واجب العزاء، وأغلقـت متاجر مكّة أبوابها لعـدّة أيّام. فقد توفّي سـيّد مكّة. كان محمّـد ينتحب أحيانـاً، أو يختبئ في إحدى الزوايـا ويبكي بصمت. بعد انتهاء مراسـم الجنازة، احتضنه عمّه ومسح دموعه. من الآن فصاعداً، سيكون الأب لهذا الطفل الوحيد.

اليوم
23

في منزل أبي طالب

كان أبـو طالـب يملك منزلاً صغيراً يعيش فيه مع أسـرته الكبيرة. غير أنّ صدره الرحب كان يتّسع للجميع. هكذا فتح قلبه ومنزله لمحمّد.

أصبـح محمّد أحـد أبناء هذا البيت. أحسـنت زوجة عمّه، فاطمة، معاملتـه، وبادلها محمّد الاحترام والمحبّة. أحبّت هذا الطفل المهذّب والذكيّ كما لو كان ابنها. فكانت تسرّح شعره قبل أن تسرّح شعر أولادها، وتطعمه قبل أن تطعمهم. لم يشعر أولادها يوماً بالغيرة منه لأنّهم أحبّوه



هم أيضاً. شعر محمّد بالسعادة في ذلك المنزل. فقد عوّضه الله سبحانه وتعالى بعمّ مثل الأب، وزوجة عمّ مثل الأمّ. وأينما ذهب أبو طالب، كان يصطحبه معه.

لم يكن أبو طالب يفعل شيئاً من دون محمّد. لم يكن يجلس إلى المائدة إلاّ بعد أن يسأل عن محمّد ويدعوه إلى الجلوس معه. فعندما يشاركهم الطعام، يشعر الجميع بالشبع. أمّا في غيابه، فلا يشبع أحد.

لم يكن محمّد يجلس إلى المائدة قبل غسل يديه. وقبل أن يبدأ بالأكل، كان يقول «بسم الله». لم يكن ينفخ على الطعام، بل ينتظره حتّى يبرد قليلاً. وكان يأكل لقمات صغيرة ودائماً من أمامه. ولا يبدأ بالأكل قبل من هم أكبر سنًّا. لقد كان مهذّباً جدًّا.

أراد عمّه وزوجة عمّه أن يؤمّنا له الراحة والغذاء السليم. وفعلا كلّ ما في وسعهما من أجل ذلك. فعاش محمّد مرتاحاً جدًّا في ذلك المنزل. أحبّ عمّه، وزوجة عمّه، وأبناءهما كما لو كانوا أسرته. بدا وكأنّ السماء تمطر محبّة وبركة. وكان لمنزل أبي طالب المتواضع نصيب كبير من هذه الخيرات. حصل أهل المنزل على كفايتهم من الغذاء. وشعّت وجوه أطفاله بالبهجة والفرح بعدما انضمّ إليهم محمّد.



اليوم 24

هطول المطر

تأخّر المطر على مكّة، وجفّت الأرض كثيراً. يبست النباتات والأشجار، وجفّت الينابيع. بدأ الأطفال يمرضون، وأخذت المواشي تموت من العطش. بعد وفاة عبد المطّلب، أصبح ابنه أبو طالب سيّد مكّة. وثق الناس به كثيراً، وأحبّوه واحترموه. فأتوا إليه قائلين: «الأيّام تمرّ من





دون أن يتساقط المطر. لقد جاع أطفالنا وعطشت ماشيتنا، كما يبست النباتات في الحقول. إن استمرّ الأمر على هذا المنوال، فستصيبنا كارثة حقيقية. فهلّا أتيت معنا لنصلّي صلاة الاستسقاء؟» قبل أبو طالب على الفور. فقد كان يفكّر بالأمر نفسه. ماذا يفعل غير ذلك؟ فالله هو الذي يرسل المطر. إن شاء أرسله، وإن شاء أمسكَه.

قبل خروج أبي طالب للصلاة، فكّر في اصطحاب شخص صالح. لكن من يكون هذا الشخص غير ابن أخيه محمّد. ذهب إليه على الفور، ودعاه إلى مرافقته. هكذا، ذهبا معاً إلى الكعبة. دعا أبو طالب مع الناس المجتمعين هناك الله سبحانه وتعالى لينقذ عشيرته من العطش، وليسقي التراب، وتخضرّ الأرض مجدّداً، وتروي الحيوانات ظمأها. رفع محمّد الصغير يديه أيضاً إلى السماء، وسأل الله تعالى أن ينزل عليهم المطر. تعلّقت عيون الناس بالسماء، وانتظر الجميع بصمت. فجأة، بدأت الغيوم المحمّلة بالأمطار تتوجّه نحو الكعبة، كما لو أنّها تلقّت أمراً من مصدر واحد، وسقطت بضع قطرات من المطر على يدي محمّد الصغيرتين. تساقطت قطرات الماء واحدة تلو الأخرى، ثمّ بدأت تتسارع، إلى أن هطل المطر بغزارة في كلّ أرجاء مكّة. وقف الناس تحته إلى أن ابتلّت ملابسهم. لقد استجيب دعاء محمّد.

امتصّت التربة مياه المطر مثل طفل جائع. فنبت العشب، وتفتّحت الأزهار، وروت الحيوانات عطشها. كذلك شرب الأطفال حتّى ارتووا، وخيّمت السعادة على كلّ الناس.

اليوم 25

الولد يساعد عمّه

مرّت الأيّام، وأصبح محمّد في العاشرة من عمره. ظلّ يعيش في منزل عمّه، الذي يعمل بجدّ لتأمين قوت أسرته. غير أنّه شعر بشيء من الحزن لدى رؤية عمّه وهو يشقى ويضحّي بكلّ شيء من أجل راحتهم. فأخذ يبحث عن طرق لمساعدته.

في أحد الأيّام، خطرت له فكرة. يمكنه أن يرعى أغنام عمّه، وبهذه الطريقة لا يُضطرّ أبو طالب لدفع أجرة الراعي. هكذا، يساعده محمّد ويساهم في دخل الأسرة. فعرض الفكرة على عمّه.



لم يقبل أبو طالب في البداية. غير أنّ محمّداً بذل جهده لإقناعه، ونجح في النهاية. هذه المرّة، عارضت زوجة عمّه، فاطمة، الفكرة. كيف يسمحان لابنهما الصغير الذي أرادا حمايته أكثر من أولادهما بالخروج لرعي القطيع. لا يمكن أن يتركاه تحت شمس الصحراء الحارقة طوال النهار. بيد أنّ محمّداً كان مصمّماً على الفكرة بحيث تمكّن بذكائه وحلاوة كلامه من إقناع زوجة عمه هي الأخرى.

من الآن فصاعداً، سيرعى الغنم. لم يكن محمّد يخجل من العمل، بل من البطالة. كره أن يجلس من دون فعل أيّ شيء، فقد اعتاد على النشاط. سيستيقظ من الآن فصاعداً في الصباح الباكر، وسيصطحب القطيع إلى الحقول. وبينما تتجوّل الأغنام في المراعي، سيقضي الوقت في التأمّل. كان محمّد شديد الإعجاب بالخالق الذي خلق السماء وزيّنها بالشمس والنجوم، والذي زيّن سطح الأرض بآلاف الأزهار الملوّنة. تأمّل الجبال، والأحجار، والنباتات التي خلقها الله، وحاول أن يفهم عظمة الخالق.

مع مرور الأيّام، لم يشتكِ محمّد من شيء، بل تمكّن من رؤية الجمال في كلّ ما حوله. أحبّ الناس وأحبّوه، واستوطن حبّه في قلوبهم.

اليوم
26

حماية الله لمحمد من استلام الأصنام

قال زيد بن حارثة – مولى رسول الله –: كان هناك العديد من الأصنام حول الكعبة، وكان من بينهم صنم من نحاس يُقال له (إساف) أو (نائلة) يتمسّح به المشركون إذا طافوا حول الكعبة، فكنتُ في أحد الأيام أطوف حول الكعبة مع مولاي محمد بن عبد الله وهو شاب، فلما مررتُ بالصنم مسحتُ به، فقال لي محمد: «لا تمسّه».



قال زيد: فطفنا، فقلتُ في نفسي: لأمسّنه حتى أنظر ما سيقول لي، فمسحت الصنم عندما مررتُ به، فقال لي محمد مرة أخرى: «ألم تُنْهَ؟!».

قال زيد: فوالذي أكرم «محمد» وأنزل عليه الكتاب، ما استلم صنماً قطّ حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه من النبوة.

اليوم
27

محمّد يلتقي بزيد بن عمرو بن نفيل

التقى محمدٌ بزيد بن عمرو بن نفيل يوماً ما بأسفل بلدح (وهو مكان بالحجاز قريب من مكة)، وذلك قبل أن ينزل الوحي عليه، فقُدِّمَت إلى محمد ﷺ سُفْرَة، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيدٌ: إني لستُ آكل ممّا تذبحون على أنصابكم وأصنامكم، ولا آكل إلا ما ذُكِرَ اسم الله عليه.

وكان زيد بن عمرو بن نفيل على دين النبي إبراهيم عليه السلام، الحنيفية، وكان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله!! إنكاراً لذلك وإعظاماً له.

ولهذا لمّا سُئِلَ النبي ﷺ عن مصير زيد بن عمرو بن نفيل قال: «يُبْعَث يوم القيامة أمة وحده»، وهذا جراء بقائه على دين إبراهيم الحنيفية بينما كان من حوله مشركون يعبدون الأصنام.

ومات زيد بن عمرو بن نفيل قبل أن ينزل الوحي على النبي ﷺ، لكن ابنه سعيداً أدرك النبي ﷺ ودعوته، فأسلم وصار من العشرة المبشرين بالجنة!

اليوم
28

دموع محمّد

مرت السنوات بسرعة وكبر محمد في منزل عمه الحبيب؛ أصبح الآن في الثانية عشرة من عمره. في تلك الأيّام، كان أبو طالب يعدّ العدّة للسفر إلى الشام. حمّل الإبل بالبضائع ليبيعها هناك ويكسب رزق أسرته. عرف محمّد بنيّة عمّه، فحزن كثيراً. ماذا سيحدث الآن؟ هل سيفترق عن عمّه بعدما فقد أباه، وأمّه، وجدّه؟ ترقرقت عيناه بالدموع. وعندما بدأ عمّه يستعدّ للرحيل،

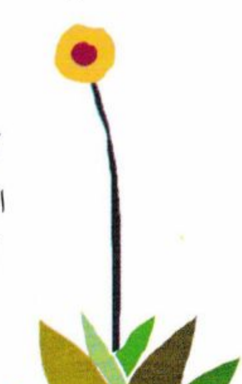
أخذ يبكي بصمت. مع أنّه حاول جاهداً إخفاء حزنه، إلاّ أنّه لم يستطع الهرب من نظرات عمّه. اقترب منه أبو طالب، وسأله: «لماذا تبكي يا بنيّ؟» فخفض محمّد رأسه، ومسح عينيه الحمراوين. أجاب وهو يحمل رسن الجمل المحمّل بالبضائع: «هل ستتركني أنت أيضاً يا عمّاه؟» عند سماع هذا الكلام، ذاب قلب أبي طالب حبًّا لابن أخيه. كيف سيتركه بعينيه الدامعتين؟ وهكذا قرّر اصطحابه معه إلى الشام، وطلب منه الاستعداد للرحلة. عندما علم بقيّة أعمام محمّد بذلك، عارضوا الفكرة. قالوا لأبي طالب: «الطريق خطرة وشاقّة. لا يمكنك اصطحابه إلى الشام. لن يتحمّل محمّد ذلك، وقد يمرض». غير أنّ أبا طالب تجاهل اعتراضاتهم، ووضع محمّداً على ظهر الجمل وكان الاثنان سعيدان جدًّا. سافرا في قافلة كبيرة متوجّهة إلى الشام. جلس محمّد خلف عمّه وأرسلت الشمس أشعّتها الحارقة في كلّ مكان. تقدّمت القافلة بسهولة تارة، وببطء تارة أخرى عندما كانت أقدام الجِمال تغرق في رمال الصحراء. غير أنّ سحباً فضّية جميلة خيّمت فوقهم وأظلّت القافلة. كما حامت غيمة صغيرة فوق جمل محمّد. لم يواجه المسافرون أيّ مصاعب، بل تقدّموا بيُسر وسهولة. بفضل الله، أمضوا رحلة جميلة في ظلّ السحُب.

اليوم 29

الطفل المنتظر في الطريق

تقدّم المسافرون ببطء في الصحراء الشاسعة. مشوا ليل نهار، ووصلوا إلى منتصف الطريق. عندما شعروا بالتعب الشديد، قرّروا أخذ استراحة في بصرى، ليترجّلوا عن جِمالهم. كانت بصرى بلدة جميلة مليئة بالأشجار. مياهها عذبة، وطقسها منعش. استراح المسافرون قرب دير في تلك البلدة.

كان يعيش في ذلك الدير راهب عجوز يدعى بَحِيرة. كلّ يوم، كان الراهب يصعد إلى سطح الدير، ويراقب المسافرين القادمين. كان يتفحّص كلّ قافلة تمرّ من أمامه، وبدا وكأنّه ينتظر وصول مسافر هامّ. بحسب الكتب التي قرأها في الدير، سيأتي في هذه الأيّام آخر الأنبياء. كان اليهود ينتظرون هم أيضاً مجيء هذا النبيّ، وشعر بَحيرة بالفضول تجاهه. أراد رؤية هذا الرجل بشدّة. ذكرت الكتب التي قرأها أنّ هذا النبيّ سيمرّ من أمام ديره، وقد أصبح مجيئه قريباً.





في ذلك الصباح، صعد الراهب مجدّداً إلى السطح. فجأة، أشرق وجهه. يبدو أنّه وجد ما يبحث عنه، فقد ظهر مسافرون في الأفق. كانت تعلو قافلة المسافرين غيمة بيضاء. ظلّ الراهب بحيرة ينظر إلى الغيمة التي كانت تتحرّك مع المسافرين. وبدا له أنّها تحمي شخصاً بينهم من أشعّة الشمس الحارقة. تساءل ما إذا كان النبيّ المذكور في الكتب بينهم. مع اقتراب المسافرين، ازداد بحيرة حماسة، وراح قلبه ينبض بعنف. راقبهم باهتمام كبير.

كما خطّط المسافرون، أخذوا استراحة بجانب الدير. تركوا جِمالهم تشرب بعض الماء، وقرّروا تناول الطعام والاستراحة لبعض الوقت. نزل بَحيرة عن سطح الدير مسرعاً، ثمّ ذهب إلى المسافرين ودعاهم إلى الأكل. هكذا، سيرى كلّ من في القافلة. كان ينتظر بفارغ الصبر رؤية النبيّ المنتظر.

قبِل المسافرون الدعوة ودخلوا. وبينما كانوا يأكلون، راقبهم بحيرة جيّداً. لكن لسوء الحظّ، لم يستطع إيجاد من يبحث عنه. فالرجل الموصوف بين الكتب ليس بينهم. هكذا خرج بحزن. لكن عندما نظر إلى الإبل لم يصدّق عينيه. كانت الغيمة في مكانها تظلّل شخصاً في الخارج.

عاد فوراً إلى الداخل وسأل الضيوف: «يا معشر قريش، هل تخلّف أحد منكم عن دعوتي؟» فقال المسافرون: «نعم، تخلّف منّا واحد فقط، تركناه لحداثة سنّه». قال بحيرة: «لقد دعوتكم جميعاً، ادعوه فليحضر هذا الطعام». فقام أبو طالب فوراً لإحضار محمّد.



دخل محمّد إلى الدير مع عمّه. من هذا الولد؟ هل يمكن أن تكون هذه هي اللحظة التي انتظرها الراهب مطوّلاً؟ أشرقت عينا بحيرة بالسعادة. لا بدّ أنّ هذا الطفل هو النبيّ المنتظر!

اليوم
30

سعادة بحيرة

استطاع بحيرة أن يتعرّف على محمّد من بين المسافرين. فعندما دخل هذا الصبيّ بوجهه الجميل والمضيء، توتّر بحيرة وأخذ يرتجف.

دخل محمّد بلياقته وتهذيبه، وجلس في المكان الذي خُصّص له. بدأ يأكل من الطعام الذي قُدّم إليه، وراقبه الراهب بحيرة حتّى أنهى طعامه. بعد ذلك، اقترب منه بهدوء لينظر إليه عن كثب. كان الطفل يشبه تماماً الأوصاف الموجودة في الكتب. فوجهه مضيء كما قيل. سأله الراهب بضعة أسئلة، أجاب عليها محمّد.

ذكاء، وأدب، ولياقة، واحترام... كلّ هذه من صفاته. أفضل الصفات اجتمعت في محمّد. وإن كان يحمل ختم النبوّة بين كتفيه، لن يعود لدى الراهب أيّ شكّ. طلب من محمّد النظر إلى ظهره. نعم! ختم النبوّة موجود تماماً كما تصف الكتب. أصبح واثقاً من ذلك الآن. هذا هو النبيّ محمّد المصطفى المنتظر في كلّ مكان. حاول الراهب إخفاء حماسته، وسأل أبا طالب: «ما هذا الغلام منك؟» خشي أبو طالب على ابن أخيه، لهذا السبب لم يقل الحقيقة، بل أجاب: «إنّه ابني». استغرب الراهب وقال: «ما ينبغي أن يكون أبوه حياً».

أدرك أبو طالب الآن أنّ الراهب بحيرة لن يسبّب أيّ أذى لمحمّد، فقال له: «إنّه ابن أخي، مات أبوه وأمّه حبلى به». ثمّ انحنى وهمس في أذن أبي طالب: «صدقت. هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبقَ شجر ولا حجر إلا خَرَّ ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة». ثم ناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إذا رأوه عرفوه بصفاته فيقتلونه!



تأثّر أبو طالب بكلام بحيرة. بالطبع، لم يكن يريد أن يتعرّض محمّد لأيّ أذى. سيبذل كلّ ما في وسعه لحمايته. فردَّه إلى مكّة من دون أن يذهب إلى الشام.

كان للراهب بحيرة شرف رؤية النبيّ المذكور في الكتب السماوية، وفرح لأنّه حال دون تعرّضه للأذى.

اليوم 31

الهداية من اللّه وليس من الناس

بعد تحذير الراهب بحيرة، لم يعد أبو طالب يسمح لابن أخيه أبداً بالابتعاد عن نظره. فكان يصطحبه معه أينما ذهب. في أحد الأيّام، ذهب أبو طالب مع ابن أخيه في رحلة. كانا ينويان بيع بعض البضائع في سوق ذي المجاز، الذي يقع في منطقة بعيدة.

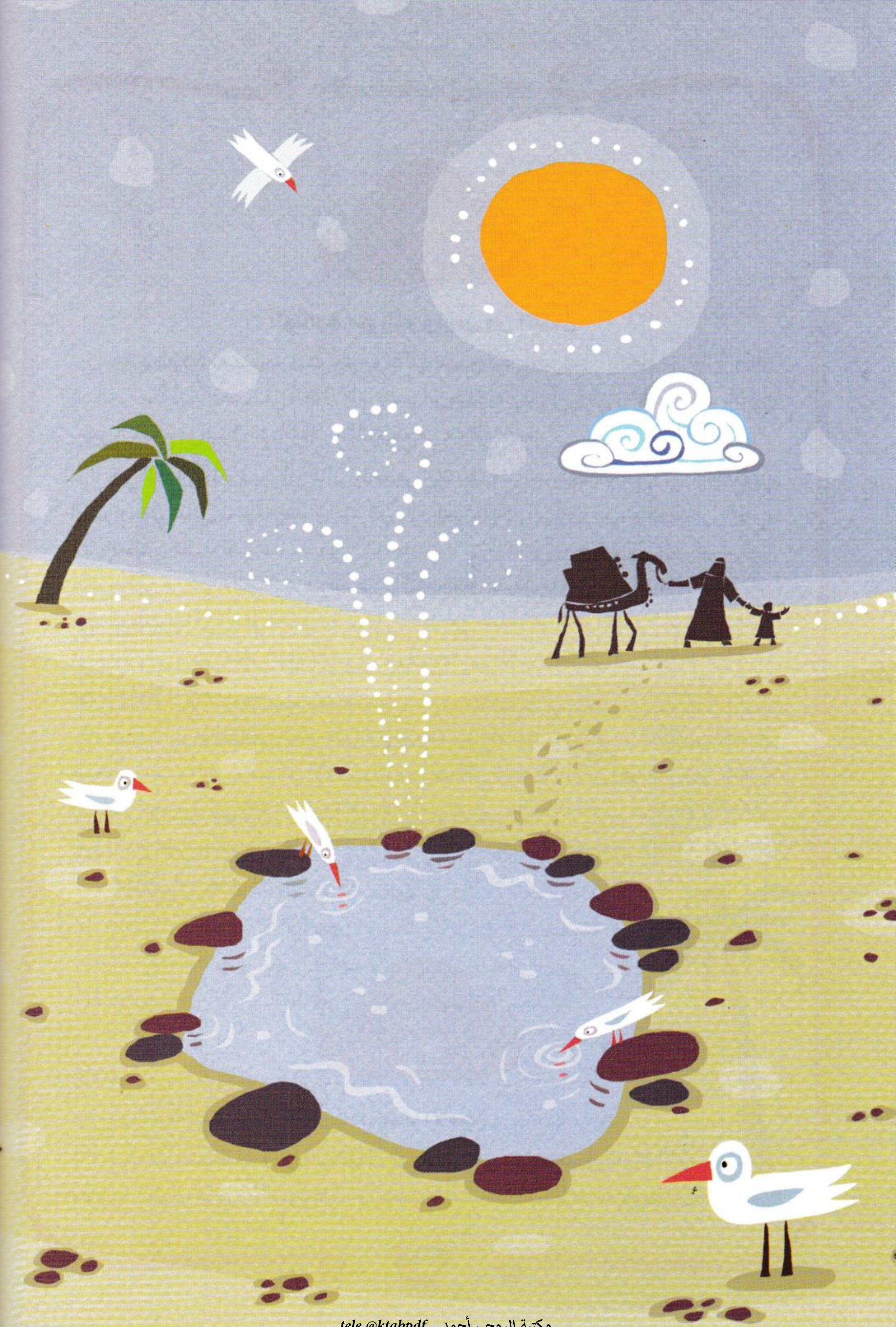
في أثناء الرحلة، شعر أبو طالب بالعطش الشديد. فقد نفد منهما الماء، ولم يجدا ماءً في الجوار. في تلك اللحظة، خطر محمّد في باله. فحيثما يكن ابن أخيه، لا يشعر الناس بالجوع ولا بالعطش. قال له بصوت منخفض: "أنا عطشان يا بنيّ". فالتفت محمّد ونظر إليه. كانت شفتا عمّه جافّتين من شدّة الظمأ. عرف أبو طالب أنّ محمّداً سيبذل ما في وسعه ليجد له الماء، لكن كيف له ذلك هنا في وسط الصحراء؟ ترجّل محمّد عن جمله وهو يدعو الله. وما إن ارتطم عقب قدمه بالأرض، حتّى تفجّر الماء كالينبوع. أشرق وجه أبي طالب ونظر إلى ابن أخيه مدهوشاً. أمّا محمّد، فملأ له إناء من الماء وقدّمه إليه.

شرب أبو طالب من الماء حتّى ارتوى وذهب عنه العطش. كان يدرك أنّ ابن أخيه هو شخص عظيم، لكن رغم كل الآيات والمعجزات التي شهدها من ابن أخيه لم يؤمن بدعوته ويسلم رغم دعوة النبي ﷺ المتكررة له، وكان آخر أمر أبي طالب أنْ قال في مرض موته أنه على ملة والده عبد المطلب، أي على عبادة الأوثان! قال الله تعالى لنبيه محمد: ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...**﴾.

اليوم 32

محمّد الأمين

لم يعد محمّد طفلاً. خلال السنوات التي قضاها في منزل عمّه، أصبح شابًّا وسيماً. كان متوسّط الطول، شعره الأسود كثيف وأجعد، حاجباه متقاربان، ورموشه طويلة، ولحيته تغطّي





مـا بيـن منكبيه. وكان أسـود العينين وجميـل الملامح. أسـنانه بيضاء كاللؤلؤ، دائم الابتسـام، لا يسـمع الناس من فمه إلاّ الكلام الجميل.

لـم يكن محمّد يشتم أحداً، بل يبحث عن الخير في كلّ شـيء. كان فصيح اللسان أيضاً. وهذه الصفات جعلته محـطّ إعجـاب الجميـع. أحبّته قريـش كثيراً، واسـتمتعت بمجالسـته. عاش طفولة صعبة، لكنّه كبر ليصبح قدوة لكلّ النـاس بصدقـه وأدبه. ذاع صيته في كلّ أنحـاء مكّة، وتناقل النـاس الحديـث عن حسـن خلقه وحبّـه للمسـاعدة. بفضل تلـك الصفات، أصبح شـخصاً موثوقـاً، فائتمنه الناس على مقتنياتهم الثمينة لأنّه يحفظ الأمانة. تحدّثوا عنه في كلّ مكان وقالوا: «محمّد ليس بكذّاب، بل هو شـخص جدير بالثقة». أحبّوه كثيراً، ووثقوا به إلى حدّ أنّهم لقّبوه بـ «محمّد الأمين». فهو محمّد الصـادق الذي لا يكذب ولا يخون أحداً، محمّـد المحبوب والمحترم، صاحب الكلام الجميل الذي لا يذكّر الناس سوى بالأشياء الجميلة. محمّد الذي يحمي حياة الناس وممتلكاتهم، سواء كانوا أصدقاءه أم أعداءه.

وجوده في مكّة منح قريش إحساسـاً بالأمان، والحبّ، والثقة، والإخلاص. وهذا ما عرفته مكّة بوجود محمّد الأمين بين أبنائها.

اليوم 33

زهرة مكّة

عاشـت في مكّة امرأة حسـنة الخُلق، ذات شـرف ومال، تدعى السـيّدة خديجة. كانت ثرية جـدًّا لأنّهـا تعمل في التجارة مع مدن أخـرى. عُرفت تلك المرأة بطيبتها وكرمها وحبها للمساعدة.



فـي تلـك الأيّـام، كانـت بحاجـة إلـى شـخص يأخذ بضاعتهـا إلـى الشـام ويبيعهـا هنـاك. فبحثـت عـن رجـل صـادق، ومجتهـد، وموثـوق. كانت عاتكة، عمّـة محمّد،

صديقتها المقرّبة. فقالت للسيّدة خديجة ذات يوم: «أعرف شخصاً يمكنه الاهتمام بتجارتك. ولن تجدي رجلاً أكثر منه أمانة». فسألتها السيّدة خديجة: «من يكون؟» قالت عاتكة: «إنّه ابن أخي، محمّد الأمين». فأضاء وجه خديجة وقالت: «أجل، لقد سمعت عن صدقه وأمانته. فلنجتمع به وأسلّمه تجارتي».

كانت تجمع محمّداً بخديجة صلة قرابة بعيدة، لكنّها لم يسبق أن التقت به. فأرسلت شخصاً لدعوة محمّد إلى منزلها للتعرّف عليه عن كثب. عندما كانت السيّدة خديجة تنتظر ضيفها، شعرت بالتوتّر. فحتّى ذلك اليوم، سمعت جميع الناس يمدحونه.

أمرت السيّدة خديجة خدمها بتنظيف المنزل وترتيبه. كما طلبت منهم أن يحسنوا استقباله. قرّرت أن تحسن ضيافته وانتظرت وصوله بفارغ الصبر.



اليوم
34

خديجة تكتشف الهبة الثمينة

أخيراً، وبعد طول انتظار، وصل الضيف الذي انتظرته خديجة بفارغ الصبر، محمّد الذي سمعت كثيراً عن صدقه، وأمانته. منذ اللقاء الأوّل، تربّع محمّد على عرش قلبها، بابتسامته ونضجه ولياقته. ألقى التحيّة، واستأذنها للدخول. دخلت خديجة في صلب الموضوع مباشرة وعرضت عليه أن يأخذ بضاعتها إلى الشام ليتاجر بها. وأخبرته أنّ اختيارها وقع عليه نظراً لما سمعته عن صدقه وأمانته.

شرحت له في ما بعد كلّ شيء عن البضائع التي سيأخذها إلى الشام. وانتهى اللقاء بالاتفاق، فقد قبل محمّد بعرض العمل فوراً. لاحظت خديجة





صفات هذا الرجل المميز، صاحب العينين البرّاقتين، والوجه المشرق، والكلام الصادق. لا يمكن أن يكون إنساناً عادياً! إلّا أنّها أبقت أفكارها سرًّا، ولم تخبر أحداً بها. قرّرت أن تصبر قليلاً وتفكّر مليًّا في أمر هذا الرجل.

انتهت التحضيرات للرحلة، وحان وقت الرحيل. أصبح محمّد جاهزاً لأخذ البضائع إلى الشام. وقبل انطلاق القافلة، طلبت خديجة من خادمها "ميسرة"، مرافقة محمّد، وهمست في أذنه: "نفّذ كلّ ما يطلبه منك محمّد، ولا تعصي أمره. راقب كلّ تصرفاته خلال الرحلة، وعند عودتكما، تخبرني بكلّ ما رأيت". أصغى ميسرة جيّداً إلى كلّ كلمة أوصته بها سيدته خديجة.

جاء أعمام محمّد وعمّاته وجميع أقربائه لوداعه، لأنّ رحلته ستكون طويلة. كان من الصعب عليهم جدًّا الابتعاد عنه لهذه المدّة الطويلة. عندما حان وقت الرحيل، غادر محمّد مع بقيّة أعضاء القافلة.

كان الليل مضيئاً كما لو كانت الشمس ساطعة في الصحراء مترامية الأطراف. كذلك النهار كان حارًّا ومشعًّا. بذل ميسرة كلّ ما في وسعه ليشعر محمّداً بالراحة. وبعد رحلة دامت ثلاثة أشهر، وصلوا إلى مدينة بصرى القريبة من الشام. هناك أقيم سوق كبير، نزل المسافرون به وعرضوا فوراً البضائع على سجّادة. أما محمّد، فجلس تحت شجرة زيتون.

اليوم 35

نبيّ تحت الشجرة



جلس محمّد تحت شجرة الزيتون في بصرى يتأمّل محيطه. منذ سنوات خلت، أتى إلى هذا المكان مع عمّه. هنا التقى بالراهب بحيرة، في ذاك الدير الصغير. كان صبيًّا صغيراً في تلك الأيّام، أمّا اليوم، فهو في الخامسة والعشرين من عمره. رأى راهباً ينظر من خلف نافذة الدير، لكنّه لم يكن بحيرة. لقد مرّت سنوات عديدة، ولا بدّ أنّه توفّي الآن. كان اسم هذا الراهب نَسْطورا. لم يستطع نسطورا إبعاد نظره عن محمّد الجالس تحت الشجرة. بدا وكأنّه يعرفه منذ زمن طويل. أخيراً، نزل من صومعته وذهب مباشرة إلى ميسرة وسأله: "من هذا الرجل؟" أجاب ميسرة: "رجل من قريش من أهل الحرم". دُهش نسطورا وقال: "ما نزل تحت هذه الشجرة قطّ إلاّ نبيّ!" هذه

المرّة فوجئ ميسرة. أمّا نسطورا، فكرّر كلامه قائلاً إنّ هذا الرجل هو نبيّ، وإنّه خاتم الأنبياء.

فرح ميسرة، وراح يتساءل ما إذا كان هذا المسافر نبيًّا فعلاً؟ لا شكّ أنّ كلّ ما يفعله ينمّ عن لطف وحكمة. شعر ميسرة برعشة تسري في جسده من شدّة التأثّر... ولم يصدّق أنّه تقرّب إلى هذا الحدّ من شخص مهمّ مثله. شعر بحماسة كبيرة لأنّه عرف سرًّا عظيماً كهذا. وأخذ يتساءل عمّا تخبّئه هذه الرحلة بعد من عجائب.

اليوم 36

غيمة تُظلّه

سافر محمّد مع ميسرة ليل نهار، ووصلا أخيراً إلى الشام. لم يسبق لميسرة أن قطع رحلة سهلة كهذه. راقب محمّداً طوال الوقت. انتبه إلى كلّ أفعال هذا الرجل الرائع، وأُعجب بها. لم يكن يكتفي من الجمال الذي يحيط به، ورغب في مرافقته حيثما ذهب. باع محمّد بضاعة خديجة وكسب كثيراً من المال. فأعجب رفيقه بتلك التجارة الناجحة، مع أنّها المرّة الأولى التي يتاجر بها. وبعدما أنهيا أعمالهما، حمّلا الأمتعة على الجِمال واستعدّا للعودة.

كان الطقس شديد الحرارة، كما لو أنّ مطراً من النار ينهمر على رمال الصحراء. راح ميسرة ينظر إلى السماء من حين إلى آخر. فقد كان معتاداً على هذا الحرّ، لكنّه خاف على محمّد، ولم يشأ أن تحترق بشرته بفعل الشمس. لكنّ الله سيحميه بلا شكّ في هذه الرحلة الطويلة.



شعر ميسرة أنّه عاجز وسط تلك الصحراء المقفرة والساكنة. لكن بينما كانت القافلة تتقدّم بصعوبة، حدثت معجزة. إذ تجمّعت السحب في السماء، وشكّلت ظلاً فوق رأس محمّد. تبعت السحب القافلة ولم تترك المسافرين أبداً. لاحظ ميسرة كلّ شيء. نظر إلى محمّد، وإلى السحب، ومن ثمّ إلى محمّد. كانت الغيوم تتبعهم وكأنّها تلقّت أمراً بذلك. أمّا بقيّة المسافرين، فلم يلاحظوا شيئاً ممّا يجري.



على الرغم من البرودة غير المعتادة في الجوّ، لم يعد ميسرة يطيق الانتظار للوصول وإخبار السيّدة خديجة بكلّ ما جرى.

اليوم
37

ميسرة يخبر سيدته خديجة بالعلامات



حان وقت عودة القافلة من الشام. كانت خديجة تراقب الأفق كلّ يوم من سطح منزلها. في أحد الأيّام، صعدت مجدّداً إلى السطح. حدّقت إلى الأفق، فلمعت عيناها بفرح. لقد رأت في البعيد المسافرين الذين كانت تنتظرهم، محمّد، وخادمها ميسرة، وبقيّة أفراد القافلة. اكتشفت خديجة أنّ بضاعتها بيعت بأرباح مضاعفة. ففرحت كثيراً، وكافأت محمّداً بالجِمال وبكثير من الهدايا. ثمّ ودّعت ضيفها، وتركته يعود إلى منزله. بعدما غادر محمّد، نادت السيّدة خديجة ميسرة، وسألته عمّا حدث في أثناء الرحلة. أخبرها ميسرة عن قول الراهب، وكيف كانت غيمة تتبعه وتظلله من حر الشمس، وما رآه من صدق محمد وأمانته، كلّما ذكر ميسرة اسم محمّد، ابتسم وبرقت عيناه فرحاً. كم كان يحبّ التحدّث عنه. فقد رأى وتعلّم منه أموراً كثيرة. شرح لخديجة بالتفصيل كلّ فضائل محمّد، وأطال الحديث عن لطفه وطيبته. ذكر كلّ صفاته واحدة تلو الأخرى. كما حكى لها ما سمعه من الراهب نسطورا.



فازداد إعجاب السيّدة خديجة بمحمّد بعد كلّ ما سمعته. كان لديها قريب حكيم يدعى ورقة. فذهبت إليه فوراً، وروت له ما قاله ميسرة.

فرح ورقة بما سمعه، وقال: «لئن كان هذا حقًّا يا خديجة، فإنّ محمّداً لنبيّ هذه الأمّة، وقد عرفت أنّه كائن لهذه الأمّة نبيّ يُنتظر، هذا زمانه».

فرحت خديجة كثيراً. لقد صحّ ظنّها إذاً. هذا هو النبيّ المنتظر، لكنّها لن تخبر أحداً بذلك. وشكرت الله كثيراً لأنّها رأته وعرفته.

اليوم 38

أُمنية خديجة

كانت خديجة أرملة في الأربعين من عمرها. عرض عليها كثير من الرجال الزواج، لكنّها رفضتهم جميعاً. فهي لم تكن تفكّر في ذلك، لكن بعدما رأت محمّداً وتعرّفت عليه، غيّرت رأيها. لم تستطع أن تنسى حُسن خلقه، والنور الذي يشعّ من وجهه! كما أُعجبت كثيراً بحديثه الجميل والحكيم، وبسلوكه المهذّب. لا يمكن لهذا الرجل سوى أن يكون نبيًّا.



أرادت خديجة من كلّ قلبها أن تمضي بقيّة حياتها معه، وأن تصبح زوجته. تمنّت أن تقف إلى جانبه، وأن تقدّم له الدعم والمساعدة عند الحاجة. لهذا السبب، كانت مستعدّة للتضحية بكلّ شيء. لا بدّ أن يتمّ هذا الزواج، لكن كيف؟

اليوم 39

الزواج

كان لدى السيّدة خديجة صديقة تدعى نفيسة، تثق بها كثيراً. كانتا تجتمعان من وقت إلى آخر وتتحدّثان مطوّلاً. في أحد الأيّام، فتحت لها قلبها، وأخبرتها عن رغبتها في الزواج من محمّد. ففرحت نفيسة بهذا الخبر، وقررت أن تبذل ما في وسعها لإتمام هذا الزواج. فذهبت فوراً إلى محمّد. ألقت عليه التحيّة وسألته عن حاله. بعد ذلك قالت له: «يا محمّد، ما يمنعك أن تتزوّج؟» لم يكن محمّد يتوقّع هذا السؤال. فابتسم، ثمّ أجابها: «ما بيدي ما أتزوّج به».



فأجابت نفيسة على الفور: «فإن كفيت ودعيت إلى الجمال، والمال، والشرف، والكفاءة، ألا تجيب؟» سألها محمّد: «فمن هي؟» أجابت: «خديجة». فقال: «وكيف لي بذلك؟» فأجابت: «عليّ». فقال: «فأنا أفعل».

روت نفيسة ما دار بينها وبين محمّد للسيّدة خديجة، ففرحت كثيراً. قبلت بعرض محمّد بكلّ سرور. ثمّ أرسلت له تقول: «يا ابن عمّ، إنّي قد رغبت فيك لقرابتك، وصفتك في قومك - أنت وسطٌ في قومك، إنسان كامل - وأمانتِك، وحسن خُلُقِك، وصدقِ حديثك».

سرعان ما انتشر الخبر في مكّة. لقد وافق الطرفان، ومن الواضح أنّ هذا الزواج سيكون عظيماً.

اليوم 40

زواج شخصين طيّبين

فرحت خديجة كثيراً وامتلأ قلبها بالفرح. من الآن فصاعداً، ستكون مع محمّد دائماً، وستتعلّم منه الكثير. بدأ الاستعداد فوراً لمراسم الزفاف التي ستتمّ في منزل السيّدة خديجة. أمرت السيّدة خديجة بذبح الأضاحي، وإعداد الطعام. ودعت أقاربها إلى الاحتفال.



أتى محمّد مع أعمامه وعمّاته إلى منزل خديجة. كان عمّه أبو طالب مسروراً جدًّا لهذا الزواج. وقف أمام المدعوين وقال: «الحمد لله الذي جعلنا من ذرّية إبراهيم... ثمّ إنّ ابن أخي، محمّد بن عبد الله، لا يوزن برجل إلّا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً، وإن كان في المال قلة، فإنّ المال ظلّ زائل، وأمر حائل، محمّد مَن قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وقد بذل لها من الصداق ما آجله وعاجله اثنتا عشرة أوقية ذهباً ونشاً - أي نصف أوقية - وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل». فرح الحاضرون. وكان ابن عمّ السيّدة خديجة، ورقة، حاضراً هو أيضاً. فوقف، وطلب الإذن للكلام وقال: «الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت، وفضّلنا على ما



عددت، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كلّه لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا يردّ أحد من الناس فخركم ولا شرفكم، وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا يا معشر قريش بأنّي قد زوّجت خديجة بنت خويلد من محمّد بن عبد الله».

فرح الجميع وأكلوا، وشربوا، وتحدّثوا. أصبحت السيّدة خديجة، البالغة من العمر أربعين عاماً، زوجة لمحمّد، البالغ خمسة وعشرين عاماً. لقد انتظرت دائماً أن تلتقي بشخص مثله، وتمّ لها ذلك أخيراً. كان الاثنان سعيدين بهذا الزواج الجميل. فأفضل نساء قريش تتزوّج من أفضل رجالها. لهذا السبب، وجد الأصدقاء والأقارب أنّ العروسين مناسبان لبعضهما. وبينما أمطرت السماء في الخارج، غمرت الفرحة ذلك البيت السعيد.

اليوم
41

ستّة أطفال في منزل سعيد

خيّمت السعادة، والمحبّة، على منزل محمّد والسيّدة خديجة الصادقَين والخَلوقَين. تعامل كلاهما مع بعضهما البعض بحبّ واحترام. لهذا السبب، لم يفارق الفرح منزلهما.

مع مرور الأيّام، رزقهما الله بستّة أطفال. في البداية، أتى القاسم، ومن بعده زينب. ثمّ تلتهما رقية، وأمّ كلثوم، وفاطمة، وعبد الله. ستّة أطفال، كلّ منهم أكثر حلاوة من الآخر. بفضلهم، أصبح منزل محمّد وخديجة ينبوعاً من الفرح والبهجة.

نشأ أولئك الأولاد على حسن الخلق والاحترام والحبّ. كانوا فاضلين، مثل والدتهم خديجة، وصادقين وأمينين مثل والدهم محمّد. لم يكذبوا أبداً، ولم يقلّلوا من احترام الآخرين. وكانوا دائمي السرور والابتسام. أصبحوا أشخاصاً مميّزين في عشيرتهم. ومن يراهم كان يقول: «لا يمكن أن يكون هؤلاء سوى أولاد محمّد».

أصبح محمّد تاجراً. كان يأخذ بضاعة خديجة ويبيعها خارج مكّة. فيجني أرباحاً طائلة، ويعود بها إلى مدينته. ازدادت السيّدة خديجة ثراءً بفضل تجارة محمّد. لكنّهما اعتادا على مساعدة الفقراء. فكانا يبحثان عن المحتاجين ويحسنان إليهم. ومع أنّهما كانا ثريين، إلاّ أنّهما فضّلا عيش حياة بسيطة.

مع أنّ منزلهما كان واحداً من منازل مكّة، إلاّ أنّه كان مختلفاً. فقد سادته النظافة والدفء، ونال إعجاب كلّ من دخل إليه.

اليوم
42

وفاة القاسم وعبد الله



كان أولاد محمّد وخديجة محبوبين من قبل الجميع، ذلك لأنّهم أولاد الرجل الذي سيصبح نبيًّا. أراد جميع الأطفال اللعب معهم، وأُعجب بهم كلّ الناس.

كان أولئك الأطفال الستّة الذين عاشوا في ذلك المنزل الدافئ يحمدون الله على حياتهم السعيدة. فقد تعلّموا ذلك من أبيهم الذي كان دائم الشكر لله. تعلّم في صغره الصبر، لذلك كان شكره لربّه بلا حدود. وبالطبع، شأنه شأن أيّ إنسان آخر، لا بدّ أن يعيش الحياة بحلوها ومرّها.

مع مرور السنوات، فقدَ محمّد ولديه القاسم وعبد الله، واحداً تلو الآخر. غير أنّه كعادته في المحن، تحمّل وفاتهما بصبر. تحلّت زوجته خديجة بصبر كبير هي أيضاً، مع أنّها تألّمت كثيراً. حزن الزوجان على ولديهما وبكياهما بكاءً مرًّا، لكنّهما لم يتمرّدا أبداً. فقد عرفا أنّ هذين الطفلين البريئين سيكونان في الجنّة، وحمدا الله على ذلك.

ملأ الزوجان الفراغ الذي خلّفته وفاة القاسم وعبد الله بمحبّة بقيّة بناتهما. فبذلا ما في وسعهما لتربيتهنّ تربية صالحة، ومنحهنّ الحبّ والحنان.

هكذا، نشأت أولئك الفتيات على أخلاق الزوجين الحميدة، ونشرن الفرحة والبهجة أينما حَلَلن.

اليوم
43

المولى زيد

كان زيد في الثامنة من عمره عندما ذهب مع والدته إلى منزل خاله. غير أنّ قطّاع طرق هاجموا المنزل وخطفوا زيداً الصغير، ليبيعوه في سوق الرقيق. أخذ زيد يبكي وينتحب، وشعر



بالحزن والخوف. فمن يدري ما الذي سيحدث له الآن، وأيّ رجل سيشتريه، ويجبره على العمل لديه خادماً؟ كلّما فكّر بالأمر، سالت دموعه بغزارة. غير أنّ اللصوص ساقوه إلى سوق الرقيق وباعوه من دون شفقة ولا رحمة. عاد به الرجل الذي اشتراه إلى مكّة.

لم يكن ذلك الرجل سوى حكيم، ابن أخ السيّدة خديجة. من الآن فصاعداً، سيعمل زيد في منزل غريب عنه تماماً. في أحد الأيّام، أتت السيّدة خديجة لزيارة حكيم. فأحبّها زيد كثيراً، وأحبّته السيّدة خديجة أيضاً. عندئذ، قرّر حكيم إعطاء زيد لخديجة هدية. هكذا، أحضرت السيّدة خديجة الطيّبة زيداً إلى بيتها. عندما دخل زيد إلى ذلك المنزل، وجد النور يشعّ من وجه رجل باسم ولطيف، مسح بعطف على رأس زيد. لم يكن ذلك الرجل سوى محمّد.



أحبّ محمّد زيداً على الفور، واستقبله في منزله كابن بالتبنّي، وليس كعبد. منذ ذلك اليوم، عاش زيد في بيت دافئ. وشعر بالارتياح والاطمئنان لأنّ محمّداً أصبح أباه، وخديجة أصبحت أمّه.

اليوم
44

العثور على الطفل الضائع



عاش زيد بسعادة واطمئنان في بيت محمّد وخديجة. غير أنّ أهله قلقوا عليه كثيراً، لأنهم لم يعرفوا مكانه. بحثوا عنه كثيراً، وسألوا عنه جميع الناس.

في أحد الأيّام، أتى بعض الغرباء إلى مكّة، وكانوا من قبيلة زيد. عندما ذهبوا لزيارة الكعبة، رأوا الصبيّ وعرفوه على الفور. فعادوا إلى أسرته وأخبروها عنه.

فرح أبواه كثيراً بالعثور عليه. وسرعان ما انطلق أبوه وعمّه إلى مكّة. عندما سألا عنه،

عرفا أنّه يعيش في منزل محمّد، فذهبا إليه. قال الأب لمحمّد: «يا محمّد أنتم أهل حرم الله تعالى وجيرانه وعند بيته، تفكون العاني وتطعمون الأسير، ابني عبدك، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه. فإنّك ابن سيّد قومه وإنّا سنرفع إليك في الفداء ما أحببت (أي إنّنا مستعدّون لإعطائك المبلغ الذي تطلبه)». فقال محمّد: «أعطيكم خيراً من ذلك». سأل الأب: «وما هو؟». فقال محمّد: «أخيّره، فإن اختاركم فخذوه بغير فداء، وإن اختارني فكفّوا عنه (أي اتركوه)». قبل والد زيد بهذا العرض. فاستُدعي زيد وسأله محمّد: «يا زيد، أتعرف هؤلاء؟» أجاب زيد: «نعم، هذا أبي وعمّي». فقال محمّد: «فهم من قد عرفتهم فإن اخترتهم فاذهب معهم، وإن اخترتني فأنا من تعلم». فقال زيد: «ما أنا بمختار عليك أحداً أبداً، أنت منّي بمكان الوالد والعمّ».

فوجئ والد زيد بهذا الكلام. غير أنّ زيداً التفت إلى أبيه وقال: «ما أنا بمفارق هذا الرجل». بعد سماع هذا الجواب، قرّر الأب ترك زيد في المكان الذي يشعر فيه بالسعادة. ويمكنه المجيء لزيارته في المستقبل متى شاء.

اليوم
45

فرحة زيد

أخبر زيد والده برغبته في البقاء مع محمّد، واحترم الأب قرار ابنه. عندما استعدّ والد زيد وعمّه للرحيل من دونه، أمسك محمّد بيد زيد ونظر إليه بحنان. خرج الجميع إلى ساحة مكّة. وهناك، رفع محمّد يد زيد وقال أمام الناس: «يا أهل قريش اشهدوا، هذا زيد ابني يرثني وأرثه!».

بهذا الإعلان، أخبر محمّد الناس أنّه تبنّى زيداً. ويا لسعادة زيد بهذا النبأ. نظر الوالد إلى زيد ومحمّد باستغراب كبير. فهو لم يسبق أن رأى ابنه بهذه السعادة مطلقاً.

لم يعد الأب يشعر بالحزن، بل عاد إلى دياره راضياً مطمئنًّا. عندما وصل إلى المنزل، أخبر زوجته بما جرى. ففرحت الأمّ هي أيضاً لأنّها عرفت أنّ ابنها بين أيد أمينة. واطمأنّت لأنّها تستطيع الذهاب لزيارته كلّما أرادت ذلك.

أصبح زيد الآن ابن محمّد، وقبله الناس على هذا الأساس. نظروا إليه متعجّبين، واستغربوا السعادة والبهجة التي تحيط به. ظلّوا يتذكّرون تلك الحادثة ويتناقلونها من جيل إلى جيل.



اليوم 46

عليّ في بيت محمّد

كان محمّد دائم الاهتمام بأقاربه وحريصاً على راحتهم، لا سيّما عمّه أبو طالب الذي أحبّه كثيراً. فخلال السنوات التي قضاها في منزله، حظي بكثير من الرعاية والتعاطف من جانبه.

في تلك الفترة، كان أبو طالب يمرّ بوقت عصيب. فقد كان يملك عدداً كبيراً من الأولاد، ولا يستطيع العناية بهم كما ينبغي. وكان الأطفال المساكين يشبعون يوماً، ويجوعون يوماً. أدرك محمّد كلّ ذلك، وفكّر بطريقة لتخفيف الحمل عن عمّه. فقرّر أن يرعى أحد أطفاله. فاتح أبا طالب في المسألة، وعرض عليه أن يأخذ علياً على عاتقه. وبما أنّ أبا طالب يحبّه كثيراً، لم يخذله، ووافق على إعطائه علياً.

كان عليّ لطيفاً، وذكياً، وقويّ البنية. عندما يراه الأطفال في الشارع، كانوا يخافون منه. فهو يحبّ الأخيار ويحميهم، ويخيف الأشرار. وكان فصيح اللسان، يحبّ القراءة، ويستمتع باكتساب المعرفة. من الآن فصاعداً، سيعيش مع ستّة أطفال آخرين في منزل محمّد. لكنّ الأهمّ من ذلك هو أنّه سيعيش مع محمّد ﷺ.



أحبّ محمّد علياً كثيراً. أحسن معاملته ولم يؤذ مشاعره يوماً. عامله كما لو كان ابناً له، تماماً مثل زيد. أمّا علي، فقرّر ألاّ يترك محمّداً أبداً، لا سيّما وأنّه سيتعلّم منه الكثير. هكذا بدأ حياة جديدة في ذلك المنزل الجميل. كان يفكّر بمحمّد ويتكلّم عنه دائماً، ولا يفارقه أبداً. أُعجب بكلّ أفعاله وأحبّه كثيراً. فبدا وكأنّ السماء تمطر محبّة وسعادة على منزل محمّد وخديجة في مكّة.

عاش أولاد ذلك المنزل في سعادة وهناء. ومع كلّ يوم يمرّ، كانوا يزدادون جمالاً بعيونهم البرّاقة وقلوبهم المليئة بالمحبّة.

اليوم
47

حلف الفضول



اجتمعت قبائل من قريش: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتميم بن مرة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُدعان، وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممّن دخلها من سائر الناس إلا وقفوا بجانبه، فكانوا معه على مَن ظلمه حتى تُرَدَّ إليه مظلمته. وسمَّت قريش ذلك الحلف: حلف الفضول.

قال رسول الله ﷺ: «لقد شهدتُ مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جُدعان ما أُحِبُّ أنّ لي به حُمر النعم، ولو دُعِيتُ به في الإسلام لأجبتُ».

وذلك لأنّ رسولنا الحبيب مبعوث بمكارم الأخلاق، وهذا منها، وقد أَقَرَّ دين الإسلام كثيراً منها، يُرشدنا إلى هذا قول رسولنا الحبيب: «بُعِثْتُ لأتمِّمَ مكارم الأخلاق».

اليوم
48

النسر الذي أخرج الأفعى

كانت قريش تقدّر الكعبة كثيراً. منذ زمن سيّدنا آدم، عبد الناس الله هناك. فكانت دعواتهم تستجاب دائماً. لهذا السبب، قاموا بحماية الحرم كما لو أنّ حياتهم تعتمد عليه. وأصلحوه ورمّموه كلّما دعت الحاجة.

فـي أحـد الأيّـام، احتاجـت الكعبة إلـى بعـض الإصلاحات بسـبب فيضان مفاجئ زعزع أساسـاتها وشـقّق جدرانها. بالإضافة إلى ذلك، لم يكن يعلوها سقف، كما أنّ غطاءها أُتلف في أثناء حريق.

في الفترة نفسـها، غرقت سـفينة تنتمي إلـى أحد التجّار الإغريق بالقـرب من جدّة. وكانت محمّلـة بمـواد البنـاء. فقرّرت قريـش إجراء الإصلاحـات بتلك المـواد. قامت بشـراء اللوازم، واتفقت مع أحد المهندسـين. أصبحت هذه المسـألة الشـغل الشـاغل لقريش لفتـرة من الزمن. وأخيراً قرّرت بدء الإصلاحات.

لكـنّ أهـل مكّة واجهوا مشـكلة صغيرة. فهم لم يجـرؤوا على هدم الكعبـة، لظنّهم أنّ هذا العمـل سـيجلب عليهم لعنة خطيرة. بالإضافة إلى ذلك، قامـت أفعى بحفر وكر لها تحت جدار الكعبة. وكلّما رأتهم قادمين لإصلاح البناء، ثار جنونها، ورفعت رأسها وأصدرت صوتاً مخيفاً. فزع الناس ولـم يعرفوا ماذا يفعلون. وطال انتظارهـم أيّاماً عديدة.

بالطبـع، كان اللـه العليّ القدير قـادراً على حماية الحـرم من الأفعى ومـن أصحاب النوايا السيّئة. في أحد الأيّام، خرجت الأفعى من جحرها تزحف تحت أشعّة الشمس. فجأة، ظهر نسر عملاق في السـماء بجانب الكعبة، وأخذ يحوم حولها بجناحيه الكبيرين. بعدما دار في السـماء، هبط، وقبض على الأفعى وطار بها بعيداً.

هكذا، خرجت الأفعى من الكعبة بأمر الله سـبحانه وتعالـى. ففوجئ الناس وفرحوا. قالوا لبعضهـم البعـض: «إنّا لنرجـو أن يكون الله تعالى قد رضي ما أردنا من بنـاء الكعبة، عندنا عامل ماهر، وعندنا خشب السفينة، وقد كفانا الله الحيّة!» عندئذ، شمّر أهل مكّة عن سواعدهم وبدأوا الإصلاحات بفرح كبير.

اليوم 49

حجر الجنّة

عمّ الفرح في مكّة. فقد انتهى ترميم الكعبة أخيراً، وحان الوقت لإعادة الحجر الأسود إلى مكانـه. يقـول الناس إنّ هـذا الحجر أتى من الجنّة. لذلك، كانت كلّ قبيلة تعتقد أنّ شـرف إعادة الحجـر إلـى مكانه يجب أن يكون لزعيمها. وعندما تعذّر التوصّـل إلى اتّفاق، وقع خلاف كبير. فقال العمّال: «نحن سنعيد الحجر الأسود إلى مكانه في الجدار!».

كان ثمّة حكيم عجوز يعيش هناك، وفكّر أنّ الشجار حول الحجر الأسود سيؤدّي إلى تدميره. فاقترح عليهم قائلاً: «أصغوا إليّ. دعونا نعيّن حكماً يحلّ هذه المسألة بطريقة ترضي جميع الأطراف. من يقع اختياره عليه، يعيد الحجر الأسود إلى مكانه. وإن أردتم رأيي، لنختر حَكماً أوّل شخص يدخل من هذا الباب».

قبِل الجميع باقتراحه. توقّف الشجار على الفور، وتحوّلت جميع الأنظار إلى الباب. من الذي سيدخل أوّلاً يا ترى؟ بعد وقت قصير، ظهر شخص من بعيد. فتحمّس الموجودون وراحوا يتساءلون من يكون. وعندما اقترب الحَكَم المنتظر، علت البسمة وجوه الجميع. لقد أرسله الله تعالى إليهم. فرح الحاضرون وصاحوا معاً: «هذا الأمين، ارتضيناه حَكَماً».

أتى محمّد وسلّم على الحاضرين مبتسماً. بما أنّه كان خارج مكّة مؤخّراً، لم يكن لديه علم بما يجري. أخبروه بالمسألة، فطلب ثوباً. بسطه على الأرض، ثمّ وضع الحجر الأسود في وسطه. تابع الجميع ما يجري باستغراب. بعد ذلك نادى رؤساء القبائل المتنازعين، فأمسكوا أطراف الثوب حتى أوصلوا الحجر الأسود إلى الكعبة، ثمّ وضعه محمّد بنفسه في مكانه. هكذا، شارك الجميع في إعادة هذا الحجر المقدّس إلى مكانه، وحلّت المسألة برضى الكلّ.

منذ ذلك اليوم، والحجر موجود مثلما وضعه محمّد ﷺ. ومن يزور الكعبة المشرّفة، يمكنه أن يلمس الحجر ويتذكّر رسول الله ﷺ ويسلّم عليه. ومن يقبّلونه ويشتمّون رائحته يعرفون أنّه ما زال يمتاز بالعطر الجميل نفسه.

اليوم 50

نور يسطع في ظلام الليل

أصبح محمّد الآن في الأربعين من عمره. رأى الكثير واكتسب خبرة واسعة. لكنّ وضع الناس أحزنه كثيراً. كان يتألّم كلّما فكّر بما يسود وجه الأرض من ظلم، وخرافات، ومعتقدات خاطئة، وأحقاد. لهذا السبب، اعتزل المجتمع مؤخّراً، ورغب في البقاء بمفرده. فاختار جبل



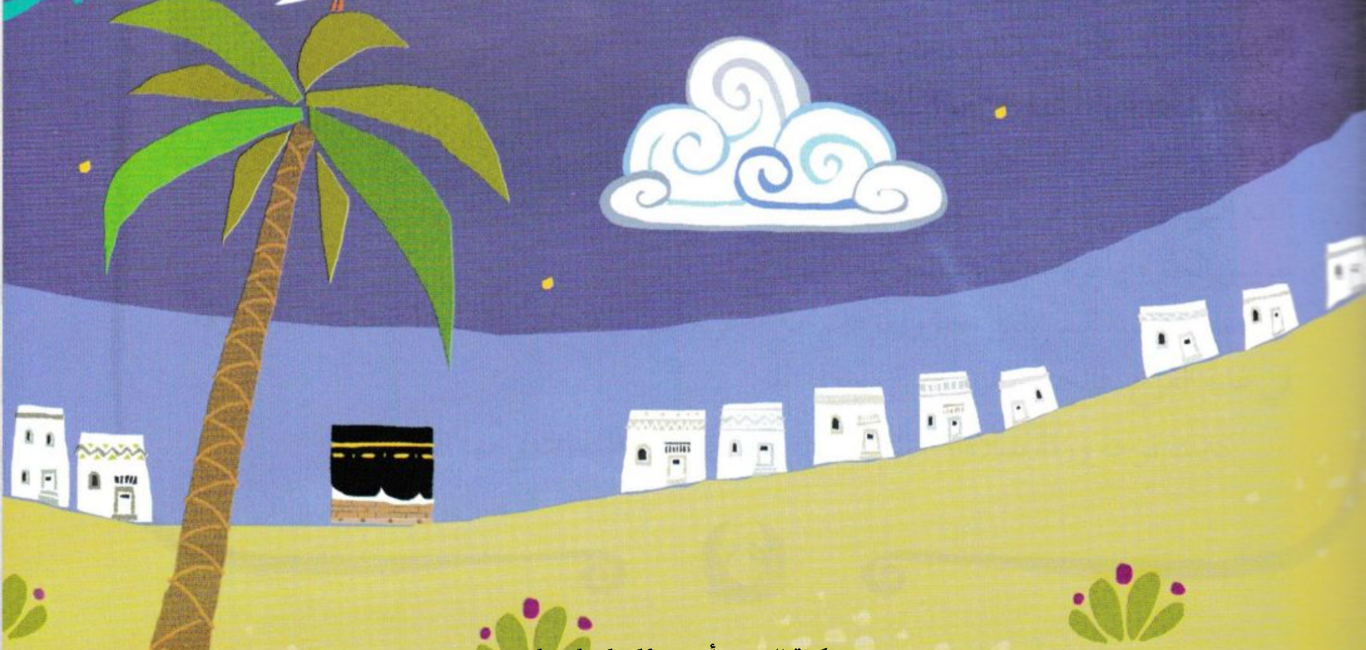
النـور، الواقع خـارج مكّة تماماً. كان يذهب إليـه قاصداً غار حراء، ويجلس هنـاك للتأمّل. تلك الفترات التي كان يفكّر فيها بالله أشعرته بالراحة. وغالباً ما كانت زوجته السيّدة خديجة تأتي إليه حاملة إليه الطعام والشراب.

في أحد الأيّام، ذهب محمّد مجدّداً إلى غار حراء لبضعة أيّام. أخذ يتعبّد الله وحده بسكينة تامّة. لكن في إحدى الليالي، شـعر أنّ كلّ شـيء كان مختلفاً. فقد عمّ السكون، وصمتت الطيور كما لو أنّ جميع المخلوقات حبسـت أنفاسـها. سـكنت الرياح، وجمدت أوراق الأشجار وكأنّ الأرض تتوقّع حدثاً ما. كان ذلك يوم الاثنين، وكان الفجر على وشـك أن يطلع. فجأة، ظهر نور في الكهف، شبيه بالبرق، أضاء كلّ شيء، حتّى أشدّ زوايا الكهف ظلمة.

فـي تلـك اللحظة، ظهر ملك على شـكل بشـر. كان ذاك هـو الملك جبريل، أحد أشـراف الملائكة. قال لمحمّد وسط هذا الضوء الساطع: «اقرأ!» كان محمّد لا يزال تحت وقع الصدمة. استبدّ به الخوف، وراح يرتجف... فأجاب: «ما أنا بقارئ». فاحتضنه جبريل بقوّة وشدّ عليه، ثمّ تركه وقال: اقرأ!» فقال محمّد: «ما أنا بقارئ».

احتضنه جبريل عليه السلام مرّة ثانية وشـدّ عليه، ثمّ تركه وقال: «اقرأ!» فأجابه محمّد مجدّداً: «ما أنـا بقـارئ». أخيراً، احتضنه جبريل مرّة ثالثة ثمّ تركه وتلا عليه آية من آيات القرآن الكريم: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾**.

كان محمّد يرتجف خوفاً. لقد أُنزلت عليه بعض آيات القرآن الكريم. أخذ يتبع جبريل عليه السلام وهـو يقـرأ، ويحفظه بعقله، وقلبه، ولسـانه. فـي تلك اللحظة، كُلّـف محمّد بالرسـالة. من الآن فصاعداً، يجب أن ينتهي الظلم، وأن يقود النبيّ ﷺ البشـرية إلى الصراط المسـتقيم الذي يؤدّي إلى السعادة الأبدية. كان محمّد ﷺ نبيًّا. وكلّ العلامات التي أشارت إلى ذلك، أصبحت مؤكّدة الآن. هذا النبأ ملأ الأرض بهجة وسعادة.



اليوم 51

موقف السيّدة خديجة

عندما أرسلت الشمس أولى أشعّتها على مكّة، غادر محمّد الغار. خرج وهو يتصبّب عرقاً، ويرتجف من شدّة الخوف، والانفعال، والفرح.

انتابه في الوقت نفسه إحساس رائع. شعر وكأنّ كلّ المخلوقات تهنّئه على نبوّته. فوجئ رسول الله تماماً بما كان يسمعه ويراه. فجأة، سمع صوتاً في السماء، فرفع رأسه ونظر إلى الأعلى. هذه المرّة، رأى جبريل في هيئته الحقيقية، كملك، له ست مئة جناح، قد غطّى ملك الوحي الأفق.

بعد ذلك، اختفى جبريل عليه السلام. فنزل محمّد من جبل النور مسرعاً، وذهب مباشرة إلى منزله. لم تكن السيّدة خديجة تتوقّع عودته في تلك الساعة. وفوجئت عندما رأته خائفاً ومتوتّراً. أرادت معرفة السبب، لكنّ رسول الله ﷺ لم يكن قادراً على الكلام. لاحظت أنّه يرتجف، فلم تشأ إزعاجه بالأسئلة. دخل النبيّ وهو يقول: «زمّلوني! زمّلوني!» (أي دثّروني).

ساعدته السيدة خديجة على الاستلقاء في فراشه، ودثّرته بالأغطية. فاستلقى لمدّة من الوقت، ثمّ نهض بعدما استجمع أفكاره. أخبر خديجة بما جرى معه بالتفصيل، وأضاف: «لقد خشيت على نفسي».

أخذت خديجة تخفّف عن رسول الله ﷺ. فالمهمّة التي أُلقيت على كاهله عظيمة، ومن الطبيعي أن يشعر بالخوف. قالت له: «لا والله ما يخزيك الله أبداً، إنّك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». فهدأ روع محمّد بفضل الدعم الذي قدّمته السيّدة خديجة.

اليوم 52

الشمس تشرق فجأة

أشـرق على مكّة نور جديد. لقد أتت اللحظة التي انتظرتها السـيّدة خديجة لسـنوات. فقد كان لديها حدس أنّ زوجها سيكون نبيًّا. فكّرت بشخص تشاركه هذا الخبر أوّلاً. فخطر في بالها ابـن عمّهـا الحكيم ورقة. أصبح ورقة عجوزاً الآن، وأعمى البصر، لكنّه ما زال قادراً على فهم ما يجري حوله. ذهبت إليه مع رسول الله ﷺ لأنّها عرفت أنّه الشخص الوحيد الذي يمكن إخباره بما جرى.

أخبـر النبيّ ورقـة بكلّ ما حدث معه. وبينما كان الحكيم العجـوز يصغي إليه، ظهرت على وجهـه بشـائر الفرح. انتظر حتّى أنهى رسـول الله كلامه ثمّ قال له: «هذا هـو الناموس الذي نزّله الله على موسى».

شـعر محمّد بالارتياح لدى سـماع ذلك من فم الرجل الحكيم. فقد كان ورقة يتحدّث عن خبـرة ومعرفة اكتسـبها مـن الكتب التـي قرأها. أضاف العجـوز: «ليتني أكون حياً إذ يُخرجك قومك».



ففوجـئ النبـيّ وسـأله: «أوَمُخرجـيّ هُـم؟»

أجـاب ورقـة بحكمتـه المعهـودة: «نعم، لـم يأت رجـل قطّ بمثـل ما جئـت به إلاّ عُـوديَ. وإن يدركْنـي يومُـك، أنصـرْكَ نصراً مؤزّراً».

كان العالم قد عرف حتّى ذلك اليوم عدداً كبيراً من الأنبياء الذين حملوا رسـالة اللـه إلـى البشـرية. قامـوا بهداية النـاس إلى طريـق الحقّ، وأمروهم باجتنـاب المعاصي. كما أنّ جميع الأنبياء السـابقين أخبروا قومهم عن مجيء سـيّدنا محمّد ﷺ. لهذا السـبب، كان ورقة في غاية الفرح. فانحنى وقبّل جبين رسول الله.

كانت فرحة ورقة بملاقاة خاتم الأنبياء واضحة على قسمات وجهه المسنّ.

اليوم
53

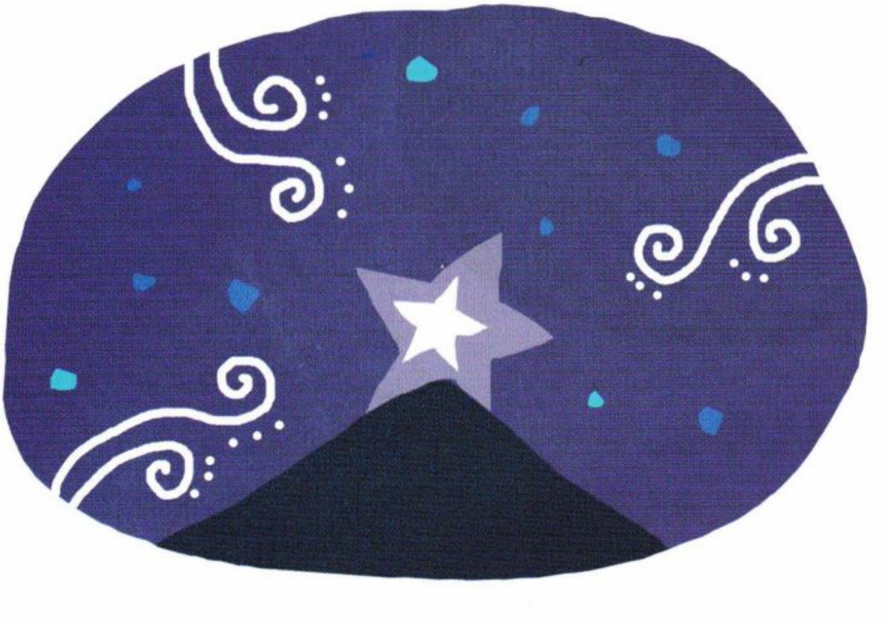
عودة جبريل عليه السلام

كُلّف رسـول الله ﷺ بمهمّة وضع حدّ للشـرور والظلم على وجه الأرض. من أجل ذلك، عليـه أن يعمـل ليل نهار. لو أراد، لاسـتطاع عيش حياة مليئة بالترف والرخـاء. فقد كان صاحب مهنة ناجحة، وكانت لديه الزوجة المطيعة، والثروة، والمكانة، والذكاء. غير أنّه أراد استغلال كلّ ذلك في سبيل الله.

كان ذلك في بدايات البعثة. بينما كان يسـير في الشـارع، سـمع صوتاً. كان الصوت آتياً من السـماء، وكان جميلاً. نظر رسـول الله ﷺ إلى الأعلى، فرأى جبريل عليه السلام بين السـماء والأرض على هيئته التي خلقه الله عليها، له ست مئة جناح، قد سَدَّ الأفق. كان جميلاً ومهيباً إلى حدّ كبير بحيث جثا رسول الله على ركبتيه من شدّة الرهبة.

وقف بعد ذلك، ومشـى نحو منزله يرتجف مجدّداً. وما إن وصل، حتّى نادى خديجة وهو يكرّر: «زمّلوني! زمّلوني!».

فـي تلـك اللحظة، أنزل عليه الله عبر ملك الوحي آيات تضمّنت وصاياه: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾**.



بعد ذلك، أصبح ملك الوحي يظهر على رسـول الله من وقت إلى آخر، واعتاد على رؤيته. زال عنه الخوف، وقلّ ارتعاشـه. فكان جبريل عليه السلام يحمل إلى رسـول الله آيات القرآن. فيمتلئ قلبه بالسكينة والاطمئنان ويزداد وجهه نوراً مع مرور الأيّام.

اليوم 54

فرحة تعلُّم الصلاة

في تلك المرحلة، بقيت نبوّة سيّدنا محمّد ﷺ طيّ الكتمان. لم يُخبر رسول الله أحداً بسرّه ذاك إلاّ الأشـخاص الذيـن يثق بهم تماماً. وسـبب ذلك هـو أنّه لم يتلقَّ بعد أمـراً من الله بإعلان نبوّته.

كان أوّل من دعاه إلى الإسـلام هو زوجته خديجة، التي آمنت به منذ البداية. فما كان عليها سوى أن تنطق بالشهادة (أشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله). بذلك، أصبحت أوّل امرأة مسـلمة، لا بل أوّل شـخص مسـلم بعد رسول الله. وهذا الدعم الذي تلقّاه نبينا الحبيب من زوجته أفرحه كثيراً.



في أحـد الأيّـام، نزل جبريـل عليه السلام على رسـول الله علـى الجبل المشـرف علـى مكّة في هيئة بشـر. كان قد أتى ليعلّم رسـول الله الصلاة التي فرضها الله سبحانه وتعالـى على المسـلمين. فـي البداية، ضـرب جبريل الأرض بعقـب قدمـه. فتفجّـر مـن الأرض ينبوع ماء. توضّأ جبريل عليه السلام بهذا الماء، ثمّ فعل رسـول الله مثله. فلا بدّ للمسلم من أن يتطهّر ليؤدّي صلاته. بعد ذلك، علّم جبريـل عليه السلام رسـول الله كيفيّة الصلاة. فصلّيـا معاً، ثمّ اختفى ملك الوحي.

فرح رسـول الله كثيراً. فقد تعلّم كيف يصلّي بالطريقة التي تُرضي ربّ العالمين. عندما عاد إلى منزله، علّم السـيّدة خديجة ما تعلّمه. هكذا، قاما معاً بتأدية أوّل صلاة لهما. وشعرا إثر ذلك بسعادة روحية لا توصف، لأنّ المرء يكون على اتّصال مباشر بالله عزّ وجلّ وهو يصلّي.



اليوم 55

علي، أوّل ولد مسلم

كان علي صبياً محبوباً، لم يتجاوز العاشرة من عمره عند بداية البعثة. عاش حياة سعيدة في منزل رسـول الله ﷺ، مع أطفاله وزيد الصغير. غير أنّ علياً شـعر بشـيء من الحماسة مؤخّراً في ذاك المنزل. فقد بدت السـيّدة خديجة في غاية السـعادة. كما رأى بريقاً مختلفاً في عينيّ ابن عمّه محمّـد. بـدا عليه أنّه يفكّر أكثر من المعتـاد، ولا ينام إلاّ قليلاً. أراد علي معرفة سـبب هذا التغيّر الجميل.

في أحد الأيّام، رأى شيئاً لم يره من قبل. فقد كان محمّد وزوجته خديجة يقومان بحركات غريبة. وقف يشـاهدهما بصمت. كم كان هذا جميلاً! لقد أدرك من وجهيهما مدى فرحتهما بما يقومان به. عندما انتهيا سألهما: «يا محمّد، ما هذا؟» نظر محمّد إلى علي، وأدرك أنّه على وشك دعوة الشخص الثاني إلى الإسلام.

قال محمّد: «دين الله الذي اصطفى لنفسـه، وبعث به رسـله، فأدعوك إلى الله وإلى عبادته وأن تكفر باللات والعزى». فكّر علي للحظة، ثمّ أجاب: «هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقـاض أمـراً حتّـى أحدّث أبا طالب». بما أنّ رسـول الله لم يكن قد أتاه الأمـر بعد بإعلان نبوّته، كتـم علـيٌّ الأمر ولـم يخبر أحداً، ثم فكّر طوال الليـل بالدين الجديد الذي يدعـوه إليه ابن عمّه. وفـي النهاية، اتّخذ القرار. في الصباح التالي، ذهب إلى رسـول الله وقال له: «يا محمد، ماذا عرضت عليّ بالأمـس؟» أجاب النبـي ﷺ: «عرضت عليك أن تشـهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شـريك له وأن تكفـر بالـلات والعزى وتتبرأ مـن الأنداد والأوثان». عندئذ، نطق عليّ بالشـهادة. ففرح رسـول اللـه كثيـراً باعتناقه الإسـلام. وأصبح علي أوّل ولد مسلم في التاريخ.



اليوم
56

ولدان سعيدان

كان علي وزيد ولدين محظوظين جدًّا. فهما يعيشان في منزل سيّدنا محمّد ﷺ الذي أكرمه الله بالنبوّة. بعد علي، أسلم زيد هو الآخر. وفرح الاثنان بكونهما أوّل طفلين مسلمَين. ثمّ أخذا يتعلّمان أجمل ديانة على وجه الأرض، الإسلام، من النبيّ نفسه.

لـم يكـن علي يفترق عن رسـول الله ولو للحظة واحـدة. رافقه حيثما ذهـب، وصلّى معه، واستمتع بذلك. سمعت أمّه أنّه لا يفترق عن محمّد أبداً وأنّه يصلّي معه دائماً. وبما أنّها لم تكن تعرف شيئاً عن الإسلام، شعرت بالقلق. فقالت لزوجها يوماً: «انتبه على ابنك. أشعر أنّه يمضي وقتاً طويلاً مع محمّد، وأخشى أن يصيبه مكروه».

كان أبـو طالب رجلاً متفهّماً. فخرج من منزلـه وذهب ليعرف ما يجري. عرف أنّ ابن أخيه وابنه ذهبا معاً. فبحث عنهما ووجدهما يصلّيان في واد خارج مكّة. راقبهما مطوّلاً. وبعدما انتهيا من الصلاة، دنا منهما وسـألهما: «ماذا تصنعان؟». فأخبره رسـول الله الحقيقة كعادته أنهما كانا يصليان، ثم دعاه إلى الإسلام، وإلى عبادة الله الواحد.

عـرف أبـو طالب جيّداً أنّ ابن أخيه لا يكذب أبداً. فكّر للحظة وتسـاءل ماذا سـيقول الناس عنـه لو اعتنق الديانـة التي يدعو إليها ابن أخيه. بما أنّ رأي الناس كان هامًّا بالنسـبة إليه، أجاب: «ما بما تقولان بأس. غير أنني لا أستطيع ترك دين أجدادي. ابقيا على دينكما الجديد. وما دمت حياً لن يتمكن أحد من إيذائكما».



اليوم
57

أبو بكر، الصَديق المخلص

(اختلف العلماء في أيهما أسلم قبل الآخر؛ أبو بكر أم علي، ولا يضر)

لم يكن رسـول الله ﷺ قد بدأ بعد بالدعوة إلى الإسـلام علناً. غير أنّ معظم الناس سـمعوا بذلك لأنّهم أخذوا يتناقلون الخبر. فعرفوا أنّه يدعو إلى دين جديد.

كان لـدى نبيّنـا الحبيـب صديق يحبّه ويثق به كثيـراً، يدعى أبا بكر. لم يكـن أبو بكر يكذب أو يـؤذي أحداً. بل كان رجـلاً صادقاً، ومحترماً، وأميناً. ولـم يكن يحمل في قلبه حقداً أو ضغينة تجاه أحد، بل كان يُصلح بين المتخاصمين. كلّما واجه أهل مكّة مشكلة ما، طلبوا نصيحته. بعد رسول الله، كان الشخص الثاني الأكثر أمانة في قريش.

كان أبـو بكـر ثريـاً جدًّا هو الآخـر. وغالباً ما كان يسـافر خارج مكّة للتجـارة. عندما أصبح محمّد نبياً، كان أبو بكر خارج المدينة. وعند عودته، ذهب إليه جيرانه وقالوا: «يا أبا بكر قد عظُم الخطب، يتيمُ أبي طالب يزعم أنّه نبيّ مرسل، ولولا أنت ما انتظرنا به، فإذا قد جئت فأنت الغاية والكفاية».

فوجئ أبو بكر لسماع ذلك. فقام على الفور وذهب إلى صديقه. رحّب به رسول الله بوجه باسـم. اعتاد أبو بكر على مناداة النبيّ بأبي القاسـم، لأنّ اسـم ابنه الأكبر كان القاسـم. فقال له: «يـا أبا القاسـم، فقدت من منازل أهلك، وتركـت دين آبائـك وأجدادك؟» نظر النبيّ إلـى صاحبه وقال له: «يا أبا بكر، إنّي رسـول الله إليك وإلى الناس كلّهم، فآمن بالله».



نظـر أبـو بكر بمحبّة إلـى محمّد الذي يثـق به كثيراً. كانـت ثقته به بلا حدود. فحتّى ذلك اليوم، لم يسـبق أن سـمعه يكذب. وإن قال ذلك، فهذا صحيح من دون شكّ. على الفور، قال له: «مُدّ يدك، فأنا أشهد أنْ لا إله إلاّ الله، وأنّك رسـول الله». فرح رسـول الله ﷺ كثيراً بإسـلام صاحبه، وشـكر الله على ذلك.

مَن أرسلوا أبا بكر لإيقاف محمّد فوجئوا كثيراً عندما عرفوا باعتناقه الإسلام. فالرجل الثاني الذي يحبّونه ويثقون به أصبح مسلماً هو الآخر.

اليوم 58

إسلامنا الجميل

بـدأت دائرة المؤمنين تتّسـع تدريجيًّا. راح الإسـلام ينتشـر علـى يد أبي بكر بيـن الرجال، والسيّدة خديجة بين النساء، وعلي وزيد بين الأطفال.

أحـبّ النـاس هذا الدين الجديد كثيراً. وفرحوا لأنّ الإسـلام يعتبر المسـلمين جميعاً إخوة وأخوات. من الآن فصاعداً، سـيعيش الناس مع بعضهـم كأسرة واحدة من دون أن يؤذوا بعضهم البعـض. بالإضافة إلى ذلك، أعطى الإسـلام جميع الناس الحقّ بالحرّية، سـواء كانوا نسـاء، أو أطفالاً، أو شـباباً، أو عبيداً. حتّى أنّه من غير المسـموح إيذاء الحيوانات. علّم الناس احترام كبار السنّ، ومنَحَ الأطفال الكثير من المحبّة والحنان. فيا لروعة هذا الدين الذي يأمر بتحرير العبيد، واحترام النساء، وحبّ الأطفال.



كمـا فـي كلّ عصر مـن العصور، كان فـي تلك المرحلة أبناء سـوء. هـؤلاء النـاس اضطهـدوا الفقـراء، وأبعـدوا المسـاكين من أوسـاطهم. استغلّوا المحتاجين وكأنّهم عبيد لديهم. ولـم يسمحوا لخدمهم بفعل شيء مـن دون إذن أسـيادهم. غير أنّ اللـه عزّ وجلّ يريد من النـاس أن يتعاملوا مع بعضهم بمحبّة واحترام. لهذا السبب، أرسل النبيّ محمّد ﷺ. وكلّف رسوله بهداية الناس إلى دين السـلام، والمحبّة، والأخوّة. كان كلّ الناس سواسـية أمام الله. وهذا ما سـعى نبيّنا الحبيب، رسول الله محمّد ﷺ، إلى تحقيقه بكلّ ما أوتي من قوّة.

اليوم 59

إسلام بلال

كان بلال عبداً أسـود. أحبّ رسـول الله ﷺ كثيراً وآمن به فوراً. أمام هذا الانتشـار السـريع للدين الجديد، أحسّ المشركون، الذين يعبدون الأصنام، بالقلق. فاجتمعوا وناقشوا هذه المسألة مطـوّلاً. أخيراً، قرّروا إلحاق الأذى بكلّ من يؤمـن بنبيّنا الحبيب ﷺ، لأنهم لم يقدروا على أذية



النبي ﷺ، لمكانة عمه أبي طالب عندهم.

كان سيّد بلال مشركاً، ولا يعرف قلبه الرحمة. عندما عرف بإسلام بلال، منع عنه الطعام والشراب حتّى يرجع عن هذا الدين. غير أنّ بلالاً لم يقع في ذلك الفخّ. عندئذ، ربط سيده حبلاً حول عنقه وأخذ يجرّه على الأرض. قاوم بلال هذا التعذيب بسهولة لأنّه أحبّ الله ورسوله كثيراً. فدُهش سيّده وازداد حقداً عليه. في أحد الأيّام، مدّد بلالاً على رمال الصحراء الحارقة، ووضع صخرة ثقيلة على بطنه. بعد ذلك، راح يقول له: «اذكر اللات والعزى». أخذ بلال يئنّ من شدّة الألم، لكنّه ظلّ يردّد: «أحد، أحد». في تلك اللحظة، مرّ به أبو بكر. كان المسلمون يحبّون بعضهم كثيراً. لذلك، عندما رأى أخاه في الإسلام تحت التعذيب، ثار جنونه. فذهب إلى سيّد بلال وقال له: «ألا تتّقي الله في هذا المسكين؟ إلى متى ستظلّ تعذّبه هكذا؟» فأجابه الرجل: «أنت أفسدته، فأنقذه ممّا ترى».

كان العبيد في تلك الأيّام يباعون ويُشترون. فعندما يقوم شخص ما بشراء عبد، يصبح سيّداً له. سأله أبو بكر: «ماذا تريد لقاء حرّية بلال؟» فأجاب الرجل: «ثلاثة عبيد ومبلغاً كبيراً من المال». أجاب أبو بكر: «سأعطيك ما طلبت»، وأخذ بلالاً من تحت الصخرة.

ذهبا معاً إلى رسول الله ﷺ. فعانق النبيّ بلالاً الذي عانى الكثير في سبيل الإسلام. وقال أبو بكر: «لقد أعتقته، يمكنه الذهاب حيث يشاء». عندئذ، نظر رسول الله إلى بلال بفرح عظيم، فقد كانت سعادة بلال في تلك اللحظة لا توصف. وكان عمر بن الخطاب - بعدما أسلم - يقول: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا! يقصد بلالاً، رضي الله عنهم أجمعين. في المستقبل، سيوكل رسول الله إلى بلال مهمّة في غاية الأهمّية. فقد كان بلال يتمتّع بصوت جميل. لهذا السبب، سيصبح أوّل مؤذن يدعو المسلمين إلى الصلاة. ولمئات من السنوات القادمة، سيُستخدم الأذان نفسه في جميع أنحاء العالم عند كلّ صلاة.

اليوم
60

عشرة أعمام وستّ عمّات

كانت وصايا القرآن الكريم جميلة. فهي تدعو الناس إلى الخير وحسن المعاملة. فيه يبشّر الله المؤمنين بالجنّة، ويصف لهم الأشياء الجميلة التي خلقها لهم. كما يخبرهم كم يحبّهم. سعى رسول الله ﷺ إلى شرح كلّ ذلك للناس بأسرع ما يمكن. غير أنّه لم يكن من السهل عليه دعوة قومه إلى الدين الجديد. فكثير منهم سيعارضون. ولتحقيق ذلك، كان بحاجة إلى القوّة والدعم. في تلك الأيّام، كان الناس الذين يملكون أسراً قوية يعيشون باطمئنان. وكان لدى رسول الله عشرة أعمام. إن ساعدوه جميعاً، سيكون الأمر أسهل عليه بكثير. لكنّ معظمهم كانوا عنيدين وقساة. كانوا معتادين على التفوّه بكلام بذيء وارتكاب المعاصي، وكان على رأسهم عمّه أبو لهب. لم يعرف أبو لهب معنى المحبّة، ولم يفهم يوماً معنى الخير. كان قلبه قاسياً كالحجر.

غير أنّ رسول الله ﷺ كان لديه أعمام طيّبون أيضاً، أحدهم هو العبّاس. كان عمّه العبّاس صديقه المقرّب، لأنّهما من جيل واحد. فقد نشآ معاً، وأحبّ العبّاس محمّداً كثيراً. بالإضافة إلى العبّاس، كان أبو طالب وحمزة يحبّان الرسول حبًّا جمًّا. لم يسمحا لأحد بإيذاء شعرة من رأسه، وقاما بحمايته بكل ما أوتوا من قوة. كذلك عمّاته عاملنه كما لو كان واحداً من أبنائهنّ، ووثقن به كثيراً. عشرة أعمام وستّ عمّات! تساءل رسول الله من منهم سيقف إلى جانبه؟



اليوم
61

أفضل رجال قريش يعتنقون الإسلام

عمـل رسـول الله ﷺ ليل نهار مـن دون أن يضيع لحظـة من وقته. فقـد أراد أن يبلغ الناس بالأوامـر التي تلقّاها من الله عزّ وجلّ بأسـرع ما يمكن. كان لـدى صاحبه أبي بكر صديق يدعى عثمان. عُرف عثمان بشدّة حيائه، لكنّه كان حسن المنطق وبهيّ الطلعة، كما كان كريماً جدًّا. دعا أبـو بكـر صديقه عثمـان إلى الدين الجديد الـذي أتى به النبيّ محمّد، وشـرح له عن مدى جمال الإسـلام. فقد أراد من كلّ قلبه أن يصبح عثمان مسـلماً. في أحد الأيّام، أتيا معاً إلى رسـول الله ﷺ. فاستقبل النبيّ ﷺ عثمان بابتسامة عريضة، وعرض عليه دين الإسلام. فأُعجب عثمان بهذا الدين ونطق بالشهادة على الفور. قال: «أشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله». فبهذه الشهادة يعتنق الناس الإسلام.

بعدمـا أسـلم عثمان، أخبر النبيّ ﷺ عن حلـم رآه عندما كان في رحلة. قـال له: «كنت منذ مـدّة خارج مكّـة. عندما أخذنا اسـتراحة في الطريق واسـتغرقنا في النوم، إذا بصـوت يقول: «يا أيّهـا النـاس أفيقوا! لقد أتى نبيّ إلى مكّة، يدعى أحمد». كان أحمد هو أحد أسـماء رسـول الله. تابع عثمان يقول: «لم أفهم أيّ شـيء حينذاك. لكن عندما عدت إلى هنا، أدركت أنّك أنت ذلك النبيّ».

كان عثمان في غاية السـعادة، وشـعر كما لو أنّه امتلك العالم. فقد امتلأ عقله وقلبه وروحه بحبّ هذا الدين والنبيّ الذي أتى به. في أحد الأيّام، سـمع عمّه باعتناقه الإسـلام، فغضب غضباً شـديداً. وقام مرّة بربط عثمان إلى أحد أعمدة المنزل ثمّ قال له: «إذاً، تركت آلهتنا وبدأت بعبادة اللـه! لقـد آمنتَ بما يدعو إليه محمّد، أليس كذلك؟ لن أُطلق سـراحك إلاّ بعدما تترك الإسـلام وتعود إلى دين أجدادك».



كان عثمان رجلاً شـجاعاً، ولا يستطيع أيّ كان إجباره على التخلّي عـن معتقداته. فأجاب عمّه: «والله لن أترك الإسـلام أبداً». عندما أدرك عمّه أنّه لا ينوي التخلّي عن الإسلام، تركه يمضي في سبيله. أصبح عثمان يمضي وقته مع رسول الله ﷺ. وقرّر أن يحفظ كلّ

آيـات القـرآن. كان الله يُنزل على النبيّ عدّة آيـات في وقت واحد عبر ملك الوحي جبريل عليه السلام. ولـم يُنزل القرآن دفعة واحدة لكي يتمكّن الصحابة من حفظه تدريجيًّا. أخذ عثمان يحفظ الآيات عن ظهر قلب، ففرح رسـول الله بهذا المجهود الذي يبذله وبأخلاقه العالية. كان عثمان شـديد الحيـاء إلـى حدّ أنّه يسـتحي أن ينظر إلـى الناس في وجوههـم وهو يتحدّث إليهم. فقام رسـول الله ﷺ بتزويج ابنته رقيّة إلى هذا الرجل ذي الأخلاق العالية. فأصبح عثمان صهر رسـول الله. ويا له من شـرف كبير! عاشـت رقية وعثمان حياة سـعيدة، وبذل عثمان ما في وسعه لنشر رسالة الإسـلام. لـم يعد رسـول الله وحده بعد اليوم. فبالإضافة إلى سيّدنا أبي بكر، كان عثمان يقدّم له الدعم والمساعدة.



اليوم 62

أجمل الأسماء

مع مرور الأيّام، اتّسعت دائرة المحبّة والأخوّة حول رسول الله ﷺ. ومن بين الأشخاص الذين لبّوا دعوته إلى الإسلام، كان ثمّة رجل يدعى عبد عمرو، وهو من أصدقاء أبي بكر. اصطحبه أبو بكر إلى رسول الله، وعرّفه على الإسلام. ومنذ تلك اللحظة، لم يفارق رسول الله لحظة واحدة، وأصغى إلى كلّ كلمة يقولها.

كان النبيّ يحبّ أن يحمل المسلمون أسماء جميلة. لذلك لم يعجبه اسم عبد عمرو، لما فيه من معنى العبودية للناس. في حين أنّ الله وحده هو من يستحقّ العبادة - لهذا السبب، غيّر اسمه إلى عبد الرحمن. والرحمن هو أحد أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين. منذ ذلك الوقت، أصبح الناس ينادونه بهذا الاسم الذي يشير إلى مدى حبّ الله لعباده ورحمته بهم.

أحبّ عبد الرحمن اسمه الجديد، ونظر إلى رسول الله ﷺ برضى كبير. أصبح الآن شخصاً جديداً، مع اسم جديد ودين جديد.

اليوم 63

شاة صغيرة تدرّ اللبن

ذات يوم، خرج الراعي عبد الله بن مسعود بأغنامه إلى الحقل. راحت المواشي ترعى العشب الأخضر بنهم، في حين جلس عبد الله يراقبها صامتاً. فجأة، رأى رسول الله ﷺ وصاحبه أبا بكر آتيان من الجهة الأخرى. سلّم عليهما عبد الله، فقال له أبو بكر: «يا غلام، احلب لنا من هذه الشياه ما نُطفئ به ظمأنا، ونبلّ به عروقنا». فقال عبد الله: «لا أفعل، فالغنم ليست لي، وأنا عليها مؤتمَن». عند سماع ذلك، طلب منه رسول الله أن يدلّه على شاة صغيرة لا تعطي اللبن بعد. فبحث له عبد الله عن شاة صغيرة وأحضرها إليه. دنا منها رسول الله ومسح على ضرعها بيده وهو يذكر اسم الله. نظر إليه عبد الله بدهشة واستغراب وقال في نفسه متى كانت الشياه الصغيرة تدرّ لبناً؟ لكنّ ضرع الشاة ما لبث أن انتفخ وأخذ اللبن يخرج منه بوفرة. فشرب منه الجميع حتّى ارتووا.

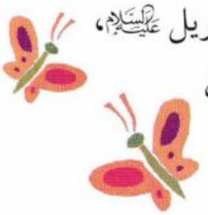


بعد ذلك، نظر النبيّ ﷺ إلى ضرع الشاة وقال لـه: «انقبِضْ». فانقبض حتّى عاد إلى ما كان عليـه. ظـلّ عبد الله تحت أثر الصدمة ولـم ينسَ ما جرى لعدّة أيّام. أخيراً، بحث عن رسـول الله حتّى وجده. فاستقبله النبيّ بترحاب ودعاه إلى الإسـلام. غير أنّ عبد الله كان قد اتّخذ قراره منذ مدّة طويلة، فأسـلم على الفور. تعلّم قراءة القرآن من النبيّ نفسـه، وقرّر أن يحفظ كتاب الله عن ظهر قلب. لقد وجد السعادة الحقيقية بالقرب من رسول الله.

اليوم 64

تحّية المسلمين

غالباً ما كان الله تعالى يُرسل سلامه إلى رسوله. فكلّما أتى جبريل عليه السلام إلى النبيّ ﷺ، كان يحمل إليه السلام من الله عزّ وجلّ.



في إحدى المرّات، كان رسـول الله مع زوجته السـيّدة خديجة. فأتاه جبريل عليه السلام، لكـنّ السـيّدة خديجـة لـم تسـتطع رؤيته. بعـد رحيل ملـك الوحي، قـال النبيّ لخديجة: «يا خديجة، هذا جبريل يُقرئك السلام من ربّك».

فرحت السـيّدة خديجة فرحاً عظيماً بهذا الخبر. فقد أرسـل الله تعالى سـلامه إليهـا هـي، وهذا دليـل محبّته لهـا. مـن الآن فصاعـداً، سـتعبده بتفانٍ وإخلاص أكبر. فردّت السلام قائلة: «الله هو السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام».

سـعى رسـول الله إلى نشر السلام بين المسـلمين. ذلك أنّ الله عزّ وجلّ أراد للمسلمين أن يحيّوا بعضهم بهذه الطريقة.

وهكذا، علّمنا النبيّ أن نسـلّم على بعضنا عندما نلتقي قائلين: «السـلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه»، أي عليك وعلـى الملكين الموجودين على كتفيك. فيردّ الشـخص الآخر: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته».

يحمل معنى السـلام فـي طيّاته الجمال، والخير، والأخوّة. لهذا السـبب، اعتُبـر رمزاً مهمًّا للمسـلمين. ومن لا يعرف جمال «السـلام»، لن يفهم ماهيّته. أمّا من يعرفون، فيسعون إلى نشره في كلّ مكان. عندما يلتقي المسـلمون في الشـارع أو في المنزل، يسـلّمون على بعضهم، وبهذا السلام، تزداد الروابط التي تجمعهم قوّة ومتانة.

اليوم
65

جمال «باسم الله»

خلق لنا الله عزّ وجلّ ماءً عذباً ينبع من الجبال. وأنبت لنا من أغصان الأشجار شتّى أنواع الفواكه الشهية. خلق لنا الأرض وأسكننا فيها، وزيّنها لنا. كما رزق الناس بنعم لا تحصى ولا تعدّ. مقابل ذلك، أراد منّا أن نعبده وأن نذكر اسمه. لهذا السبب، لم يفارق اسم الله شفتي النبيّ ﷺ. كان يشكر الله في كلّ مناسبة على ما وهبه من نِعم.

اعتاد رسول الله على ذكر اسم الله على كلّ ما يهمّ بفعله. فكان يقول «باسم الله» قبل البدء بالطعام أو الشراب. وكان يسمّي بالله كلّما أراد أن ينام، أو أن ينهض من سريره في الصباح، أو أن يدخل إلى المنزل. لم ينسَ خالقه ولو للحظة واحدة، بل كان يستمتع كثيراً في ذكر اسمه. وطلب من المسلمين فعل الشيء نفسه لأنّ الله عزّ وجلّ هو الذي يمنحنا كلّ النعم. كما أنّ الله هو الذي يحمينا ويراقبنا، حتّى أنّه يعرف عدد أنفاسنا. لكلّ هذه الأسباب، على الإنسان أن يذكر اسمه ويشكره على نعمه.

شكّل رسول الله ﷺ قدوة لجميع الناس. وأثارت عاداته الحميدة إعجاب المسلمين، فأخذوا يقلّدونه في كلّ ما يفعل. صاروا يقولون باسم الله كلّما همّوا بالأكل، أو الشرب، أو النوم، أو المشي، أو الحديث. وكلّ من اعتنق الإسلام، أصبح يتحلّى بالتهذيب وحسن السلوك وسعة القلب. ولطالما شكروا الله على ما أعطاهم. فالشكر يعني أنّنا نقدّر النعم التي نتمتّع بها. هكذا تعلّموا أيضاً أن يشكروا بعضهم. وعرفوا أنّ ذكر اسم الله وحمده هو السعادة الحقيقية.

اليوم 66

الدعوة الأولى

بـدأت أخبـار بعثة محمّد تنتشـر، وازداد عدد المؤمنين به يوماً بعد يوم. لكنّ كلّ شـيء بقي سرّياً، ذلك أنّ النبيّ لم يتلقَّ بعد إذناً من الله بدعوة الناس إلى الإسلام علناً. في أحد الأيّام، أتى جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله ﷺ بأمر الله عزّ وجلّ: «أنذر عشيرتك الأقربين!».

ها قد أتى الأمر المنتظر، وحان الوقت لإعلان النبوّة.

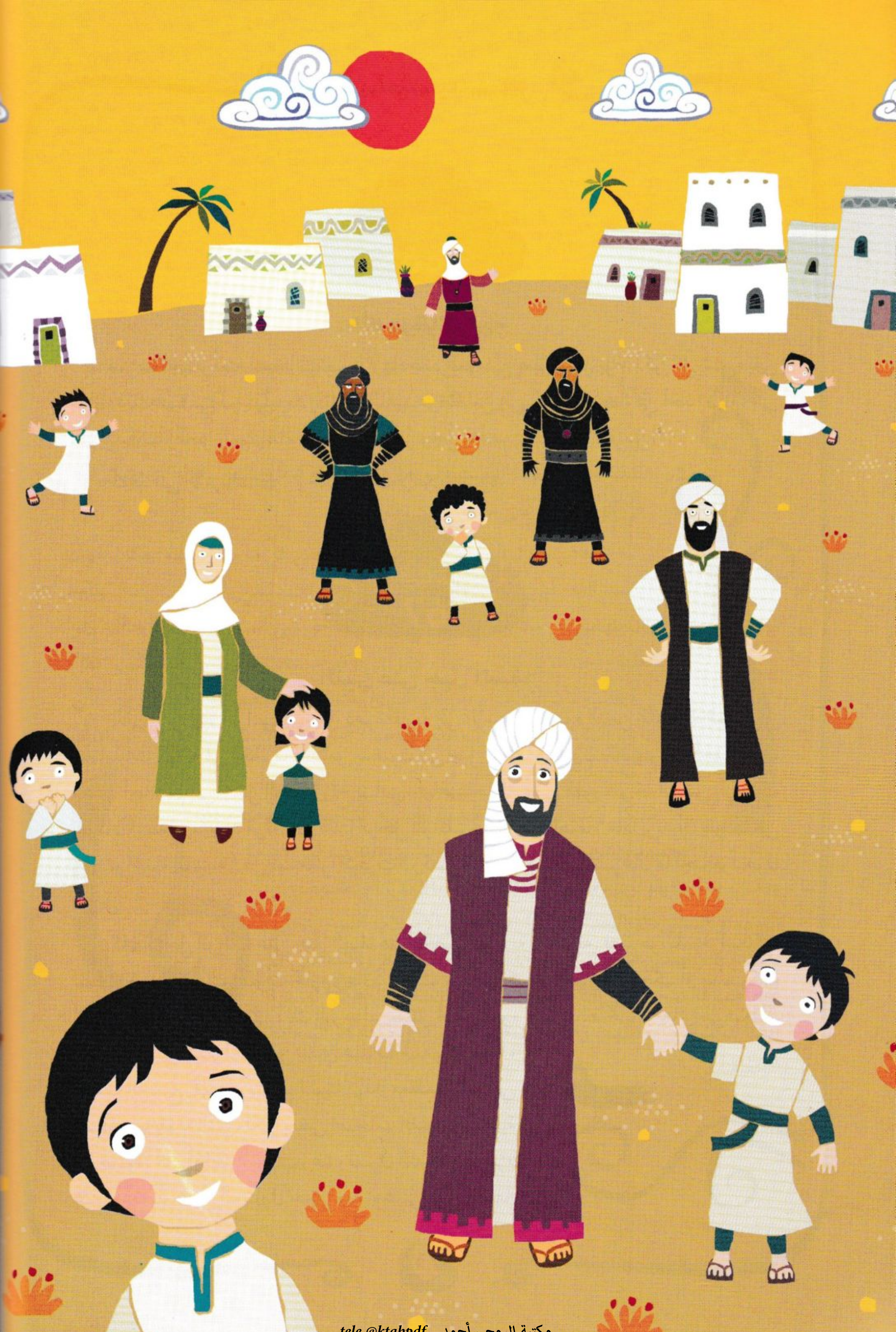
اليوم 67

النبيّ على جبل الصفا

تلقّى النبيّ ﷺ أمراً من الله بعد دعوة أقاربه إلى الإسلام، بدعوة الناس علناً هذه المرّة. في المناسبات الهامّة في مكّة، كان الناس يذهبون إلى جبل الصفا وينادون بعضهم. في أحد الأيّام، ذهـب أحدهـم إلى جبـل الصفا وراح ينـادي: «يا صباحاه!» علـى الفور، توجّه النـاس إلى ذلك المكان لسـماع ما يريد قوله. من ذلك الرجل الواقف على جبل الصفا؟ ماذا يريد أن يقول؟ هل هاجـم أعداء المدينة؟ هل سـيعلنوا الحرب؟ ركض الناس بفضول. وسـرعان ما اجتمعوا حول الجبل.

كان الرجل الواقف على جبل الصفا هو شخص يثقون به ويحبّونه. فصاحوا باستغراب: «ما لـك؟» فبـدأ يتحدّث بصوت حازم وعالٍ: «أرأيتم لو أخبرتكم أنّ العدوّ مصبحكم أو ممسـيكم، أما كنتم تصدّقونني؟» حتّى ذلك اليوم، لم يسـبق أن سـمعوه يكـذب. فأجابوه معاً: «بلى». فقال النبـيّ: «فإنّـي نذيـر لكـم بين يـدي عـذاب شـديد». فجأة، صمت الجميع. فهم لم يتوقّعوا شيئاً كهذا. معظمهم آمن في أعماقه بما يقوله النبيّ، لكنّ بعض أصحاب القلوب القاسية عارضـوه. كان أوّلهم أبو لهب، عمّ رسـول الله. فقد احمرّت عينـاه غضباً، حتّـى أنّه تناول حجراً ورماه علـى جبل الصفا. ثمّ







صاح قائلاً: «تبًّا لك، ألهذا دعوتنا؟» تألّم النبيّ ﷺ من سلوك أبـي لهب، غيـر أنّه كان يتوقـع مثل هذه التحدّيـات الصعبة. فالمهمّـة التـي أوكلـت إليه كانـت عظيمة وقومـه لا يعرفون الحقيقـة بعـد. أدرك النبيّ ﷺ أنّ عمّه أبـا لهب هو رجل فظّ ومتصلّب. فنظر إليه مشفقاً، ثمّ غادر المكان مرتاح البال لأنّه أخبـر النـاس بوحدانية الله. بهذه الطريقة، بشّـر الناس للمرّة الأولى بالدين الجديد بعد أقاربه.

اليوم
68

أكثر الأنبياء صبراً

في أحد الأيّام، اسـتغرق رسـول الله ﷺ فـي التفكير. كان باله مشـغولاً بتنفيـذ واجبه على أكمل وجـه. يجب أن يعرف الجميع أنّه نبيّ مُرسَـل. في ذلـك الوقت، كان يُنظَّم مهرجان كبير خارج مكّة يسـمّى «سـوق عكاظ»، يبيع فيه الناس ويشترون فيه مختلف الأشياء، كما يتضمّن عروضاً مسلّية. هذا العام، ازدحم السـوق مجدّداً، وكان رسـول اللـه ﷺ هناك أيضاً. فقد أتى لهداية الناس إلى الله. سيخبرهم عن نبوّته، وعن الحياة بعد الموت.

جمع الناس وقال لهم: «يا أيها الناس! قولوا لا إله إلا الله تفلحوا». كان الموجودون هناك يثقـون به كثيـراً. وقد صدّقوه، وكانوا على اسـتعداد لقبول دعوته. لكن كان بينهم شـخص يتتبّع كلّ خطوة من خطوات النبيّ. لم يكن ذاك الرجل سـوى عمّه أبي لهب، الذي ظهر وسـط الحشد وقال: «ابتعدوا عنه! ابتعدوا عنه!» حزن الرسول ﷺ كثيراً بسبب تصرّف عمّه. لكن لم يكن بيده حيلة سـوى الإشـفاق عليه. فقد كان صبوراً جدًّا، ذلك أنّه نبيّ الرحمة. سـيحمل الرسـالة بطيبة ومحبّة. فقد أمرنا الله بالتحلّي بالأخلاق الحسنة وعدم إيذاء الناس. والنبيّ محمّد يعرف أنّ من يفعل الخير يدخل الجنّة، وأنّ طعام الجنّة، وفاكهتها، وما فيها من ملذّات لم يسبق أن رأتها عين، لا يفوز بها سوى الصالحين.

اليوم
69

نبيّ طيّب القلب

كان رسول الله ﷺ طيّب القلب، باسم الوجه، ينشر حوله الفرح والمحبّة دوماً، ويتحدّث مع الناس بلطف ورقّة. لم يكن يؤذي أحداً، بل كان يكره حدّة الطبع، والقسوة، والمكر. وقد اعتاد دائماً أن يشرح للناس عن وحدانية الله.

من الجوانب الأخرى لحسن خلقه عليه الصلاة والسلام، هي أنّه كان يجيب الناس بلطف، حتّى لو آذوه. بسبب هذه الصفات الأخلاقية الحسنة والعادات الجميلة التي امتاز بها رسول الله، كان عدد المؤمنين به يتزايد باستمرار. غير أنّ بعض الأشخاص انزعجوا لرؤية الناس يلتفّون حوله. من بين هؤلاء كان عمّه أبو لهب، وأمّ جميل زوجة أبي لهب، وابنهما عتبة. هؤلاء هم جيران النبيّ، وقد آذوه كثيراً. فقد كانوا يرجمون منزله بالحجارة يوميًّا. كما كانت أمّ جميل تحضر أغصاناً شائكة وتضعها أمام باب رسول الله. وترمي الأشواك على الطريق التي يمشي عليها. لكنّ نبيّنا الحبيب تغاضى عن هذه الأفعال وتحلّى بالصبر. ودعا الله لكي يهدي عمّه وزوجته إلى الإسلام.

اليوم
70

أناس مثيرون للشفقة

كان من ألدّ أعداء النبيّ ﷺ رجل يدعى عمراً. أطلق عليه المسلمون لقب أبي جهل، لأنّهم عرفوا شدّة عدائه للإسلام ولرسول الله. كان أبو جهل أحد وجهاء مكّة، لكنّه عُرف بقسوته وغبائه. فقد أحبّ الأصنام كثيراً، واعتاد أن يصلّي أمامها لساعات.

غير أنّ الأصنام بلا حياة، فكيف لها أن تفهم صلاته؟ بهذا السلوك، كان أبو جهل مثيراً للشفقة. لم يشأ الاعتراف أنّ نبيّنا الحبيب هو رسول الله. لهذا السبب، غالباً ما كان يضع نفسه في مواقف مضحكة، غير أنّ ذلك لم يُعد إليه رشده أبداً. في إحدى المرّات، راح يبحث عن نبيّنا في كلّ مكان وهو يقول: «إذا سجد في صلاته، لأطأن على رقبته».





ذهب إلى الكعبة وهو يستشيط غضباً، فوجد رسول الله ﷺ يصلّي هناك. كلّما سجد وقام، فاح منه عطر طيّب. كانت رؤيته تبعث الفرح في القلب، لكنّ الكفر أعمى عيني أبي جهل. وبسبب عناده، لم يستطع رؤية عظمة رسول الله.

اقترب أبو جهل من النبيّ ﷺ، وفي اللحظة نفسها، انحنى الرسول للسجود. فاقترب أبو جهل ليطأ على رقبة النبي ﷺ كما زعم، وفجأة بدأ يرجع إلى الخلف وهو يرفع يديه ليحمي نفسه من شيءٍ خفي لا يُرَى! فسألوه: ما لك يا أبا جهل تتراجع؟! فقال: إن بيني وبين محمد خندقاً من نار، وهولاً وأجنحة! فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا أبو جهل منّي لاختطفته الملائكة عضواً عضواً».

اليوم
71

دموع فاطمة

كانت جوهرة الأرض السوداء، أي الكعبة المشرّفة، مكاناً مليئاً بالفرح والسلام لأنّ نبيّنا الحبيب ﷺ يصلّي هناك. أصبحت الكعبة المشرّفة أكثر جمالاً بوجود النبيّ محمّد. كان نبيّنا الحبيب يحبّ الصلاة كثيراً، ويشعر بالارتياح بين يدي الله بحيث ينسى كلّ شيء آخر.

كان النبيّ يفكّر أنّ الله هو أجمل ما في الوجود. فلا يسمع ما يقال بقربه ولا يلتفت إلى ما يجري حوله، بل يصبّ كلّ تركيزه على الصلاة لخالق هذا الكون. كانت الصلاة هي أسعد لحظات حياته. فعندما يصلّي، يقف بين يدي الله لساعات وساعات.

في أحد الأيّام، أتى أبو جهل مجدّداً مع أصدقائه، وأخذ يراقب رسول الله وهو يصلّي بسعادة، وسكينة، وخشوع. فقال بعضهم: «لا بدّ أنّ ما يسمّونه الصلاة هو شيء جميل. انظروا كم يبدو محمّد سعيداً وهو يصلّي!».

عندئذ، شعر أبو جهل بالغيرة. فقفز أمام أصدقائه وقال: «من منكم يستطيع أن يضع أحشاء بعير على رأسه وهو يصلّي؟» فأجاب أحد أصدقائه بخبث: «أنا أفعل!» ثمّ انطلق وعاد



بعد قليل حاملاً بيده أحشاء جمل. لم يعرف النبيّ محمّد ما الذي يجري، بل تابع الصلاة. وعندما سجد، وضع الرجل ما يحمله على ظهر النبيّ بكلّ وقاحة، بينما انفجر أصدقاؤه بالضحك. من رأوا ذلك، انطلقوا وأخبروا فاطمة، ابنة رسول الله، بما جرى. قالوا لها: «يا فاطمة، أسرعي! إنّهم يضايقون أباك مجدّداً». فانطلقت فاطمة خائفة إلى حيث تجمّع الكفّار. وعندما وصلت إلى الكعبة، كان قلبها ينبض بعنف. لم تصدّق ما رأته. فأسرعت وأزالت أمعاء الحيوان عن ظهر النبيّ ﷺ وهي تبكي. عندما أنهى رسول الله صلاته، احتضن فاطمة بحنان، لكنه لم يتفوّه سوى بهذه الكلمات: «حسبي الله ونعم الوكيل!» هكذا كان النبيّ يقابل الأذى الذي يتعرّض له بالصبر والحكمة، ولم يحمل في قلبه ضغينة لأحد.

لقد أراد الخير للجميع، وعامل الناس بطيبة ورحمة. هكذا مسح الدموع عن وجه ابنته، وانصرف.

اليوم
72

المشركون يرسلون وفداً للشكوى إلى أبي طالب



جُلّ ما أراده نبيّنا الحبيب هو هداية الناس إلى طريق الحقّ والصواب. من أجل ذلك، كان مستعدًّا لمواجهة كلّ الصعوبات. أخبر الناس بأوامر الله ونواهيه من دون تردّد، مهما يكن رأيهم بذلك. بالمقابل، استمرّ المشركون بمضايقته وإزعاجه من دون كلل أو ملل. وسعوا دائماً إلى إيذائه لجعله يتخلّى عن رسالته. فوضعوا خططاً ماكرة ونفّذوها واحدة تلو الأخرى. في تلك الأيّام، لم يقف إلى جانب رسول الله ﷺ سوى رجل واحد من أقربائه، وقدّم له الحماية مهما كلّفه ذلك. كان ذلك الرجل هو أبا طالب، عمّه الذي عاش في كنفه، والذي كان محبوباً ومطاعاً في مكّة.

غضب الكفّار لمّا رأوا النبيّ ماضياً في دعوة الناس إلى الإسلام من دون خوف. وعندما فهموا أنّهم لن يتمكّنوا من وضع حدّ له، شكّلوا وفداً من أشراف قريش، وذهبوا إلى أبي طالب. عندما وصلوا، اشتكوا إليه قائلين: "يا أبا طالب، إنّ لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنّا قد استنهيناك





مـن ابـن أخيك فلم تنهه عنّـا، وإنّا والله لا نصبر على هذا من شـتم آبائنا، وتسـفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتـى تكفّه عنّا، أو ننازله وإيّاك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين".

كان أبو طالب يحبّ ابن أخيه كثيراً، ويخاف عليه. فاستدعاه وقـال لـه: "يا ابن أخـي، إنّ قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا. فأبقِ عليّ وعلى نفسـك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق".

حزن رسـول الله كثيراً. فحتّى ذلك الوقت، وقف عمه إلى جانبه في السـرّاء والضرّاء. أحبّه ونصـره، وقـدّم له الحماية، فكيف يخذله الآن؟ كيف له أن يتخلّى عن الرسـالة التي كلّفه بها الله عزّ وجلّ؟ هذا أمر مسـتحيل. فنظر رسـول الله ﷺ إلى السماء، ثم قال: «ما أنا بقادر على أن أدع لكم ذلك على أن تشعلوا لي منها شعلة». يعني الشمس.

فقال أبو طالب لقومه: «ما كذب ابن أخي، فارجعوا!» بهذه العبارة، أشـار أبو طالب لقومه أنه سيستمر في حماية ابن أخيه، فانصرفوا عنه. فذهب المشركون خائبين.

اليوم 73

عرض غير منصف أبداً!

منذ ذلك الوقت، لم يتخلَّ أبو طالب عن رسـول الله ﷺ، وحماه من مكائد الكفّار. فكّرت قريش مطوّلاً كيف تجبر أبا طالب على رفع حمايته عن ابن أخيه.

أخيراً، أتوا إليه في أحد الأيّام وقالوا له: «جئناك بفتى قريش جمالاً، وجوداً وشهامة، عمارة بن الوليد، ندفعه إليك يكون نصره وميراثه لك، ومع ذلك نعطيك من عندنا مالاً، وتدفع إلينا ابن أخيك الذي فرّق جماعتنا وسفّه أحلامنا فنقتله».



عنـد سـماع هـذا العرض، ثـار غضب أبـي طالب. فمن يسـتطيع أن يحلّ مكان محمّـد؟ لا يمكن أن يتخلّـى عن ابـن أخيـه الحبيب حتّى لـو ملّكوه العالـم بأسـره. هكـذا وبّخهـم غاضبـاً: «والله مـا أنصفتموني، أتعطوننـي ابنكم أغـذوه لكم، وتأخذون ابني تقتلونه؟ هذا والله ما يكون أبداً».

فقـال المطعم بن عدي: «واللّهِ يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص ممّا تكرهه، فما أراكَ تريد أن تقبل منهم شيئاً». فقال أبو طالب للمطعم: «واللّهِ ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ، فاصنع ما بدا لك»!

بذل أبو طالب ما في وسعه طوال حياته لحماية ابن أخيه الحبيب. وظلّ صدى كلماته يتردّد في آذان المشركين. فأجّلوا مخطّطاتهم وغادروا ذلك المكان بخوف كبير.

اليوم
74

قالوا إنّه ساحر



عاد المشـركون يحيكون المؤامرات. لكن بعدما تحدّاهم أبو طالب، أبقوا كلّ مخطّطاتهـم طيّ الكتمان، ولـم يبوحوا بأسـرارهم سـوى لبعضهم البعض. قالوا: «دعونا نمنعهم على الأقلّ من دعوة الناس إلى الإسـلام». غير أنّ عدد المؤمنين ظلّ يتزايد.

كان ثمـة رجـل ماكـر يدعـى الوليد يتبع المسـلمين أينما ذهبـوا. كان يغار مـن الوحدة والأخـوّة التـي تجمع بينهـم. في أحد الأيّـام، جمع أصدقاءه وقـال: «لقد اقترب موسـم الحجّ، وسـيتوافد الناس إلى الكعبة من كلّ مكان. أنا واثق أنّهم سـمعوا عن النبيّ محمّد، وسيسـألوننا عنه. لذلك، علينا أن نوحّد كلمتنا، وأن نخيفهم وننفّرهم منه». كانت خطّة خبيثة جدًّا.

قال أصدقاؤه: «حسناً، أخبرنا ماذا نقول لهم؟» أراد الوليد أن يستشيرهم أوّلاً، فسأل: «ماذا تقترحون؟» أجاب أحدهم: «لنقل إنّه سـاحر». فقال الوليد: «كلاّ، فهو يقول أشـياء جميلة، ولن يصدّقنا أحد. فالسحرة يكذبون حيناً ويصدُقون حيناً». عندئذ، قال آخر: «إذاً، لنقل إنّه مجنون!» أجـاب الوليـد: «كلاّ! فحديثه ذكي جدًّا ولا يبـدو أنّه مختلّ عقلياً». فقال أصحابـه: «لنقل إذاً إنّه شاعر». لكنّ الوليد اعترض قائلاً: «نحن نعرف كلّ أنواع الشِعر، وما يقوله لا يبدو شعراً». أخيراً قالوا له: «أخبرنا أنت إذاً بماذا نجيب». فقال الوليد: «كلامه جميل جدًّا، لم أسمع أجمل منه».

دُهش أصدقاؤه ممّا يقول. فهو من أعداء النبيّ، كيف يمدح كلامه بهذا الشكل؟! فانتفضوا قائلين: «الوليد آمن بمحمّد هو أيضاً».

فـي الواقع، لم يكن الوليد مؤمناً، لكنّه لم يسـتطع إيجاد جـواب يصدَّق. فقال: «ما من حلّ آخر! لنقل إنّه سـاحر. هكذا، سـيتجنّبه النـاس». مع أنّ الوليد وأصدقاءه يعرفـون أنّ محمّداً نبيّ

مرسل، إلاّ أنّهم رفضوا الإيمان به. كان غرورهم مثيراً للشفقة.

مـرّ يوم آخر من دون أن يجدوا طريقة لإيقاف رسـول الله ﷺ. هكـذا افترق أصدقاء الوليد لحياكة مزيد من المؤامرات.

اليوم 75

الرجل الذي أغلق أذنيه

لـم يكـن الطفيل من مكّة، لكنّه غالباً ما كان يزورها للتجـارة. هذه المرّة أيضاً، أتى إلى مكّة فـي زيـارة عمل. لكن قبل وصولـه، قابله عدد من الكفّار، وقالوا له: "يـا طفيل، هذا الرجل قوله كالسـحر، يفرّق بين الناس، وإنّنا نخشـى عليك وعلى قومك، فلا تكلّمه ولا تسـمع منه شـيئاً". شعر الطفيل بالإرباك إزاء هذا الكلام، وتساءل ما إذا كان محمّد ساحراً بالفعل.

كلّما أتى الطفيل إلى مكّة، حرص على زيارة الكعبة المشرّفة. هكذا، ما إن دخل مكّة، حتّى توجّه إلى الكعبة. لكنّه خشي أن يتحدّث معه محمّد ويمارس سحره عليه، فوضع قطناً في أذنيه. هكذا، لن يسـمعه ولن يتأثّر بسـحره. كان النبيّ ﷺ جالسـاً في مكانه المعتاد يقرأ القرآن بصوته الجميل. فسـمع الطفيل، على الرغم منه، الآيات التي كان رسـول الله يتلوها. في تلك اللحظة، شعر بالدفء يغمر قلبه. ما سمعه أسعده كثيراً.

فكّر جيّداً وقال في نفسـه: "والله إني لرجل لبيبٌ شـاعرٌ، ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسـمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسـناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته".



هكذا، جلس الطفيل في إحدى الزوايا، وراح يراقب ما يفعله رسـول الله ﷺ. بعدما أنهى النبـيّ صلاته عند الكعبة، توجّه إلى منزلـه. فتبعـه الطفيل بصمت. وعندما أوشـك علـى الدخول، وقف الطفيل أمامه وقال: "يا محمد، إنّ قومك قد قالوا لي كذا وكـذا... فوالله ما برحـوا يخوّفونني أمرك حتى سـددت أذنيّ لئلاّ أسمع قولك، ثمّ أبى الله إلاّ أن يُسمعني قولك، فسمعته قولاً حسناً، فاعرض علي أمرك".

دعـا رسـول الله الطفيـل إلى منزله. وشـرح لـه أنّه نبيّ

مرسل من الله، ثمّ دعاه إلى الإسلام. أُعجب الطفيل كثيراً بما قاله النبيّ! فآمن من أعماق قلبه أنّ محمّداً نبيّ مرسل وليس ساحراً. هناك، نطق بالشهادة واعتنق الإسلام.

اليوم
76

حمزة المحارب الباسل



كان لنبيّنا عمّ شجاع يدعى حمزة. لم يكن حمزة يتغاضى عن الظلم. في أحد الأيام، عاد من رحلة صيد. وكان يحمل بيده قوسه وسهامه وينزل من تلّ الصفا.

لم يكن مسلماً في ذلك الحين، لكنّه أحبّ الكعبة المشرّفة. وكلّما أتى إلى مكّة، قام بزيارة الكعبة، ثمّ عاد إلى منزله.

أتى للغرض نفسه هذه المرّة أيضاً. حالما وصل إلى مكّة، استوقفته جارية في الشارع. كانت المرأة غاضبة جدًّا. عندما رأت حمزة، قالت: "يا أبا عمارة! لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمّد آنفاً من أبي جهل؟" صاح حمزة غاضباً: "أخبريني ماذا فعل له؟" أجابت: "وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبّه، وبلغ منه ما يكره، ثمّ انصرف عنه محمّد لم يكلّمه". سألها حمزة: "هل رأيت ذلك بأمّ عينك؟" أجابت: "أجل، كيف أقصّه عليك لو لم أشاهده بعينيّ؟".

ثار غضب حمزة، وانطلق فوراً إلى أبي جهل، قبل أن يذهب إلى منزله. عندما وصل إليه، رفع قوسه وهوى به على رأس أبي جهل في ضربة مؤلمة، أسالت الدماء من رأسه. ثمّ تحدّاه قائلاً: "أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فَرُدَّ عليّ ذلك إن استطعت". ارتبك أبو جهل، وتألّم بشدة من أثر الضربة. فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة ليضربوه وينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: "دعوا أبا عمارة! إنّي والله قد سببت ابن أخيه سبًّا قبيحاً".

من الآن فصاعداً أصبح لدى المسلمين محارب آخر باسل، وشجاع، وقوي. كالعادة، لم يترك الله عزّ وجلّ نبيّه العظيم وحيداً.



اليوم 77

جمال آيات القرآن



اجتمع الكفّار مجدّداً بسبب خوفهم من حمزة وأبي طالب. كان بينهم رجل يدعى عتبة، خطرت له فكرة فقال: "يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمّد فأكلّمه وأعرض عليه أموراً لعلّه يقبل بعضها، فنعطيه أيّها شاء، ويكفّ عنّا؟" فقبل الحاضرون هذه الفكرة.

نهض عتبة وذهب إلى نبيّنا الحبيب. على الرغم من كلّ ما فعلته قريش، استقبله رسول الله بترحاب. بدأ عتبة يتحدّث على الفور. قال: "يا ابن أخي! إنّك منّا... وإنّك أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به ممّا مضى من آبائهم. فاسمع منّي أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلّك تقبل منها بعضها". فقال له رسول الله ﷺ بصبر: "قل يا أبا الوليد". قال: "يا ابن أخي! إن كنت إنّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتّى تكون أكثرنا مالاً. وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا، حتّى لا نقطع أمراً دونك. وإن كنت تريد به ملكاً، ملّكناك علينا. وإن كان هذا الذي يأتيك رئيّا تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك الطبّ، وبذلنا فيه أموالاً حتّى نبرئك منه". ابتسم رسول الله وقال: "أفرغت يا أبا الوليد؟ فاسمع منّي". ثمّ بدأ رسول الله ﷺ يتلو عليه آيات من القرآن. عندما انتهى من التلاوة، شعر عتبة وكأنّه كان في عالم آخر. أحسّ بالدفء يغمره كما لو كان يحلم.



عندما انتهى رسول الله من القراءة شرح لعتبة أنّه ليس مجنوناً ولا مسحوراً. كما أنّه لا يريد أن يصبح ملكاً عليهم. لقد أرسله الله نبيًّا ليعلّم الناس القرآن ويحذّرهم من عذاب جهنّم ويبشّر المؤمنين به بالجنّة. قال له: "قد سمعت منّي يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك". أُعجب عتبة لجمال تلك الآيات، وجلس صامتاً لبعض الوقت قبل أن يرحل. كان أصدقاؤه ينتظرونه بفارغ الصبر. وعندما وصل، أتوا إليه وسألوه: "ما وراءك يا أبا الوليد؟".

راح عتبة يخبرهم والدهشة بادية عليه. "إنّي سمعت قولاً والله ما سمعت قبله قط، والله ما هو بالشِعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه!".

ذُهل الناس من حوله. ما الذي يتحدّث عنه عتبة؟ هل أسلم هو الآخر؟ كيف غيّر رأيه فجأة؟ عندئذ أضاف عتبة: "والله لا يكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم. فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فمِلكُه مِلككم، وعزّه عزّكم، وكنتم أسعد الناس به". كلام عتبة لم يعجب الموجودين، بل قالوا: "سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه!" ثمّ انصرفوا. عندما رأى عتبة ردّ فعل أصدقائه، قال لهم: "هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم"، ثمّ انصرف هو الآخر.

فهم عتبة من الآيات التي سمعها أنّ محمّداً نبيّ مُرسَل. لكن لسوء الحظّ، لم يستطع إقناع رفاقه بذلك.

اليوم 78

حوِّل جبل الصفا إلى ذهب!

استمرّ عدد المؤمنين برسول الله ﷺ يتزايد مع مرور الوقت. بالمقابل، واصل الكفّار مضايقاتهم للرسول. في أحد الأيّام، أتوا إليه وقالوا: "يا محمّد! ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك!" لم يصدّق الكفّار أنّ هذا شيء ممكن. بالنسبة إليهم، يستحيل حدوث ذلك!



غير أنّ هذا الأمر سهل على الله عزّ وجلّ. عندما طلب المشركون ذلك، أرادوا إحراج رسول الله. فهِم النبيّ مبتغاهم وسألهم: "وتفعلون؟" أجابوا: "نعم". فرفع النبيّ ﷺ يديه ودعا الله ليحقّق طلبهم.

لم يترك الله سبحانه وتعالى نبيّه الحبيب من دون جواب، بل أرسل إليه الملك جبريل. أتى جبريل عليه السلام، وحيّا النبيّ قائلاً: "إنّ ربّك عزّ وجلّ يقرأ عليك السلام ويقول إن شئت أجعل لهم الصفا ذهباً، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة".

فكّـر رسـول الله ﷺ لبعض الوقت وأدرك أنّهم لن يتراجعـوا عن عنادهم مهما حدث. غير أنّه لم يرغب في أن تحلّ بهم أيّ كارثة، بل أمِل أن يتخلّوا عن أصنامهم في يوم من الأيّام. عندئذ اتّخذ قراره وقال: «بل باب التوبة والرحمة».

كان رسول الله ﷺ يتمنّى الخير للأشخاص الذين حاكوا المؤامرات الخبيثة ضدّه. أراد أن يراهم في الجنّة مع المؤمنين. فذاك هو نبيّ الرحمة.

اليوم
79

خبر من جبريل عليه السلام

بينمـا كان رسـول الله ﷺ يعيش في أجمل المدن، مكّة المكرّمـة، اجتمعت قريش مجدّداً. حتّـى ذلك اليوم، بذل الكافرون ما في وسـعهم لمنعه من نشـر رسـالته. وعـدوه بالكثير، الثروة، والشهرة، والشرف... لكنّهم لم ينجحوا في ردعه.

عـادوا مجـدّداً إلى رسـول الله وقدّموا له هذه المـرّة عرضاً مختلفاً: "أتينـا إليك بعرض لن ترفضه!" سألهم النبيّ: "ما هو؟" أجابوا: "تعبد آلهتنا عاماً ونعبد إلهك عاماً".

يا له من عرض مخز! فقد ضحّى رسول الله ﷺ بكلّ ما يملك في سبيل نشر رسالة الإسلام. بعثـه اللـه ليعلّم الناس أنّ الأصنام هي حجارة صمّاء، وأنّ اللـه هو وحده الجدير بالعبادة. كانت الأصنام هي أكثر ما يكره في هذه الدنيا.



أزعجـه هذا العرض كثيراً. فـي تلك اللحظة، نزل عليه جبريل عليه السلام بسـورة جديدة. لم يترك الله عزّ وجلّ رسوله يواجه الكفّار وحيداً، بل أنزل عليه سورة للردّ عليهم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُـدُ مَـا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَـا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُّمْ * وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

عندما قرأ رسول الله هذه السورة، شعر الكفّار بالحيـرة. هكـذا غـادروا المكان تحت أثـر الصدمة. ومع أنّهم سـمعوا آيـات القـرآن، إلاّ أنّهم لم يرجعوا عن عنادهم. وفي الوقت الذي رحلوا فيه خائبين، انضمّ رجال ونساء جدد إلى دين الله.

اليوم
80

دائماً قل إن شاء اللّه

استخدمت قريش طرقاً لا تصدَّق لاستفزاز رسول الله ﷺ وإذلاله. هذه المرّة، أمطروه بأسئلة غريبة. كان كلّ منها أصعب ممّا سبقه. قالوا له: «إن أجبت عن أسئلتنا، سنؤمن بك. أمّا إن لم تفعل، فسنفعل بك ما يحلو لنا».

بعدما طرحوا عليه أسئلتهم، توقّع النبيّ أن يُنزل الله عليه آيات تساعده على الإجابة. فقال لهم: «سأجيب عن أسئلتكم غداً». لقد كان أعظم نبيّ على وجه الأرض، لكنّه في الوقت نفسه ليس سوى بشر. وبالطبع، قد ينسى وقد يخطئ أحياناً. عندما وعدهم بالإجابة عن أسئلتهم في الصباح التالي، نسي أن يضيف «إن شاء الله». فانتظر طويلاً... لكن لم يصله أيّ وحي من الله ليجيبهم عن أسئلتهم. عندئذ، بدأ المشركون يردّدون في ما بينهم: «لقد مرّ وقت طويل، لكنّ محمّداً لم يستطع الإجابة». شعر رسول الله بقلق كبير. أخيراً، أرسل إليه الله الذي يحبّه كثيراً الملك جبريل عليه السلام. بواسطته، أجاب عن الأسئلة الثلاثة واحداً تلو الآخر. وفي النهاية، قال الله لنبيّه: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ**...﴾.



لقد مرّ رسول الله ﷺ بهذه المحنة لأنّه نسي في ذلك اليوم أن يقول إن شاء الله. لكن في النهاية، أمدّه الله تعالى بالعون! أجاب رسول الله ﷺ عن أسئلة المشركين. فأدركوا مجدّداً أنّهم أخطأوا في تحدّيه.

اليوم
81

مكيدة عمر

مجدّداً، تآمر أعداء الإسلام على رسول الله. اجتمعوا، ولمع الشرّ في عيونهم. كانت قلوبهم قاسية كالصخر، وانتابهم قلق كبير. فلو استمرّت الأمور على هذا المنوال، سيُسلم كثير

من الناس. إنّهم سادات قريش ووجهاء مكّة، وقد أزعجهم كثيراً أن يقف شخص ما في وجههم ويتحدّاهـم. كان محمّـد يخبر الناس أنّ عبادة الأصنام أمر خاطـئ، وأنّ عليهم عبادة الله وحده. أيّ جهـل هـذا؟ لم يعد المشـركون يطيقون رؤية نبيّنـا الحبيب ﷺ. لذلك، قـرّروا قتله. قال أبو جهل: «من قتل محمداً فله عليّ مئة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية من فضّة».

شـعر الجميـع بالخوف، إذ لم يكن من السـهل قتل رسـول الله، والكلّ يعـرف ذلك. كلّما حاولوا قتله، حال دونهم شـيء ما. لتنفيذ هذه المهمّة، كانوا بحاجة إلى رجل شـجاع، وبطولي، ومِقدام.



كان بينهـم رجـل قـوي البنيـة، وشـرس المظهر، يخشـاه الجميع. كان هـذا الرجل شـخصية بارزة، يعامـل الجميـع بعدل ومسـاواة. وعندمـا يصمّم علـى أمـر مـا، لا يمكن لأحـد أن يمنعـه. فجأة، تحوّلت كلّ الأنظار إليه.

كان هـذا الرجـل واثقـاً من نفسـه. فما من أحـد اسـتطاع أن يتغلّـب عليـه فـي المصارعـة. قالـوا جميعاً بصوت واحد: «عمر يسـتطيع ذلك!» وأضافـوا مشـجّعين: «نحـن نثـق بك يا عمـر. دعنا نرى ما يمكنك فعله». فاسـتلّ عمر سيفه، وأخذت عيناه تقدحان شرراً. كان قلبه مليئاً بالكره، وأراد إنهاء هذه المهمّة بأسرع ما يمكن.

اليوم
82

عمر وأخته

أحبّ الأرقم رسـول الله ﷺ وكان على اسـتعداد للتضحية بكلّ شـيء في سـبيل الإسلام. كان رجـلاً شـهماً وكريماً، فتح منزله للمسـلمين. فقد اعتاد المسـلمون علـى الاجتماع في داره والإصغاء إلى رسول الله، بحيث كانت الدار مثل المدرسة!

فـي ذلك اليوم، اجتمع رسـول الله بالصحابة في دار الأرقـم، وعرف عمر بذلك. بينما كان يسـير غاضباً، التقى بصديقه نُعيم. كان نعيم قد اعتنق الإسـلام، لكنّه لم يخبر أحداً بذلك. عندما

التقى بعمر، سـأله بقلق: «إلى أين يا عمـر؟» فأجابه غاضباً: «أنا ذاهب لأقتل محمّداً». فخاف نعيم وقال: «وهل يتركك بنو عبد المطّلب؟» تصاعد غضب عمر وسأله: «أراك اتّبعت محمداً؟».

قـال نعيـم: «لا ولكـن اعلـم يا عمـر، قبـل أن تذهـب إلى محمّـد، فابدأ بـآل بيتك أوّلاً». فقـال عمر: «مـن؟» أجابه نعيم: «أختـك فاطمة وزوجهـا اتّبعوا محمّداً». ثـار جنون عمر. أيعقل هـذا؟ قرّر أن يتأكّد بنفسـه مـن صحّة هذا الخبر. فانطلق مسـرعاً إلى منزل أخته فاطمة.

في تلك اللحظة، كانت فاطمة، وزوجها سعيد، يقرآن القرآن. عندما وصل عمر إلى باب منزلها، سـمعهما. لم يكن قد سـبق له أن سـمع شـيئاً كهذا من قبل. لـم يكن غناءً، ولا شِـعراً، بل شـيئاً مختلفاً وجميـلاً. وقف عمـر لبعض الوقت يصغـي إليهما. أخيراً، لـم يعد يطيق الانتظـار، بـل راح يطرق علـى الباب بقوّة. خافت شـقيقته، وخبّأت صفحات القـرآن ثمّ فتحت الباب. عندما رأت أخاها عمر واقفاً هناك، جمدت في مكانها، ولم تعرف ما تقول.

اليوم
83

إسلام عمر

خرج عمر غاضباً لقتل رسـول الله ﷺ. وفي الطريق، عرف أنّ أخته اعتنقت الإسـلام. فثار غضبه، وغيّر اتجاهه، وذهب إلى منزل أخته. في هذا الوقت، كانت فاطمة وزوجها يقرآن بعض الآيات. فسمع عمر تلك الكلمات الرائعة لكنّه لم يستطع أن يفهم ماهيّتها. عندما فتحت شقيقته البـاب، نظر حوله وسـألها: «ماذا كنتما تقرآن للتوّ؟» أجابت: «كنّـا نتحدّث». صاح عمر غاضباً: «لا أصـدّق! ما سـمعته إذاً صحيـح. لقد آمنتمـا بمحمّد!»

قبـل أن ينهي جملتـه، لكمها على وجهها، فسـقطت على الأرض. غير أنّها نهضت وأجابت أخاها: «افعل ما شئت! أنا وزوجي اعتنقنا الإسلام وآمنّا بالله ورسوله!» ثمّ نطقت بالشـهادة. فارتبك عمر وأحسّ بمشـاعر متضاربة. ما سمعه



منها شبيه بما كانت تقرؤه. قال لها: «ناوليني هذه الصحيفة».

أجابته فاطمة: «اذهب فتوضّأ ثمّ اقرأها» فجأة، تبدّل وجه عمر الغاضب، وأصبح أكثر ليونة. كان من عادته في ظروف كهذه أن يصيح ويصرخ. أمّا الآن، فذهب وتوضّأ، ثمّ عاد إليهما. أعطته فاطمة آيات القرآن. كان عمر يجيد القراءة، فقرأ الآيات التي نزلت مؤخّراً. شعر بالدهشة، وتأثّر بها كثيراً. كما أحسّ ببهجة تسري في جسده. ما الذي جرى لعمر الذي كان ينوي منذ قليل قتل رسول الله؟ هكذا أعاد سيفه فوراً إلى غِمده.

لم يعد على وجه عمر أيّ أثر للغضب. فقد زالت كلّ انفعالاته السابقة. تذكّر ما كان يريد فعله، وشعر بالعار. كيف له أن يؤذي شخصاً يتلو هذا الكلام الجميل على الناس؟ سالت الدموع من عينيه، لكنّه حاول الابتسام. كان وجهه يشعّ بالسعادة وهو يقول: «ما هذا بكلام بشر».

ثم قال عمر: «دُلّاني على رسول الله». فأجابا معاً: «إنّه في دار الأرقم». أراد عمر رؤيته فوراً.

اليوم 84

عمر ورسول الله ﷺ

كان عمر في غاية السعادة، وقد امتلأ قلبه حبًّا لرسول الله ﷺ. أراد أن يرى وجهه الذي يشعّ نوراً بعد أن زالت من قلبه مشاعر الكراهية والحقد تجاهه. وقف خارج دار الأرقم عدد من المسلمين للمراقبة وحماية نبيّنا الحبيب. عندما رأوا عمر وهو يتقدّم بخطى سريعة وسيفه معلّق على وسطه، خافوا منه. فدخل أحد الحرّاس وأبلغ المسلمين أنّ عمر آتٍ. فجأة، ساد التوتّر في الدار. لكنّ نبيّنا كان هادئاً ومرتاحاً. هدّأ من روع المحيطين به وقال لحمزة: "اتركه يا حمزة". فدخل عمر مسلّحاً بالقوس والنشّاب، ممّا أضفى عليه مظهراً مهيباً. وكان سلاحه الآخر معلّقاً على خصره وهو يقف وجهاً لوجه أمام رسول الله ﷺ. علت وجهه ابتسامة عكست المحبّة التي في قلبه، وشعّت عيناه بالسعادة. وقف أمام رسول الله، وخيّم الصمت والسكون على الجميع. انتظر الحاضرون لرؤية ما الذي سيحدث. عندئذ، سأل النبيّ محمّد ﷺ، رسول المحبّة: "أما آن الأوان يا بن الخطّاب؟!".



أجـاب عمـر: "إنّي أشـهد أن لا إلـه إلاّ الله وأنّك رسـول اللـه". فـرح الموجودون وكبّـروا وعانقـوا بعضهم البعض، لكنّ رسـول الله كان أكثرهم سروراً. فقد رغب كثيراً في أن يُسـلم رجل شـجاع، ومسـتقيم، وصادق، وكريم، مثل عمر. دعـا اللـه كثيراً ليعزّ الإسـلام به، وهـا قد اسـتجاب الله دعاءه أخيراً. هكذا، انضمّ عمر، أكثر رجال قريش شجاعة، وقوّة، وهيبة، إلى المسـلمين بعد أن سـبقه أبو بكر، وعلـي، وعثمان. كان عمر قـد انطلق لقتل النبيّ محمّـد، لكنّه عاد رجلاً مختلفاً تماماً. في ذلك اليوم، عمّت السـعادة دار الأرقم وتردّدت أصداء التكبير في مكّة بأكملها.

اليوم 85

عمر يعلن إسلامه لقريش!

فرح عمر بن الخطاب بإسـلامه كثيراً، وكان قويًّا شـجاعاً لا يخاف، فقرّر إعلام المشـركين بإسـلامه، فسأل: أي رجل من قريش أَنْقَل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي، فذهب إليـه وقـال: أعلمـتَ يا جميـلُ أني قد أسـلمتُ ودخلت في ديـن محمد؟ فقفز جميـل من مكانه وذهـب إلـى مكان تجمـع قريش في أنديتهم، فوقـف على الباب وصرخ بأعلى صوته: يا معشـر قريـش، ألا إن عمـر بن الخطاب قـد صَبا! وعمر واقف خلفه يقول: كذب! ولكني قد أسـلمت، وشهدتُ أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله. فهجم عليه كفار قريش، فبقي عمر يقاتلهم لسـاعات حتى تعب وجلس على الأرض واجتمعوا عليـه، وهو يقول: افعلوا ما بـدا لكـم! فجـاء العاص بـن وائل السـهمي فخلّصه من أيديهم وقال لهم: رجل اختار لنفسه أمراً، فماذا تريدون؟! فتركوه.



اليوم
86

هجرة المسلمين

بعد إسلام عمر وحمزة، ضيّق المشركون الخناق على المؤمنين. كانوا يقبضون عليهم سرًّا ويعذّبونهم. وهذا الأمر أزعج المسلمين، وأتعبهم كثيراً. فذهبوا إلى رسول الله ﷺ يشتكون له. كان هو أيضاً يشعر بالانزعاج، لكنّه ينتظر بصبر. فأمر الصحابة بالهجرة إلى الحبشة. أمّا هو، فلم يكن يستطيع الرحيل قبل أن يأمره الله عزّ وجلّ بذلك. هكذا، قرّر مواجهة كلّ الضغوط، وعدم مغادرة مكّة والابتعاد عن الكعبة. أمّا المؤمنين، فلم يكن لديهم حلّ آخر.

جهّز المسلمون أنفسهم سرًّا لرحلتهم، وانطلقوا في قافلة من مئة شخص. عزّ عليهم الابتعاد عن مكّة المكرّمة التي ولدوا وعاشوا فيها. لكنّهم اضطرّوا لذلك من أجل ممارسة شعائرهم الدينية بسلام واطمئنان. بعد ذلك بوقت قصير، علم المشركون بهجرتهم إلى الحبشة. فتسلّحوا على الفور وانطلقوا خلفهم. لم ترغب قريش في أن يعرف سكّان دول أخرى بظهور آخر الأنبياء. فقد خشيت، إن عرف الناس بذلك، أن يدخلوا في هذا الدين الجديد أفواجاً. لهذا السبب، قرّر المشركون أن يبذلوا ما في وسعهم لإيقاف ذلك.



سرعان ما وصل المشركون إلى الحبشة سعياً إلى إيقاف المسلمين. دخل اثنان منهم على النجاشي، ملك الحبشة. كان النجاشي نصرانياً، لكنّه كان حاكماً عادلاً، ينصر الحقّ والمظلومين. بعدما قدّم وفد قريش الهدايا إلى الملك، قالا له: "أيّها الملك! إنّه قد أوى إلى مملكتك طائفة من أشرار غِلماننا، قد جاؤوا بدين لا نعرفه نحن ولا أنتم، ففارقوا ديننا ولم يدخلوا في دينكم. وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم، وأعمامهم، وعشائرهم لتردّهم إليهم، وهم أعلم الناس بما أحدثوه من فتنة".

شعر الملك بالفضول وأراد سماع المزيد. ما هذا الدين الجديد الذي يتحدّثون عنه؟ لكنّ المشركَين تابعا قائلَين: "سلّمنا إيّاهم ونحن نتولّى أمرهم".

وجـد رجـال الملك هذه الحجّة قوية. فوافقوا قائلين: "صدقا أيّها الملك! فإنّ قومهم أبصرُ بهم واعلمُ بما صنعوا، فرُدّهم إليهم ليروا رأيهم فيهم". لكنّ الملك كان عادلاً. لذلك، فضّل أن يفكّر بالمسألة جيّداً، وألاّ يتسرّع في اتّخاذ قراره.

اليوم
87

الملك الطيّب

لم يطمئنّ الملك للرجال الذين أتوا يطلبون المسلمين الذين لجأوا إلى حماية الملك. فقد فهم على الفور أنّ قلوب المشركين مليئة بالحقد. وبما أنّه اعتاد على نصرة الحقّ والسلام، قال: «لا والله لا أسـلّمهم لأحد حتّى أدعوهم، وأسـألهم عمّا نُسـب إليهم. فإن كانوا كما يقول هذان الرجلان، أسلمتهم لهما. وإن كانوا على غير ذلك، حمَيتهم وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني».

عندئذ، طلب الملك من رجاله إحضار المسلمين. عندما أتوا، كان مع الملك رهبان أيضاً. فسـأل الملك المسلمين: «ما هذا الدين الذي استحدثتموه لأنفسكم وفارقتم بسببه دين قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أيّ من هذه الملل؟» كان المسلمون قد اختاروا جعفر بن أبي طالب ليتحدّث باسمهم، لأنّه كان متكلّماً بليغاً. فأجاب الملكَ على الفور: «يا صاحب الجلالة، سلهما أعبيد نحن أم أحرار؟ فإن كنّا عبيداً أبقنا من أربابنا فارددنا إليهم».

التفت النجاشي إلى سفيرَي قريش وسألهما: «هل هم عبيد عندكم؟» أجابوا: «بل أحرار». قال جعفر: «سلهما هل أهرقنا دماء بغير حقّ فيقتصّ منّا؟».



التفت النجاشـي إلى السـفيرين وسـألهما: «هل قام أولئك الناس بقتل أحد ظلماً؟» أجابا: «كلاّ، لم يريقوا قطرة دماء واحدة!».

فقـال جعفر مجدّداً: «سـلهما هـل أخذنا أموال النـاس بغير حقّ فعلينا قضاؤه؟».

حـدّق الملك إلـى جعفر. فقد أعجب كثيـراً بطريقة حديثه، وبشـجاعته، وحكمته. عندئذ، التفت إلى المشركَين وسألهما: «هل لكما عليهم دَين؟» دُهش سفير قريش، وأجاب على الفور: «كلاّ، لا يدينـون لنـا بأيّ مال!» فسـأله الملـك: «ماذا تريـدون منهم إذاً؟» أجـاب بصوت مليء بالحقد: «لقد تركوا آلهتنا وآمنوا بمحمّد!».

فجـأة، خيّـم الصمت علـى القاعة. نظر إليهم كلّ مـن في القصر بفضـول ودار في أذهانهم سؤال واحد: من هو محمّد؟ هل أتى بدين جديد؟ ما هو هذا الدين؟

اليوم
88

قرار عادل

كان النجاشـي وسـط الحشـد، يتحدّث مع جعفر الواقف أمامه بشـجاعة. أخبره جعفر عن ديـن جديـد ونبيّ جديـد. ورأى الملك بوضـوح أنّ جعفر رجـل طيّب وصادق. فسـأله: «ما هو هـذا الديـن الجديد الذي آمنتم به؟» أجاب جعفـر: «أيّها الملك، كنّا قومـاً نعبد الأصنام، ونأكل الميتـة، ونأتـي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسـيء الجِوار، ويـأكل القويّ منّـا الضعيف. وبقينا على ذلك حتّى بعث الله إلينا رسـولاً منّا، نعرف نسـبه وصدقه وأمانته وعفافته. فدعانا إلى الله، لنوحّده، ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان». سـأله الملك: «أخبرنـا مـاذا علّمكم؟» فتابع جعفـر بعد هذا التشـجيع: «أمرنا بصدق الحديـث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحُسـن الجوار، والكفّ عن المحارم، وحقن الدماء. ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات. وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشـرك به شـيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. فصدّقناه، وآمنّا به، واتّبعناه على ما جاء به من عند الله، فحلّلنا ما أحلّ لنا، وحرّمنا ما حرّم علينا».

ازداد اهتمـام الملـك، فقال: «ومـاذا أيضاً؟» أجاب جعفر: «فما كان مـن قومنا أيّها الملك، إلاّ أن عَدوا علينا، فعذّبونا أشدّ العذاب ليفتنونا عن ديننا ويردّونا إلى عبادة الأوثان. فلمّا ظلمونا وقهرونـا، وضيّقـوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سـواك. ورغبنا في جوارك، ورجونا ألاّ نُظلم عندك».

أعجب الملك بكلام جعفر. فسأله: «هل معك شيء ممّا جاء به نبيّكم عن الله؟» قال جعفر: «نعم»، وقرأ عليه بعض الآيات من سـورة مريم تتحدث عن سـيدنا عيسـى وأمه عليهما السلام. بينما كان يقـرأ، أخذت الدموع تسـيل من عينيّ الملـك، حتّى ابتلّت لحيته. كانت تلـك الدموع دليلاً على إيمان الملك بنبيّنا الحبيب.

أبـدى الرهبـان الاهتمام هم أيضـاً. فقد قرأوا عن صفات رسـول الله في كتبهم المقدّسـة، وكانت تلك الصفات مطابقة لصفات نبيّنا تماماً. فسالت دموع الفرح على وجوههم. هذا هو إذاً

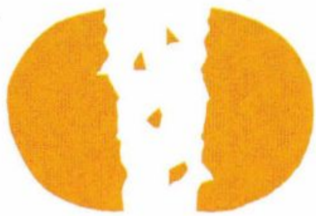
النبيّ المنتظر، وقد ظهر في مكّة. عندئذ، نظر الملك إلى المشركين وقال: «انطلقا، فلا والله لا أسلّمهم إليكما أبداً».

لم يصدّق سفيرا قريش ما يجري. فقد أعاد إليهما الملك الهدايا ثمّ التفت إلى المسلمين وقال: «إنّ هذا والذي جاء به عيسى لَيَخرُج من مِشكاة واحدة».

هكذا، استقرّ المسلمون بأمان في الحبشة، وراح الإسلام ينتشر في كلّ مكان. لقد بدأ الناس يسمعون أنّ آخر الأنبياء، واسمه محمّد، قد أتى، وأنّه يعيش في مكّة.

اليوم 89

القمر ينشقّ إلى نصفين



أحاط المشركون مجدّداً برسول الله ﷺ، وصمّموا على إحراجه. كانت خطّتهم الجديدة تقضي بطلب أمر مستحيل. وعندما يعجز عن فعله، يسخرون منه.

هكذا قالوا له: "إن كنت صادقاً، فشُقّ لنا القمر نصفين، نصف على هذا الجبل ونصف على ذاك". سألهم النبيّ: "إن فعلت، تؤمنوا؟" أجابوا: "نعم".

كان الله سبحانه وتعالى قد أعطى النبيّ القدرة على صنع المعجزات، شأنه شأن الأنبياء الآخرين. فلو أراد، يمكنه أن يدعو الله، فتتحقّق بإذن الله كثير من الأمور العجيبة. غير أنّ النبيّ ﷺ أراد للناس أن يفكّروا ويجدوا طريق الصواب بعقولهم.

وقف النبي ودعا الله أوّلاً لكي يهدي أولئك الناس، ثمّ سأله أن يعطيه ما طلبوا. بعد ذلك، أشار بإصبعه إلى القمر. فبدا البدر الفضّي وكأنّه يهبط نحوهم. بإصبعه الأيمن رسم خطًّا من أعلى القمر نحو الأرض.

في تلك اللحظة، لم يصدّق أحد ما يجري. فقد انشقّ القمر إلى نصفين، واستقرّ نصف منه على جبل، ونصف على الجبل الآخر. لقد استجاب الله لنبيّه وشقّ القمر. في أثناء ذلك، كان رسول الله ﷺ يردّد: «اشهدوا، اشهدوا».



ذُهل الكفّار، ولم يصدّقوا ما يجري. كانوا قد وعدوا رسول الله أن يؤمنوا به إن نفّذ لهم طلبهم. فماذا يفعلون الآن؟ أخذوا ينظرون إلى بعضهم البعض، في حين كان تحرّكت شفتا النبيّ الذي راح يشكر الله على تأييده بهذه المعجزة. وبينما أخذ القمر يستعيد وضعيّته السابقة، سيطر الخوف والذهول على المشركين، وقالوا: «سَحَرَنا محمّد!» حدثت هذه المعجزة تحت سماء الليل الفضّية المضيئة بالنجوم. لكنّ الكفّار ظلّوا يتساءلون ما إذا كانوا قد رأوا حلماً، أم أنّ محمّداً هو فعلاً نبيّ مرسل.

اليوم
90

هل رأيتم القمر أنتم أيضاً؟

انشقّ القمر إلى نصفين بإشارة من رسول الله. في الصباح التالي، انتشر الخبر في مكّة، وتمحور الحديث حول هذه المعجزة. وبينما تحدّث المسلمون عن جمالها، قال المشركون إنّ ما رأوه في الليلة السابقة لا يمكن أن يكون حقيقة، ولا بدّ أنّه سحر. قالوا لبعضهم البعض: "فلنقل إنّه سحرنا". لكنّهم كانوا يدركون جيّداً أنّ تأثير هذا السحر لا يمكن أن يمتدّ إلى أماكن بعيدة. فقرّروا انتظار عودة بعض المسافرين من مكان بعيد، وسؤالهم ما إذا كانوا قد شهدوا تلك المعجزة هم أيضاً. هكذا، أخذوا ينتظرون بفارغ الصبر.

ما إن وصل المسافرون، حتّى اندفعوا إليهم وسألوهم إن كانوا قد شاهدوا شيئاً غريباً في الليلة الماضية. فأكّدوا لهم أنّهم رأوا القمر ينشقّ إلى نصفين، ثمّ يلتئم مجدّداً. تحدّثوا عن تلك الواقعة بحماس عظيم وبتفصيل بالغ. ومع أنّ المشركين سمعوا ما قاله المسافرون، إلاّ أنّهم لم يحافظوا على وعدهم، بل قالوا إنّ سحر محمّد بلغ السماء. على الرغم من كلّ ذلك، استمرّ رسول الله بالدعاء للمشركين لكي يتخلّوا عن عنادهم. أراد لهم أن يدخلوا الجنّة هم أيضاً، وينعموا بملذّاتها. فالجنّة لا يدخلها سوى من أحبّ الله ورسوله، ولا يستحقّها سوى من آمن وعمل صالحاً في حياته. كان النبيّ يخشى عليهم من الندم والعذاب. لذلك، مهما قاوموا، ومهما بلغ عنادهم، ظلّ ينتظر بصبر لكي يروا الحقيقة يوماً ما. فالنبيّ الذي يدعو إلى المحبّة، والصبر، والخير، لا يعرف قلبه الحقد، أو الكراهية، أو الشرّ. أليس هو النبيّ الذي أرسله الله للبشرية جمعاء؟



اليوم
91

البؤس والمجاعة

حلّ العام السابع للبعثة. خلال السنوات السابقة، مارس المشركون على المسلمين جميع أنواع الظلم والاضطهاد، وعذّبوهم بشتّى الطرق. رجموهم، وضربوهم، وطردوهم. على الرغم من ذلك، لم يرتدّ أيّ مسلم عن دينه. وبرغم كلّ هذا الاضطهاد، لم تستطع قريش منع الإسلام من الانتشار بسرعة، الأمر الذي سبّب الخوف لأعداء هذا الدين.



قرّر المشركون هذه المرّة تجربة أسلوب مختلف. وظنّوا أنّهم سيتمكّنون من إبعاد النبيّ والمؤمنين عن دينهم. قضت خطّتهم بمقاطعة النبيّ وأقربائه. لن يبيعوهم أو يشتروا منهم شيئاً، بل سيحرمونهم من الطعام والشراب.

أبلغ المشركون كلّ أهالي مكّة بخطّتهم، ومنعوهم من تقديم المساعدة للنبيّ ﷺ وأقربائه من بني هاشم، سواء كانوا مسلمين أم لا. استغرب الجميع أن تشمل هذه المقاطعة أقرباء رسول الله المشركين. لكن بهذه الطريقة، أمل المشركون أن تتخلّى كلّ أسرة رسول الله عنه. وهكذا، سيفقد الدعم، ويبقى بمفرده من دون أيّ مساعدة.

بعد هذا القرار، توقّف المشركون عن التجارة مع المسلمين، والنبيّ ﷺ، وجميع أقربائه. رفضوا إعطاءهم الطعام والبضائع الأخرى، وأخذ شيء منهم. كما عمدوا إلى كتابة وثيقة وتعليقها على جدار الكعبة. هكذا، بدأت أشنع مقاطعة في التاريخ.

حتّى ذلك الحين، كان أقرباء الرسول يعيشون في مناطق مختلفة من مكّة. لكن بعد هذا الحظر، قرّروا العيش معاً لمساعدة بعضهم البعض. فانتقلوا إلى جوار منزل أبي طالب، وأصبح ذلك المكان يسمّى شِعْب أبي طالب.

منذ ذلك اليوم، بدأت أيّام الاضطهاد والمجاعة. لم يُسمح لأحد بمغادرة شِعْب أبي طالب. ومنع المشركون دخول الطعام إلى تلك المنطقة. سرعان ما بدأ الأطفال يعانون من الجوع، كما مرض المسنّون، وازداد الضعفاء وهناً. راح الجياع يجمعون أوراق الشجر من الطرقات ويأكلونها. ومع كلّ صباح ومساء، تتعالى صيحات الألم والمعاناة من شِعْب أبي طالب. كان المارّة يسمعون صراخ الأطفال الجياع وأنين المرضى والبائسين.



لقد عاش المسلمون أكبر ظلم على وجه الأرض. ولم يكن باستطاعة رسول الله ﷺ سوى أن يوصي أقرباءه وبقيّة المسلمين بالصبر، أملاً بفرج قريب.

اليوم 92

بكاء الأطفال الجياع

خلال المقاطعة، أخذ رسـول الله ﷺ أقرباءه تحت جناحه. بالطبع، كانت زوجته، السـيّدة خديجة، خير معين له. فأنفقا كلّ ثروتهما على مساعدة أقربائهما. وعندما نفدت، انتظرا بصبر.

مـن جهـة أخـرى، قدّم أبـو طالب دعمه لابـن أخيـه الحبيب. توقّـع المشـركون أن يتخلّى المؤمنون، تحت وطأة الحرمان، عن النبيّ واحداً تلو الآخر. عندئذ، سيُترك بمفرده، وسيتمكّنون من إيذائه على هواهم. لكنّ الوقت كان يمرّ من دون أن يتحقّق لهم شيء من ذلك.

رفـض بعض المشـركين ما يجـري، ولم يقبلـوا بالظلم الذي لحـق بالمؤمنيـن. كان بينهم حكيم، ابن أخ السيّدة خديجة. فقد أحبّ عمّته، وحزن على معاناتها وعلى ما يمرّ به أولادها من شقاء. فقرّر فعل شيء حيال ذلك، وكان قد أرسل لها سرًّا جملاً محمّلاً بالدقيق.

أراد حكيـم مجـدّداً أن يجلـب كيسـاً من الدقيـق لعمّته تحـت جُنح الظلام. لكـن في تلك اللحظة، التقى بأبي جهل في الشارع. فوجئ أبو جهل وصاح به غاضباً: «هل تأخذ الطعام لعائلة محمـد؟ إن فعلت ذلك، سـأفضحك بين أهل مكـة!». في أثناء ذلك، مرّ رجـل بهما. فراح يلوم أبـا جهل ويوبّخه قائـلاً: «ما خطبك؟ هل تمنع رجلاً من أخذ بعـض الدقيق إلى عمّته؟» تجاهل الرجـل وكأنّه لم يسـمعه، وأصرّ على اعتراض طريـق حكيم. تناهى إلـى الرجـال الثلاثة في تلك اللحظـة بكاء الأطفال من شِـعْب أبي طالـب. وبينمـا كان حكيم يحـاول أخذ كيس الدقيـق إلى هناك، تعارك الرجل مع أبي جهل ولكمه بقوّة على وجهه. فسـقط أبو جهل على الأرض. وسط هذه المعمعة، هرب حكيم، ونجح في إيصال الدقيق إلى عمّته.



فشـلت خطّـة أبي جهـل وأصدقائه، وسـيطر عليهـم الإربـاك والحيرة. مرّت ثلاث سـنوات تماماً على بدء المقاطعة. لكن على الرغم من

كلّ هذا الاضطهاد، لم يعمد أحد من المسلمين إلى عصيان رسول الله ﷺ. هذه المرّة أيضاً، فقد المشـركون الأمل، وفشلوا في وضع حدّ للمسلمين. في أثناء ذلك، لم يتخلَّ رسول الله أبداً عن رسـالته. بل عمل ليل نهار من دون كلل أو ملل. تحلّى بالشـجاعة، وازداد إيماناً بالله عزّ وجلّ. لم يفقد الأمل يوماً، بل واظب على نشـر الأمل والفرح بين المسـلمين. انتظر وصول الفرج من الله بلسان لله ذاكر وقلب على البلاء صابر.

اليوم 93

الدودة الصغيرة التي أنهت المقاطعة



بالطبع، لم يكن اللـه تعالى ليترك نبيّه ﷺ تحت رحمة الكفّار. سـيعلّم المشركين درسـاً، وسيرسل مخلوقاً صغيراً لمساعدة النبيّ.

هـذه المرّة، كان المخلوق الصغيـر هو عبارة عن دودة شـجر. اسـتقرّت الدودة على وثيقة المقاطعـة المعلّقة على جدار الكعبة، وراحت تأكلها شـيئاً فشـيئاً. أكلت الدودة كلّ بنـود الوثيقة، ما عدا عبارة «باسـمك اللهمّ». كان هذا الأمر غريبـاً. فباب الكعبة مقفل دائماً، ولا يُسـمح لأحد بالدخول. لكـنّ هذه الدودة الصغيرة التهمت كلّ بنود الوثيقة، وكأنّها تسـخر من المشـركين. لم يعلم أحد بذلك، لكنّ الله عزّ وجلّ أخبر نبيّه بواسـطة جبريل عليه السلام. وقام رسـول الله بإخبار عمّه. هكذا، انطلق أبو طالب إلى المشركين وقال لهم: «أخبرني ابن أخي أنّ الله قد سـلّط على صحيفتكم الأرضة (دودة) فمحت منها كلّ شـيء إلاّ اسـمه». نظر المشـركون إلى أبي طالب نظرة ساخرة، لاعتقادهم أنّ هذا الأمر مستحيل. لكنّ أبـا طالب تابع قائلاً: «لنعقـد اتّفاقاً. فلنذهب إلى هناك، وإن كان ابن أخـي صادقاً فانهوا قطيعتنا وحصارنا أو أسـلّمكم ابن أخي». كان أبو طالب واثقاً أنّ ابن أخيه يقول الحقيقة. فهو لم يسـمعه يكذب يوماً. لهذا السبب، قدّم إليهم هذا العرض.

استغرب المشركون، لكنّهم وافقوا لأنّهم أملوا أن يسلّم أبو طالب النبيّ لهم. فانطلقوا معاً إلى الكعبة. فتحوا الباب المقفل، ونظروا إلى الورقة التي علّقوها. كانت دهشتهم عظيمة وهم يرون أنّ كلّ بنود الوثيقة اختفت تماماً، ما عدا عبارة «باسمك اللهمّ». فشعروا بالإحباط لفشلهم مجدّداً.

بحسب اتفاقهم مع أبي طالب، كان عليهم رفع الحظر. فأعلنوا هذا القرار، وأبلغوا الجميع به. هكذا، عاد المسلمون إلى منازلهم بفرح كبير. ملأ الأطفال بطونهم مجدّداً، وعادت الابتسامة إلى وجوه الأمّهات والآباء. مرّة أخرى، ازداد المسلمون إيماناً بصدق نبيّهم.

أمّا الدودة الصغيرة، فقد أنهت مهمّتها واختفت.

اليوم
94

لن يطفئوا نور الله



مع حلول الربيع على مكّة، وانتهاء المقاطعة، تنفّس الجميع الصعداء. في تلك الأثناء، أخذ عدد الناس الذين يعتنقون الإسلام يزداد يوماً بعد يوم. وبدأ أهل الحبشة يتوافدون إلى مكّة أفواجاً بعدما سمعوا من المسلمين عن رسول الله ودين الإسلام.

كان رسول الله يقف أمام الكعبة المشرّفة ويعلّم الناس عن الإسلام. فيتلو عليهم آيات القرآن، ومن يسمعون هذه الآيات الكريمة للمرّة الأولى، يطرحون عليه الأسئلة، فيجيبهم ويُشبع فضولهم. أُعجب الناس بأخلاق النبيّ ﷺ، وبعلمه، ولطفه. وحدهم الأنبياء يتصرّفون بهذه الطريقة. بعد رؤيته، كانوا يعتنقون الإسلام ببساطة، وينضمّون إلى المسلمين، ويعانقونهم بدموع الفرح.

راح المشركون يتساءلون عمّا يجري. استغربوا كيف كان الناس يأتون من أماكن نائية، ويعتنقون الإسلام بعد الإصغاء للنبيّ ﷺ للحظات وجيزة. هذا الحدث بحدّ ذاته كان كافياً ليثير جنونهم. لم يعد أبو جهل قادراً على الاحتمال. فاستوقف أحدهم وقال: «لقد أتيتَ إلى هنا للإصغاء إلى ما يقول. لكن ما إن رأيته، حتّى غيّرت دينك! هذا غباء محض». كان ذاك الرجل يشعر أنّه وجد كنزاً ثميناً. وكان يستمتع بسعادة لقاء هذا النبيّ العظيم. فتجاهل كلام أبي جهل، وأشفق عليه وعلى رفاقه. قال له: «لن نقابلك بالإساءة نفسها». تماماً مثلما يستحيل إطفاء نور الشمس بالنفخ عليها، لا يمكن لسلوك أبي جهل ورفاقه وقف انتشار الإسلام. وهم لن يدركوا ذلك سوى بعد سنوات عديدة. أمّا الآن، فكان عنادهم يعميهم.

اليوم
95

المصارع ركانة وإرادة الله

كان ركانة مصارعاً قوياً ومشـهوراً جدًّا، لم يغلبه أحد يوماً. كان يرمي على الأرض رجلين أو ثلاثة معاً، وكان فخوراً بنفسـه، لا يخشـى أحداً. غير أنّ حاله هذا أحزن رسـول الله ﷺ. فكل بني البشر ضعفاء أمام الله عزّ وجلّ.

في أحد الأيّام، التقى ركانة بالنبيّ. فقال له النبيّ ﷺ بتعاطف: «يا ركانة، ألا تتّقي الله وتقبل ما أدعوك إليه؟» فأجاب ركانة بفخره المعتاد: «إنّي لو أعلم أنّ الذي تقول حقّ، لاتّبعتك». فقال له الرسـول: «أفرأيـت إن صارعتك، أتعلم أنّ ما أقول حقّ؟» كان ركانـة واثقاً من قوّته، فأجاب: «نعم». وراح يمرّن عضلاته. قال له النبيّ: «فقُم حتّى أصارعك».

بـدآ يتصارعـان، لكن ما لبث ركانة أن طُرح أرضاً. كيف حدث له ذلك؟ لم يتمكّن أحد من التغلّـب عليه حتّى ذلك اليوم. دُهش كثيراً، فوقف، وطلب أن يتصارعا مجدّداً. هذه المرّة أيضاً، غلبه النبيّ. ازداد عجبه، واختفى كلّ الفخر الذي أبداه قبل قليل. أراد أن يُصارع رسـول الله ﷺ مرّة أخرى، لكن لم يتغيّر شيء. إذ كان يجد نفسه دائماً مستلقياً على الأرض، ينظر إلى السماء.



تغلّـب رسـول اللـه علـى ركانة كمـا لـو كان ولداً صغيـراً. فوقف المصارع وقال: «يـا محمّد، والله إنّ هذا لعجب. أتصرعني؟». وبعد أن صرعه النبي ﷺ ثلاث مرات، قال: يـا محمد! ما وضع ظهري إلى الأرض أحـد قبلك، وما كان أحد أبغض إليَّ منك، وأنا أشـهد أنْ لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. ففرح النبي بإسلامه.

اليوم
96

رسول الله يفقد عمَّه الحبيب

في العام العاشـر للبعثة، كان أبو طالب شـيخاً مسنًّا ومريضاً. شعر رسول الله أنّ عمّه يعيش آخـر أيّامه. كان أبو طالب قد أخذ النبيّ تحت جناحه لسـنوات، وغمره بلطفه ومحبّته. واجه كلّ المصاعـب لحمايتـه ودعمـه، لكنّه الآن على فـراش المرض. بدأ وضع أبي طالب يزداد سـوءاً. فاستغلّ المشركون حالته، وأتوا إليه وقالوا: «يا أبا طالب، إنّك منّا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، وتخوّفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعُه فَخُذْ له منّا، وخُذ لنا منه؛ ليكفّ عنّا ونكفّ عنه، وليدَعـنا وديننا وندعه ودينه». لم يحترم المشركون مرض أبي طالب على الإطلاق.

بناء على هذا الطلب، أرسـل أبو طالب إلى ابن أخيه للمجيء، وقال له بصعوبة: «يا بن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك». كان رسول الله ﷺ قد فهم مبتغاهم. فأجاب بهدوء: «يا عمّ، أفلا تدعوهم إلى ما هو خير لهم؟» قال أبو طالب: «وإلامَ تدعوهم؟» قال: «أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة واحدة تدين لهم بها العرب، ويملكون بها العجم».

شعر أبو طالب بالفضول لمعرفة ماهية هذه الكلمة. كذلك انتظرت قريش بحماس. فتدخّل أبـو جهـل، وقال: «ما هي؟ وأبيك لنعطيكَها وعشـراً أمثالها». أجاب نبيّنـا الحبيب: «تقولون: لا إلـه إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه». أجـاب الكفّار: «أتريد يا محمّد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إنّ أمرك لعجب» نظروا إلى بعضهم باستغراب، ثمّ انصرفوا.



بينما راح المشـركون ينسجون مؤامرات جديدة بجهلهم وعنادهم، تفاقـم مرض أبـي طالب، إلى أن فارق الحياة مشـركاً، ولـم يدخل دين الإسلام.

حـزن النبـيّ ﷺ كثيـراً على وفاة عمّـه الذي احتلّ مكانـة كبيرة في حياتـه. بعد وفاته، تضاعف أذى المشـركين لرسـول الله. لكـنّ نبيّنا كان حاسـماً. فقد قـرر المضيّ فـي الطريق الذي اختـاره حتّى لـو واجه مئات الجيوش. فإمّا أن يتمّ رسالته، أو يموت فيها.

اليوم
97

وفاة السيّدة خديجة

اعتـاد رسـول الله ﷺ علـى تقبّل كلّ مـا يحدث معه بإيجابيـة، وحمد الله على كلّ شـيء. أخذت الأحداث المؤسـفة تتوالـى. فبعد وفاة عمّه أبي طالب، مرضت زوجته السـيّدة خديجة. أخذ وضعها يسوء تدريجيًّا، وحان الوقت لتغادر هذا العالم.

كانت السـيّدة خديجـة، أمّ المؤمنين الطيّبـة، والحنونة، والمحبّة، أقرب الناس إلى رسـول اللـه. لـم تؤذه يوماً أو تسـبّب لـه أيّ إزعاج، بـل أخلصت له بعمـق. كانت أوّل من آمـن بنبوّته. وضحّت بأملاكها، وأموالها، وحياتها من أجل نشـر الإسـلام. أنجبت لرسـول الله سـتّة أطفال، وأحسنت تربيتهم. كما وقفت دائماً بجانب النبيّ ﷺ، وعانت كثيراً في أثناء ذلك.

مـع أنّهـا كانـت تاجرة ثرية قبل البعثـة، إلاّ أنّها عانت مـن الفقر، والجوع، والألـم مع النبيّ في ما بعد. مع ذلك، لم تتذمّر يوماً. وعلى فراش المرض، لم تفكّر سـوى برسـول الله. كان من الصعـب عليهـا فراقـه، لكنّ الموت هو قدر جميع بني البشـر. دام زواجها سـتّة وعشـرين عاماً، وتعلّمت الكثير من النبيّ، وأخلصت له حتّى وفاتها.

فـي أحد الأيّام، أرسـل الله لها سـلاماً بواسـطة ملائكته. وأبلغها أنّ لها فـي الجنّة قصر من اللآلئ. فرحت السيّدة خديجة كثيراً بهذا الخبر، ورحلت عن هذا العالم بإيمان وصبر كبيرَين.

هكذا، فقد رسول الله ﷺ زوجته أيضاً. غير أنّه تقبّل ذلك بقلب مليء بالصبر والإيمان. دفن النبيّ حزنه في قلبه، واحتوى أطفاله بحبّ كبير. كان يشعر بالحزن شأنه شأن كلّ الناس. فقد دفن السيّدة خديجة بيديه. وحزن وبكى عليها مثلَ كلّ من عرفها.

نظر إلى قبرها لبعض الوقت، وسالت الدموع من عينيه. ثمّ غادر المكان وهو يدعو الله أن يمدّه بالصبر. لقد فقد النبيّ عمّه وزوجته واحداً تلو الآخر.



اليوم
98

عودة المشركين إلى أذية النبي ﷺ

حزن رسول الله ﷺ حزناً كبيراً بعد وفاة عمّه وزوجته. فقد رحل عنه أحبّ شخصين إلى قلبه. غير أنّ البعض فرحوا لحزنه. أولئك الناس كانوا يخشون أبا طالب، ويتجنّبون إيذاء النبيّ بوجوده. أمّا الآن، فقد خلت لهم الساحة، وظنّوا أنّهم أصبحوا قادرين على فعل ما يريدون، بلا حسيب أو رقيب.

في أحد الأيّام، كان رسول الله يمشي في الطريق والألم يعتصر قلبه. غير أنّه شغل عقله، وقلبه، ولسانه بذكر الله. رآه أحد المشركين وهو على هذه الحالة، فاستوقفه. ثمّ تناول بعض التراب عن الأرض ورماه عليه، بحيث غطّاه بالغبار. لم يقل رسول الله ﷺ شيئاً، بل عاد إلى منزله. عندما رأته ابنته الصغرى، فاطمة، على هذه الحال، بدأت بالبكاء. كان الظلم الذي يتعرّض له أبوها يحزنها كثيراً، حتّى قبل وفاة أمّها. عندئذ، مسح رسول الله الدموع عن وجهها وطمأنها أن الله عزّ وجل سيحميه وينصره على أعداء الدين. قال تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾ [**غافر، الآية:** 51].

اليوم
99

الاعتداء على النبيّ ﷺ في الطائف

كان النبيّ ﷺ يمرّ بظروف صعبة بحيث لم يعد قادراً حتّى على الخروج إلى الشارع. فقد كان المشركون يهينونه كلّما رأوه. رجموه بالحجارة واضطهدوه. وكلّما قرأ القرآن، راحوا يصفّرون، ويصفّقون، ويرفعون أصواتهم فوق صوته. وكلّما تحدّث فعلوا الشيء نفسه، وهذا ما أزعجه كثيراً.

في تلك الأيّام، كان من الصعب عليه جدًّا نشر الرسالة. هكذا قرّر القيام بزيارة إلى الطائف، لدعوة أبناء تلك المدينة إلى الإسلام. كانت الطائف مدينة جميلة، كثيرة الخضرة، ومليئة بكروم العنب.





فكّر النبيّ أنّ أهل الطائف سيؤمنون بالإسلام وبنبوّته. وإن حصل على دعمهم ومساعدتهم، لن يجرؤ كفّار قريش على إيذائه. هكذا، سينتشر الإسلام ويزداد قوّة. فانطلق النبيّ إلى الطائف مع زيد.

عندما وصلا، بدأ رسول الله ﷺ يجري اتصالاته مع وجهاء الطائف. شرح لهم عن الإسلام وأخبرهم أنّه نبيّ مرسل من الله عزّ وجلّ. بيّن لهم أيضاً أنّ عبادة الأوثان ضلالة، وأنّ الخالق الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى. ثمّ طلب منهم اعتناق الإسلام وقبول دعوته، لكنّه تلقّى منهم ردًّا لم يتوقّعه أبداً. فقد أثبت أهل الطائف أنّهم أسوأ من قريش. صاحوا في وجهه وأهانوه. فقرّر مغادرة المكان على الفور. حاول أن يشرح للناس وصايا الله، لكنّهم ردّوا قائلين: «ارحل عن هذه المدينة فوراً واذهب حيث تشاء. لا نريدك في جوارنا أبداً». لقد أعمى الكفر أعينهم، ولم يعرفوا حقيقة الرجل الواقف أمامهم. لم يرغبوا في التصديق أنّه نبيّ مرسل من الله، بل قابلوه بالشتائم والإهانات.

في النهاية، اصطفّوا من جانبَي الطريق ورجموه بالحجارة. كانت تلك اللحظات رهيبة. فقد انهمرت الأحجار مثل وابل من المطر على النبيّ ﷺ، وأدمت قدميه بحيث لم يعد قادراً على السير. حاول الخروج من المدينة بأسرع ما يمكن، بينما راقبه أهلها وهم يضحكون. أخذ زيد يمشي حول النبيّ مثل حارس مخلص. وحاول حماية أشرف خلق الله بجسده، الذي راحت تسيل منه الدماء. أخيراً، اندفع رسول الله وزيد إلى أحد الكروم، في محاولة للفرار من هذا الهجوم المخيف.

حتّى في تلك اللحظات المؤلمة، طلب النبيّ المغفرة لأهل الطائف. بالطبع، لم يترك الله سبحانه وتعالى نبيّه فريسة لهذا الظلم. ولا شكّ أنّ الثواب الذي سيكافئه به على هذه التضحية سيكون عظيماً.

اليوم
100

فرحة العبد عدّاس

كان صاحبا البستان الذي لجأ إليه رسول الله مع زيد هما شقيقين من الطائف. أشفقا على الضيف الجريح في بستانهما، فأرسلا إليه مع عبدهما عدّاس طبقاً من العنب. أحضر عدّاس العنب إلى النبيّ الذي كان يشعر بالجوع والتعب. فقال النبيّ ﷺ «باسم الله»، ثمّ تناول العنب وبدأ بالأكل. سمع عدّاس بهذه الكلمات الجميلة للمرّة الأولى في حياته، وأعجب بها كثيراً.

لاحظ رسول الله ذلك، فسأله: «ومن أهل أي البلاد أنت يا عدّاس؟» أجاب: «أنا رجل من أهل نينوى». فقال النبيّ: «من أهل قرية الرجل الصالح يونس بن متّى». هذه المرّة فوجئ عدّاس وسأل: «وما يدريك ما يونس بن متّى؟» أجاب رسول الله: «ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبيّ». فلمعت عينا عدّاس فرحاً. إذاً، هذا الرجل الذي يبدو عظيماً من سلوكه ولطفه هو نبيّ؟ كم هذا جميل. فانحنى يقبّل يديه وقدميه، واعتنق الإسلام.



كان صاحبا البستان يراقبان خادمهما من بعيد. عندما رجع إليهما، وبّخاه قائلَين: «ويلك يا عدّاس ما لك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟» فأجابهما: «يا سيّديَّ، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلاّ نبيّ».

دخول عدّاس في الإسلام شجّع رسول الله بعض الشيء.
فقد عوّضه عن الألم الذي عاناه هو وزيد على أيدي أهل الطائف، وخفّف من حزنهما.

اليوم
101

رغبة رسول الله ﷺ

استراح النبيّ لبعض الوقت مع زيد في البستان ثمّ قفل عائداً إلى مكّة. سيطر عليه الحزن في الطريق. للحظة، شاهد غيمة فوق رأسه. حدّق إليها، فرأى فيها جبريل عليه السلام. سلّم عليه جبريل

وأبلغه أنّ الله تعالى أرسل ملاكاً وكلّفه برفع جبلين وإلقائهما على أهل الطائف، إن رغب النبيّ في ذلك.

غير أنّ رسول الله ﷺ هو نبيّ المحبّة والرحمة، الذي لم يرغب يوماً في إيذاء أحد. لذلك أجاب: «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم مَن يعبد الله وحده لا يُشرك به شيئاً». لطالما أيّد نبيّنا الحبيب السلام ووقف بجانب الخير. لم يرغب لأهل الطائف أن يصابوا بالأذى مع أنّهم أهانوه، ورجموه، وطردوه من مدينتهم. فكّر أنّهم فعلوا ذلك لأنّهم لم يستطيعوا استخدام عقولهم. ورغب في أن يتمكّن أولادهم على الأقلّ من رؤية طريق الصواب واتّباعه.

اليوم
102

ليلة الإسراء والمعراج

أراد الله أن يبعث السرور في نفس رسوله الذي واجه كلّ هذه الصعوبات بصبر كبير. كما أراد أن يريه جمال خلقه ومكانته العالية.

في إحدى الليالي، كان النبيّ ﷺ نائماً في فراشه. فأتاه جبريل عليه السلام وقال له إنّ الله أرسل إليه دعوة. ثمّ طلب منه النهوض والتوضّؤ. كان مع جبريل دابّة بيضاء تسمّى البُراق، وكانت جميلة على نحو يفوق الوصف. ركب النبي ﷺ البُراق وطار به في السماء. سمّيت تلك الرحلة الليلية الإسراء.

في غمضة عين، وصلا إلى القدس. في هذه المدينة المقدّسة مسجد يسمّى المسجد الأقصى، أي البعيد. وقد ارتبط هذا المسجد بعدد من الأنبياء. التقى رسول الله ﷺ بجميع الأنبياء هناك، وصلّى بهم إماماً.

بعد ذلك، عرّج نبيّنا الحبيب إلى السماء، واقترب من الله سبحانه وتعالى وتحدّث معه. وفي تلك الليلة، فُرضت الصلوات الخمس على المسلمين. بعد كلّ ذلك، عاد سيّدنا محمّد إلى الأرض بسعادة.





سمّيت تلك الرحلة التي قام بها رسول الله المعراج. والمعراج هو الارتفاع إلى مكان أعلى. ومن رحلة المعراج، أحضر النبيّ ﷺ هدية قيّمة لأمّته ولكلّ المسلمين من بعده، ألا وهي الصلوات الخمس. منذ ذلك الحين، أصبح المسلمون يقفون بين يدي الله خمس مرّات في اليوم لأداء الصلاة. فالصلاة هي معراج الأمّة، فيها يتقرّب الكبار والصغار من الله، تماماً كما تقرّب نبيّنا الحبيب منه عندما عرج إلى السماء.

لقد رأى رسول الله ﷺ في رحلته كثيراً من الأمور وكان له شرف التكلّم مع الله عزّ وجلّ. لم ينسَ ولو للحظة واحدة خلاص من آمنوا به. سيستمرّ بأداء رسالته مهما كلّفه الأمر، وسيحاول أن يهدي البشرية إلى طريق الحقّ. فقد شهد في المعراج أموراً مستحيلة، لكنّ الله حقّق تلك المعجزة من أجله.

اليوم 103

النبيّ ﷺ يتحدّث عن المعراج

في اليوم الذي تلا المعراج، كانت عينا رسول الله ﷺ تشعّان فرحاً وسروراً. أخبر أوّلاً ابنة عمّه أمّ هانئ بما جرى معه. صدّقته أمّ هانئ، لكنّها خشيت عليه من أذى الكفّار. قالت له: "يا نبيّ الله، لا تحدّث بهذا الناسَ فيكذّبوك ويؤذوك". لكنّ النبيّ أجابها من دون خوف أو تردّد: "والله لأحدّثنّهُمُوه". كان من مسؤوليّته إخبار كلّ الناس بما رآه. فالنبوّة ليست سهلة على الإطلاق. بالطبع، بعضهم سيصدّقه، لكنّه توقّع أن يكذّبه البعض.

هكذا، ذهب النبيّ ﷺ إلى المشركين، وأخبرهم واحداً واحداً بكلّ الأمور الجميلة التي رآها في تلك الليلة. فشعر الناس بالإرباك، وطلبوا منه أن يثبت صحّة ما يقول، وسخر منه وكَذَّبَه كثير من المشركين.

عندئذ، أخبرهم النبيّ عن القافلة التي رآها في الطريق وهو ذاهب إلى المسجد الأقصى. وصفَ لهم البضائع التي تحملها الجِمال، وألوانها. كما أخبرهم أنّ القافلة ستصل قريباً إلى مكّة. أخذوا ينتظرون بترقّب القافلة التي وصلت بالفعل بعد مدّة قصيرة. عندما رأت قريش ألوان البضائع المحمّلة على ظهر الجِمال، أصيبت بالذهول.



اليوم 104

أبو بكر، الصحابي الوفيّ



بينما كان رسـول الله ﷺ يـروي للناس ما حدث معه في ليلة المعـراج، راح إيمان الناس به يزداد قوّة. أمّا المشـركون فأخـذوا يبحثـون عـن وسـيلة لتكذيبه والسـخرية منـه. لهذا السـبب، قالوا له أنّ مِن بينهم مَن زار بيت المقدس. فإنْ كان قـد رآه، فليخبرهم عـن صفة كذا وكذا، فسـألوا النبي ﷺ عن أشـياء لم يتأكد من شـكلها، فلم يسـتطع النبي ﷺ إجابتهم بدقة، وانزعج كثيراً، لكنّ الله سبحانه وتعالى لم يترك نبيّه في هذا الوضع المحرج. ففي تلك اللحظة، رفع الله المسجد الأقصى أمام عينيه. وأخذ النبي ﷺ يصفه لهم وهو ينظر إليه.

بعدما سـمعه المشـركون قالوا: «أمّا الوصف فقد أصاب!» لكنّهم لم يصدّقوه مع ذلك، بل ذهبـوا إلـى أبـي بكر، وقالـوا له: «هل لـك يا أبا بكر فـي صاحبك، يزعـم أنّه قد جاء هـذه الليلة بيت المقدس وصلّى فيه، ورجع إلى مكّة». فقال أبو بكر: «هل سـمعتم ذلك من محمّد نفسـه؟» فأجابـوا: «أجـل». فقال أبو بكر: «لئن قال ذلك فقد صدق، إنّي لأصدّقه في ما هو أبعد من ذلك، أصدّقه بخبر السماء في غدوة أو روحة!».

منـذ ذلـك الحيـن، أصبح أبو بكـر، وهو أقـرب الصحابة إلى قلـب النبيّ، يلقّـب بأبي بكر الصدّيـق، وهذه الصفـة تعني المخلص والصادق. إنّـه الصحابي الذي لم يفتـرق يوماً عن النبيّ ولـم يحِدْ عن طريق الحقّ.

اليوم 105

شكر الله

أحـاط المؤمنون بالنبـيّ ﷺ بحماس كبير. فقد فرحـوا فرحاً عظيماً بمعراجه إلى السـماء. والهديـة التـي أحضرها لهم كانت قيّمة جدًّا بالنسـبة إليهم. تلك الهدية هـي الصلاة، التي يقفون



فيها بين يدي الله عزّ وجلّ، ويحمدونه على نِعَمه وعطاءاته. فحتّى ذلك اليوم، لم يكن المسلمون يعرفون كيفيّة الصلاة. لكن من الآن فصاعداً، أصبحوا يصلّون بطريقـة معينة خمس مرّات في اليوم، في أوقـات محدّدة. وفي كلّ مرّة، يقفون أمام الله ويؤدّون هذه الطاعة.

منحتهـم الصلاة سـعادة لا توصـف. رأى فيهـا المؤمنون دعوة إلـى الجنّة، ومعراجهم السـرّي. فقد صعد النبيّ إلى السـماء لملاقاة الله. وكلّ من يرغب يستطيع فعل ذلك عند أداء الصلاة.

أصغى الصحابة إلى رسول الله ﷺ بانتباه، ثمّ سألوه عن سبب فرض الصلاة خمس مرّات فـي اليـوم. فأجابهـم النبيّ مبتسـماً: «أرأيتم لو أنّ نهراً بباب أحدكم، يغتسـل فيـه كلّ يوم خمس مرّات، هل يبقى من درنه شيء؟».

هكـذا، فَهِم المؤمنـون أنّ الصلاة تعني التطهّر من النجاسـة المادّية والروحية ومن الخطايا في الوقت نفسـه. فكلما صلُّوا صلاة فريضة غسـلوا عن أنفسـهم الذنوب التي فعلوها، وفرحوا كثيراً لأنّ الله أعطاهم هذه النعمة.

اليوم 106

النبيّ الذي لم يستسلم أبداً

خلال موسـم الحـجّ في مكّة، اعتاد الناس على إقامة المعـارض. فكان الزائرون من خارج مكّة يأتون إلى هذه المعارض، ثمّ يطوفون حول الكعبة قبل العودة إلى مدنهم.

أتـى موسـم الحجّ مجـدّداً هذا العام، وامتلأت مكّـة بالحجّاج الذين أتوا مـن أماكن بعيدة. اختلط بهم رسول الله ﷺ، وأخذ يتحدّث معهم ويشرح لهم وصايا الإسلام. ما قاله أثار اهتمام الناس، لكنّ المشـركين كانوا يتبعونه ويراقبون كلّ تحرّكاته. بعد ذلك، يقتربون من الناس الذين أصغوا إليه وينقضون كلّ ما قاله.

أتت مجموعة من سـتّة أشـخاص من مدينة يثرب، وتوقّفت في مكان يسمّى العقبة. فذهب إليهم النبيّ، وألقى عليهم السـلام، ثمّ سـألهم من أين أتوا، فأجابـوا: «نحن من يثرب». فدعاهم إلـى الجلـوس والتحدّث معهم. بدوا أشـخاصاً عقلاء يسـهل التعامل معهم. فقبلوا، وأجلسـوه معهـم، وراحـوا يصغون إلى ما يقول. أخبرهم النبيّ ﷺ عـن وحدانية الله عزّ وجلّ، وعن نبوّته،



وشـرح لهم جمال الإسلام. بعد ذلك، تلا عليهم بعض آيات القرآن. فأخذوا ينظرون إلى بعضهم البعض باستغراب.

قـال أحدهم: «والله هذا هو النبيّ الذي أنبأنا به اليهود». عندها، دخلوا في الإسلام ونطقوا بالشهادة. قالوا بعد ذلك: «إنّا قد تركنا قومنا. ولا قوم بينهم مـن العداوة والشـرّ ما بينهم، فعسـى أن يجمعهـم الله بك، فسـنقدم عليهم، فندعوهـم إلـى أمرك، ونعرض عليهـم الذي أجَبْناك إليه من هـذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزّ منك».

هكذا رحلوا بعدما وعدوا النبيّ بالعودة لرؤيته في العام التالي.

كان هؤلاء الأشخاص الستّة الذين التقوا بالنبيّ هم من وجهاء المدينة. عندما أنهوا عملهم في مكّة، عادوا إلى منازلهم. ثمّ أخبروا أقرباءهم وأصدقاءهم عن لقائهم بآخر الأنبياء. وشرحوا لهـم جمـال هذا الدين، ثمّ دعوهم إلى اعتناقه هم أيضـاً. ذاع هذا الخبر في جميع أنحاء المدينة، وامتلأت قلوب الناس حبًّا لله ورسوله.

هكذا، لاقى الإسـلام استحسـاناً في المدينة، في حين كان المسلمون يتعرّضون للاضطهاد في مكّة. أولئك الأشـخاص الذين التقوا برسـول الله ﷺ في العقبة آمنـوا به من أعماق قلوبهم. وبفضل هذا الدين، سيتخلّصون من الاضطرابات والمصاعب التي كانت تسود في مجتمعهم.

لـو أنّ رسـول الله فقد الأمل بسـبب الإهانات التي تعرّض لها، ولـم يذهـب إلى العقبة، لما حدثت كلّ هذه التطوّرات الجميلة. فقد بذل النبيّ ما في وسعه لنشر هذا الدين وتحمّل كثيراً من المصاعب، ولهذا السبب آمن به أهل المدينة قبل رؤيته.

اليوم 107

بيعة العقبة

مـرّ عام واحد على لقاء وجهاء المدينة السـتّة بالنبيّ في العقبـة. كالعادة، أقيم المعرض في المـكان نفسـه فـي العام التالـي. وكان شـديد الازدحام. فقد أتـى إليه كثير من النـاس، منهم من عرض بضاعته، ومنهم من أتى للهو، ومنهم من أتى للتجارة. عاد الأشـخاص الستّة من المدينة، وأحضـروا معهم بعض أصدقائهم. كانوا يتوقون لرؤية النبـيّ ﷺ مجدّداً، وينتظرون لقاءه بفارغ الصبر. فقد أتوا إليه بأخبار جيّدة.



كان رسـول الله حذراً جدًّا. انتظر حلول المساء خوفاً من أن تكتشف قريش أمرهم. وفي ضوء القمر الخافت الذي كان ينير الوادي، التقى بهم هناك. فرح مسلمو المدينة برؤيته وأخبروه عن حبّهم وولائهم له. قالوا للنبـيّ إنّهـم آمنـوا به وبالإسـلام، وينتظـرون معرفة وصايا هذا الدين.

فـرح النبـيّ بهذا الخبر، وراح يعطيهم أوامر الله واحـداً تلو الآخر: «تعالوا بايعوني على ألاّ تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف».

وعدت المجموعة التي أتت من المدينة والمؤلّفة من اثني عشـر شـخصاً رسـول الله قائلةً: «بايعناك على ذلك».

فـي إحـدى الليالي التي تبعـت مبايعة النبيّ ﷺ فـي العقبة، تمّ عقد اتّفـاق جميل. قال أهل يثرب إنّهم سينشرون هذا الدين بين أبناء مدينتهم. وطلبوا من النبيّ إرسال شخص معهم لتقديم الدعـم والمسـاعدة. فاختار النبيّ لهـذه المهمّة مُصعب بن عمير، وهو أحـد الصحابة الذي كان يحبّه كثيراً. وهكذا تمّت المبايعة التاريخية عند العقبة.

اليوم
108

مُصعب في المدينة

كان مُصعب بن عُمير رجلاً حسن الخَلق والخُلق. أحبّ رسول الله ﷺ واهتمّ لأمره كثيراً. فكلّفه النبيّ بمهمّة نشـر الإسـلام بين أهل مدينة يثرب. قبِل مُصعب هذه المهمّة بسرور. وانطلق حالما تمّ تعيينه لتعليم مسـلمي المدينة القرآن. كان شـابًّا واسـع المعرفة وبالـغ التهذيب. وكان مناسباً جدًّا ليكون أستاذاً.

بعـد رحلـة طويلة وشـاقّة، وصل مُصعب إلـى المدينة. رحّب بـه أهل يثرب ترحيباً حارًّا، وأعدّوا له مكاناً يقيم فيه. على الفور، بدأ مُصعب يعلّمهم كلّ ما يعرفه. كان من السـهل ممارسـة الإسـلام ونشـره في المدينة. إذ لا وجود فيها لأعداء من أمثال أبي لهب وأبي جهل. هكذا تمكّن مُصعب من بذل جهده لتنفيذ مهمّته على أفضل وجه، وشكر الله على ذلك.

في أحد الأيّام، جلس في باحة أحد المنازل، وأخذ يعلّم الناس الإسلام وسنّة رسول الله. راح الناس يصغون إليه بفضول كبير، ويطرحون عليه الأسئلة، ويتعلّمون منه ما لا يعرفونه. لم يشعر يوماً بالملل أو التعب، بل كان يصف للناس مراراً وتكراراً حسن خلق النبيّ وجمال الإسلام، وما يتحلّى به من الصبر، والتعاطف، والمحبّة. في أثناء ذلك، أتى رجل يحمل سيفاً، وبدا عليه الغضب. التفت إلى مُصعب وقال: «ما جاء بك إلينا؟ تسفه ضعفاءنا؟ اعتزلنا إن كانت لك بنفسك حاجة».

كان مُصعب قد تعلّم الصبر من النبيّ. وأراد أن يكون لطيفاً مثله أيضاً. فنظر إلى الرجل مبتسماً وقال: «أوَتجلس فتسمع؟ فإن رضيتَ أمراً قبلتَه، وإن كرهتَه كففنا عنك ما تكره».

فوجئ الرجل. فقد أهان مُصعباً، لكنّ هذا الأخير لم يغضب بل عامله بلطف وتهذيب. فأنزل سيفه ببطء وجلس. حدّثه مُصعب عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ. لم يكن الرجل قد سمع شيئاً كهذا من قبل، فشعر بالدفء يسري في قلبه. قال لمصعب: «هلاّ قرأت شيئاً من الكتاب الذي تقول إنّه أُنزل على نبيّك؟».

تلا مصعب بصوته الجميل بعض آيات القرآن. فتأثّر الرجل كثيراً وقال: «ما أحسن هذا وأجمله. كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟» قال له مُصعب إنّ عليه أوّلاً أن يغتسل. فاغتسل الرجل وارتدى ملابس نظيفة. بعدئذ، علّمه مصعب كيفيّة النطق بالشهادة.



هكذا، أسلم الرجل الذي أراد طرده في البداية. بدت علامات السرور على وجهه، وشعر بالإحراج ممّا فعله قبل دقائق. بعد ذلك، وقف ورحل.

أخبر الرجل أحد أصدقائه بما جرى، فأتى صديقه إلى مُصعب بالطريقة نفسها. تأثّر بآيات القرآن وأسلم على الفور. بعد مدّة من الوقت، لم يعد لأكثر أهل المدينة سوى دين واحد ونبيّ واحد، الإسلام وسيّدنا محمّد.

اليوم
109

بشرى من المدينة



مـرّ عـام على ذهاب مُصعب إلـى المدينة. في هذا الوقت، حدثـت أمور جيّدة. فقـد اعتنق أغلـب أهل المدينة الإسـلام، بعـد أن أدّى مُصعب مهمّتـه بنجاح. غير أنّـه اشـتاق إلى النبيّ ﷺ كثيراً. ورغب في رؤيته وإخبـاره بما جرى. كما أنّ أولئك النـاس الذين أسـلموا من دون رؤية النبـيّ يرغبون هم أيضاً في التعـرّف عليه. وقد أرادوا دعوته إلى المدينة.

عندما حان موسم الحجّ مجدّداً، انطلقت مجموعة من خمسة وسبعين شخصاً إلى المدينة. وأرسلوا عدداً منهم إلى النبيّ. فلو عرف المشركون بأمرهم، لن يتردّدوا في إيذائهم. لهذا السبب، كان عليهـم توخّي الحذر. وجدوا النبيّ ﷺ في المسـجد، فأتوا إليه وقالوا: «يا رسـول الله! لقد أتينا من المدينة في مجموعة كبيرة. ونحن نرغب في اصطحابك إلى يثرب لإنقاذك من اضطهاد قريش. فهلاّ بحثنا هذه المسألة؟».

قبِـل النبـيّ بطلب الاجتماع بهـم، وطلب منهم الذهاب إلـى العقبة مجـدّداً. فغادر الرجال المسجد بهدوء.

كانت ليلة مظلمة، شـديدة السـواد. التقى مسـلمو المدينة بالنبيّ ﷺ في سـاعة متأخّرة من الليل. هناك، بايعوه على حمايته هو وزوجته وأولاده، كما يحمون أسـرهم. وطلبوا منه المجيء معهم إلى المدينة.

لقـد فتحوا أذرعهم لرسـول الله ودعوه إلى مدينتهـم. أرادوا إخراجه من المجتمع الذي لم يعـرف قيمته ولـم يتوقّف عن اضطهاده. لكنّ أحدهم كان يشـعر ببعـض القلق. فوقف وقال: «يا رسـول الله، إنّ بيننا وبين الرجال حبـالاً وإنّا قاطعوها (أي اليهود). فهل عسـيت إن نحـن فعلنا ذلـك ثمّ أظهـرك الله أن ترجـع إلى قومك وتدعنا؟».



أجابـه النبـيّ بعد هذا السـؤال: «بـل الدم الـدم، والهدم الهـدم. أنا منكم، وأنتم منّي، أحارب من حاربتم وأسـالم من سـالمتم».

هكذا تمّت البيعة. مدّ النبيّ يده، وصافحه مسلمو المدينة واحداً واحداً، ووعدوه بحمايته من أيّ خطر، حتّى لو كلّفهم حياتهم. هكذا تمّت البيعة الثانية في إحدى الليالي في العقبة. وعاد مسلمو المدينة مسرورين وكلّهم ثقة وحبّ لرسول الله ﷺ.

اليوم 110

خوف في مكّة؟

عمّ الخوف في مكّة بعد أن سمعت قريش بالاتّفاق الذي تمّ بين رسول الله ومسلمي المدينة. فبدأوا يتحقّقون، وذهبوا إلى عبد الله بن أبيّ، أحد سادات المدينة، وسألوه عن ذلك. لم يكن عبد الله مسلماً. لهذا السبب، لم يعرف مسلمو المدينة بهذا الأمر. قال عبد الله: «ما تقولونه ليس صحيحاً. فمن غير الممكن أن يفعل أهل المدينة شيئاً من دون استشارتي. هذه مجرّد إشاعات».

بعد سماع ذلك، استراح المشركون بعض الشيء. أحسن المسلمون فعلاً عندما أبقوا ذلك الاتّفاق طيّ الكتمان. هكذا، ظلّوا قادرين على ممارسة التجارة بأمان في مكّة لأنّ إسلامهم بقي سرًّا. كذلك، استطاعوا تأدية شعائر الحجّ بسلام.

ما إن بدأ مسلمو المدينة رحلة العودة إلى يثرب، حتّى علمت قريش بحقيقة الاتّفاق السرّي. فانطلقت فوراً إلى المدينة. لكنّ المسلمين كانوا قد غادروا مكّة منذ مدّة طويلة. وبفضل ولائهم العميق للنبيّ ﷺ، أنقذهم الله تعالى من أذى المشركين. بعد عودتهم إلى يثرب، بدأوا ينتظرون بفارغ الصبر هجرة المسلمين والنبيّ إليهم.

اليوم 111

الهجرة إلى المدينة

ضاعف المشركون من اضطهادهم للمسلمين. لم يتركوا أذى لم يلحقوه بهم. بالنسبة إلى المسلمين، أصبح مجرّد العيش في مكّة مصدر عذاب، فقد كانوا هدفاً متواصلاً لإهانات قريش، واعتداءاتها، وشتائمها. فاجتمع المسلمون وذهبوا إلى رسول الله ﷺ. قالوا لهم إنّهم ما



عادوا يطيقون الظلم ويرغبون في الهجرة إلى المدينة. فهجرتهم من مكان إلى آخر ستسمح لهم بممارسة دينهم بيسر وحرّية.

فكّر رسـول الله مطوّلاً. بالطبع، سـيكون من الجميل الانتقال للعيش في المدينة، لكنّ الله عزّ وجلّ لم يرسل بعد أمراً بذلك. شرح النبيّ ذلك لهم، فبدأوا ينتظرون ذلك الأمر.

مـرّت عـدّة أيّام قبل أن يسـتدعي رسـول الله المسـلمين ويقول لهم: «رأيـت دار هجرتكم أرض نخـل...» ويقصـد بها يثرب، ثـمّ أذن لهم بالهجرة والعيش مع إخوانهـم في المدينة، تلك الأرض المسالمة والآمنة.

فرح المسلمون، فمن الآن فصاعداً، سيتمكّنون من عبادة الله بأمان ويعيشون بسلام. هكذا، راحوا يعدّون العدّة للرحيل وقلوبهم مليئة بالأمل والسرور.

غير أنّ رسول الله ﷺ ذكّرهم مجدّداً بضرورة إبقاء هذا الأمر طيّ الكتمان. فراح المسلمون يغادرون مكّة المكرّمة في مجموعات صغيرة لكي لا يلفتوا إليهم انتباه المشركين. بعد عدّة أيّام، أدركـت قريش أنّ المسـلمين غـادروا مكّة، فاسـتعدّت للحاق بهم. كلّ من قبضـت عليه، كانت تجبره على العودة. شـتّتت أفراد الأسـر، وسـجنت البعض منهم، لكنّ المسلمين لم يستسلموا. بذل المشـركون ما في وسـعهم لمنعهم مـن الهجرة، لكنّهـم قاوموا، وتحمّلـوا كلّ المصاعب، وتواصلت هجرتهم بعون الله.

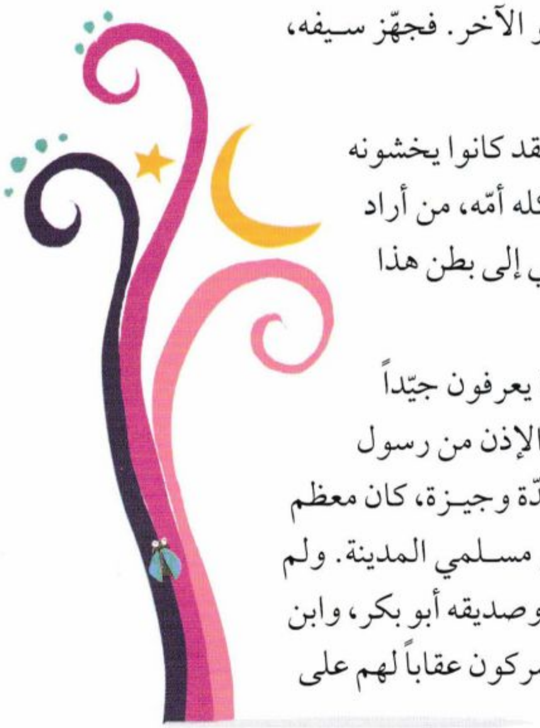
هكذا بدأ فجر جديد في تاريخ الإسـلام. وأخذ نور الدين الجديد يشـعّ فوق جبال المدينة. بالمقابـل، أخـذت مكّة تفرغ من سـكّانها. فقـد أوصد المسـلمون أبواب منازلهـم، واصطحبوا أطفالهـم إلـى المدينة. هناك، سـيتمكّنون من اللعب بسـلام والعيش بسـعادة مـع أهاليهم الذين امتلأت عيونهم بالبهجة، وفاضت قلوبهم بالأمل.

انتظـر أطفـال المدينـة بحماس وصـول إخوانهم في الدين، مـن صغار مكّـة وكبارها، كما انتظروا بشوق انضمام نبيّهم الحبيب ﷺ إليهم قريباً.

اليوم 112

صوت عمر الجهوري

بينما كان المسلمون يغادرون مكّة سرًّا، مجموعة تلو الأخرى، اندفع أحدهم بشجاعة ولم يخـشَ أحداً. تحدّى قريـش بأكملها. لقد كان عمر الفاروق، رمز الشـجاعة، والقـوّة، والعدالة،



والصـدق. كان مسـتعدًّا لمغـادرة مكّة المكرّمـة هو الآخر. فجهّز سـيفه، وطاف حول الكعبة سبع مرّات.

لم يستطع المشركون الوقوف في وجه عمر. فقد كانوا يخشونه كثيراً. صاح عمر بصوته الجهوري: «من أراد أن تثكله أمّه، من أراد أن ييتـم ولـده، مـن أراد أن يرمل زوجه، فليلحق بـي إلى بطن هذا الوادي».

لم ينطق المشـركون بكلمة واحدة. فقد كانـوا يعرفون جيّداً ماذا سيحلّ بهم لو حاولوا إيقافه. كان عمر قد أخذ الإذن من رسول اللـه، وغـادر مكّة مع عشـرين مسـلم آخـر. بعد مـدّة وجيـزة، كان معظم المسـلمون قد غـادروا مكّة المكرّمـة وانضمّوا إلى مسـلمي المدينة. ولم يبقَ في مكّة سـوى رسـول الله، وأسـرته، وصاحبه وصديقه أبو بكر، وابن عمّه علي، والمساكين والمرضى الذين أسرهم المشركون عقاباً لهم على إيمانهم.

أعطى الله المسلمين الإذن للهجرة، لكنّه لم يعطي أمراً للرسول ﷺ بذلك. هكذا انتظر نبيّنا الحبيب مجيء أمر خاصّ به.

اليوم 113

مؤامرة قريش

بحسـب الأخبار التي وصلت إلى مكّة، فقد اسـتقبل أهل المدينة المسلمين بأذرع مفتوحة، وأحسـنوا معاملتهـم. وبفضـل المعاييـر الأخلاقية العالية التـي أتى بها الإسـلام، رحّبوا بهم في منازلهم، وتقاسموا معهم كلّ ما يملكونه.



هـذا الفرح والاطمئنان الذي نعم به المسـلمون أثار جنون المشـركين. وكلّما فكّـروا باحتمال رحيل النبيّ ﷺ نفسـه يوماً ما والانضمام إلى المسلمين في المدينـة، ازدادوا خوفـاً وغضبـاً. هذه الفكـرة قضّت مضجعهم، وشعروا أنّ عليهم فعل شيء بسرعة.

اجتمعوا على الفور وبلغ عددهم حوالى مئة شخص. راحوا يتباحثون في ما يفعلونه بالنبيّ الذي ما زال في مكّة. قال أحدهم: «احبسوه وأغلقوا عليه الباب، حتّى يدركه ما أدركه الشعراء قبله من الموت». لكنّهم رفضوا ذلك وقالوا: «والله لئن حبستموه ليخرجنّ أمره إلى أصحابه، وهم يفضّلونه على الآباء والأبناء، فأوشكوا أن يثبوا عليكم، وينزعوه منكم، ثمّ يكاثروكم به، حتّى يغلبوا على أمركم، فانظروا غير هذا الرأي».

قال آخر: «نخرجه من أرضنا، ونصلح أمرنا، ولا نبالي أين ذهب». فأجاب رجل مسن وشرير: «إنّكم ترون حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال. فإذا خرج، فلا غرو أن يحلّ على حيّ من العرب، فتجتمع حوله الجموع، فيطأكم بهم في بلادكم، ثمّ يفعل بكم ما أراد. دبِّروا فيه رأياً غير هذا».

عندئذ، قال أبو جهل: «إنّ لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد». فسألوه: «وما هو؟» أجاب: «نأخذ من كلّ قبيلة فتى شابًّا جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ونعطي كلاًّ منهم سيفاً صارماً، ثمّ يعمدون إليه ويضربونه ضربة رجل واحد، فيقتلونه. فيتفرّق دمه في القبائل، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلّهم، فيرضون بالدية، فنعطيه لهم». قال المسن الشرير: «القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره». هكذا، قبِل المجتمعون اقتراح أبي جهل، وعلت وجوههم ابتسامة ماكرة. تمّ التوصّل إلى القرار النهائي، سيقتلون نبيّنا الحبيب!

اليوم 114

هجرة رسول الله ﷺ

اعتاد رسول الله ﷺ على زيارة صديقه أبي بكر يوميًّا، إمّا صباحاً أو مساءً. لكن في أحد الأيّام، طرق بابه عند الظهيرة. فقال أبو بكر في نفسه: «فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلاّ أمر». ثمّ استقبله ونظر إليه بمحبّة وقال: «فداك أبي وأمّي يا رسول الله». في ذلك الزمن، كانت تلك هي الطريقة المستخدمة لإظهار المحبّة لشخص آخر. فبشّره الرسول قائلاً: «إني قد أُذِنَ لي في الخروج!».

في تلك اللحظة، بدا الحزن على وجه أبي بكر. فهو لا يستطيع احتمال فراق رسول الله ﷺ. سأله: «الصحبة بأبي أنت يا رسول الله». فقال له النبيّ: «نعم». هكذا، زال الحزن من قلب أبي بكر، وسالت دموع الفرح على خدّيه.



عـاد النبيّ إلـى منزله بعد ذلـك. هناك، رأى ملك الوحي جبريـل عليه السلام. حيّاه جبريل وأخبره بمؤامرة قريـش. ثمّ أضاف: «لا تبت هـذه الليلـة علـى فراشـك الذي كنـت تبيت عليه».

عند سماع ذلك، استدعى النبيّ ﷺ ابن عمّـه علي، وأمره أن ينام في فراشـه، ويغطّي نفسـه بردائـه الأخضر، وأخبره أنّـه لن يصيبه أيّ مكـروه. كان رسـول اللـه يلقّـب في مكّة بمحمّـد الأميـن. وحتّـى ذلك الوقـت، كان الناس، من مشـركين أو مؤمنيـن، معتادين على ترك أملاكهـم بأمانتـه. كان مؤتمنـاً حتّـى على أثمن مقتنيـات مـن أرادوا قتله. فقام بتسـليم كلّ تلك الأغراض لعليّ. أخبره إلى من ينتمي كلّ منها، وطلب منه إعطاء كلّ غرض لصاحبه.

شـعر رسـول الله ﷺ أنّه يواجه خطر الموت على يد المشـركين. لكن مع ذلك، لم يشـعر بالخـوف أو التوتّـر. كالعـادة، كانت ثقتـه بالله بلا حدود. وكان على اسـتعداد أساسـاً للتضحية بحياته في سبيل رسالته. هكذا انتظر طوال الليل صابراً يصلّي.

اليوم 115

نجاة رسول الله ﷺ

بعد منتصف الليل بوقت طويل، أتى عدد من المشـركين مسـلّحين بسيوفهم، وطوّقوا منزل رسول الله ﷺ. كانت صدورهم تشتعل غضباً وحقداً. راحوا ينتظرون حتّى الصباح لكي يخرج من منزله، لأنّه بحسب التقاليد، من الجبن قتل شخص ما في أثناء نومه.

كان رسـول اللـه في منزلـه. فعل ما طلبـه منه جبريل عليه السلام، وقـال لعليّ أن ينام في فراشـه. عـرف أنّ المشـركين يطوّقون منزله. لكنّه لم يشـعر بالخـوف، لأنّه أدرك أنّ اللـه عزّ وجلّ الذي أرسله نبيًّا سيحميه من أذى قريش. فتوضأ وودع أفراد أسرته، وفتح الباب، ثمّ غادر المنزل. رأى عدداً من المشركين يحملون سيوفهم بأيديهم. فتناول حفنة من التراب عن الأرض ورماها على رؤوسهم، وقال: "شاهت الوجوه" ثمّ مرّ من بينهم. كان الله تعالى قد أمره بذلك.



عندمـا نفّـذ النبيّ ﷺ ما طلبه منه جبريـل عليه السلام، أصبح غير مرئي. مرّ من أمام الكفّار وسـار بينهم، غير أنّهم لم يستطيعوا رؤيته. هكذا، ظلّوا ينتظرون حول منزله حتّى حلول الصباح.

وقف أبو جهل مزهوًّا وقال: "إنّ محمدًا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجـم، ثـم بُعثتم مـن بعد موتِكـم، فجُعلت لكم جنان كجنـان الأردن، وإن لـم تفعلوا كان له فيكـم ذبـح، ثم بُعثتم من بعد موتكم، ثم جُعلت لكم نار تُحرَقون فيها". بعد قليل، بدأت الديوك بالصياح، إيذاناً بطلوع الفجر. فرح الرجال المحيطون بالمنزل. أمّا أبو جهل، فراح يحدّث نفسه قائلاً: "أشـرقي أيّتها الشـمس، فنحن في عجلة من أمرنا". أخيراً، مرّ رجل وسألهم: "ما تنتظرون هاهنـا؟" فأجابوا: "محمّداً". قال الرجـل: "خيّبكم الله، والله قد خرج عليكم محمّد، ثمّ ما ترك منكم رجلاً إلاّ وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم". فوضعوا أيديهم على رؤوسـهم، ثمّ اسـترقوا النظر من النافذة، ورأوا علياً في فراش النبيّ مغطّى بردائه الأخضر، فظنّوه هو. قالوا: "والله إنّ هذا لمحمّد نائماً، عليه بُرُده". وعادوا ينتظرون شروق الشمس.

اليوم
116

بانتظار حلول الصباح

حـلّ الصبـاح علـى المشـركين المسـلحين ينتظرون حـول منزل النبـيّ ﷺ بترقّب. أخيراً، سُـمع صرير الباب وهـو يُفتح، وخرج منه شـخص لم يتوقّعوه أبـداً. كان ذلك هو عليّ بـن أبي طالب. دُهش المشـركون، واندفعـوا نحوه وسـألوه عن رسـول الله، فأجـاب: "لا علـم لي به". فدخل أبـو جهل، لكنّه لم يجد النبيّ فـي المنزل. فعادوا إلى عليّ، وضغطوا عليـه كثيراً لكنّهم لم يسـتطيعوا أن يحصلوا منه على أيّ معلومات. لم يفهم المشركون إطلاقاً كيـف اختفى النبيّ. قالـوا: "لا بدّ أنّه في منزل أبي بكر!" فأسـرعوا إلى منـزل أبي بكر، وطرقوا الباب. فتحت لهم أسـماء ابنة أبي بكـر، ونظرت إليهم بخوف. قالوا



لها: "أين أبوك يا بنت أبي بكر؟". فقالت أسماء: "لا أدري والله أين أبي". غير أنّ أبا جهل صفع أسماء على وجهها من شدة غضبه. فسقطت من قوّة الضربة، ووقعت أقراطها على الأرض. مع ذلك، لم تكشف سرّ رسول الله ﷺ وأبيها. أدرك المشركون أنّهم لن يعرفوا منها شيئاً، فبدأوا يبحثون في كلّ مكان. سألوا الناس عن النبيّ وأبي بكر. لكنّهم في النهاية فقدوا الأمل، وأرسلوا أشخاصاً لإبلاغ الناس أنّهم حدّدوا مكافأة لمن يجد رسول الله وأبي بكر. أخذ أولئك الأشخاص يصيحون في الشوارع: "يا معشر قريش! من يجد محمّداً وأبا بكر له مئة ناقة!".

اليوم 117

النبيّ ﷺ وصاحبه في الطريق إلى المدينة

بعدما غادر رسول الله ﷺ منزله، توجّه إلى منزل أبي بكر وهو يذكر الله. لم يغمض جفن لأبي بكر وهو ينتظر النبيّ. عندما التقيا، خرجا على الفور من الباب الخلفي. أخذ أبو بكر معه بعض المال والطعام من أجل الرحلة. أصبحا الآن على بُعد ثلاثة أميال من مكّة المكرّمة. وكانا يسيران باتجاه جبل ثور. صعدا الجبل ببطء. ولكي لا يتركا أثراً خلفهما، خلعا نعليهما وحملاهما بأيديهما. في سبيل الرسالة، تحمّل نبيّنا الحبيب كلّ هذه المصاعب في تلك الليلة المظلمة.

مع اقتراب الصباح، عثرا على غار في جبل ثور، فقرّرا الدخول والاختباء فيه حتّى يحلّ الظلام. فدخل النبيّ ﷺ وأبو بكر إلى الغار، وهكذا اختفيا مع حلول الصباح.



اليوم
118

أبو بكر يأخذ معه كل ماله ليسخّره للدعوة

قالت أسماء بنت أبي بكر الصدّيق: لمّا خرج رسول الله ﷺ، وخرج معه والدي أبو بكر، احتمل أبو بكر ماله كله، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها معه، فدخل علينا جدّي أبو قحافة، وكان قد أصبح أعمى، فقال جدي: واللَّهِ إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه!

فقلتُ له: كلا يا جدي! إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً.

فأخذتُ أحجاراً فوضعتها في المكان الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده، فقلت: يا جدّي ضع يدك على هذا المال.

فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم.

لا والله ما ترك لنا شيئاً! لكني أردت أن أهدِّئ روع جدي. فالدعوة إلى الله أهم من راحتنا، ووالدي أبو بكر أخذ ماله ليساعد به النبي ﷺ في نشر دين الله عزّ وجل، وقد قال النبي ﷺ: «ما نفعني مالٌ قطّ ما نفعني مال أبي بكر».

اليوم
119

المشركون في أعقاب رسول الله

سمع الناس بالمكافأة التي خصّصتها قريش لمن يجد النبيّ ﷺ، فبدأوا بالبحث عنه. من يحبّون رسول الله، راحوا يدعون له. ومن لا يعرفونه جيّداً، بل أغرتهم المكافأة، بدأوا بالبحث. كان الناس في كلّ مكان. منهم من يحمل العصيّ، ومنهم من يحمل السيوف والحجارة.

عثر شخصان ماهران على آثار النبيّ وأبي بكر. فتتبّعاها، ووصلا إلى محيط جبل ثور. قال أحدهما: «لا يمكن أن يكونا قد ابتعدا عن هذا الغار، لأنّ آثار الأقدام تنتهي هنا». كان النبيّ ﷺ وأبو بكر في الغار، يسمعان الرجلين. حتّى أنّهما رأيا شخصين يقفان أمام الغار. أخذ أبو بكر يتصبّب عرقاً من شدّة الخوف. فقال للنبيّ بصوت منخفض: «لو أنّ أحدهم نظر إلى قدميه

لأبصرنـا». أجابـه النبـيّ بثقة: «يا أبا بكر، مـا ظنّك باثنين اللـه ثالثهما؟» ثمّ دعا لكـي يطمئنّ أبو بكـر. فجـأة، زالت مخاوفه وأصبح مليئاً بالثقة والشـجاعة والإيمان بفضل اللـه عزّ وجلّ، تماماً مثل النبيّ.

اليوم
120

ثلاثة أيام في الغار

مكث رسـول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام ومعه أبو بكر، وجعلت قريش حين فقدوه مئة ناقة جائزة لمن يعيدهما إلى مكة، وكان عبد الله بن أبي بكر الصديق يكون في النهار مع قريش يسمع ما يتآمرون عليه، وفي الليل يذهب إلى الغار سـرًّا فيخبر النبي وأبو بكر أخبار قريش، وكان عامر بـن فهيـرة مولى أبي بكر يرعى غنم أهل مكة في النهار، وفـي الليل يأخذ غنم أبي بكر إلى الغار، فيأخذ رسـول الله ﷺ وأبو بكر حاجتهما من حليب ولحم، وفي الصباح يذهب عبد الله بن أبي بكر من عندهما، ثم يتبع أثره عامر بن فهيرة ومعه الغنم ليخفي بها آثار مسيرهم إلى الغار.



وبعد ثلاثة أيام، ظنت قريش أن رسـول الله وصل منذ وقت طويل إلى وجهته، بعد مدّة من الوقت، فخفّفت من أعمال البحث. وهذا بالضبط ما كان ينتظره النبيّ. مع انتهاء اليوم الثالث، قرّر هو وصاحبـه الانطلاق نحو المدينـة مجدّداً. هناك، كان المسـلمون ينتظرونه بشوق كبير.

اليوم
121

وداع مكّة

خيّم الهدوء وخلت الطرقات من الناس. كان ذلك في يوم الاثنين. خرج النبيّ ﷺ وصاحبه أبو بكر بهدوء من الغار. ثمّ رفع النبيّ يديه إلى السـماء وشـكر الله، وطلب منه أن يسـهّل عليهما رحلتهمـا، ويجزيهمـا ثوابها. في تلـك الأثناء، جهّز أبو بكر الجِمـال. كان راعي أبي بكر، عامر، حاضـراً، وسـيؤدّي دور دليل لبقية الرحلة. أعطى أبو بكر ناقته القويـة، قصواء، للنبيّ ﷺ، وقال





لـه: «اركب فـداك أبي وأمّي». لم يكن رسـول الله يقبل شـيئاً ليـس لـه. فقـال: «إنّـي لا أركـب بعيراً ليـس لي». فقـال أبو بكـر: «فهي لك يا رسـول الله، بأبي أنت وأمّـي». كرّر النبيّ كلامـه وأضـاف: «لا، ولكن ما الثمن الـذي ابتعتَها به؟» في النهاية، أخبره أبو بكر بثمن الناقة. فاشتراها منه النبيّ وامتطيا الناقتين، ثمّ انطلقا مع عامر.

أصبحـت تـلال مكّـة بعيـدة الآن. أراد النبـيّ ﷺ أن ينظـر للمرّة الأخيـرة إلى المـكان الذي ولد ونشـأ فيه، مكّـة المكرّمة. فأوقـف ناقته، ونظـر إلـى الكعبة، وإلى تلال مكّـة مطوّلاً، ثمّ تمتم قائـلاً: «والله إنّك لخيـر أرض الله، وأحبّ أرض الله إلى الله، ولولا أنّي أُخْرِجْتُ منك ما خرجت».

كان رسول الله مخلصاً، ولا ينسى حسن معاملة الناس له. وقد كان لهذه المدينة فضل عليه لمدّة طويلة. هكذا، ودّع مدينته التي أعطته الكثير.

اليوم
122

راعي غنم يكتشف مكان النبي وأصحابه!



كان فـي الصحراء راعٍ يرعى قطيعـه، يتجوّل خلف أغنامه علـى غير هـدى. فجأة، رأى مسـافرين آتين مـن بعيد. فراح يتسـاءل مـن يكـون هـؤلاء الأشـخاص الهائمـون وسـط الصحراء. ظلّ يراقبهم، إلى أن اتّضحت له الحقيقة فجأة: «إنّهـم هـم!» لقـد رأى محمّـداً وأبـا بكر اللذيـن تبحث عنهما قريش منذ أيّام. وقد خصّصت جائزة من مئة جمل لمـن يعثر عليهمـا. هكذا، ترك الأغنـام بمفردها وانطلق يركض. لقد عثر عليهما! سيذهب إلى مكّة ويخبر قريش بذلـك. اجتـاز الجبال والصحـراء، وهو يركـض من دون





توقّف. حتى وصل إلى نادي قومه، فوقف عليهم فقال: واللّهِ لقد رأيت ثلاثة ركاب مرّوا عليَّ منذ قليل، إني لأراهم محمداً وصاحبيه! فنظر إليه سراقة بن مالك وأشار إليه بعينه أن يسكت، ثم قال سراقة: إنما هم بنو فلان يفتشون عن غرض لهم أضاعوه! فقال الراعي: لعله. وسكت.

اليوم
123

قصّة سُراقة

كان سراقة رجلاً شجاعاً وماهراً في تعقّب الآثار. عندما يمتطي جواده، لا يمكن لأحد أن يوقفه، ولا أحد يستطيع الإفلات من بين يديه. هكذا انطلق حالما سمع عن جائزة المئة جمل التي سينالها من يعثر على محمّد. بحث عن نبيّنا الحبيب وعن أبي بكر في كلّ مكان. وسرعان ما وجد أثر أقدامهما. ففرح كثيراً وقرّر اللحاق بهما.

أدرك أبو بكر أنّ سراقة يبحث عنهما عندما رأى سحابة الغبار التي تصاعدت في السماء. فشعر بالذعر. في تلك الأثناء، كان رسول الله ﷺ يتلو القرآن على ظهر ناقته. فلاحظ قلق صاحبه، كما رأى الفارس الذي يندفع نحوهما. تماماً كما حدث في الغار، أخذ النبيّ ﷺ يطمئن صاحبه قائلاً له: «لا تحزن، إنّ الله معنا».

التفت إلى الخلف وحدّق إلى سراقة، الذي يمتطي الجواد. كان سراقة يقترب منهما بسرعة كبيرة. أصبحت المسافة التي تفصله عنهما قصيرة بحيث استطاع سماع القرآن على لسان النبيّ. لم يعرف أحد بالضبط ما الذي جرى مع سراقة، غير أنّ قدم جواده غرقت فجأة في الرمال. ارتبك سراقة واستشاط غضباً. وبعدما نجح بصعوبة في تحرير قدم جواده، انطلق خلفهما مجدّداً. غير أنّ قدم الجواد علقت مرّة أخرى. وتكرّر هذا الأمر ثلاث مرّات.

هذه المرّة، عجز سراقة عن إخراج قدم حصانه من الرمال. فجنّ جنونه وراح يتصبّب عرقاً هو وجواده. عندما نظر إلى نبيّنا الحبيب، فهم أنّه لا سبيل للوصول إلى النبي ﷺ. فصاح قائلاً: «يا محمّد، قد علمتُ أنّ هذا عملك، فادعُ الله أن ينجيني ممّا أنا فيه. فوالله لأُعمِينّ على مَن ورائي من الطلب». وأضاف سراقة أنّه سيعتنق الإسلام هو أيضاً يوماً ما، عندما يصبح الإسلام



أقوى وأكثر انتشاراً.

بما أنّ نبيّنا كان رسول المحبّة والرحمة، لم يكن يرغب لأحد أن يتعرّض للأذى. فرفع يديه إلى السماء ودعا لكي ينقذ الله سراقة. هكذا، خرج سراقة وحصانه من الرمال. شعر سراقة باحترام وامتنان كبيرَين للنبيّ. فدنا منه على الفور وقال له: «يا رسول الله! اطلب منّي أيّ شيء وسأنفّذه». فطلب منه النبيّ أن يرجع إلى قريش ويمنعها من اللحاق بهما. عندئذ، ودّعهما سراقة وعاد إلى قومه. هناك، التقى بكثير من المشركين الذين يبحثون عن النبيّ، فقال لهم: «ارجعوا، لقد فتّشت هذا المكان جيّداً، ولم أجد أحداً. فلنبحث في أماكن أخرى». نفّذ سراقة وعده لرسول الله ﷺ. وفي المستقبل، سيحصل على مكافأته على ذلك.

اليوم
124

نبع من اللبن

رأى رسول الله ﷺ وأبو بكر خيمة في الصحراء. عندما اقتربا منها، وجدا أنّها لامرأة تبيع الطعام للمسافرين.

سلّما عليها، ثمّ سألاها عن بعض طعام. غير أنّها اعتذرت قائلة إنّ الطعام قد نفد. فأشار رسول الله إلى شاة تقف بجوارها، وسألها: «يا أمّ معبد! هل بها من لبن؟» أجابت المرأة: «لا، هي أَجهدُ من ذلك» (أي أنّها أضعف من أن تُحلب). فابتسم رسول الله وقال: «أتأذنين لي أن أحلبها؟» فوافقت المرأة قائلة: «إن رأيتَ بها حلباً فاحلبها».

مسح رسول الله ﷺ بيده على ضرع الشاة، ثمّ سمّى الله ودعا. بعد ذلك، طلب من المرأة إناءً وحلب الشاة. لم تصدّق المرأة عينيها حين رأت الإناء يمتلئ باللبن. شرب الجميع حتّى ارتووا. ثمّ شكروا المرأة وودّعوها ورحلوا.

تركوا الإناء مليئاً باللبن. فدُهشت المرأة التي لم يسبق لها أن رأت في حياتها شيئاً كهذا. من يكون هذا الرجل الغريب؟ كيف حدث ذلك؟



عندمـا أتـى زوجها سـألها: «من أيـن هذا يا أمّ معبد، والشـاة عـازب بعيدة عـن المرعى؟» فروت له المرأة القصّة. قال لها الزوج: «صفيه لي يا أمّ معبد». فأخبرته إنّه متوسّط الطول، أسود العينين، وأسـود الحاجبين. وأطالت في وصف حسـن خَلقه وخُلقه. فهـم الرجل على الفور أنّ ذاك الرجـل مميّز جدًّا ووسـيم جـدًّا. فقال لها: «هو واللّه صاحب قريـش، الذي ذُكر لنا من أمره ما ذُكر بمكّة، ولو كنت وافقتُه لالتمستُ صحبته، ولأفعلنّ إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً». فأعدّت أم معبد وزوجها العدة؛ كي يلحقا برسول الله صلى الله عليه وسلّم في المدينة، وهناك أسلما.

هكذا، بينما كان نبيّنا الحبيب في طريقه إلى المدينة، راح ينضمّ إليه عدد متزايد من المؤيّدين والمؤمنين. كلّهم آمنوا به وبدين الإسلام.

اليوم
125

يوم وفاء وبرّ

كتب أبو بكر الصديق كتاباً ثم ألقاه إلى سـراقة، فأخذه سـراقة ووضعه في جعبة سـهامه، ثم رجع إلى مكة، فلم يذكر شيئاً ممّا حصل معه حتى جاء يوم فتح مكة بعد ثمان سنوات، وفرغ النبي ﷺ مـن حنين والطائف، فخرج سـراقة ومعه الكتاب ليلتقي بالنبـي ﷺ، فلقيه بالجعرانة، فدخل في كتيبة من خيل الأنصار، فجعلوا يقرعونه بالرماح ويقولون: ماذا تريد؟ فدنا من النبي ﷺ وهو علـى ناقته ورفع يده بالكتاب، فقال رسـول اللـه ﷺ: «يوم وفاء وبرّ، ادْنُه»، فدنا منه وأسـلم، ثم سألَ النبي ﷺ عن بعض الأمور في دينه، ثم عاد إلى قومه.

اليوم
126

صديق في الطريق إلى المدينة

مشـى النبيّ ﷺ مع صاحبه أبي بكر في الليل والنهار. كان حرّ الصحراء شـديداً. ومن وقت إلى آخر، تهبّ عاصفة رملية تغطّي كلّ شيء في طريقها، كالإعصار. عانيا من الجوع، والعطش، والتعب... وشـعرا بالإنهاك الشديد. تحمّلا جميع المشاقّ. لكن بما أنّ سيّدنا محمّداً هو رسول الله، فقد تحمّل كلّ هذه المصاعب من دون أيّ تذمّر في سبيل إيصال الرسالة إلى الناس.

مـع اقترابهمـا من المدينة، بدأت سـحابة من الغبـار ترتفع في البعيد. نظر إليها أبو بكر جيّداً، وأدرك أنّ شخصاً ما يتّجه نحوهما مـن المدينة. انتظرا بترقّب. وعندما اقترب القادم، أدركا أنّه الزُّبير، أحد مسلمي المدينة. فرحا برؤية صديق خلال هذه الرحلة الخطرة.

كان الزبيـر عائـداً مـن رحلة تجارية. قال لهما إنّ مسـلمي المدينة سـمعوا أنّ النبـيّ وصاحبه قد انطلقـا من مكّة وهم ينتظرونهما على الطرقات، ويظنّون أنّهمـا تأخّرا. بعد ذلك، أهداهما الزبير ملابس بيضاء اشـتراها من دمشق. فشكراه وتابعا المسير. لم يكن رسول الله يحبّ إجبار الناس على الانتظار. فحثّ الخطى لكي يصل إلى المدينة على نحو أسرع.

اليوم 127

الاستراحة الأولى للمسافر العظيم

كانت المدينة تنبض بالحماس، والفرح، والشوق... سيطرت هذه الأحاسيس على رجالها ونسـائها، وصغارها وكبارها. فقد سـمعوا أنّ رسـول اللـه ﷺ انطلق باتجاه المدينـة، لكنّ أحداً منهم لم يعرف أنّه أمضى ثلاثة أيّام في الغار. هذا التأخير أقلق الجميع، وراحوا يتساءلون عمّا إذا كانت قريش قد عثرت على المهاجرَين.

خـلال الأيّـام الثلاثة الأخيـرة، تركّزت جميع الأنظـار على طريق مكّـة. كلّ صباح، يصعد الناس إلى أسطح المنازل، ويتسلّقون أشجار النخيل لمراقبة الأفق. وعندما تشتدّ حرارة الشمس، يدخلون إلى منازلهم.

في هذا اليوم أيضاً، عاد مسـلمو المدينة إلى منازلهم هرباً من شـدّة الحرّ. في ذلك الوقت، كان أحـد اليهود على سـطح منزله، فلمح عدة أشـخاص يرتدون ملابس بيضـاء في الأفق. لا بدّ أنّ هؤلاء المسافرين هم من ينتظرهم مسلمو المدينة. فصاح اليهودي بأعلـى صوته: «هـا قد وصل الرجـل العظيم الـذي تنتظرونه!» ذاع الخبـر كالنار فـي الهشـيم. وفجأة، عمّـت الأفراح فـي كلّ مكان. أخـذ الناس يخبـرون بعضهم: «لقد أتى النبـيّ، النبيّ آتٍ!» غصّت الشـوارع بالمسلمين الذين خرجوا للترحيب برسول الله. لن ينسى أحد تلك اللحظة أو يعيشـها مجـدّداً! كانت فرحة لم يعرفها أحد من



قبـل. اصطـفّ حوالى خمس مئة مسـلم في الشـوارع. وراحـوا يصيحون بأعلـى صوتهم: «الله أكبر!» ويركضون لملاقاة رسول الله.

جلس رسول الله مع مرافقيه في ظلّ إحدى الأشجار لأخذ استراحة. كانت المدينة بنخيلها تبتسم لهم من بعيد. وكان بين مسلمي المدينة الذين خرجوا للترحيب به أشخاص لم يسبق لهم أن رأوا رسـول الله ﷺ من قبل. لهذا السبب، شـعروا بالحماس. ولمّا وصلوا إليه لم يعرفوه في البدايـة لأنهـم لم يكونـوا رأوه من قبل، لكن عندما قام أبو بكر ليظل النبي ﷺ بثوبه من الشـمس عرفوا من هو رسول الله ﷺ، ورحبوا به كثيراً.

بعد تلك الاستراحة القصيرة، امتطى النبيّ ناقته، وتابع الرحلة مع الناس الذين أتوا لمرافقته إلـى المدينة. أخذ المسـافرون اسـتراحة في قرية تدعى قباء، خارج المدينة. فـرح أهل قباء كثيراً عندما سـمعوا أنّ رسـول الله سـيمكث في قريتهم لبعض الوقت. وهناك، استضافه مسلم يدعى كلثوم. كان ذلك اليوم من أسعد أيّام مسلمي المدينة ومسلمي قباء.

اليوم 128

سلمان يبحث عن النبيّ ﷺ

كان ثمّة رجل يدعى سـلمان يعيش في مدينة تسـمّى أصفهان، في بـلاد فارس. كان والده، بوذخشـان، من أصحاب الأملاك. وكان مجوسـياً، يعبد النار، شأنه شأن كثيرين من أهل فارس. غير أنّه أحب ابنه كثيراً، ولـم يسمح له بالابتعاد عن عينيه مطلقاً.

لـم يكن بوذخشان يسمح لابنه بالخروج من المنزل خوفاً عليه. لكن في أحد الأيّام، حدث أمر هامّ، فقرّر إرسـال سـلمان إلى المزرعة. أخذه جانباً، وأوصاه بالانتباه إلى نفسـه، ثمّ أرسله. للمرّة الأولى، يغادر سلمان المنزل بمفرده. سيمشي في طريقه الخاصّ، ويقوم برحلته الخاصّة، وتلك الرحلة لن تكون سهلة.

فـي الطريـق، لفتت نظره كنيسـة وتناهت إليه أصـوات من داخلها. شـعر بالفضول، فدخل بهدوء من دون إحداث أيّ صوت. رأى هناك أشخاصاً لا يعبدون النار، بل يعبدون الله. فأُعجب سلمان بذلك كثيراً. قال في نفسه: «هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه». عندما عاد إلى منزله في المسـاء، أخبر أباه بما رأى، ثمّ سأله: «يا أبتِ، مررت بناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما





رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتّى غربت الشمس».

غضب الأب وقال: «يا بنيّ، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه». لكنّ سلمان لم يقتنع، بل استمرّ بطرح الأسئلة على أبيه. في الواقع، بدأ والد سلمان يشعر بالقلق. وخشي أن يتخلّى سلمان عن عبادة النار. هكذا، قيّد قدميه إلى أحد أعمدة المنزل، لمنعه من الذهاب إلى الكنيسة. انصاع سلمان لرغبة والده، وبقي أمام النار طوال اليوم. كان شابًّا ذكياً، ولم يجد من المنطق أن يعبد والده وأبناء بلاده النار. فقام بإرسال خبر إلى الكنيسة سرًّا، قال فيه إنّه سينضمّ إلى أوّل قافلة. سمع أنّ قافلة ستنطلق قريباً إلى دمشق. ونجح بعد مدّة وجيزة بفكّ قيوده والالتحاق بالقافلة.

عندما وصل إلى دمشق، أقام مع عدد كبير من الكهنة. كان الكهنة يعلّمون الناس عن الديانة النصرانية. غير أنّه تعلّم شيئاً مختلفاً من كلّ منهم. آخر كاهن أقام معه سلمان، أخذه جانباً وقال له: «يا بنيّ! والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنّا عليه آمرك أن تأتيه. ولكن قد أظلّك زمان نبيّ يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإنّ فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتم النبوّة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنّه قد أظلّك زمانه!».

شعر سلمان وكأنّ ناراً اشتعلت في قلبه، لكنّ بعض الأشرار اختطفوه قبل وصوله إلى شبه الجزيرة العربية. ثمّ قاموا ببيعه كعبد لرجل يهودي. لم يكن اليهودي ورجاله يعرفون شيئاً ممّا يجول في ذهن سلمان. أحضروه معهم إلى المدينة، غير أنّ سلمان لم يعرف إلى أين تمّ اصطحابه. ما إن رأى المدينة، حتّى أدرك أنّها تشبه المكان الذي وصفه معلّمه.

من الآن فصاعداً، سيمكث في المدينة. وسينتظر هناك على أمل أن يلتقي بالنبيّ المنتظر.

اليوم
129

اللحظة التي كان ينتظرها سلمان

تابع سلمان حياته كعبد. تولّى الأعمال التي كان يكلّفه بها سيّده ونفّذها على أفضل وجه، لكنّ أفكاره تركّزت دائماً على النبيّ الذي سيهاجر إلى المدينة.

في أحد الأيّام، أتى رجل إلى السيّد الذي يعمل عنده سلمان بينما كان هذا الأخير يقطف البلح من أعلى الشجرة. كان سيّد سلمان جالساً تحت الشجرة، فسأله الرجل: «هل تعرف ماذا جرى؟» سأله: «ماذا جرى؟» فأخذ الرجل يتحدّث بحماس: «قاتل الله بني قيلة، والله إنّهم الآن لفي قباء مجتمعون على رجل جاء من مكّة يزعمون أنّه نبيّ».

ما إن سمع سلمان ذلك، حتّى ارتعدت أوصاله. اضطرب كثيراً إلى أن أوشك على السقوط. فنزل عن الشجرة، وسأل الرجل: «ما هذا الخبر؟» انزعج سيّده كثيراً من تصرّفه، فلكمه على وجهه، وقال له: «ما لك ولهذا، أَقْبِلْ على عملك». فرجع سلمان إلى عمله، لكنّ ذهنه بقي مشغولاً بالنبيّ الآتي من مكّة. لا بدّ أنّه النبيّ المنتظر. أراد أن يتأكّد بنفسه، فانتظر حلول المساء.



عندما خيّم الظلام، حمل سلمان بعض الطعام وانطلق سرًّا إلى قباء. وقف أمام النبيّ ﷺ وقال: «بلغني أنّك رجل صالح، وأنّ معك أصحاباً لك غرباء، وقد كان عندي شيء من الصدقة فرأيتكم أحقّ مَن بهذه البلاد، فهاك هذا، فكُلْ منه»، وأعطاه علبة الطعام. شكره رسول الله، ثمّ أخذ الطعام منه، ووزّعه على المسلمين الموجودين هناك. أمّا هو، فلم يتناول منه شيئاً. كان سلمان يتوقّع ذلك، فهو يذكر تماماً ما قاله له معلّمه: «وإنّ فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتم النبوّة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة!» عاد سلمان مسروراً إلى المدينة.

عند أوّل فرصة، عاد إلى قباء لرؤية النبيّ. هذه المرّة، حمل له بعض الطعام كهدية. فقبلها النبيّ ﷺ، وأطعم الموجودين منها. عاد سلمان مسروراً إلى المدينة هذه المرّة أيضاً. أمّا بالنسبة إلى خاتم النبوّة الموجود على ظهر النبيّ، فسينتظر بصبر إلى أن يحين الوقت لرؤيته.

اليوم 130

عودة عليّ إلى رسول الله

كان عليّ هو الأقرب إلى قلب رسول الله بين أبناء أعمامه. وقد أحبّ النبيّ كثيراً هو أيضاً. في الليلة التي رحل فيها النبيّ سرًّا من مكّة، عرّض عليّ حياته للخطر من أجله. فعندما نصب المشركون فخًّا لرسول الله ﷺ أمام منزله، ولم يجدوا سوى علياً في سريره، كان بإمكانهم قتله.

غيـر أنّ اللـه تعالى حمى عليًّا، الذي لم يتردّد يوماً في السـير على خطـى نبيّنا الحبيب، ولم يجد المشركون الشجاعة لقتله.

لـم يلبث في مكّة سـوى عليّ وعدد من المسـلمين، وحـان الوقت ليهاجروا هـم أيضاً إلى المدينة المنوّرة. نفّذ عليّ ما طلبه منه رسول الله حرفياً. أعاد أملاك الناس إلى أصحابها، بعد أن تركوها في أمانة رسـول الله ﷺ. بعد ذلك، رحل سـرًّا إلى المدينة. لم يكن لديه دابّة يركبها، بل اضطرّ إلى قطع المسـافة سـيراً على الأقدام. كان يسـير نهاراً، ويختبئ في مكان ما ليلاً. ومع أنّ الرحلة كانت شاقّة، إلاّ أنّه واصل المسير. تحمّل كلّ هذه الصعوبات أملاً بالاجتماع برسول الله قريباً من جديد.

وعندمـا وصـل علي إلى قرية قباء، نزل مع النبي ﷺ في بيت كلثوم، وكانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين، ثم سافر مع النبي ﷺ إلى المدينة.

اليوم 131

قصّة صُهيب

كان صهيب واحداً من المسلمين الذين مكثوا في مكّة. غير أنّه تعرّض للتعذيب على أيدي المشـركين. أراد هـو أيضـاً الهجرة إلـى المدينة، لأنّه كان يفتقـد كثيراً إلى رسـول الله ﷺ. فقام بالاسـتعداد، ورحل مع أسـرته. لكنّ المشركين بحثوا عنه على الفور ولحقوا به. قالوا له: «والله لا ندعك تفوز منّا بنفسك ومالك. لقد أتيت مكّة صعلوكاً فقيراً فاغتنيت وبلغت ما بلغت».

كان صهيـب شـجاعاً جدًّا. فترجّل فوراً عن ناقته، ثمّ تناول السـهام مـن حقيبته وصاح بهم قائلاً: «يا معشـر قريـش، لقد علمتم أنّي مِن أرمى الناس وأحكمهـم إصابة. والله لا تصلون إليّ حتّى أقتل بكلّ سهم معي رجلاً منكم، ثمّ أضربكم بسيفي ما بقي في يدي شيء منه».

خاف المشـركون، لكن لم تكن لديهم النيّة بتركه يفلت من أيديهم. لو أراد صهيب، لتمكّن من غرز سـيفه ببطونهم وقتلهم جميعـاً. فكّر مليًّا، وقدّم لهم عرضاً لن يرفضـوه. قال لهم: «أرأيتم إن تركت لكم مالي، أتخلون سـبيلي؟» دُهش المشـركون وفرحوا بهـذا العرض كثيراً. قالـوا له: «نعم». فأعطاهم صهيب كلّ ما معه من مال ومقتنيات، وتابع طريقه إلى المدينة مرتاح البال.



بعد رحلة طويلة وشاقّة، وصل إلى قباء. غير أنّه واجه في الطريق مصاعب شتّى! وعندما وصل، كانت عيناه تؤلمانه. بدأ الألم في أثناء الرحلة، ربّما بسبب عاصفة رملية، أو بفعل نور الشمس الساطع. كان يشعر بالتعب والإنهاك. فاستقبله رسول الله والصحابة بحفاوة لأنّهم اشتاقوا إليه كثيراً. وقدّموا له التمر الطازج الذي تُشتهر به المدينة.

كان صهيب جائعاً جدًّا. فبدأ على الفور يأكل التمرات، واحدة تلو الأخرى. فقال له النبيّ ﷺ ممازحاً: «تأكل الرطب وأنت رمد؟».

فأجاب صهيب بذكاء: «إنّما آكله بشقّ عيني الصحيحة». فرح رسول الله بجوابه المرح والذكي وابتسم له. وبعد استراحة قصيرة، شرح صهيب للنبيّ كلّ ما جرى معه في رحلته. قال: «أخذتني قريش فحبسوني، فاشتريت نفسي وأهلي بمالي».



ابتسم رسول الله وقال: «ربح البيعُ يا أبا يحيى! ربح البيع!».

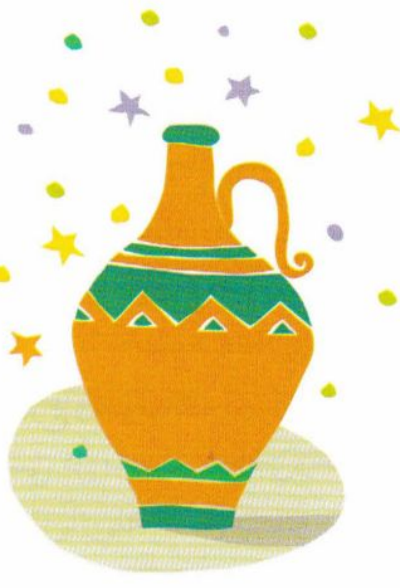
كانت هذه الجملة تنطوي على كثير من المعاني. فقد ضحّى صهيب بكلّ ثروته، لكنّه فاز بالمقابل بثناء رسول الله ﷺ. في تلك اللحظة، شعر أنّه أسعد رجل على وجه الأرض.

اليوم 132

أوّل مسجد في قرية قباء

كان ثمّة الكثير ليتعلّمه مسلمو قباء من رسول الله. لهذا السبب، قرّر نبيّنا ﷺ بناء مسجد في القرية خلال إقامته فيها. حتّى ذلك اليوم، لم يكن لدى المسلمين مكان يجتمعون للصلاة فيه.

كان رسول الله ﷺ يقيم في منزل مسلم يدعى كلثوم. وكان كلثوم يملك قطعة أرض خالية يستخدمها لتجفيف البلح. فتمّ الاتّفاق على استخدامها كموقع للمسجد. بعد هذا القرار، شمّر المسلمون فوراً عن سواعدهم، وبدأوا العمل.



كان رسول الله ﷺ يحبّ العمل. فوضع حجر أساس المسجد بنفسه. ثمّ قام أبو بكر، وعمر، وعثمان بوضع الأحجار الأولى، وانضمّ الجميع بحماس إلى هذا العمل. شارك رسول الله بجهد كبير في أعمال البناء. كان يحمل الأحجار الكبيرة إلى بطنه، وعندما يأتي أحد الصحابة لحمله عنه، كان يرفض ويطلب منه حمل حجر آخر. عمل رسول الله ﷺ بجدّ كبير، الأمر الذي دفع المسلمين إلى مضاعفة جهودهم. وقد بني أوّل مسجد في قباء في مدّة قصيرة بفضل ذلك.

حان الوقت ليغادر رسول الله قباء. فامتطى ناقته قصواء في صباح أحد أيّام الجمعة، وركب أبو بكر خلفه. هكذا انطلقت قصواء إلى المدينة حاملة على ظهرها الضيفين المنتظرَين. صحيح أنّ أهل قباء لم يرغبوا في فراق رسول الله، لكنّ أهل المدينة كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر.

بينما كان المسافران يستعدّان للرحيل إلى المدينة، حان وقت صلاة الجمعة. وكان رسول الله ﷺ قد وصل إلى ديار بني سالم بن عوف، فصلى الجمعة في المسجد الذي في بطن الوادي، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة.

بعد الخطبة، امتطى النبيّ ﷺ ناقته مجدّداً وبدأ رحلته إلى المدينة.

اليوم 133

فرحة عارمة

تقدّم رسول الله ﷺ على ظهر قصواء نحو المدينة، تظلّله أغصان الأشجار الخضراء. غصّ جبل الصفا بالناس، وصعد كثير منهم على أسطح المنازل، أملاً في رؤية رسول الله.

واجه النبيّ ﷺ كثيراً من المشاقّ، واستجاب لدعوتهم. لهذا السبب، شعر أهل المدينة بفرح عارم. ارتدى جميع الأطفال، من ذكور وإناث، أجمل ملابسهم وخرجوا إلى الشوارع. وتسلّق بعضهم الأشجار لاستراق نظرة إلى رسول الله قبل بقيّة الناس.

عندما دخل إلى المدينة، هتف الناس فرحاً. راح الأطفال يزفّون لبعضهم النبأ السعيد:



"جاء محمد رسـول الله، جاء رسول الله!» بكى كثير من المسـلمين فرحاً، بينما تقدّم رسول الله ببطء على ظهر ناقته.

لم يكن رسـول الله أقلّ فرحاً منهم. فرؤية أهل المدينة وهم يرحّبون به بحفاوة كبيرة أثّرت به كثيراً، بعـد أن كان عاجـزاً حتّى عن السـير في شـوارع مكّة بحرّيـة. لقد برّ أهل المدينـة بوعدهم الذي قطعوه في العقبـة، وفتحـوا أذرعهـم لرسـول الله. تجمّـع الأطفال حوله وهم يهتفون معاً: «أهلاً بنبيّنا الحبيب!».

نظـر النبيّ ﷺ بحنان إلى الأولاد الصغـار المتجمعين حوله، وقال لهم: «الله يعلم أن قلبي يحبكنّ».

اليوم
134

لم أرَ يومين شبيهاً بهما

الغـلام أنس بـن مالك رضي الله عنه كان خادم النبي ﷺ طوال فترة إقامتـه بالمدينة، وكان في فوج الغلمان الذين استقبلوا رسول الله ﷺ أول وصوله، فقال أنس يصف ما حدث يومها: إني لأسعى في الغلمان يقولون: جاء محمد! فأسعى فلا أرى شيئاً، ثم يقولون: جاء محمد! فأسعى فلا أرى شيئاً، قال: حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر، فكنّا في بعض حرار المدينة، ثم بعثنا رجلٌ من أهل المدينة ليُؤْذِنَ بهما الأنصار، فاستقبلهما زُهاء خمسِ مئة من الأنصار حتى انتهوا إليهما، فقالت الأنصار: انطلقا آمنَين مُطاعَين. فأقبل رسـول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة، حتى إن العواتق (أي النساء) لفوق البيوت يتراءَينه، يقُلن: أيّهم هو؟ أيّهم هو؟

قال: فما رأينا منظراً مُشبهاً به يومئذ!

قال أنس بن مالك: ولقد رأيته يوم دَخَل علينا، ويوم قُبِضَ، فلم أرَ يومين مُشبهاً بهما!

اليوم 135

أين سيقيم النبيّ ﷺ؟

أخذت قصواء تمشي ببطء في شوارع المدينة. كانت تحمل رسول الله ﷺ بفخر على ظهرها وتحاول عدم إيذائه أو إزعاجه. وكلّما مرّ النبيّ أمام أحد المنازل، كان صاحبه يصيح قائلاً: «أقم عندنا يا رسول الله!» غير أنّ النبيّ، بقلبه المليء بالرحمة، لم يشأ إيذاء مشاعر أحد. فكان يجيب في كلّ مرّة: «خلّوا عنها (أي الناقة) فإنّها مأمورة».

هكذا أصبحت قصواء محطّ الأنظار. راحت تمرّ تماماً في الأماكن نفسها التي مرّ بها رسول الله ﷺ عندما أتى مع أمّه في طفولته. علت أصوات الناس الذين راحوا يدعون الرسول إلى منازلهم، لكنّ قصواء تابعت رحلتها الصغيرة. أخيراً، ربضت في قطعة أرض خالية مخصّصة لتجفيف البلح.

كان المقيمون في هذا الحيّ من بني النجّار. وبنو النجّار هم أقرباء والدة رسول الله، آمنة. فهتف أولاد ذلك الحيّ فرحاً، وأخذت الفتيات الصغيرات تعزفن على الدفّ وتغنّين بأثوابهنّ المزركشة:

نحن جوار من بني النجار
يا حبّذا محمّد من جار

نظر إليهنّ رسول الله ﷺ وابتسم، فقد فرح هو كذلك باختيار قصواء. راحت الناقة تهزّ عنقها الجميل من جهة إلى أخرى، بينما ترجّل عنها النبيّ وقال إنّه سيقيم هنا إن شاء الله. لم يكن رسول الله يعد أو يخطّط لشيء من دون أن يقول إن شاء الله. وهذا يعني أنّه لا يستطيع فعل شيء يرغب به إلاّ بإذن الله ومشيئته.

اليوم 136

الأخوان سهل وسهيل

كانت قطعة الأرض التي ربضت بها قصواء تنتمي إلى شقيقين هما سهل وسهيل، وكانا يتيمَين. أراد رسول الله ﷺ أن يتعرّف عليهما، فأتى الصبيّان يركضان نحو النبيّ. وقفا أمام النبيّ



بارتباك، بينما نظر إليهما بحنان ومحبّة. طلب إليهما أن يبيعاه قطعة الأرض. لكنّهما لم يقبلا هذا العرض، بل قالا: «يا رسول الله، نحن لا نريد المال. بل نقدّم إليك الأرض بكامل رضانا».

بيد أنّ رسول الله لا يقبل بالاستيلاء على حقوق أحد. لهذا السبب لم يوافق على ذلك، بل قام بدفع الثمن الذي تستحقّه الأرض لسهل وسهيل. في هذا المكان، سيبني رسول الله ﷺ منزلاً له. وكان الشقيقان فخورَين بذلك.

اليوم 137

فرحة أبو أيّوب



إلى أن يتمّ بناء ذلك المنزل، على رسول الله ﷺ أن يقيم في مكان ما في الحيّ الذي ربضت فيه قصواء، أي حيّ بني النجّار. لكن في منزل من سيقيم؟ نظر إليه الجميع بترقّب وأمل. لم يرغب النبيّ ﷺ بإيذاء مشاعر أحد من الموجودين. فسألهم: «أي بيوت أهلنا أقرب؟» تقدّم أحد الحاضرين مبتسماً وقال: «أنا يا نبي الله، هذه داري وهذا بابي». وأشار إلى منزل خلفه.

كان هذا الرجل يدعى أبا أيّوب الأنصاري، الذي عُرف بحسن طباعه ورقّة كلامه. وكان يتمتّع باحترام الجميع. فاستجاب له النبي ﷺ وذهب ليقيم عند أبي أيوب.

أنزل أبو أيّوب الأمتعة عن ظهر الجمل بفرح كبير وحملها إلى منزله. لم يكن قد سبق لأحد أن رآه بهذه السعادة. كانت زوجته سيّدة لطيفة مثله ذات قلب طيّب. وكانت تُكنّى بأمّ أيّوب. فرحت هي أيضاً باستضافة رسول الله ﷺ. وركضت فوراً إلى المنزل لتجهيزه وفعل ما في وسعها ليكون النبيّ مرتاحاً. كان منزل أبي أيّوب وأمّ أيّوب مؤلّفاً من طابقين. فخصّصا الطابق الثاني للنبيّ.

عندما انتهيا من إعداد المنزل، رجعا إلى رسول الله وأخبراه أنّهما جهّزا له ولأبي بكر مكاناً. لم ينزعج أحد من اختيار رسول الله لمكان إقامته، لأنّهم يدركون أنّه فعل ذلك بأمر من الله. فاصطحبوه بحفاوة إلى منزل أبي أيّوب على وقع الدفوف، والأناشيد، والشعر.

اليوم
138

معجزة في منزل أبي أيّوب

هاجـر نبيّنـا الحبيب ﷺ مـن مكّة المكرّمة إلـى المدينة المنوّرة. كانـت هجرته خطوة هامّة ستشـكّل بداية لمرحلة جديدة وجميلة. سـيعرف المسـلمون أيّاماً سـعيدة جدًّا بعد هذا التاريخ. لهذا السبب، أصبح هذا اليوم بداية التقويم الإسلامي.

في منزل أبي أيّوب، خيّم السرور والبهجة. أخذ خالد بن زيد، المكنّى بأبي أيّوب، وزوجته أمّ أيّـوب، يبـذلان ما في وسـعهما ليشـعر رسـول الله بالراحـة. أعدّا الطعـام بعنايـة بالغة. فهذه الاسـتعدادات كانت لأشـرف ضيفين، رسـول الله وأبي بكر. قال رسـول الله: «اذهب فادع لي ثلاثين من أشراف الأنصار».



في الواقع، لم يكن الطعام يكفي لأكثر من شـخصين. لكنّ أبا أيّوب لـم يتردّد، بل خرج وعاد برفقة ثلاثين شـخصاً. أكل الجميع من الطعام حتّـى شـبعوا، وبقي شـيء منه. فقال رسـول الله لأبي أيّـوب: «اذهب فـادع لي سـتين من أشـراف الأنصـار». ذُهل أبو أيّـوب. فقد أكل من الطعام ثلاثون شخصاً، والآن يطلب الرسول إحضار ستّين آخرين؟ مـع ذلـك، نفّذ أبو أيّوب ما أمره به النبـيّ. فأتى الضيوف وأكلوا من الطعام حتّى شبعوا. مع ذلك، بقي شيء من الطعام في الطبق.

كانت تلك معجـزة واضحة، ولـم ينسَ أبو أيّوب تلك الحادثة طـوال حياته! أخبر لاحقاً الناس بها قائـلًا: «فأكل من طعامي ذلك مئة وثمانون رجلاً كلهم من الأنصار.

اليوم
139

فـرحـة ابن سلام

عاش في المدينة بعض اليهود الذين آمنوا بموسـى عليه السلام والأنبياء المتحدّرين من سـلالته.

وكانـوا يعتبـرون أنّ الله فضّلهم على بقيّة بني البشـر. لكن في الواقع، كلّ الناس متسـاوون أمام الله.

عـرف اليهـود أنّ خاتـم الأنبياء سـيظهر يومـاً ما، وانتظـروا ذلك اليـوم. فالتـوراة تحتوي على أوصافـه، وفيهـا يأمر الله اليهـود أن يؤمنوا بهذا النبـيّ ويتّبعوه. غير أنّهم توقّعـوا أن يظهر وأن يكون واحداً منهم. وعندما عرفوا أنّه ظهر بين العرب، شعروا بخيبة كبيرة. فأنكره كثير منهم ولم يؤمنوا به.

كان في المدينة عالم يهوديّ كبير يدعى عبد الله بن سـلام. كان رجلاً ذكياً، ومتواضعاً، لم يعـرف معنـى الغيرة قطّ. عندما سـمع بوصول نبيّنا الحبيب ﷺ إلى المدينـة المنوّرة، فرح كثيراً، وقال: «الله أكبر!» فانزعجت منه عمّته وصاحت به قائلة: «لو كنتَ سـمعت بموسـى بن عمران قادمـاً مـا زدت». فأجابها عبد الله بن سـلام بفرح: «هو والله أخو موسـى بن عمران وعلى دينه، بُعِثَ بما بُعِثَ به». عندئذ أجابته عمّته: «أيْ ابن أخ، أَهو النبي الذي كُنّا نُخبَرُ به أنه بُعث مع نَفَسِ السّاعة». أجابها عبد الله: «نعم»، فقالت: «فذاك إذاً».

انطلق عبد الله بن سلام إلى رسول الله. وعندما نظر إليه، عرف أنّ وجهه ليس بوجه كذّاب! ما إن رآه حتّى شعر أنّ وجه رسول الله أضاء حياته! فاعتنق الإسلام فوراً. وشعر في تلك اللحظة أنّه من أسعد الناس على وجه الأرض.

اليوم
140

كذب اليهود

أقـام رسـول الله ﷺ في تلك الفترة في منزل أبي أيّـوب. وكان الناس يأتون لزيارته أفواجاً، ويصغون إلى تعاليمه. كان العالم اليهودي عبد الله بن سلام واحداً منهم. ما إن رأى رسول الله، حتّى أدرك أنّه نبيّ مرسل، وأسلم على الفور.

غير أنّه خشي على نفسه من اليهود الذين رفضوا الإيمان به. فقال: «يا رسول الله، إنّ اليهود قوم بهت، وإنّهم إن يعلموا بإسلامي بهتوني. فأرسِل إليهم، فسلهم عنّي».

قبِل رسـول الله ﷺ طلبه. فدعـا وجهاء اليهـود وخبّأ عبد اللـه. عندما وصلوا، اسـتقبلهم بترحاب وأخبرهم أنّه نبيّ مرسل من الله، وأنّه أتى إلى الناس بدين الحقّ.

فاسـتنكر اليهود، ورفضوا الإسـلام. عندئذ تابع رسـول الله: «أيّ رجل ابن سـلام فيكم؟»



فقالوا: «حَبْرنا وابن حَبْرِنا، وعالِمنا وابن عالِمنا». فقال النبيّ: «أرأيتم إن أسلَم، تُسلمون؟» أجابوا: «أعاذه الله من ذلك». في تلك اللحظة، نادى رسول الله عبد الله بن سلام، فخرج عبد الله من مخبئه وقال: «أشهد أنْ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله». وراح يدعو علماء اليهود إلى مخافة الله والإيمان بهذا النبيّ المذكور في كتابهم.

فوجئ اليهود تماماً. فانقلبوا عليه على الفور، وراحوا يكيلون له الإهانات قائلين: «شرُّنا وابن شرّنا، وجاهلُنا وابن جاهِلِنا». لاموه هو وأباه، ووجّهوا إليه شتّى الاتّهامات. فالتفت عبد الله بن سلام إلى رسول الله، وقال له إنّ هذا هو ما كان يخشاه. فهو يعرف تماماً أنّ اليهود قساة، ومخادعون، ومفترون.

لم يُضع عبد الله بن سلام لحظة واحدة من وقته بعد دخوله في الإسلام. بل راح يدعو الناس أينما ذهب إلى الإيمان برسول الله الذي وردت أوصافه في التوراة. أسلم كثير من اليهود على يديه، ولم يحاولوا التمسّك بآرائهم ورغباتهم الخاصّة كما فعل كثير من اليهود الآخرين. آمنوا بدين الحقّ، واتّبعوا أوامر الله، وانتهوا عن نواهيه.

اليوم 141

حسن خُلق الرسول ﷺ

بينما كان الأطفال يلعبون معاً، مرّ بهم رجل عجوز. كان من الواضح أنّه غريب عن المدينة. نظر إليهم وبدا على وجهه شيء من القلق.

فاقترب منهم وسألهم: «أيّها الأطفال! سمعتُ أنّ رجلاً أتى من مكّة يدّعي أنّه نبيّ. هل تعرفونه، أيّ نوع من الرجال هو؟» راح الأولاد يتسابقون لإجابته، وقال كلّ منهم شيئاً عن أشرف خلق الله.

«إنّه أفضل إنسان على وجه الأرض! كلّ تصرّفاته حسنة. يقولون إنّه كان شخصاً مميّزاً منذ صغره».



«إنّه صادق وأمين».

«ومتواضع وكريم».

«لا يكذب ولا يخدع أحداً».

«يحمي الضعفاء، ويتصدّق على المحتاجين».

«دائم الابتسام، ولا يتحدّث عن عيوب الناس».

«كما أنّه لطيف وليّن الطباع».

«يتغاضى عن الأمور التي لا يحبّها، ولا يلوم أحداً أبداً».

«دائم التفاؤل، وصبور، ومتفهّم».

«لا يبحث عن عيوب الناس».

«يصغي باهتمام إلى الجميع حتّى يُنهوا حديثهم، ولا يقاطع أحداً أبداً في أثناء كلامه».

«يكره الغيبة والنميمة».

«يحبّ أن يواظب الناس على فعل الأعمال الصالحة، حتّى لو كانت بسيطة».

«يتحلّى بأحسن الأخلاق. ومن يتّخذونه قدوة هم أفضل الناس في المجتمع».

«عندما كان في الخامسة عشرة من عمره، اعتُبر من أفضل الناس خُلقاً في قومه. لم يسمح بالظلم، بل اهتمّ بمشاكل الناس. لهذا السبب، لُقّب بمحمّد الأمين».

بعدما أصغى العجوز إلى كلام الأطفال، قال: «إنّه إذاً خاتم الأنبياء، عليه أفضل الصلاة والسلام»، ثمّ ذهب فوراً لرؤية نبيّنا الحبيب.

اليوم 142

سلمان يستعيد حرّيته

سلمان هو شابّ فارسي. عاش لفترة في المدينة المنوّرة على أمل ظهور النبيّ المنتظر، ورغب كثيراً في رؤية خاتم النبوّة الذي تحدّث عنه معلّمه. بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، اعتاد سلمان على زيارته كلّما سنحت له الفرصة.

في إحدى تلك الزيارات، أكرمه الله برؤية الخاتم. فأخبر رسولَ الله ﷺ وهو يبكي بما حدث معه. وبعد ذلك نطق بالشهادة واعتنق الإسلام.

لم يرغب سلمان في العيش بعيداً عن رسول الله، ولا حتّى للحظة واحدة. غير أنّه كان عبداً، وهذا الأمر يحتّم عليه العمل طوال اليوم. لم يكن باستطاعته الذهاب إلى أيّ مكان من دون إذن سيّده، الذي منعه حتّى من أداء الصلوات. عندما عرف رسول الله بذلك، أسِفَ على حاله. في أحد الأيّام، استدعاه وقال له إنّ الوقت قد حان لكي يتحرّر من العبودية. ثمّ طلب منه أن يذهب إلى سيّده ويعقد معه اتّفاقاً، وقال له: "كاتِب يا سلمان على نفسك".

تحدّث سلمان مع سيّده، وسأله ماذا يريد مقابل حرّيته. كان سيّده رجلاً قاسياً، فطلب منه أن يغرس له ثلاث مئة نخلة مثمرة، بالإضافة إلى أربعين أوقية من الذهب.

كان سلمان فقيراً جدًّا، وعاجزاً عن تلبية هذه الشروط. عاد إلى رسول الله وروى له ما جرى. فقال النبيّ ﷺ: "أعينوا أخاكم بالنخل".

تعاون الصحابة لمساعدة سلمان. وخلال مدّة قصيرة، جمعوا ثلاث مئة شتلة نخيل. قال النبيّ: "انقر لها ولا تضع منها شيئاً حتّى أضعه بيدي". ففعل سلمان ما قاله له رسول الله. عندما حفر الحفر، أخبر النبيّ. فأتى رسول الله وغرس النخلات بيده وسوّى عليها التراب، باستثناء واحدة. ببركته ودعائه، كبرت الغرسات وتحوّلت إلى أشجار، وأثمرت في أقلّ من عام. كانت تلك معجزة أدهشت الناس.

غير أنّ غرسة واحدة لم تثمر، وكانت تلك هي التي لم يزرعها النبيّ بيده. عندما رآها، اقتلعها وزرعها مجدّداً. وبعد مدّة قصيرة، بدأت تثمر هي الأخرى. هكذا، نفّذ سلمان طلب سيّده، وحان الوقت لدفع الذهب.



كان النبيّ يملك قطعة من الذهب بحجم بيضة الدجاج. استدعى سلمان، وأعطاه إيّاها قائلاً: "أدِّ هذه". قال سلمان: "يا رسول الله، وأين تقع هذه ممّا عليّ؟" فقال النبي ﷺ: "خذها، فإن الله عزّ وجل سيؤدّي بها عنك". فأخذ سلمان قطعة الذهب إلى تاجر ذهب وباعها. وبالمال الذي حصل عليه، دفع دينه. هكذا تحرّر بدعوات وعطف رسول الله.

اليوم
143

تآخي المسلمين

لكـي يتمكّن مسـلمو مكّة المكرّمة من ممارسـة دينهـم بحرّية، تركـوا منازلهم، وأملاكهم، ومقتنياتهـم، وهاجروا إلى المدينة. لذلك أصبح اسـمهم المهاجريـن. ومن فتحوا لهم منازلهم، وقلوبهم، سُمّوا الأنصار، لأنّهم نصروهم ودعموهم.

أتـى المهاجرون إلى منـاخ جديد، وحياة جديدة، ومجتمع جديد، ولـم يحملوا معهم شـيئاً من أملاكهم. لهذا السـبب، لم يكن من السـهل عليهم تأسـيس حياة جديدة وهم يحاولون إيجاد عمـل فـي المدينة. أدرك رسـول الله ﷺ ذلك جيّداً. فقد مرّت خمسـة أشـهر علـى مجيئهم إلى المدينة المنوّرة. وكان يشـعر بالمصاعب التي يواجهها مسـلمو مكّة. هكذا جمع المسلمين معاً، وأخبرهم النبيّ أنّه يرغب في أن يتآخى شخص من مكّة مع شخص من المدينة. هذا الخبر أفرح الجميع. كلّما استدعى شخصين، كان يعلنهما أخوة. بذلك، قبل كلّ شخص من المدينة بالعيش مع شقيقه الآتي من مكّة، وتقاسم معه كلّ ما يملكه.

كان مسـلمو المدينـة المنوّرة طيّبي القلـب ومضيافين. فحتّى قبل أن يُعلن رسـول الله ﷺ التآخـي بينهـم وبيـن مسـلمي مكّـة، فتحوا أذرعهـم ومنازلهـم لأهل مكّـة. وبعد هـذا الاتّفاق، اعتبروهـم أخوة لهم عن رضى وطيب خاطر. من الآن فصاعداً، سـيعمل مسـلمو مكّة والمدينة معاً، وسيعيشـون معـاً. سـيزدادون قوّة ووحدة مـع الأيّام، وسـيظلّون أخـوة فـي السـرّاء والضـرّاء. هكـذا، لـن يشعر مسلمو مكّة بالوحدة والعجز. كما أنّ مسلمي المدينة سيتعلّمون القرآن والإسلام بسهولة أكبر من إخوانهم الذيـن أمضوا وقتاً طويلاً مع النبيّ في مكّة المكرّمة.



بهـذه الطريقـة، قـام النبـيّ ﷺ بحـلّ مشـكلة أخرى من مشاكل المسـلمين. وقبِل الأنصـار والمهاجـرون هذا الاتّفـاق الجديد بسرور كبير.

اليوم 144

المدينة، وطيبة



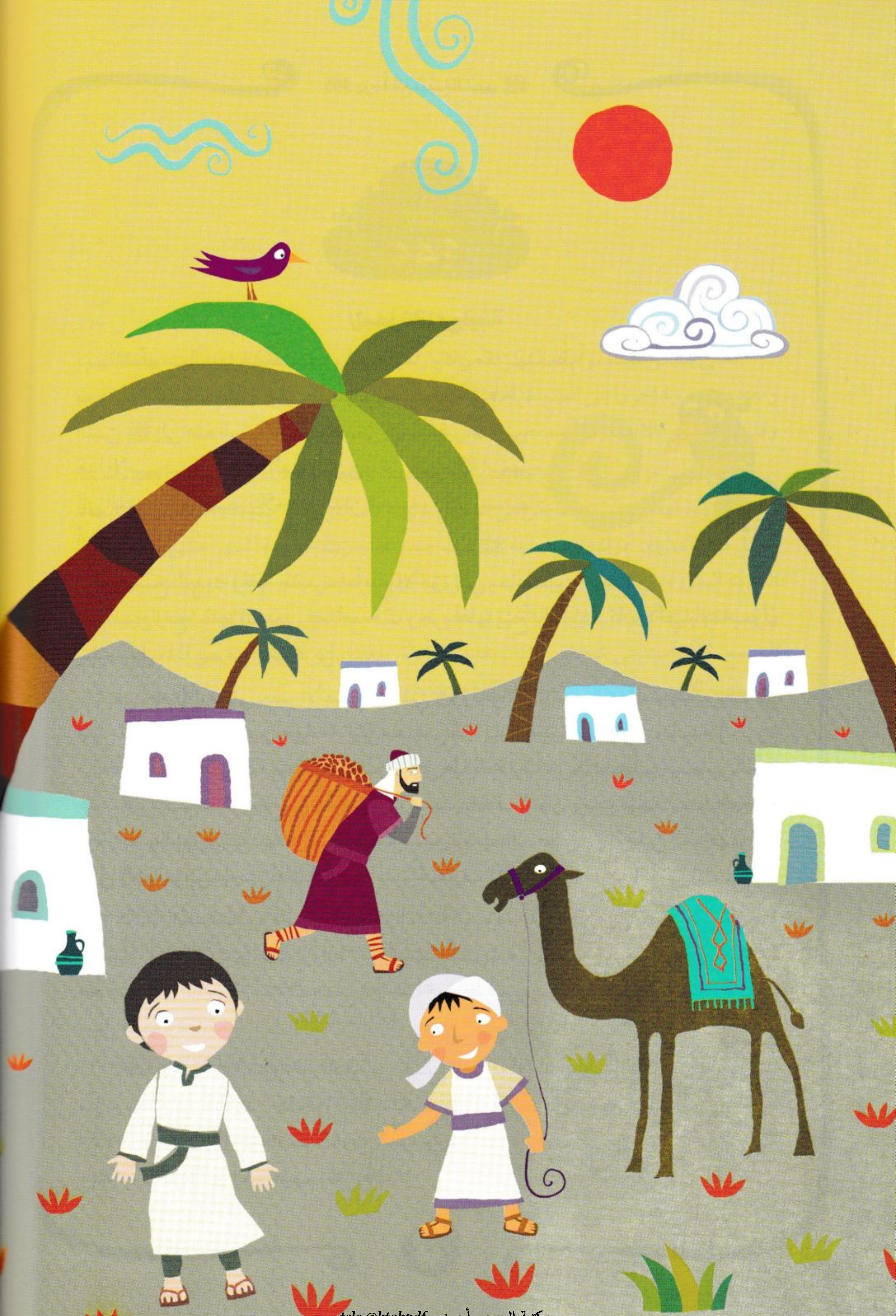
اشتُهرت المدينة بخُضرتها وأشجارها. وكان طقسها ممطراً بما فيه الكفاية للحفاظ على طبيعتها الخضراء. قبل هجرة النبيّ ﷺ إلى هذه المدينة، كانت تسمّى يثرب. غير أنّ معنى هذا الاسم لم يكن حسناً. لهذا السبب، غيّر النبيّ ﷺ اسمها إلى المدينة. وهو اسم يتلاءم مع الدين الجديد، وكان يسميها أيضاً طيبة.

أصبح للمدينة وجه جديد تماماً مع الأخوّة التي سادت بين المسلمين ومع اسمها الجديد. كما أصبحت وجوه أهلها تشعّ بالسعادة. كان الأنصار يتقاسمون بسرور كلّ ما لديهم مع المهاجرين.

في أحد الأيّام، أتى بعض الأنصار إلى النبيّ ﷺ وقالوا: «يا رسول الله! اقسِم بساتين النخيل التي تنتمي إلينا بيننا وبين إخواننا». لكنّ مسلمي مكّة كانوا تجّاراً، ولا يعرفون شيئاً عن الزرع والحقول. لهذا السبب، لم يوافق الرسول على هذه الفكرة. غير أنّ أصحاب البساتين ألحّوا عليه. قالوا إنّهم سيقومون بريّ الأرض، وزراعتها، وقطاف الثمار، وسيتركون الأعمال الخفيفة لإخوانهم المهاجرين. بهذه الطريقة، سيتقاسمون معهم المحصول. بناءً على إلحاحهم، قبِل النبيّ ﷺ بالعرض. وحتّى ذلك اليوم، لم يسبق أن عرف الناس هذا القدر من التآخي والمشاركة.

هكذا اتّحد مسلمو مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة على نحو متين بفضل هذه الأخوّة الجميلة. ومن كان يرى تلك الروابط القويّة بينهم، كان يشعر بدهشة كبيرة. يا له من دين رائع! فقد صنع هذا الدين من أبناء المجتمع الواحد أخوة حقيقيين، يساعدون بعضهم ويتعاونون في سبيل قضية واحدة.

أظهرت المدينة المنوّرة قدراً كبيراً من حسن الضيافة للرسول. فكلّ المهاجرين الذين أتوا من دون منازل ولا أراضٍ أصبحوا فجأة يملكون بيوتاً، وأراضٍ، وبساتين جميلة. فرح الفقراء، وعادت البسمة إلى وجوه الأطفال، ومن كانوا عاجزين في الماضي أصبحوا يدعون لرسول الله ويشكرون الله الذي أنعم عليهم بكلّ ذلك.



اليوم
145

أخوّة، واجتهاد، وحياة رضية

كانت الأخوّة والمحبّة بين المسلمين تتزايد مع الوقت. غير أنّ المسلمين لم يقبلوا بالبقاء من دون عمل. فدين الإسلام ينهى عن الكسل. هكذا أخذوا يبذلون ما في وسعهم ليردّوا جميل إخوانهم الأنصار.

كان رسول الله ﷺ قد آخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف. ودعا الله لكي يزداد عبد الرحمن ثراءً. فقال له أخوه سعد: «إنّي أكثر الأنصار مالاً، فأقسِمُ لك نصف مالي». لكنّ عبد الرحمن أجابه قائلاً: «لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟»

بعد هذا الطلب، دلّه سعد على سوق المدينة المنوّرة. فذهب إلى السوق واشترى بعض السمن، والجبن، وغيره من الأطعمة، ثمّ باعها وحقّق بعض الأرباح. مع الوقت، توسّعت تجارته. وخلال مدّة قصيرة جنى أرباحاً طائلة، وأصبح من أغنى رجال المدينة. غير أنّ عبد الرحمن بن عوف، الذي كسب ثروته بفضل دعاء النبيّ ﷺ، كان على استعداد للتضحية بها كلّها في سبيل الإسلام. وفي الأيّام القادمة، سيرى الناس كيف سيساهم عبد الرحمن بسبع مئة جمل محمّلة بالبضائع الثمينة لفقراء المدينة.



على غراره، وجد المسلمون الآخرون وظائف جديدة في المدينة المنوّرة. وفي مدّة قصيرة، بدأوا يكسبون رزقهم بأنفسهم عوضاً عن الاعتماد على مساعدة إخوانهم. لقد تركوا منازلهم لكي يطيعوا أوامر الله وينتهوا عن نواهيه. لهذا السبب، سهّل الله عليهم عملهم، وبارك في ثرواتهم. أصبحوا أشبه بالقلاع التي أحاطت بالنبيّ لحمايته ومساعدته. كانوا مؤمنين، ومجتهدين، يرضون بالقليل ويتصدّقون بمعظم ما لديهم. بهذه الصفات، أصبحوا قدوة لبقية العالم.

اليوم 146

سعادة المسلمين



بفضل الأخوّة التي نشأت بين المسلمين، عمّت البهجة والسعادة منازل المدينة المنوّرة. فشكّل مسلمو المدينة مثلاً يُحتذى لإخوانهم المهاجرين. وأثنى الله على سلوكهم في الآية الكريمة: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.

أخذ الأنصار المهاجرين تحت جناحهم. بالمقابل، كان المهاجرون مستعدّين للتضحية بحياتهم في سبيل إخوانهم الأنصار. ولم يكن يربط بينهم سوى الأخوّة الإسلامية.

قد آخى النبي ﷺ بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة، وآخى بين سلمان الفارسي وبين أبي الدرداء، وآخى بين سعد بن الربيع وبين عبد الرحمن بن عوف، وآخى بين أبي بكر الصديق وبين خارجة بن زهير، وآخى بين عمر بن الخطاب وبين عتبان بن مالك، وآخى بين حمزة بن عبد المطلب وبين زيد بن حارثة، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وساد شعور التآخي والمحبة بينهم.

هكذا، راح المسلمون يتقاسمون كلّ شيء في ما بينهم ويساعدون بعضهم البعض. شكّلوا معاً مجتمعاً متناغماً ومتماسكاً بفضل السلام والأخوّة اللذَين جلبهما الإسلام. لم يبقَ في قلب أحد مكان للحسد، أو الفخر، أو الغرور. عوضاً عن ذلك، بدأ المسلمون يتذوّقون حلاوة العيش في مجتمع المدينة المنوّرة الجميل.

اليوم 147

رسالة من مكّة

شعر مشركو مكّة بالقلق، وانزعجوا من رؤية مسلمي المدينة يعيشون بسلام واطمئنان. لهذا السبب، بعثوا إليهم برسالة مليئة بالتهديد والوعيد. دعوا فيها أهل المدينة إلى التوقّف عن حماية مسلمي مكّة، وإلاّ فالعاقبة ستكون وخيمة.



عندما استلم الأنصار الرسالة، لم يكترثوا لأمرها. لا بل ردّوا عليها برسالة أخرى أكّدوا فيها أنّهم سيقومون بحماية المسلمين بتصميم أكبر.

سمع رسول الله ﷺ بذلك، وفرح بشجاعة وتصميم الأنصار. من الآن فصاعداً، أصبح المسلمون الذين يعيشون في المدينة كأصابع اليد الواحدة. وقريش، التي أدركت ذلك، ستبذل ما في وسعها لتفكيك هذه الوحدة، حتّى لو اضطرّت إلى الهجوم على المدينة.

على المسلمين أن يستعدّوا لأيّ احتمال، لذلك بدأوا باتّخاذ الاحتياطات اللازمة. فكّروا برسول الله ﷺ أكثر ممّا فكّروا بأنفسهم. ودفعهم حبّهم له وخوفهم عليه إلى التناوب على حراسة منزله طوال الليل. كانوا دائماً على أتمّ استعداد للمواجهة. وأقلّ صوت، أو حدث، أو حركة كان كافياً لتأهّب الجميع.

في إحدى الليالي، سمع أحد الأشخاص صوتاً. فصاح بأعلى صوته، ممّا دفع الناس إلى الاعتقاد أنّ المشركين يزحفون إلى المدينة. فتجمّعوا بسرعة من دون أن يعرف أحد ما الذي يجري بالضبط. حمل رسول الله سيفه على الفور، ثمّ امتطى جواده وتوجّه إلى المكان الذي سُمع منه الصوت. لم يكن خائفاً من العدوّ، فهو لا يخشى أحداً سوى الله. تحقّق من المنطقة، وعندما تأكّد من عدم وجود أيّ خطر، قفل عائداً. هدّأ رسول الله ﷺ من روع الرجل الذي أطلق الإنذار، والناس الذين اجتمعوا هناك. ثمّ أوصاهم بألاّ يخشوا أحداً غير الله عزّ وجلّ. ولم يبارح المكان إلاّ بعدما هدأ الجميع. كما في كلّ شيء آخر، كان رسول الله قدوة للمسلمين في الشجاعة والصمود في وجه المخاطر.

اليوم 148

فرحة سهل وسهيل

احتاج المسلمون مجدّداً إلى مكان يجتمعون فيه للصلاة. فقرّر رسول الله بناء مسجد في الحقل الذي اشتراه من الأخوين سهل وسهيل. قام الصحابة فوراً بتنظيف الحقل. ثمّ صنعوا كتلاً من الطوب. ووضع رسول الله حجر الأساس بنفسه.

بعـد ذلـك، أخذ سـيّد الأنبياء والمرسـلين يعمل مـن دون توقّـف. بذل جهـده لكي يكون للمسلمين دار عبادة بأسرع وقت ممكن. عندما رآه بقيّة المسلمين وهو يعمل بهذا الجدّ، ضاعفوا من طاقتهم ومجهودهم. وفي خلال مدّة قصيرة، أصبحت الأرض الخالية التي كانت تنتمي إلى يتيمين، موقعاً لمسـجد جميل ما زال قائماً حتّى اليوم. أُطلق على هذا المسـجد اسـم المسـجد النبوي الشـريف. في مكان المنبر، وضعوا جزءاً من جذع نخلة قديمة. ولسنوات طويلة، سيلقي رسول الله خطبه وهو واقف عليه.

أصبـح بإمكان المسـلمين الآن أداء صلاة الجماعة في هذا المسـجد، خلف الإمام الأوّل، رسـول الله نفسـه. ولم يكن هذا البناء مسجداً فحسـب، بل أصبح مركز مجتمع المسلمين. كان الضيـوف الذين يأتون من أماكن بعيدة يصلّون، ويأكلون، وينامون هناك. وفيه كانت تتمّ مناقشـة كلّ المسائل الخاصّة بالمسلمين واتّخاذ القرارات بشأنها.

أضاف المسـلمون غرفتين أخريين إلى المسـجد. ستشـكّل هاتان الغرفتان دار رسول الله. بعد انتهاء العمل فيهما، انتقل رسول الله ﷺ من منزل أبي أيّوب إليهما. فمنذ مجيئه إلى المدينة المنوّرة، حلّ ضيفاً على أبي أيّوب. والآن، أصبح لديه بيت خاصّ به. فرح سـهل وسـهيل كثيراً لأنّ المسـجد النبوي أقيم على أرضهما. ولمئات السنوات القادمة، سيتوافد المسلمون من كافة أنحاء العالم للصلاة فيه.

اليوم 149

جذع النخيل الباكي



فـي تلك الأيّام التـي تلت بناء المسـجد النبوي، كان رسـول اللـه ﷺ يتحـدّث إلـى النـاس وهو واقـف على جذع نخلـة. غير أنّ الصحابة فكّـروا بطريقة تجعله أكثر ارتياحـاً. فبنوا له منبراً مؤلّفاً من ثلاث درجات. والمنبر هو عبارة عن مسرح مرتفع يقف عليه المرء ليتحدّث إلـى الناس. بذلك، أصبح بإمكانهم جميعاً رؤيته والإصغاء إليه بشكل أفضل، وسماع ما يقول. ولم يرفض رسول الله اقتراحهم ذاك.

صعد رسـول الله ﷺ علـى درجات المنبر وبدأ يتحدّث عن وصايـا الله ونواهيه من هناك. لم يكن يُسـمع أيّ صوت، بل خيّم الصمت التامّ على المسـلمين وهم يصغون إليه. فجأة، سمع الناس في المسجد صوت بكاء. راحوا ينظرون حولهم لمعرفة مصدر الصوت، لكنّهم لم يجدوا أحداً. أخيراً، أدركوا أنّ الصوت آتٍ من الجذع الذي كان رسـول الله معتاداً على الوقوف عليه. راحوا ينظرون إليه بدهشـة واسـتغراب. لقد كان الجذع يبكي فعلاً لأنّه لم يسـتطع احتمال فراقه عن نبيّه الحبيب. هزّت هذه الحادثة مشاعر الحاضرين وأثّرت بهم كثيراً بحيث بدأوا بالبكاء هم أيضاً.

سـمع رسـول الله ﷺ بكاء الجذع. فنزل فوراً من المنبر واقترب منه، ثمّ وضع يده المباركة عليـه. نظـر إليه بعطف وحنـان، وراح يربّت عليه. فهدأ الجذع كما لـو كان طفلاً صغيراً. هذا هو رسول الله الذي أحبّته كلّ الكائنات، سواء كانت حيّة أم جامدة.

التفـت نبيّنـا الحبيب إلـى الصحابة وقال لهم: «لو لـم أحتضنه لحنّ إلى يـوم القيامة». وقد تناقل الناس هذه الحادثة من جيل إلى جيل، واعتُبرت من معجزات النبيّ ﷺ.

اليوم 150

الأذان الأوّل

أخيراً أصبح المسلمون قادرون على عبادة الله والصلاة من دون التعرّض لأيّ اضطهاد في المدينة المنوّرة.

لقـد انتهى عهد التعذيـب والإهانات. وأصبح النـاس يقيمون الصلاة بانتظام في المسـجد النبوي الشريف. لكنّهم كانوا يعانون من مشكلة واحدة. إذ كان من الصعب عليهم معرفة مواقيت الصلاة. فكانوا ينتظرون أمام المسجد حتّى يتمّ استدعاؤهم إلى الداخل. وغالباً ما يُضطرون إلى تذكيـر بعضهـم البعض بوقت الصـلاة، أينما كانوا. وبمـا أنّهم مضطرّين للمجيء إلى المسـجد باكراً، فقد كانوا يُضيعون كثيراً من الوقت المخصّص للعمل. على عكس ما يأمرنا به الإسلام.

أراد رسـول اللـه ﷺ أن يخفّف عنهم هذه المصاعب. وأخـذ يفكّر بطريقة لجمع الناس في المسجد في الوقت المحدّد. فاستشار الصحابة، وأعرب كلّ منهم عن رأيه.

قال البعض: «فلنقرع جرساً مثل النصارى».



وقال البعض الآخر: «فلننفخ في بوق مثل اليهود».

وثمّة من قال: «فلنشعل ناراً في مكان مرتفع بحيث يراها الناس ويدركون أنّ وقت الصلاة قد حان».

غير أنّ هذه الاقتراحات لم تعجب رسول الله أو المسلمين. في تلك اللحظة، قال عمر: «يا رسول الله! لماذا لا نرسل شخصاً يدعو المسلمين إلى الصلاة في الوقت المناسب؟» فأعجب رسول الله بالفكرة وطلب من بلال أن يذهب لدعوة الناس إلى الصلاة. كان بلال الرجل المناسب لهذه المهمّة، لأنّه يملك صوتاً قوياً وجهورياً. أعجب الجميع بصوته وأحبّوه كثيراً. نهض بلال بحماس وأخذ يمشي في شوارع المدينة ويصيح: «الصلاة! الصلاة! حيّ على الصلاة! حيّ على الصلاة!».



بعد مدّة قصيرة، رأى أحد الصحابة - واسمه عبد الله بن زيد - حلماً. في ذلك الحلم، تعلّم كيف يرفع الأذان. فأتى إلى النبيّ فرحاً وروى له حلمه. أحبّ النبيّ الأذان وطلب منه أن يبحث عن بلال ويعلّمه إيّاه. هكذا، قام الصحابي بتعليم بلال الأذان:

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر

أشهد أن لا إله إلاّ الله، أشهد أن لا إله إلاّ الله

أشهد أنّ محمّداً رسول الله، أشهد أنّ محمّداً رسول الله

حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة

حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح

الله أكبر، الله أكبر

لا إله إلاّ الله

سمع عمر هذا الصوت الجميل، فركض إلى المسجد بحماس وقال لرسول الله ﷺ: «قد رأيت مثل ما رأى».

منذ ذلك اليوم، أصبح صدى هذه الدعوة الجميلة يتردّد في جميع بقاع الأرض. فتسمعه جميع المخلوقات، وينبض الكون فرحاً. ويستجيب الناس إلى هذه الدعوة الإلهية، فتمتلئ المساجد بالمصلّين. وبواسطة الصلاة، يبلغ الناس الخلاص والسلام الذي هو رمز الإسلام ورايته الحقيقية.

اليوم 151

أسرة رسول الله ﷺ في المدينة

لم يستطع رسول الله ﷺ إحضار أسرته معه عندما هاجر إلى المدينة المنوّرة. بل تركهم وراءه في مكّة. ومع أنّهم رغبوا كثيراً في مرافقته وبقيّة المسلمين، إلاّ أنّهم عجزوا عن ذلك. اشتاقوا إليه كثيراً في أثناء ذلك، وانتظروا بفارغ الصبر مجيء أمر للانضمام إليه والاجتماع به مجدّداً.



لم تكن ابنة رسول الله، فاطمة، تستطيع الافتراق عن أبيها ليوم واحد. غير أنّها بقيت الآن بعيدة عنه لأيّام طويلة. كانت تجلس كلّ صباح أمام النافذة بانتظار أخبار جديدة، ولم تعد تستطيع إمساك دموعها من شوقها إليه.

أخيراً، انتهت الحجرات التي كانت تبنى لرسول الله بالقرب من المسجد. كان النبيّ ﷺ يفتقد هو أيضاً إلى أسرته. فأرسل زيداً لإحضارهم إلى المدينة. انطلق زيد فوراً إلى مكّة، ودخلها سرًّا من دون أن يراه أحد. عندما رأى أفراد أسرة النبيّ زيداً، فرحوا كثيراً، لأنّ وقت الاجتماع برسول الله قد حان.

قام عبد الله بن أبي بكر بمساعدة زيد، وهكذا تمكّن زيد من إحضار أسرة النبيّ إلى المدينة المنوّرة. لم يواجهوا في الطريق أيّ نوع من المخاطر. وبعد رحلة طويلة ومضنية، وصلوا إلى المدينة المنوّرة. احتضنوا وقبّلوا بعضهم بشوق كبير، وكانت فاطمة سعيدة على نحو خاصّ. فقد عانت كثيراً من العذاب والحزن بعد فراق والدها. لكنّها نسيت كلّ ذلك عندما اجتمعت به

مجدّداً. رحّبت نساء المدينة بأسرة النبيّ بحرارة. وشعرن أنّهنّ محظوظات جدًّا لأنّهنّ سيتعلّمن الكثير من السيدات اللواتي تربّين في كنف رسول الله ﷺ.

استقرّت أسرة النبيّ في الحجرات المخصّصة لها، وحلّ فجر جديد على جميع المسلمين. فقد انتهى عهد التعذيب، والإهانات، وسوء المعاملة. أصبحوا أحراراً، واجتمعوا في مدينة واحدة، ليبدأوا فصلاً جديداً من حياتهم بعيداً عن اعتداءات المشركين.

اليوم
152

زواج السيّدة عائشة من رسول الله ﷺ

امتازت عائشة ابنة أبي بكر بذكائها وقدرتها على الحفظ. ولم يكن أحد يتفوّق عليها في تعلّم الأمور الجديدة وتطبيقها في الحياة. لقد كانت متّقدة الذكاء، وفضولية، ومتلهّفة للتعلّم.

أحاط برسول الله عدد كبير من الرجال. كان هؤلاء الصحابة يتعلّمون في كلّ لحظة وفي كلّ ساعة كثيراً من الأمور الجديدة منه. لكنّهم واجهوا صعوبة كبيرة في نقل ما تعلّموه إلى زوجاتهم وأولادهم. كما أنّ قليلاً منهم اطّلعوا على الحياة الخاصّة للنبيّ، التي لا يمكن معايشتها إلاّ في منزله.

كان من الضروري أن يتعلّم المسلمون هذه المسائل أيضاً. كيف ينهض من سريره في الصباح، ما هي الأدعية التي يقولها، كيف يأكل، وكيف يلبس، وكيف يستحمّ، لم يكن أحد يعرف ذلك. فقد أرادوا أن يكون النبيّ قدوة لهم في كلّ شيء، لأنّه يعرف كلّ ما يرضي الله. وعلى المسلمين أن يعيشوا الحياة على خطاه، ويتصرّفوا مثله في كافة أمور الحياة. لهذا السبب، كانوا بحاجة إلى شخص يتعرّف على هذه المسائل الخاصّة، ويكون صادقاً، وذكياً. المسلمون الذين أدركوا هذه الحاجة نصحوا النبيّ ﷺ أن يتزوّج ابنة أبي بكر، عائشة. فمن شأن عائشة أن تقدّم له دعماً كبيراً في كلّ شيء إن أصبحت زوجته. فهي فتاة ذكية وحسنة الخلق، والإسلام بحاجة إلى امرأة مثلها. إن تزوّجها النبيّ، بإمكانها أن تقدّم الكثير للمسلمين. فهي ستتعلّم منه، وتحفظ ما تعلّمته، ثمّ تنشر هذه التعاليم بين المسلمات.



بعدمـا تلقّـى النبيّ ﷺ إذناً من الله، قبل اقتراح الزواج من عائشـة. فبدآ على الفور بالإعداد لمراسـم الزفـاف. بعدما أصبحت السـيّدة عائشـة زوجته، صـارت تطرح عليه الأسـئلة في كافة الشـؤون، وتُعلّم المسلمات ما تعلّمته. وكانت المسلمات تطرحن الأسئلة على عائشة وتتعلّمن منهـا. لقـد كان لدخول امرأة ذكية وقوية الذاكرة إلى منزل رسـول الله أثر طيّب في نفوس جميع المسلمين.

اليوم 153

أهل الصُفّة

في الزاوية الشمالية من المسجد النبوي الشريف، أعدّ الناس مساحة ظليلة بسُعف النخيل. فـي ذلـك المكان، كان الصحابـة يجتمعون خارج أوقـات الصلاة، ويتعلّمون أمـوراً جديدة من رسول الله ﷺ. كان هذا المكان يسمّى «الصُفّة»، ويعني القاعة الكبيرة.

أحـبّ النـاس الاجتمـاع للتحدّث في الصفّـة، التي كانت أيضـاً مأوى للمسـاكين الذين لا مأوى لهم. بالإضافة إلى ذلك، كان البعض يستخدمها لأداء النوافل. هكذا، شكّلت الصفّة مكاناً للتعلّم والعبادة.

كان بيـن المسـلمين بعـض الرجال العـزاب. كان هؤلاء الشـباب يتحلّون بأخلاق حسـنة، إلاّ أنّهـم فقـراء جدًّا. مع ذلك، أحبّـوا التعلّم بقدر الإمـكان، ولم يرغبوا في الابتعاد عن رسـول الله إطلاقاً. شـكّل هذا المكان الظليل الملحق بالمسـجد مدرسة بالنسـبة إليهم. ولهذا السبب، لُقّبـوا بأهل الصفّة. كانـوا يصلّون، ويتعلّمـون القرآن، ويعلّمونـه لمـن يرغب بالتعلّـم. وبما أنّهـم كانوا بلا مسـكن، فقـد اسـتقرّوا هنـاك فـي تلـك الزاويـة من المسـجد. فرافقـوا رسـول اللـه ﷺ علـى الـدوام، وتعلّموا منه باسـتمرار. فامتلأت قلوبهم بمحبّة الله ورسوله واستنارت عقولهم بالمعرفة. كانوا كالنجوم حول رسول الله. وكان النبيّ يرعاهم، بمساعدة أثرياء المسلمين بالطبع. بالرغم من الفقر الذي عاش فيه أهل



الصفّة، والمجاعة التي كانت سائدة في المدينة المنوّرة، إلاّ أنّهم انشغلوا دائماً بالصلاة. وهذا الأمر أفرح رسول الله كثيراً.

في أحد الأيّام، قال النبي ﷺ لهم: «لو تعلمون ما لكم عند الله عزّ وجلّ، لأحببتم لو أنّكم تزدادون فقراً وحاجة». فقد كان أهل الصفّة خير معين لرسول الله. وفي سبيل الإسلام، ضحّوا براحتهم. فقد أرادوا نشر هذا الدين في كافة المدن والبلدان. ولهذا السبب، أثنى عليهم القرآن.

اليوم 154

أبو هريرة

كان عبد الرحمن الدوسي واحداً من أهل الصفّة، وكان يحبّ الهررة كثيراً. كلّما رأى هرّة، يذهب على الفور ويبدأ بمداعبتها. كما يتقاسم طعامه مع الهررة، حتّى لو كان جائعاً. لذلك، عندما يمشي في الشارع، كانت القطط تتبعه. أفرح سلوكه هذا رسول الله ﷺ، لهذا السبب أطلق عليه كنية أبي هريرة.

في أحد الأيّام، شعر أبو هريرة بجوع كبير، وبدأت معدته تؤلمه. لم يجد شيئاً يأكله، لكنّ أحداً لم يعرف بذلك. عندما مرّ به رسول الله، لاحظ النبيّ أنّه لم يأكل منذ عدّة أيّام. فدعاه بعطف إلى منزله. نهض أبو هريرة بصعوبة وتبع النبيّ إلى منزله. عندما وصلا، رأى أبو هريرة قدراً من اللبن في وسط الغرفة. قال له النبيّ: «الحقّ إلى أهل الصفّة». فذهب أبو هريرة ونادى أصدقاءه. غير أنّه قال في نفسه: «القدر لا يحتوي سوى على قليل من اللبن، وهو بالكاد يكفيني. وأهل الصفّة ليسوا أقلّ منّي جوعاً، فكيف سيكفينا؟».



ذهب الجميع إلى منزل النبيّ ﷺ. فاستقبلهم ودعاهم إلى الجلوس. قال النبيّ لأبي هريرة: «يا أبا هر! خذ فأعطهم». ففعل أبو هريرة ما أمره به النبيّ. قدّم الإناء نفسه إلى الجميع، وظنّ أنّه لن يكفي سوى عدد قليل منهم. غير أنّ أهل الصفّة شربوا منه كلّهم حتّى ارتووا، ولم يتبقّ إلاّ القليل. أخيراً، قدّم أبو هريرة الإناء إلى النبيّ ﷺ، الذي ابتسم وقال: «أبا هر!» أجاب الصحابي الذي ما زال جائعاً: «لبّيك يا رسول الله». قال: «بقيت أنا وأنت. اقعد فاشرب». فقعد أبو هريرة، وسمّى بالله، ثمّ شرب. غير أنّ اللبن لم ينفد. شرب أبو هريرة



حتّى ارتوى، وظلّ النبيّ يلحّ عليه قائلاً: «اشرب». أخيراً، قال أبو هريرة: «والذي بعثك بالحقّ، لا أجد له مسلكاً». عندئذ، قال النبيّ ﷺ: «فأرني». أعطاه أبو هريرة وعاء اللبن، فحمد الله، وسمّى، وشرب ما تبقّى منه.

فوجئ أهل الصفّة هم أيضاً بما جرى. فذلك الوعاء الذي لم يكن يحتوي سوى على قليل من اللبن، أشبع الجميع. كانت تلك معجزة من معجزات رسول الله. شكر أهل الصفّة رسول الله بمحبّة وإعجاب، ورحلوا ببطون ممتلئة، ونفوس راضية وسعيدة.

اليوم
155

تضحية الصحابي الفقير

أتى رجل من رحلة طويلة، وكان متعباً بحيث عجز عن القيام بخطوة واحدة. كما كان يتضوّر جوعاً. أتى إلى رسول الله ﷺ وقال: «يا رسول الله، أنا جائع ومتعب منذ أيّام. هل لديك ما تعطيني إيّاه؟».

رقّ قلب رسول الله على الرجل المسكين. فأرسل بطلب الطعام من منزله. لكنّ زوجاته وبناته وزّعن مؤخّراً كلّ ما في المنزل للفقراء، فقلن له: «والله لم يبق في البيت شيء غير الماء». عندئذ سأل النبيّ الحاضرين من منهم يستطيع استضافة هذا الرجل لليلة واحدة. فقال أحد الأنصار، إنّه سيستضيفه لهذه الليلة. واصطحب المسكين إلى داره.

في الواقع، كان هذا الرجل الأنصاري فقيراً هو الآخر، لكنّه أشفق على عابر السبيل. أراد أن يقدّم له المأوى والطعام، لا سيّما وأنّه يعرف مدى ثواب ذلك. عندما دخل المسكين إلى إحدى الغرف ليستريح، سأل الأنصاري زوجته: «هل لدينا طعام؟» فأجابته بصوت خافت: «لدينا فقط ما يكفي للأطفال». فقال لها: «اشغلي اليوم الأطفال بشيء آخر. وعندما يجوعون، خذيهم إلى السرير. عندما نجلس إلى الطاولة، أطفئي الشمعة ودعي الضيف يظنّ أنّنا نأكل معه. واتركيه يملأ بطنه».



نفّذت الزوجة ما طلبه زوجها، واصطحبت



الأطفال إلى النوم باكراً. وعندما قدّمت الطعام للضيف، نهضت وأطفأت الشمعة. فلم يعد يدخل إلى الغرفة سوى نور القمر. جلس الزوج والزوجة إلى الطاولة، وادّعيا أنّهما يأكلان هم أيضاً. بسبب الظلام، ظنّ الزائر أنّ الزوجين يأكلان معه. فأكل حتّى شبع، في حين قام الزوجان وهما جائعَين كما جلسا.

في الصباح، استيقظ الضيف وهو مرتاح وشبعان. ذهب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ، فنظر النبيّ إليه مبتسماً وكأنّه عرف ماذا فعل في الليلة الماضية. ثمّ قال له إنّ الله عزّ وجلّ راضٍ عنه وعن زوجته بسبب ما فعلاه في الليلة الفائتة.

عندئذٍ، فرح الرجل كثيراً وشكر الله من أعماق قلبه.

اليوم 156

عبد ينال حرّيته



غضب رجل يدعى أبا مسعود من غلامه غضباً شديداً، وراح يضربه بالسوط. سُمعت الجلبة من أماكن بعيدة. فقد كان الرجل يضرب الغلام بشدّة، من دون أن يزول غضبه. أخذ الغلام يصرخ ألماً. وبينما كان أبو مسعود يرفع السوط مجدّداً، سمع صوتاً من خلفه: «اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود». فجأة سقط السوط من يده. لكنّ غضبه لم يهدأ. فتجاهل مصدر الصوت وانحنى مجدّداً لتناول السوط. غير أنّه سمع مجدّداً صوتاً يقول: «اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود». تساءل من الذي يناديه، ثمّ التفت، وعندما عرف المتكلّم، احمرّ من شدّة الإحراج. فقد كان رسول الله ﷺ هو الذي يناديه. شعر أبو مسعود بالذنب وأحنى رأسه عندما دنا منه رسول الله.

قال له النبيّ: «اعلم أبا مسعود أنّ الله أقدرُ عليك منك على هذا الغلام». ففهم أبو مسعود خطأه وشعر بالندم الشديد. قال للنبيّ: «يا رسول الله، هو حرّ لوجه الله. والذي بعثك بالحقّ، لا أضرب عبداً بعده أبداً».

فرح رسول الله بحرّية العبد الذي نجا من الظلم. فقد شعر الغلام وكأنّه وُلد مجدّداً. بفضل رسول الله ﷺ، نجا من الضرب، ونال حرّيته. نظر إلى النبيّ ممتنًّا، وشكره من أعماق قلبه.

اليوم 157

نجاة العبيد من الظلم

بعد أن حذّر النبيّ ﷺ أبا مسعود من مغبّة ظلم غلامه وجلده بالسوط، أخبر أبو مسعود أصدقاءه بما جرى. فخافوا جميعاً لأنّهم كانوا يضربون عبيدهم هم أيضاً. ولم يعرفوا كيف ينبغي أن يعاملوهم قبل هذه الحادثة.

هكذا اجتمعوا وذهبوا إلى رسول الله. سأله أحدهم: «يا رسول الله، يا رسول الله كم أعفو عن الخادم». فالتفت إليه رسول الله وأجابه ببطء وحزم: «كلّ يوم سبعين مرّة». نظر الحاضرون إلى بعضهم باستغراب. حتّى ذلك اليوم، كانوا يجبرون عبيدهم على العمل في ظروف صعبة. وكانوا يهينونهم ويضربونهم. لكنّهم يتعلّمون الآن مدى خطأ هذا السلوك. تابع رسول الله ﷺ حديثه: «هم إخوانُكم جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم، فإن كلّفتموهم فأعينوهم».



أصغى المسلمون إلى كلام رسول الله، ثمّ انصرفوا وهم يفكّرون فيه بإمعان. منذ ذلك اليوم، أشرقت وجوه العبيد، وخيّمت سعادة مختلفة على منازل المسلمين. لم يعد خدمهم يتعرّضون للظلم. ولم يعد الناس يغضبون إلى حدّ ضرب خدمهم. توقّفوا عن معاملتهم كخدم، وأصبحوا يعتبرونهم أطفالاً من أطفال المنزل. لقد امتدّ جمال هذا الإيمان إلى قلوب الناس لقرون آتية. ومع هذا النظام الذي أسّسه نبيّنا الحبيب، عمّ السلام والسعادة في كلّ مكان.

اليوم 158

زيد يتخلّى عن حصانه المفضّل



كان رسـول اللـه يشـجّع المسـلمين علـى التصدّق والإحسـان. وغالباً مـا كان يردّد الآيـة الكريمة: ﴿**لَنْ تَنَالُـوا الْبِرَّ حَتَّـى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ...**﴾. سـمع زيد هـذه الآية مـرّات عديـدة، وكان لديه فـرس يحبّها كثيراً تدعى سَـبَل. فذهب على الفور وعاد بها. أعطى رسـن الفـرس للنبيّ، وقـال: "هذا في سبيل الله".

فرح رسـول الله بتصرّف زيد ووجد فيه تضحيـة عظيمـة. فقد كان يعرف كم يحبّ فرسـه سَـبَل. قبل رسـول الله ﷺ الصدقة، وما لبث أن أعطاها لأسـامة بن زيد. اسـتغرب زيد كثيراً وحزن. ثمّ أتى إلى رسول الله، وسأله: "يا رسول الله، ألم يقبل الله صدقتي؟" فطمأنه النبي ﷺ أنها قُبِلَت. فرحل زيد وقلبه مليء بالفرح.

اليوم 159

أسعدُ أيّام معاذ

كان معـاذ بن جبل يحبّ رسـول الله ﷺ حبًّـا جمًّا. في أحد الأيّام، دعـاه النبيّ لكي يركب الجمل خلفه. ففرح معاذ بذلك كثيراً.

بعد مسافة قصيرة، قال النبيّ: «يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على اللـه». أجـاب معاذ: «الله ورسـوله أعلم». قال: «حق اللـه على العباد أن يعبدوه ولا يشـركوا به شـيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشـرك به شـيئا». فسـأله معاذ: «يا رسول الله أفلا أبشّـر به الناس». أجابه النبيّ: «لا تبشّـرهم فيتّكلوا». فقد خشـي رسول الله أن يعتمد الناس على رحمة الله ويتهاونوا في عبادتهم.

بعـد أن قطع مسـافة قصيرة، ترجّل رسـول الله ﷺ ومعـاذ عن الجمل وجلسـا في أحـد الأماكـن. كان معاذ سعيداً جدًّا، وأراد رسول الله أن يزيد من سعادته. فأمسك بيـده، ونظـر إليه، ثـمّ قال: «يا معـاذ! إنّي لأحبّـك في الله!» فتأثّر معاذ كثيراً وسـالت الدموع على خدّيه. ثمّ أعطاه النبيّ هذه النصيحة: «أفلا أعلّمك كلمات تقولهنّ دبر كل صلاة: ربّ أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

لم ينسَ معاذ في حياته ما حدث معه في هذا اليوم الجميل. كان يردّد هذا الدعاء الذي تعلّمه من رسول الله بعد كلّ صلاة. ولم يجد أبداً أيّ صعوبة في عبادة الله.

اليوم
160

فرحة المسكين

كلّ مـن عاش في المدينـة المنوّرة، من أيتام، وفقراء، وضعفـاء، وجدوا من يأخذهم تحت جناحه. فمحبّة وتعاطف رسـول الله ضمّدت جراحهم. لهذا السـبب، لـم يُترك النبيّ ﷺ وحده أبداً.

كان ثمّـة مسـكين يمـرّ بمصاعب عديدة، بالإضافـة إلى الفقر والجـوع. أدرك مدى عجزه، فأتـى إلى رسـول الله، وشـرح له حالته، ثمّ طلب المسـاعدة. أصغى النبيّ إلـى الرجل جيّداً، ثمّ فكّـر بحـلّ لوضعه. كان الله سـبحانه وتعالى قد أمر الناس بالعمل والاجتهـاد. أراد منهم تحمّل مسـؤوليات أسـرهم، وكسـب الثواب على عملهم وتعبهم. فسأل النبيّ ﷺ المسـكينَ: «أما في بيتك شـيء؟» أجاب الرجل: «بلى، حلس (كسـاء) نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقدح نشرب فيه الماء». فقال النبيّ: «ائتني بهما». ذهب الرجل فوراً إلى منزله وعاد بالغطاء والإناء.

أخذهمـا رسـول الله ونادى قائـلاً: «مَن يشـتري هذين؟» قـال أحد الرجال: «أنـا آخذهما بدرهـم». لكنّـه عرض فيهما ثمنـاً زهيداً. نادى النبيّ مجـدّداً: «مَن يزيد؟» فقـال رجل آخر: «أنا آخذهما بدرهمين». واشـترى مقتنيات المسـكين. أعطى رسول الله الرجلَ الدرهمين، وقال له: «اشترِ بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشترِ بالآخر قدّوماً (فأساً) فائتني به».

لم يفهم الرجل شيئاً، لكنّه نفّذ ما أمره به النبيّ. اشترى بعض الطعام واشترى بالباقي فأساً.





ثـمّ عاد إلى رسـول الله. فوضـع النبيّ يداً للفـأس وقال: «اذهـب فاحتطـب (اجمع الحطـب) وَبـِعْ، ولا أرينّك خمسة عشر يوماً».

ذهب الرجل، ثمّ عاد بعد أسـبوعين والابتسـامة تعلـو وجهـه. فـرح النبـيّ ﷺ برؤيتـه سـعيداً وسـأله عمّـا فعل. فأجـاب الرجل: «جمعـت بعض الحطب بالفـأس التـي أعطيتني إيّاهـا. ثمّ أخذته إلـى المدينة وبعته في السـوق. وخلال أسـبوعين، كسـبت كثيراً من المال. فاشتريت بعض الطعام والملابس لأسرتي». ابتسم النبـيّ ﷺ وقال: «هذا خير لك من أن تجيء المسـألة (سـؤال الناس) نكتـة (علامة) في وجهك يوم القيامة».

وجـد هذا المسـكين طريقة ليكسـب قوته مـن دون أن يعيش عالة على أحد. فما من شـيء أجمـل مـن أن يكسـب المـرء رزقه بعـرق جبينه. لقد خـرج ذلك الرجل مـن الفقر بهدايـة النبيّ وحكمته.

اليوم
161

سلَمة والراهب

منـذ مجيء رسـول الله ﷺ إلى المدينة المنوّرة، أصبح كلّ يـوم يمرّ على أهلها يوماً جديداً وأجمل من ذي قبل. اسـتمتع المسلمون بهذه السـعادة التي خيّمت عليهم، وأرادوا أن يتشاركوا جمال الإسلام مع جميع الناس. فبذلوا ما في وسعهم لتعريف الناس على دينهم، ودعوتهم إلى الإيمان به.

فـي أحـد الأيّام، كان أحد شـباب المدينة المنوّرة يتحدّث مع راهب. أراد الشـابّ، ويدعى سـلَمة، أن يذكّـر الراهـب بما قاله مـرّة. فقال له: «هل تذكـر كيف وقفتَ قبل بضع سـنوات أمام منزلنا، وخطبتَ في الناس على نحو أثّر بي كثيراً. لم أنسَ كلامك أبداً». كان الراهب يصغي إلى سلمة جيّداً مع المحيطين به. تابع سلمة قائلاً: «أصغينا بذهول إلى ما كنت تقوله. فقد أشرت إلى مكّة وقلت إنّ نبيًّا سـيخرج من هناك، وإنّه سـيأتي إلى المدينة يوماً ما. كما قلت أنّه سـيُثبت أنّك



على حقّ. ألم تكن أنت؟» أجاب الراهب: «بلى، أنا قلت ذلك». «قلت أيضاً إنّك ستتبع هذا النبيّ وستتعاون معه، أليس كذلك؟» أجاب الراهب: «بلى». قال سلمة: «وها قد أتى هذا النبيّ، وهو موجود بيننا. فلماذا لا تؤمن به؟» أجاب الراهب: «لأنّه منكم. هذا ليس النبيّ الذي كنّا ننتظره»!

يا له من جواب أحمق. كان الراهب الذي أخبر الناس بمجيء الرسول عنيداً، ولم يؤمن به لمجرّد أنّه ليس من قومه. احمرّ وجه سلمة من شدّة الغضب. لكنّه تمالك نفسه وانصرف. أمّا الراهب، الذي رفض الإيمان بالنبيّ، فقد كان يعرف جيّداً أنّه تنبّأ بمجيئه.

اليوم 162

أنس في بيت الرسول ﷺ

كانت المدينة تمرّ بأجمل أيّامها. فقد كان رسول الله ينشر حوله المحبّة، والكرم، والرحمة في كلّ مكان. لم يرغب المسلمون في الابتعاد عنه أبداً، بل أرادوا أن يمضوا معه وقتاً أطول، للنظر إليه، والإصغاء إلى كلماته العذبة. فكانوا يأتون إليه أفواجاً، محمّلين بالهدايا، ويُظهرون له حبّهم بدعوته إلى منازلهم.

كان ثمّة امرأة مسكينة تدعى أمّ سُليم. بعد وفاة زوجها، أخذت ابنها من يده واصطحبته إلى النبيّ ﷺ. كان قلب الصغير ينبض حبًّا لرسول الله، بحيث شعر أنّه سيطير من الفرح.

قالت أمّ سُلَيم: «يا رسول الله! لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلاّ وقد أتحفك بتحفة، وإنّي لا أقدر على ما أتحفك به إلاّ ابني هذا، فخذه، فليخدمك ما بدا لك».

فرح رسول الله بصدق المرأة، ونظر بحنان إلى أنس. من الواضح أنّ هذا الطفل الصغير يتمنّى البقاء مع رسول الله وخدمته. أحسّ وكأنّ عينيه تقولان: «أتمنّى أن تقبلني يا رسول الله. دعني أبقى معك، ولا أفترق عنك أبداً. إن قبلت، سأكون أسعد ولد في العالم».

انتظر أنس وأمّه جواب النبيّ. كيف يمكن لرسول المحبّة والألفة أن يرفض البقاء مع من يريدون العيش بقربه؟ كيف له أن يخيّب ظنّ هذا الصبيّ الجميل الذي أراد صحبته؟ عندما وافق النبيّ على طلب أمّ أنس، فرحت هي وابنها كثيراً. فصحبة رسول الله ﷺ، والعيش في منزله،

والتعرّف عليه عن كثب للاقتداء بكلامه وأفعاله هي فرصة لن تتكرّر أبداً. أمّا أنس، فقد فرح كثيراً لأنّه سيعيش في كنف أب ونبيّ مثله.

رحلت أمّ أنس راضية بترك فلذة كبدها لدى رسول الله. بالطبع، بإمكان أنس رؤية أمّه في أيّ وقت يشاء، والعيش حيثما يرغب. لكنّه رفض الافتراق عن النبيّ ﷺ ولو للحظة واحدة.

اليوم 163

أنس في خدمة رسول الله ﷺ

استقرّ أنس بالقرب من دار النبيّ في الصُفّة. في الصباح، كان يستيقظ قبل الجميع ويذهب إلى خدمة النبيّ، ثمّ يصلّي خلفه. كان والد أنس قد توفّي قبل سنوات عديدة. وهذا الإحساس باليتم ملأ قلب أنس حزناً. لكن من الآن فصاعداً، أصبح لديه من يحبّه ويحميه كما لو كان والده. وجود رسول الله ﷺ أنسى الصبيّ ألم فقدان أبيه، وأسعده كثيراً. كان النبيّ يعلّمه ويربّيه أحسن تربية. فقد أراده أن يصبح رجلاً ذكياً وحسن الخُلق.

من وقت إلى آخر، كان النبيّ ﷺ يوصيه بإفشاء السلام بين الناس، وسأله رجل: أي الإسلام خير؟ فقال ﷺ: «تُطْعِم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

نظراً إلى العلاقة الوثيقة والمحبّة اللتين جمعتا بين رسول الله وأنس، كان النبيّ يمازحه كثيراً. على سبيل المثال، أطلق عليه لقب «ذي الأذنين»، لأنّه كان يصغي إليه بانتباه تامّ. فكان أنس يبتسم عندما يناديه كذلك.

كان الرسول يحيك كلماته في قلب أنس وكأنّه يحيك نسيجاً. وقال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». بعد سماع هذا الحديث، قرّر أنس طاعة النبي ﷺ في كل أوامره وتطبيق كلّ ما اعتاد النبيّ ﷺ على فعله. وهذا ما يسمّى «السُنّة».

تعلّم أنس من النبيّ كلّ شيء، حتّى كيفيّة شرب الماء. فشرب الماء على ثلاث دفعات يروي العطش على نحو أفضل، وهو صحّي أكثر. طبّق أنس سنّة رسول الله ﷺ طوال حياته. وأدرك مع الزمن أنّ العيش مع النبيّ هو كنز عظيم.



اليوم
164

أنس في رحلة مع رسول الله ﷺ

كان النبيّ يصطحب أنساً من وقتٍ إلى آخر ويذهبان في رحلة. وفي أثناء ذلك، يعلّمه بعض الأمور الجميلة. فيسجّلها أنس في ذهنه ويحاول تطبيقها حرفياً.

أراد رسول الله أن يعيش أنس حياة جميلة ومُرضية. وكان ﷺ يقول: «اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»، وقال أيضاً: «ليس من عبد يبيت طاهراً (أي ينام على وضوء) إلا بات معه في شعاره ملك، لا ينقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك، فإنه بات طاهراً».

أعجب أنس كثيراً بطريقة صلاة رسول الله، وأراد أن يصلّي مثله. ومن تعليمات النبي ﷺ في الصلاة: «إذا ركعت، فضع كفّيك على ركبتيك وافرج بين أصابعك وارفع يديك عن جنبيك، فإذا رفعت رأسك من الركوع فكن لكلّ عضو موضعه، فإن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من لا يقيم صلبه في ركوعه وسجوده. إذا سجدت فلا تنقر كما ينقر الديك ولا تقع كما يقع الكلب ولا تفترش ذراعيك افتراش السبع وإياك والالتفات كالتفات الثعلب.

لم يكن أنس يملّ أبداً من الإصغاء إلى رسول الله، وأحبّ لو أنّ النبيّ لا يتوقّف عن الكلام أبداً، لكي يتعلّم منه باستمرار. كان النبيّ يقول: ليس منّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقّر كبيرنا، ويعرف لعالمنا حقه، ومن غش فليس منا، لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.

وعد أنس رسول الله بتنفيذ وصاياه طوال حياته. سيعيش حياته على خطى النبيّ ﷺ، وسيحاول تطبيق سنّته بحذافيرها. لقد فهم أنس ما هي السعادة الحقيقية، وكان ولداً محظوظاً جدًّا.



اليوم 165

أنس يحفظ السرّ

كان أنس يلعب مع أصدقائه في شوارع المدينة المنوّرة. وكانت أصوات الأطفال وضحكاتهم تتردّد في كلّ مكان. مرّ بهم رسول الله ﷺ، فابتسم لهم وسلّم عليهم.

بعد قليل، استدعى أنساً وطلب منه الذهاب إلى مكان ما. غير أنّ أنساً كان مأخوذاً باللعب. بعد ذهاب النبيّ، عاد لمتابعة اللعبة، ونسي ما طلبه منه. بعد قليل، عاد النبيّ ﷺ وسأله ما إذا كان قد نفّذ الطلب. فتذكّر أنس، وقال إنّه سيذهب فوراً. هكذا ترك اللعب وانطلق يعدو إلى حيث أرسله النبيّ. أمّا رسول الله فانتظر عودته.



عندما عاد أنس، كان المساء قد حلّ. لاحظت أمّه تأخّره في العودة، فسألته: «يا بنيّ، إلى أين أرسلك رسول الله؟» أجابها: «يا أمّاه، هذا سرّ بيني وبين النبيّ، ولا يمكنني أن أبوح به لأحد». عندئذ، فرحت أمّه بذلك كثيراً وأثنت عليه قائلة: «أحسنت يا بنيّ، لا تبح بسرّ النبيّ لأحد أبداً».

الحفاظ على السرّ مهمّ جدًّا. والإنسان الذي يحفظ السرّ هو شخص أمين وجدير بالثقة. لهذا السبب، حفظ أنس السرّ الذي ائتمن عليه، ولم يبح به لأحد أبداً.

اليوم 166

وعد اللقاء في الجنّة

كان أنس دائم التفكير في صغره، تثير فضوله بعض المسائل. مثلاً، عندما يحين يوم الحساب، ويجمع الله الناس ليزن حسناتهم وسيّئاتهم، ماذا سيفعل؟ إلى أين يذهب؟ وبمن يستعين؟ هل سيجد النبيّ؟ إن وجده، قد تهون عليه بعض الأمور.



أخيراً، ذهب إلى رسول الله، وشرح له ما يجول في خاطره. فابتسم النبيّ ﷺ ووعده أن يشفع له يوم القيامة. هكذا، استراح أنس إلى حدّ ما. غير أنّه عاد وسأل النبيّ ﷺ: «فأين أطلبك؟».

أجابه رسول الله: «اطلبني أوّل ما تطلبني على الصراط؛ قال أنس: فإنْ لم ألقك على الصراط؟ قال: «فاطلبني عند الميزان»، قلت: فإنْ لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن».

والصراط هو جسر يقام في المحشر. والمحشر هو المكان الذي يجتمع فيه كلّ بني البشر، من زمن آدم عليه السلام حتّى يوم القيامة.

والميزان، هو الذي توزن عليه الحسنات والسيّئات يوم القيامة. أمّا الحوض، فهو المكان الذي يلتقي فيه أهل الجنّة بالرسول يوم القيامة. هناك، سيقدّم النبيّ لأمّته شربة ماء لا يعطشون بعدها أبداً. ابتسم أنس عندئذ، وحمد الله على الإيمان الذي أنعم الله به عليه.

اليوم 167

النُغَير، طائر أبي عُمَير

كان رسول الله ﷺ يحبّ الأطفال كثيراً. كلّما رأى طفلاً، يدنو منه ويمسح على رأسه، ويقبّله. كما كان يلاعب الأطفال ويمازحهم من وقت إلى آخر.

كان لأنس أخ صغير يكنّونه أبا عُمير. وكان لأبي عمير طائر صغير جدًّا، ذو منقار أحمر وعينين مستديرتين اسمه النُغَير. اعتبره عمير صديقه المقرّب. فكان يلاعبه طوال النهار ولا يملّ منه أبداً. وقد أطلق عليه اسم نُغَير.

كلّما رآه النبيّ مع طائره، قال له: «يا أبا عُمَير، ما فعل النُغَير؟» وهذه العلاقة الوثيقة مع النبيّ أفرحت أبا عمير كثيراً. في أحد الأيّام، مات طائر عمير فجأة، فحزن عليه كثيراً. وفي نفس اليوم زارهم النبي ﷺ فرأى أبا عمير حزيناً، فقال: «ما شأنه؟» قالوا: مات نغره، مسح النبي ﷺ على رأسه وسأله عن حاله. ثمّ أخذ يواسيه ويخفّف عنه حزنه. هذا التعاطف الذي أبداه رسول الله تجاه أبي عمير، أنساه حزنه وألمه، وأفرح قلبه.



اليوم
168

دعاء النبيّ ﷺ لأنس



كانت أمّ أنس سعيدة جدًّا بنشأة ابنها لدى رسول الله، لأنّه كان يتعلّم منه أمراً جديداً كلّ يوم. أرادت أن يكون رجلاً حسن الخُلق. في أحد الأيّام، أتت إلى النبيّ ﷺ وسألته أن يدعو لابنها.

أحبّ رسول الله أنساً كثيراً. لذلك، استجاب لطلب أمّه وقال: «اللهمّ أكثر ماله وولده، وأطل عمره، وأدخله الجنة».

هكذا ترعرع أنس في بيت النبيّ في جوّ من المحبّة والعطف. سار على خطى رسول الله ﷺ وأصبح رجلاً حسن الخُلق. استحقّ دعوات النبيّ وعمل بتعاليمه. وأصبح واحداً من أثرى أثرياء المدينة المنوّرة. كما تزوّج وأنجب عدداً كبيراً من الأطفال.

شكر أنس الله على دعاء رسول الله له. وسعى دائماً إلى نقل رسالة النبيّ وأحاديثه الجميلة إلى الأطفال المحيطين به.

أمضى أنس أجمل سنوات حياته بصحبة رسول الله ﷺ وفي رعايته. ولطالما تحدّث عن تلك الأيّام لاحقاً في حياته. «خدمت رسول الله عشر سنين، فلم يضربني ضربة قطّ، ولم يسبّني، ولم يعبس في وجهي».

لم ينس أنس بن مالك، الذي أمضى طفولته في كنف رسول الله، تلك الأيّام أبداً. عاش حياة سعيدة بفضل دعاء النبيّ له وتمتّع بالصحّة، والثروة، والسعادة، والصدق.

اليوم
169

بشرى بالجنّة للصابرين

عندما سمع المساكين والضعفاء بظهور نبيّ جديد فرحوا كثيراً، وراحوا يتهامسون بهذا

النبأ. كان الناس يقولون إنّه يساعد كلّ الناس، مهما كانت مشاكلهم.

أتت إلى رسول الله ﷺ امرأة وحيدة تعاني من مرض عضال. أخبرته بمشكلتها وقالت له إنّها مريضة، ثمّ سألته أن يدعو لها الله. فأجابها النبيّ: «إن شِئتِ صبرتِ ولك الجنَّةُ، وإن شِئتِ دعَوتُ اللهَ أن يُعافيَكِ».

فكّرت المرأة لبرهة. لديها الخيار إمّا أن تتمتّع بالصحّة في حياة قصيرة، أو أن تعيش سعادة أبدية في الجنّة. فقرّرت اختيار السعادة الأبدية على السعادة القصيرة والمؤقّتة. همست: «بل أصبر يا رسول الله». فرح رسول الله باختيارها. وبعدما انصرفت إلى منزلها، قال النبيّ ﷺ لصحبه: «مَا مِنْ مُصيبة تُصِيبُ المسلم إلا كفَّر الله عنه بها، حتى الشَّوكةِ يُشاكُها».

من أصغى إلى هذا الحديث، شكر الله على دين الإسلام الجميل وعلى هذا النبيّ العظيم. لم تعد المرأة المريضة تشعر بالحزن بسبب مرضها، بل عاشت على أمل نيل السعادة الأبدية في الآخرة.

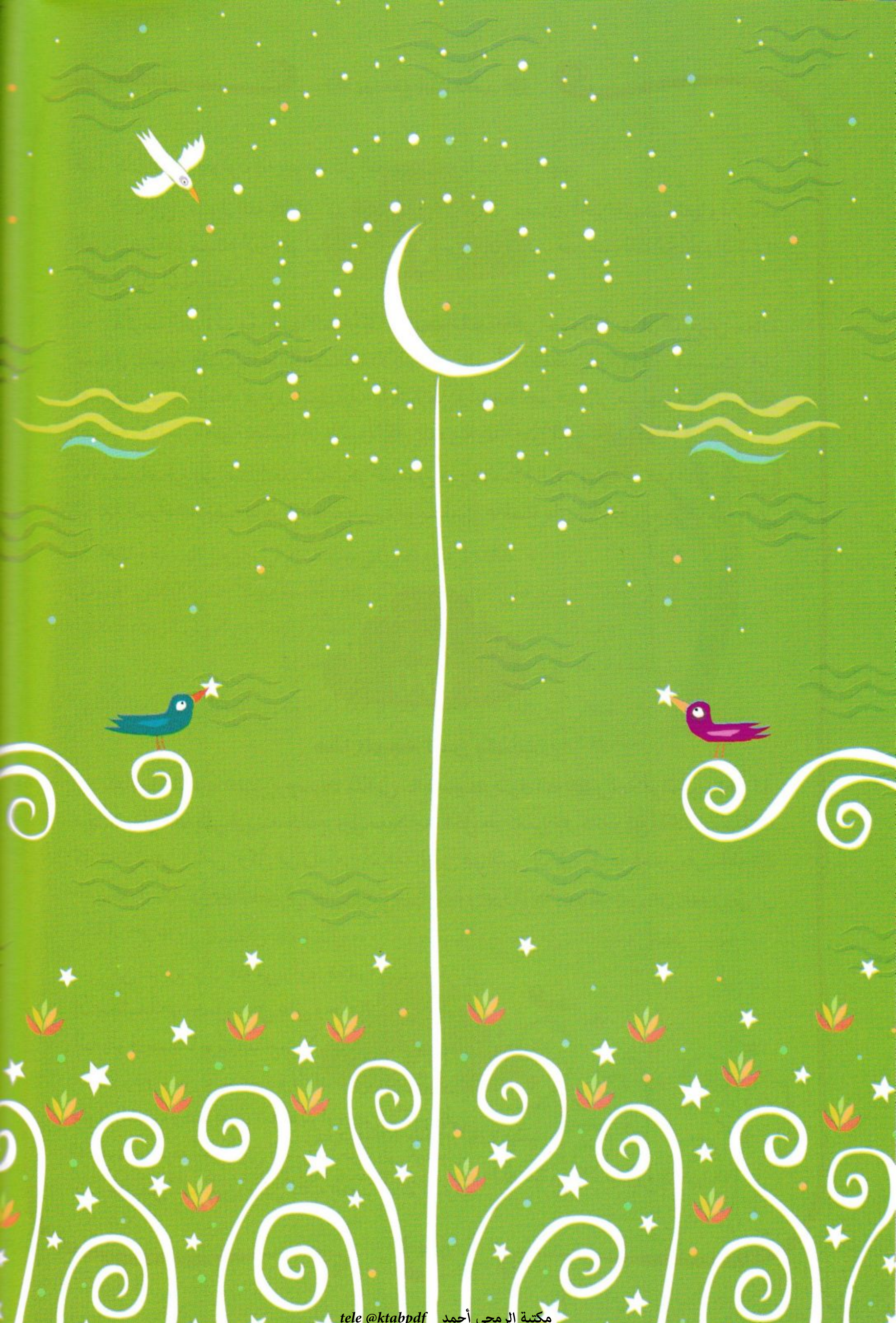
اليوم 170

هذا الوجه ليس بكذّاب

عاشت المدينة المنوّرة عصرها الذهبي. ذاع صيت رسول الله ﷺ وأخلاقه الحميدة في كلّ مكان. ومن كان يأتي لرؤيته، كان يرحل معجباً به. فكلّ حركة من حركاته وكلّ سكنة من سكناته كانت تؤثّر في الناس. وكلّ من رآه آمن أنّ هذا الدين هو الدين الحقّ. أصبح اسم رسول الله ﷺ على كلّ لسان. وأخذ الناس في بقاع بعيدة من العالم يخبرون بعضهم البعض عن ظهور نبيّ في مكّة أو حولها.



من لم يره سأل عنه من رأوه. فكانوا يصفونه قائلين إنّ محمّداً هو أجمل رجل على وجه الأرض، حتّى أنّه يفوق سيدنا يوسف جمالاً. ليس بالطويل ولا القصير، وليس بالسمين ولا النحيل. كان شديد سواد الشعر، وكان طول شعره يتراوح من الأذنين إلى الكتفين. يفرقه أحياناً إلى اليمين وأحياناً إلى اليسار. كان عريض المنكبين، وبين كتفيه يظهر خاتم النبوّة.



وجهه مستدير كالقمر، وحاجباه كثيفان ومقوّسان. كان شديد بياض العينين مع شدّة سواد البؤبؤ، وفي رموشه طول. عندما ينظر إلى شخص أو يتحدّث معه، يلتفت إليه بكامل جسده. وقيل إنّه كان عريض الجبين، وكثيف اللحية، ودائم الابتسام، أسنانه بيضاء كاللؤلؤ.

وقال عنه الصحابي جابر بن سُمرة: «رأيته في ليلة إضْحِيَانٍ، فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر، وعليه حلّة حمراء - فإذا هو أحسن عندي من القمر». وقالت إحدى الصحابيات: «لو رأيتَه رأيتَ الشمس طالعة». عندما يراه الناس مرّة، يتحدّثون فوراً عن محبّته التي دخلت قلوبهم. كانوا يقولون: «هذا الوجه ليس بكذّاب». فيعتنقون الإسلام فور رؤيته، ويتناقلون صفاته الحسنة في ما بينهم. أصبحت كلّ الأنظار متّجهة إلى المدينة المنوّرة. فقد أراد جميع الناس أن يتعرّفوا على هذا الدين الجديد ويعتنقوه.

اليوم
171

أوّل دولة إسلامية

خيّمت السعادة على المدينة المنوّرة، أجمل المدن. بدت ببساتين النخيل وثمارها الملوّنة كما لو كانت تحيّي ضيوفها. وكان نسيمها مليئاً بالبشرى وكأنّه عابق بعطر الورود. أتى الناس لاعتناق الإسلام من كلّ بقاع الأرض، وأخذ الحشد المحيط برسول الله ﷺ يزداد عدداً.

أثارت هذه التطوّرات قلق البعض. فقد انزعج اليهود الذين رفضوا الإيمان بالنبيّ ﷺ لأنّه لم يكن منهم. كما راحت قريش تحيك مؤامرات جديدة للإيقاع برسول الله.

كان ثمّة أيضاً من ادّعوا أنّهم من أصحاب النبيّ، لكنّهم كانوا أعداءه. إنّهم المنافقون الذين تتناقض أفعالهم مع أقوالهم. وكان هؤلاء من أخطر أعداء الإسلام، لأنّ أحداً لا يعرف نواياهم الحقيقية. كان عبد الله بن أُبَي واحداً من المنافقين. وقد شارك في التآمر على رسول الله. فكان يُرسل المعلومات التي يحصل عليها من المسلمين إلى قريش، بهدف الحدّ من انتشار الإسلام.

من جهة أخرى، كان ثمّة صراع طويل وقديم بين عدّة قبائل في المدينة المنوّرة. وكان من السهل لهذا الخلاف أن يتحوّل إلى حرب حقيقية بينهم. هكذا، بدت المدينة معرّضة لمخاطر عديدة من اتّجاهات مختلفة. أدرك رسول الله ذلك جيّداً، وأراد إزالة هذه المخاطر المحدقة بالمدينة. فجمع وجهاءها.



ترأس الرسول ﷺ هذا الاجتماع، وشرح للحاضرين الخطر الذي يتربّص بالمدينة المنوّرة من الخارج. ثمّ قال لهم إنّه عليهم الاتّحاد للدفاع عنها.

في نهاية الاجتماع، تمّ التوصّل إلى اتّفاق. وشكّل هذا الاتّفاق الدستور الأوّل للدولة الإسلامية. استناداً إليه، كان أهل المدينة أمّة واحدة. واعتُبر اليهود من مواطني المدينة المنوّرة. أيًّا تكن الظروف، على الجميع المشاركة في الدفاع عن المدينة المنوّرة ضدّ المعتدين. وبالطبع، كان هذا من مصلحة الجميع لأنّ كلّ مجموعة لديها من تخشاه. وقد أعطى هذا الدستور ضمانة لحماية الجميع.

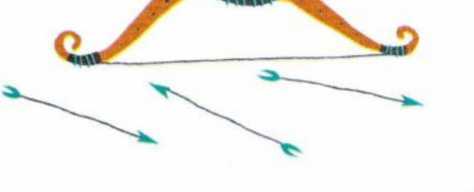
اليوم 172

الإذن المنتظر

غضب مشركو قريش عندما سمعوا عن الاتّفاق الذي عقده المسلمون في المدينة المنوّرة. وأخذوا يبحثون عن طرق لإزعاجهم.

خلال السنوات الثلاث عشرة التي قضاها المسلمون في مكّة المكرّمة، عانوا من كلّ أنواع الاضطهاد. لم يترك المشركون إهانة إلاّ وألحقوها بهم. كما مارسوا عليهم جميع أشكال التعذيب. وذهبوا في تلك الممارسات إلى حدّ اضطرّ معه المسلمون إلى مغادرة مكّة. فتحلّى المسلمون بالصبر إلى أن أذن لهم الله بالهجرة. فالإسلام هو دين السلام والمحبّة، ولا يدعو إلى إراقة الدماء.

من ناحية أخرى، قام رسول الله ﷺ دائماً بدعوتهم بالحسنى إلى طريق الحقّ. صبر على ظلمهم، وأراد من المسلمين أن يفعلوا الشيء نفسه لأنّهم كانوا مستضعفين. إنّه نبيّ يدعو إلى عمل الخير، وإلى الصدق، والرحمة، ويتصرف بحكمة في التعامل مع المشركين، ويوازن الأمور. لهذا السبب، لم يبادل المشركين بالعنف عندما كان في مكة.



لكنّ قريش بدأت الآن بوضع خطط جديدة. فقد



أرادت القضاء أوّلاً على النبيّ ومن بعده على جميع المسلمين. سمع المسلمون بالمؤامرات التي تحيكها قريش لقتل رسول الله ﷺ، وقرّروا حمايته. فهم لا يحتملون أن تتأذّى شعرة واحدة من رأسه. انتظروا أمراً من الله عزّ وجلّ بقتال المشركين. وراحوا يصلّون ليل نهار من أجل ذلك.

بالطبع، لن يسمح الله سبحانه وتعالى أن يصاب رسوله بأيّ أذى. أخيراً، أرسل الله الإذن عبر جبريل عليه السلام: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ...**﴾. هكذا، أذن الله عزّ وجلّ للمسلمين بقتال الكفّار للدفاع عن أنفسهم. ففرحوا كثيراً، لأنّهم أصبحوا قادرين من الآن فصاعداً على الردّ على الاضطهاد والظلم لحماية دينهم، ونبيّهم، وكتابهم. وهم على استعداد لذلك حتّى لو كلّفهم حياتهم.

اليوم
173

غزوة بدر

أخذت قريش تستعدّ لحرب ستشنّها على المسلمين. غير أنّها احتاجت إلى المال والسلاح لتجهيز جيش قوي. فأرسلت قافلة من ألف جمل محمّلة بالبضائع إلى دمشق. وكان أبو سفيان على رأس تلك القافلة. حقّقت تلك الصفقة أرباحاً كبيرة. ففرحوا كثيراً، وعادوا إلى مكّة وهم يضحكون ويغنّون. كانوا يخطّطون للهجوم على المسلمين بالأسلحة التي اشتروها بذلك المال.

عرف رسول الله ﷺ أنّ المشركين يخطّطون للحرب. فراح يفكّر بطرق لإحباط مخطّطاتهم. فهو لم يكن يرغب في إراقة الدماء. أخيراً، خطرت له فكرة. فقرّر أن يمنع القافلة من العودة إلى دمشق. عليه إيقاف المشركين قبل حدوث أيّ صدام معهم. فجهّز جيشاً من قرابة ثلاث مئة جنديّ.



عندما همّ بمغادرة المدينة المنوّرة، مرضت ابنته رقية. لكن لحماية المسلمين من أذى قريش، اضطرّ رسول الله إلى ترك ابنته المريضة في المنزل لقيادة الجيش بنفسه. تقع بدر بين مكّة المكرّمة، والمدينة المنوّرة، ودمشق. وهي محاطة بجبال عالية. وهذا السهل الجميل المزيّن بأشجار الموز وكروم العنب، يشكّل مكاناً مناسباً لإيقاف القافلة.

في طريق العودة، كان المشركون في غمرة السعادة، يتخيّلون الأسلحة والمعدّات الأخرى التي سيشترونها من أجل الحرب. وكان أبو جهل يحتسي الشراب من قارورة جلدية وهو راكب على ظهر ناقته.

في ذلك الوقت، كان رسول الله ﷺ والصحابة يتقدّمون باتّجاه بدر، وهم يكبّرون ويسبّحون الله. وكان مصعب بن عمير يحمل راية الرسول البيضاء. في حين حمل كلّ من عليّ وسعد بن معاذ رايتين أخريَين. كان الإسلام يمنع على المسلمين القتال وإراقة الدماء إن لم يكن ذلك لقضية عادلة. ولو زحف المشركون إلى المدينة، ستتعرّض حياة كثير من النساء والأطفال للخطر. لذلك، كان لا بدّ للمسلمين من الذهاب إلى بدر لمنع ذلك، ولحماية أسرهم.

كانت معركة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان.

اليوم
174

نبيّ شجاع وبطولي

لم يكن في جيش المسلمين عدد كثير من الجمال. وهي لا تكفي لحمل جيش من ثلاث مئة جندي. لهذا السبب، راحوا يتناوبون على ركوبها في الطريق الصحراوي الطويل والحارّ. وكان رسول الله ﷺ يتناوب مع الصحابة هو أيضاً. فيمشي حيناً ويركب حيناً. عندما حان دوره للسير، قال له رجلان من الصحابة: «نحن نمشي عنك». لكنّ النبيّ كان عادلاً ويحبّ المساواة. فأجابهم: «ما أنتما بأقوى منّي، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما». بذلك، أظهر لهما رسول الله أهمّية المساواة. فجميع المسلمين سواسية، ولم يفضّل نفسه يوماً على غيره من الناس. حتّى لو كان خاتم الأنبياء، إلاّ أنّ ذلك لم يتصرّف معهم بغرور وتكبّر.



بينما كان جيش المسلمين يتقدّم بسرعة إلى بدر لاعتراض قافلة قريش، قام جاسوس بنقل الخبر إلى أبي سفيان، قائد القافلة. فشعر أبو سفيان بالقلق، لأنّه كان يخشى هذا الأمر منذ البداية. أرسل على الفور خبراً إلى مكّة وغيّر طريق القافلة. فقد قرّر أن يذهب إلى مكّة بأسرع ما يمكن، ويجهّز جيشاً قوياً جدًّا، ثمّ يزحف نحو المسلمين.

انطلق الرجل الذي أرسله أبو سفيان يمشي في شوارع مكّة وهو يصيح بأعلى صوته. «النجدة! النجدة! المسلمون سيهاجمون قافلتنا، وسيستولون على كلّ أملاكنا. النجدة!».

فوجئ المشركون، وانطلقوا للقيام بالاستعدادات. جمعوا ألف مقاتل، وعدد كثير من الجمال. واصطحبوا معهم نساءهم ليقمن بالعزف، وإنشاد الأغاني الحربية، وإلقاء الشعر لرفع معنويات الجنود. هكذا، توجّه إلى بدر جيش كبير على أتمّ الاستعداد، بقيادة أبي جهل.

سرعان ما وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ. عرف أنّ المشركين يزحفون إلى بدر بجيش ضخم، فطلب العون من الله عزّ وجلّ، كما يفعل دائماً. أراد المسلمون منع المشركين من الاستعداد للحرب. لكن لم يخطر في بالهم أن يأتي المشركون بجيش إلى بدر. في ظلّ هذه المستجدّات، ناقشوا المسألة في ما بينهم. وفي النهاية، قال المسلمون الذين كانوا على استعداد للتضحية بحياتهم من أجل النبيّ ﷺ: «لقد آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله، لما أردت. فوالذي بعثك بالحقّ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضتَه لخضناه معك، ما تخلف منّا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنّا لصَبْر في الحرب، صِدْق عند اللقاء، ولعلّ الله يريك منّا ما تقرّ به عينك، فسِر على بركة الله».

فرح رسول الله ﷺ بشجاعة الصحابة وقال لهم: «سِيروا وأبشروا، فإنّ الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم». زادهم هذا التشجيع قوّة. هكذا انطلق المسلمون وقلوبهم مليئة بالإيمان، بحيث كانوا قادرين على تحدّي العالم بأسره. كانوا واثقين من النصر، لأنّ النبيّ الذي يقودهم لا يخشى أحداً سوى الله عزّ وجلّ.

اليوم 175

في ربوع بدر

وصل رسول الله ﷺ مع جيشه إلى بدر في ليل جمعة، وكانوا متعبين جدًّا. قال لهم إنّه

يأمل الحصول على بعض المعلومات عند بئر المياه المجاور لتلّة صغيرة. ثمّ أرسل عليًّا وبعض الصحابة إلى هناك.



وجد المسلمون عدداً من المشركين حول البئر يملأون الماء. وكانت جمالهم متفرّقة حولهم. فأسر الصحابة اثنين منهم، وأحضروهما إلى النبيّ. سألهما عن بعض المعلومات عن الجيش. فقال أحدهما: «هم وراء هذا الكثيّب الذي ترى بالعدوة القصوى». فسألهما رسول الله ﷺ: «كم القوم؟» قالا: «كثير». قال النبيّ: «ما عدّتهم؟» فأجابا: «لا ندري». عندئذ طرح عليهما سؤالاً مختلفاً لكي يقدّر العدد: «كم ينحرون كلّ يوم؟» أجاب أحدهما: «يوماً تسعاً ويوماً عشراً». قال النبيّ: «القوم ما بين التسع مئة والألف».

أعجب الصحابة بالطريقة التي استخدمها رسول الله لتقدير عديد جيش المشركين. ما دام لديهم قائد مثله، فهم مستعدّون للذهاب معه إلى آخر العالم. هكذا نصبوا خيمهم على الجانب الآخر من الآبار.

جهّز الصحابة خيمة من سعف النخيل لرسول الله. فدخل إليها مع أبي بكر، وقام عدد من الصحابة بحراستها.

اليوم 176

استوِ يا سوّاد

كانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان، فقام رسول الله ﷺ يُعَدِّل صفوف أصحابه وفي يده سوط، فمَرَّ بسوّاد بن غزية وهو متقدم من الصف، فضربه في بطنه بالسوط ليستقيم في الصف وقال: «استوِ يا سوّاد»، فقال سوّاد: يا رسول الله، أوجعتني! وقد بعثك الله بالحق والعدل فأَقِدْني (أي اقتص لي من نفسك لقاء ضربتك)، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال: «استقد». فأسرع سوّاد فاعتنق النبي ﷺ وقبّل بطنه! فقال رسول الله: «ما حملك على هذا يا سوّاد؟» فقال سوّاد: يا رسول الله، حضر ما ترى



من معركتنا مع المشركين، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، من حبي لك يا رسول الله! فدعا له رسول الله بخير.

اليوم
177

محمّد رسول اللّه، القائد العظيم

كان رسـول الله ﷺ أباً حنوناً. يمسح على رؤوس الأيتام، ويشفق عليهم، ويحميهم. وكان رفيقاً بالحيوانات، لا يسمح لأحد أن يؤذي ولو حتّى نملة صغيرة. اعتاد على تأدية حقوق الناس بكاملهـا. ولـم يحمـل في قلبه حقداً على أحد. كمـا أنّه لم يتمنَّ يومـاً الأذى أو الضرر لأحد من الناس.

وواجه المشركين لأنهم يحاربون دين الله. لهذا السبب، كان مستعدًّا للتضحية بحياته حتّى آخر نقطة دم. وها قد حانت تلك اللحظة. حان الوقت للدفاع عن الإسـلام ضدّ أعدائه. بينما خلد الجنود إلى النوم طوال الليل، لم يغمض جفن لرسول الله. في المأوى الذي أعـدّه لـه الصحابة، صلّى طوال الليل. توسّـل إلى الله لمسـاعدته، وظـلّ يصلّي حتّى طلوع الفجر. فامتلأت سماء بدر بالصلوات والدعاء.



نهـض الجنـود باكراً وبدأوا بالاسـتعداد. كانت كلّ الأنظار موجّهة إلى رسـول الله ﷺ، الذي اعتاد على فعل كلّ شيء على النحو الصحيح. فجهّز الجيش، وجعله يتمركز في موقع مناسب. ثمّ اختار قائداً لكلّ فرقة، وأمرهم قائلاً: «إن دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبل، ولا تسلّوا السيوف حتّى يغشوكم».

بـدأوا بالانتظار وهم يسبّحون الله ويدعونه طالبين منه العـون والنصر. وبعد وقت غير طويل، وصل جيش قريش إلى بدر هو الآخر. وقف في مواجهة المسلمين جيش يفوق عديده ألف جندي، مدجّجين بالسلاح، ومجهّزين بالجِمال، والخيول. كانوا أقوى من المسلمين مـن حيث العدد والتسـلّح. خرج رسـول الله ﷺ من خيمته، وتفقّد الجيـش للمرّة الأخيرة. كان كلّ شيء جاهزاً. فأرسل عمراً إلى أبي جهل كسفير، ليسأل جيش الأعداء ما إذا كان من الممكن أن يعـود الطرفـان أدراجهمـا من دون صِـدام. غير أنّ أبا جهـل لم يقبل بذلك. فـي تلك اللحظة بالضبط، قام أحد المشـركين بإلقاء سـهم على جيش المسـلمين. فأصاب أحد المهاجرين وكان يدعى مِهْجَع. استُشـهد مِهْجَع على الفور. وكان من أولئك الأشخاص الذين ضحّوا في حياتهم

في سبيل الإسلام. كان الله عزّ وجلّ قد بشّر الشهداء بالجنّة. فنال مِهْجَع تلك المنزلة العالية في الآخرة.

بعد ذلك، تقدّم علي وحمزة وبدآ القتال. صمد المسلمون بثقة تامّة بالله ورسوله في وجه المشركين. وعندما رأى هؤلاء جنودهم وهم يسقطون في أرض المعركة واحداً تلو الآخر، خافوا كثيراً. حاول أبو جهل التهدئة من روعهم، ورفع معنوياتهم. غير أنّهم فوجئوا لأنّ المسلمين، بعددهم الصغير، تمكّنوا من صدّهم بشجاعة كبيرة. كان المسلمون يقاتلون بحماسة في سبيل الله.

تأثّر رسول الله ﷺ هو أيضاً لدى رؤية المسلمين وهم يحاربون العدوّ الذي كان يفوقهم عدداً وقوّة بتلك الشجاعة الكبيرة. فرفع يديه إلى السماء ودعا الله قائلاً: «اللهمّ إنّهم حفاة فاحملهم، وعراة فاكسهم، وجياع فأشبعهم».

اليوم 178

حفنة من الرمال شتّتت جيش الأعداء

كان رسول الله قائداً عظيماً. لم يترك الجيش ولو للحظة واحدة. أخذ يشجّع الجنود الذين تقدّموا بقلوب مطمئنّة. كان جيش قريش يهاجم المسلمين من دون هوادة، ويحاول تفريقهم. غير أنّ رسول الله ﷺ وقف في وجههم مثل حصن منيع. وعندما رآه الصحابة بهذا الصمود، واجهوا العدو بحزم أكبر. كلّما تقدّم الأعداء، استمدّ المسلمون الشجاعة من نبيّهم.



دارت معركة طاحنة. وعندما اشتدّ الضغط على المسلمين، انحنى رسول الله، وتناول حفنة من الرمال عن الأرض، ثمّ رمى بها على جيش العدوّ. ودعا عليهم ﷺ.
في تلك اللحظة، شعر المشركون بالألم في عيونهم. فأخذوا يغادرون أرض المعركة.

هكذا، خفّ الضغط عن المسلمين. استمرّ رسول الله ﷺ بتشجيع جنوده، وراح يبشّرهم بالجنّة. مع حلول المساء، بدأ الجيشان يشعران بالتعب. فقرّر الجميع أخذ استراحة. حفنة التراب التي ألقاها النبيّ شغلت بال الجنود من كلا الطرفين. رأى المسلمون أنّها معجزة من معجزات رسول الله، وشكروا الله عليها. أمّا المشركين، فلم يتمكّنوا من فهم ما جرى.

اليوم
179

نبيّ يحفظ الوعد

استؤنف القتال في اليوم التالي. كان أبو جهل قد عقد العزم على قتل رسول الله ﷺ. فراح يبحث عنه في الميدان طوال الوقت. في أثناء القتال، أحضر الجنود مسافرَين إلى أبي جهل. بعد تفتيشهما، سألهما أبو جهل: «إلى أين تذهبان؟ هل أنتما ذاهبان لمساعدة محمّد؟» أجابا: «كلاّ، بل إلى المدينة». قال أبو جهل: «لا وقت لديّ الآن. إن وعدتماني بعدم مساعدة محمّد، سأطلق سراحكما. وإلاّ، فسأقتلكما». قالا له: «نعدك بذلك. نحن ذاهبان إلى المدينة، ولن نساعد محمّداً». فقال أبو جهل: «أنتما حرّان إذاً. لكن إن أخلفتما وعدكما لي، لن أترككما وشأنكما». فغادر الرجلان المكان على الفور. وبعد قليل، ذهبا إلى رسول الله. قال له: «قلنا لأبي جهل إنّنا ذاهبان إلى المدينة. لكن، يعلم الله أنّنا أتينا لمساعدتك. نحن بأمرك، اطلب منّا ما تشاء».

أصغى إليهما رسول الله، ولم يعجبه هذا الحديث. فقد كان يأمر الناس دائماً بحفظ الوعود، لأنّه يمقت الخيانة، حتّى في الحروب. بالمقابل، لم يكن يرغب في جرح مشاعر الرجلين. لذلك، أمرهما بهدوء بالذهاب إلى المدينة.

فوجئ الرجلان. كان جيش المسلمين يحتاج إلى كلّ دعم ممكن، فكيف يذهبان إلى المدينة؟ فقال لها رسول الله ﷺ إنّ عليهما أن يبرّا بالوعد الذي قطعاه.



فهم الرجلان في تلك اللحظة مدى أهمّية حفظ الوعود. وشكّلت هذه الحادثة درساً لهما. هكذا، انطلقا إلى المدينة لكي ينفّذا الوعد الذي قطعاه على أبي جهل. بتلك الطريقة أيضاً، أوصلا سلام رسول الله إلى ابنته رقيّة المريضة في المدينة.

اليوم
180

سلام من بدر

خلال غزوة بدر، كانت رقيّة، ابنة رسول الله، في العشرين من عمرها تقريباً. حتّى ذلك اليوم، أمضت حياة شاقّة ومليئة بالمصاعب. فابنة رسول الله عانت من الصعوبات نفسها التي مرّ بها والدها. غير أنّها كانت على استعداد لتحمّل المزيد في سبيل الإسلام ونشر الرسالة بفضل إيمانها القوي. فهي التي هاجرت إلى الحبشة أوّلاً. والحبشة معروفة اليوم باسم إثيوبيا، وتقع على الضفّة الأخرى من البحر، مقابل مكّة المكرّمة. ولاحقاً، هاجرت من هناك إلى المدينة المنوّرة، للالتحاق بأبيها، الأمر الذي أراحها بعض الشيء.

كانت رقيّة في ريعان شبابها، لكنّها مريضة جداً. شحب وجهها، وزال البريق من عينيها. أخذت حالتها تتفاقم مع مرور الوقت، غير أنّ زوجها، عثمان، لم يتركها ولو للحظة واحدة. كما أنّ رسول الله ﷺ لم يسمح له بالالتحاق بالجيش، بل طلب منه البقاء في المدينة والاعتناء بزوجته. شعر عثمان بالحزن الشديد. فمن جهة، كان وضع زوجته يزداد سوءاً يوماً بعد يوم. ومن جهة أخرى، لم يستطع أن يكون برفقة رسول الله. كلّما فتحت رقيّة عينيها، طرحت السؤال نفسه وهي تئنّ من الألم: «هل من أخبار عن أبي؟».

أخذ عثمان يدعو الله لوصول أخبار سارّة من الميدان، ويطلب الشفاء لزوجته. غير أنّ رسول الله، الذي كان يعرف أنّ ابنته تحتاج إلى بصيص أمل وهي في فراش المرض، أرسل لها سلامه مع الرجلين اللذين أمرهما بالذهاب إلى المدينة المنوّرة.



بحث الرجلان عن عثمان. وعندما عثرا عليه، أوصلا سلام رسول الله إلى رقيّة. فانطلق عثمان فوراً إلى زوجته، ونقل إليها الخبر. فرحت رقيّة كثيراً بسلام رسول الله. أشرق وجهها، ولمعت عيناها بعض الشيء. لم تعد تأبه، حتّى لو ماتت من دون رؤيته.

اليوم
181

الملائكة تشارك في المعركة

حلّ صباح دافئ يوم الجمعة. في تلك الليلة، أمطرت السماء قليلاً على سهول بدر. نهض المسلمون باكراً في ذلك الصباح، وشعروا بالنشاط بعد ليلة من الراحة. فقد أخذوا قسطاً وافياً من النوم، جدّد من قوّتهم وعزيمتهم.

أمضى رسول الله ﷺ تلك الليلة في الصلاة. فمع أنّه رسول الله، إلاّ أنّه لا يكفّ أبداً عن الصلاة. طلب من الله أن ينصره هو وجنوده وأن يرفع راية الإسلام.

في الصباح الباكر، دعا ﷺ جيشه مجدّداً للاصطفاف استعداداً للمعركة، ثمّ عاد إلى خيمته. قبل استئناف القتال، توجّه إلى الله بالدعاء. رفع يديه إلى السماء، وراح يطلب من الله إمداده بالمساعدة. بدا وكأنّه نسي نفسه، واستغرق في دعواته إلى حدّ أنّ عباءته انزلقت عن كتفيه وسقطت على الأرض من دون يشعر بذلك. كان صاحبه أبو بكر واقفاً بقربه. فتناول العباءة، ووضعها مجدّداً على كتفي الرسول، ثمّ قال له بهدوء: «يا نبيّ الله، كفاك مناشدتك ربّك، فإنه سيُنجز لك ما وعدك».

واصل رسول الله الدعاء، لكنّ النعاس غلبه فجأة. استيقظ بعد قليل، وعلى وجهه ابتسامة راضية. نادى صاحبه أبا بكر وقال له: «أبشر أبا بكر، أتاك نصر الله!» فلمعت عينا أبي بكر من شدّة السعادة.



في الساعات التالية، بدأ القتال مجدّداً. أمر قائد المشركين مئات الجنود بالزحف على المسلمين. لكن، هل يترك الله عزّ وجلّ نبيّه بمفرده في وجه هجوم غير عادل؟ بالطبع لا. أتى جبريل عليه السلام لمساعدة المسلمين بثلاثة آلاف من الملائكة. اختلط الملائكة بجيش المسلمين، وبدأوا القتال. وكان عليّ وحمزة يقاتلان جنباً إلى جنب في الصفوف الأمامية.

فجأة، أصبح المشركون على شفير الهزيمة، وكأنّهم فقدوا قدرتهم على القتال. لقد دُمّروا تماماً. في غمرة تلك الفوضى، رأى الجنود أبا جهل يسقط على الأرض وهو يئنّ، ولم ينهض مجدّداً. لقد مات قائدهم. ذُعر جيش المشركين، وبدأ الجنود يفرّون من ساحة المعركة بفزع كبير، تاركين خلفهم أسلحتهم.



لم يبقَ في سهول بدر من جيش قريش سوى الجرحى، والدوابّ، والأسلحة. لقد استجاب الله لدعاء النبيّ وأمدّه بالمساعدة. انتصر المسلمون، وقيّدوا الأسرى لكي لا يتمكّنوا من الفرار. لقد هزم جيش المسلمين، بعدده البالغ ثلاث مئة جندي، جيش الكفّار الضخم البالغ ألف جندي، وأسر منهم سبعين رجلاً.

كلّ ذلك تمّ بفضل الله وحده. عندما انخفضت الشمس فوق التلال الرملية وبدأت تغيب في الأفق، بقي المسلمون وحدهم في ساحة المعركة. بعون الله، انتهت معركة بدر لصالحهم. وظلّت مآثر هذا النصر المؤزَّر تُروى بفخر لقرون من الزمن.

اليوم 182

في أعقاب المعركة

أحرز المسلمون في بدر انتصاراً غير متوقّع. ولكي ينجو المشركون بحياتهم، فرّوا من ساحة المعركة تاركين خلفهم كلّ أسلحتهم ومتاعهم. كان الميدان مليئاً بأغراض قيّمة، وببقايا الطعام، والملابس، والمعاول المكسورة، والتروس، والسهام، فضلاً عن عدد كبير من الأحصنة والجمال التي تتجوّل من دون أصحابها. نظر النبيّ ﷺ مطوّلاً إلى الوادي، ولم يرغب في تركه على هذه الحال. فمثلما كان يهتمّ بنظافته الشخصية، كان يهتمّ أيضاً بنظافة بيئته ومحيطه. فأمر من حوله بإعادة الوادي إلى ما كان عليه قبل أيّام. راح المسلمون يتعاونون على تنظيف المكان. حفروا أوّلاً قبوراً للشهداء، ثمّ صلّوا عليهم صلاة الجنازة. بعد ذلك، ذهبوا إلى جهة المشركين. فدفنوا موتاهم، ثمّ جمعوا حيواناتهم ولمّوا الأوساخ عن الأرض. وبحسب قوانين الحروب، أخذوا كلّ الأشياء الثمينة التي تركها العدوّ خلفه. جمعوا كلّ شيء في مكان واحد. كان في تصرّف رسول الله لطف كبير. ولم يكن رسول الله ﷺ ينسى فعل الأمور الضرورية في الأوقات الصعبة. ولم يسمح للمسلمين بالعودة إلى المدينة المنوّرة فرحين بانتصارهم، تاركين الوادي خلفهم في حالة من

الفوضى. هذا هو الإسلام، وهذا هو نبيّنا. في حين كان المسلمون في المدينة المنوّرة ينتظرون بفارغ الصبر عودة جيشهم منتصراً، لم يرحل هؤلاء الناس إلاّ بعد أن أعادوا وادي بدر إلى ما كان عليه. مكثوا هناك ثلاثة أيّام بعد انتهاء المعركة. ولم يرجعوا إلى ديارهم إلاّ بعد أن أتمّوا مهمّتهم على أكمل وجه.

اليوم 183

دهشة الأسرى

أخذ أسرى الحرب الذين قبض عليهم المسلمون ينتظرون بترقّب وخوف ما سيحلّ بهم. في تلك الأيّام، كان أسرى الحرب يعانون الجوع والعطش، ويُجبرون على العمل الشاقّ لبقية حياتهم، ويعاملون كالعبيد. لهذا السبب، اعتُبر الأسرُ أسوأ من الموت.

في حين توجّه أسرى المشركين إلى المدينة المنوّرة بخوف وهم يجرّون أذيال الخيبة، كان النبيّ ﷺ يشكر الله ويحمده. وعندما وصل جيش المسلمين إلى المدينة، رحّب بهم المسلمون بفرح عظيم. ثمّ أخذ رسول الله الأسلحة، والجياد، والجِمال، وكلّ ما غنموه من المشركين، ووزّعه بالتساوي على المسلمين.

حان دور الأسرى، وأخذ يتساءل ماذا يفعل بهم. صحيح أنّه رسول الله، لكنّه لم يكن يُقدم على أمر من دون استشارة الصحابة. فجمعهم وسألهم عن رأيهم. سأل أوّلاً أبا بكر، فارتأى أن يأخذ منهم فدية؛ فهم بنو العمّ، والعفو عنهم أحسن، ولعلّ الله يهديهم إلى الإسلام. والفدية هي مبلغ من المال يتّفق عليه الفريقان في الحروب لتحرير الأسرى. ثمّ استشار رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، فاقترح عليه قتل الأسرى، بسبب الأذى الذي ألحقوه سابقاً برسول الله والمؤمنين. لكنّ النبيّ فَضَّلَ رأي أبي بكر، ثم نهض وذهب إلى خيمته. بعد قليل، عاد إلى الاجتماع، وقال للحاضرين إنّه سيأخذ برأي أبي بكر. سيتمّ تحرير الأسرى ودفع فديتهم.



كان بين الأسرى أشخاص غير قادرين على دفع الفدية، لأنّهم فقراء. فوجد لهم المسلمون حلاًّ. فرضوا على أولئك

المشـركين الذين يجيدون القراءة والكتابة تعليم عشـرة مسلمين القراءة والكتابة مقابل حرّيتهم. هكـذا قُبـل الاقتـراح وتـمّ تطبيقه. فعـاد الأسـرى القادرون علـى دفع الفديـة إلى مكّـة. أمّا غير المستطيعين منهم، فمكثوا في المدينة المنوّرة إلى أن علّموا عشرة مسلمين القراءة والكتابة.

فوجئ الأسـرى بسـبب المعاملة الحسـنة التـي تلقّوها. فهم لم يروا من المسـلمين سـوى اللطـف والرحمة. لـم يسـمعوا منهم شـتائم، ولـم ينالهم منهم أيّ أذى. ومن نـال حرّيتهم منهم، دُهش للقيمة التي يوليها الإسلام لحياة الإنسان. كما فوجئوا لأهمّية القراءة والكتابة لديهم.

لقد فهموا جميعاً مدى عظمة رسول الله ﷺ وجمال دين الإسلام.

اليوم
184

عمّ رسول الله في الأسر

العبّـاس هو أصغـر أعمام الرسـول ﷺ. كانا مقرّبَين مـن بعضهما منذ الطفولة، ونشـآ معاً. كانت لديهما كثير من الذكريات المشتركة. لكن بعد البعثة، وقف العبّاس في صفّ قريش. ومع أنّ هذا الأمر أحزن رسول الله، إلاّ أنّه لم يكن بيده حيلة سوى الدعاء له. أُسِر العبّاس في معركة بدر. وشأنه شأن بقيّة الأسرى، نال حرّيته مقابل شروط معيّنة.

قال رسـول الله لعمّه: «يا عبّاس، افدِ نفسـك وابن أخيك». فأجابه العبّاس: «فإنّه ليس لديّ مال». عندئذ سـأله رسـول الله: «فأيـن المال الذي وضعته بمكّة؟ حيـث خرجت عند أمّ الفضل وليـس معكمـا أحد غيركما. فقلتَ إن أصبتُ في سـفري هذا فللفضل كـذا ولِقُثم كذا ولعبد الله كذا». فوجئ العبّـاس كثيراً وقال: «فوَالذي بعثك بالحـقّ، مـا عَلِم بهـذا أحد من النـاس غيري وغيرها. فإنّي لأعلم أنّك رسول الله».



لـم يعد في قلب العبّاس أيّ شـكّ فـي نبـوّة محمّد الذي نشـأ معـه ولم ير منه سـوى الصدق والأمانة. شعر وكأنّ الشـمس أشـرقت على قلبه. فقـام بأمرٍ رفض فعله لسـنوات طويلـة. نطق على الفور بالشهادة واعتنق الإسلام.

أراد العبّاس العودة إلى قريش لمنعها من إيذاء المسلمين، لذلك أبقى إسلامه سرًّا. هكذا أصبح ابن أخيه محمّد نبيّه وقائده.

اليوم 185

ليلة عند رسول الله ﷺ

عبد الله هو ابن العبّاس، عمّ رسول الله. وكان طفلاً بريئاً وطيّباً يحبُّ النبي كثيراً، ولا يحبّ الابتعاد عنه. وكانت خالة عبد الله زوجة رسول الله.

شعر عبد الله بالفضول حيال سلوك رسول الله في منزله. فاستأذن خالته لتمضية ليلة عندهما. تحمّس كثيراً لأنّه أراد أن يعرف ما يفعله النبيّ ﷺ في بيته. عندما أتى المساء، عاد رسول الله إلى منزله. كان يحبّ الضيوف ويبذل ما في وسعه لإسعادهم.

عندما رأى عبد الله عنده، فرح به كثيراً، وأولاه اهتماماً خاصًّا. تناولوا العشاء معاً بهدوء، وتحدّث معه حتّى ساعة متأخّرة من الليل. عندما حان وقت النوم، أراد عبد الله النوم في الغرفة نفسها مع رسول الله ﷺ. لكنّه ارتبك ولم يعرف كيف يطلب منه ذلك. فهم النبيّ ما يريده عبد الله، فدعاه للنوم في غرفته. نام النبيّ وعبد الله على الوسادة نفسها، وفاح عطر النبيّ في الغرفة. في منتصف الليل، استيقظ الصبيّ وأدرك أنّ الرسول ليس إلى جانبه. فبحث عنه، ووجده يتأمّل السماء من النافذة. لم يُصدر عبد الله أيّ صوت، بل استلقى يشاهده من سريره.



بدأ النبيّ بتلاوة آيات من سورة آل عمران، وهو ينظر إلى القمر والنجوم: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

راقبه عبد الله بإعجاب كبير. بعد ذلك، نظّف النبيّ ﷺ أسنانه بالسواك، وبدأ يصلّي صلاة

الليل. بقي يصلّي حتّى ساعة متأخّرة من تلك الليلة. وطلب من الله أن يعفو عن جميع المؤمنين. طلع الفجر، وسُمع صوت بلال وهو يرفع الأذان. خرج النبيّ ﷺ ليصلّي في المسجد، بعد أن أمضى ليلته في العبادة والصلاة. عندئذ، نهض عبد الله، وتوضّأ، ثمّ ذهب وانضمّ إلى المصلّين لأداء صلاة الفجر.

اليوم 186

الصحابة الصغار



من وقت إلى آخر، كان رسول الله ﷺ يصطحب الأطفال خلفه على ظهر الجمل أو الحصان. فيأخذهم للتنزّه، ويصطحب معه في بعض الأحيان ثلاثة أطفال مرّة واحدة. في تلك الأوقات، كان الأطفال يطيرون من الفرح. فتغمرهم السعادة عندما يمتطون ناقته، أو يجلسون على حضنه، أو يتسلّقون ظهره. وكان النبيّ ﷺ يتحدّث معهم، ويعلّمهم كثيراً من الأمور الجميلة.

في أحد الأيّام، اصطحب عبدَ الله على ظهر ناقته، وأحاطه عبد الله بيديه بقوّة. قال له النبيّ: «يا غلام». أجابه: «لبّيك يا رسول الله». قال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جَفَّ القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن مع الصبر النصر، واعلم أن مع الكرب الفرج، واعلم أن مع العسر اليسر».

لم ينس عبد الله هذه الكلمات الحكيمة طوال حياته، وعمل بها دائماً. وقد تعهّد لنفسه بعدم نسيان هذه اللحظات القيّمة التي أمضاها مع رسول الله.



اليوم
187

زيد، أمين سرّ رسول الله ﷺ

كان زيد يتيماً. فقد توفّي والده قبل سنوات عديدة، ولم يكن لديه من يرعاه أو يهتمّ بتعليمه. لهذا السبب شعر بالوحدة، وامتلأت عيناه بالحزن لأنّه أراد أن يكون رجلاً عظيماً ومتعلّماً. كان زيد بالغ الذكاء، وإن تمكّن من الحصول على تعليم جيّد، سيقدّم الكثير للبشرية.

بعد معركة بدر، وجد رسول الله ﷺ حلاً للأطفال أمثال زيد، الذين أرادوا تعلّم القراءة والكتابة، لكنّهم لم يجدوا فرصة لذلك. ففرض على أسرى الحرب تعليم عشرة أطفال على الأقلّ القراءة والكتابة. وعندما عرف أولئك السجناء أنّهم سيحصلون على حرّيتهم بالمقابل، قاموا بهذا العمل بسرور.

كان زيد واحداً من أولئك الأطفال المحظوظين. فخلال فترة قصيرة من الزمن، تعلّم القراءة والكتابة. أسعده ذلك كثيراً، وشكر رسول الله ﷺ على توفير هذه الفرصة له. اعتاد النبيّ أن يولي اهتماماً خاصًّا للأطفال يتيمي الأب مثل زيد. فكان يدنو منهم، ويمسح على رؤوسهم. كما كان يعطيهم بعض المال، ويسألهم ما إذا كانوا يعانون من أيّ مشاكل.



لا بدّ أنّ نظرات زيد وتعابير وجهه لفتت انتباه رسول الله ﷺ. أراد له أن يحصل على تعليم جيّد ويتعلّم لغة أجنبية. بهذه اللغة، سيتمكّن زيد من التواصل مع غير العرب. شكّل هذا الأمر فرصة عظيمة لزيد، وعاد عليه بفوائد عديدة. أطاع رغبات رسول الله، وتعلّم لغة أجنبية. كانت اللغة التي تعلّمها زيد هي السريانية، التي كانت لغة هامّة في ذلك الوقت وكانت مستخدمة في بلاد الشام. أتقن زيد اللغة السريانية جيّداً، وأصبح يجيد قراءتها وكتابتها. فاصطحب رسول الله زيداً إلى بيته، وجعله مساعده الخاصّ. عندما كان يستلم رسالة باللغة السريانية، كان يطلب من زيد قراءتها له. ثمّ يكلّفه بالردّ عليها.

فـرح زيد كثيـراً بهذا المنصب. وبفضـل عاداته الحسـنة، واجتهاده، وذاكرتـه القوية، نجح وأصبح أمين سرّ رسول الله.

فـي مدّة قصيرة، تعلّم زيد لغات أجنبية أخرى مثـل لغة اليهود العبرية. فتحوّل من يتيم فقير بـلا حمايـة، إلى الرجل الأقرب من رسـول الله ﷺ، والمسـاعد الأوّل له. ولـولا حبّ واهتمام النبيّ، لما حقّق ذلك أبداً. منذ ذلك الحين، لم تفارق البهجة عيني زيد.

اليوم 188

نبيّ متسامح



فـرح المسـلمون فرحـاً عظيمـاً بانتصـار بـدر. وراح عـدد المسـلمين يتضاعف يوماً بعد يوم، ودين الإسـلام يزداد انتشاراً. أمّا أعداء الإسلام، فقد شعروا بإحباط كبير، ولم يعرفوا ماذا يفعلون. لو كان الأمر بأيديهم، لقضوا على المسلمين تماماً. لكنّهم كانوا عاجزين عن ذلك.

عندمـا كان اليهود يجتمعون معـاً، كانوا يقولون: «أوصـاف هذا النبيّ مذكـورة فـي كتابنا المقدّس، التـوراة. ولا يمكن لأحد أن يقف في وجهه بعـد الآن». لكن على الرغم من ذلك، كانوا يتهامسون في كيفيّة إيذاء المؤمنين، واستمرّوا بحياكة المؤامرات ضدّهم.

عندمـا وضعـت تلـك المخطّطات، كان عبـد الله بن أُبَيّ، زعيـم المنافقين، يقدّم لهم سـرًّا المسـاعدة والدعـم. وعند كلّ فرصة، كان يتحدّث بالسـوء عن الإسـلام. بذل كلّ ما في وسـعه لإضعـاف إيمان المسـلمين وثقتهم. غير أنّ بعض الأشـخاص أبلغوا رسـول اللـه ﷺ بما يقوله ذلك المنافق عن الإسلام. في أحد الأيّام، استدعاه النبيّ وسأله ما إذا كان ما سمعه عنه صحيحاً. بالطبـع، من أبرز صفات المنافق هو أنّه شـخص ذو وجهين. لذلك، عندما ضغط النبيّ ﷺ على عبد الله بن أُبَيّ، كذب بسهولة وأجاب: «كلاّ، والله لم أقل ذلك، إنّهم يكذبون».

عـرف رسـول الله جيّـداً أنّ عبد الله بن أُبَـي كاذب. كان على علم بكلّ الأمور السـيّئة التي ارتكبهـا، لكنّه لا يحبّ أن يواجه النـاس بأخطائهم. فانتظر بصبر أن يأتي يوم ويدرك فيه عبد الله خطـأه. كمـا أمل أن يخرج من صلبه أناس صالحون. على هذا الأمل، صبر رسـول الله ﷺ على ابن أُبَي وأصدقائه. فراح يدعو الله ويسأله الهداية لمن يُضمرون السوء للمسلمين.

اليوم
189

نقض الاتّفاق

أخذت المشاكل بين المسلمين واليهود تتفاقم يوماً بعد يوم. ولمّا رأى رسول الله أنّ اليهود لا يحترمون بنود الاتّفاق الذي وقّعوه معهم، قام باستدعاء زعيمهم ليتفاهم معه.

جاء اليهود إلى الاجتماع. فدعاهم مرّة أخرى إلى الإسلام. طلب منهم أن يكفّوا عن معصية الله. وحذّرهم من المشاكل التي تزداد بينهم وبين المسلمين، وحذرهم من الخيانة. كما ذكّرهم بالألم والعذاب الذي واجهه المشركون في بدر. وطلب منهم أخذ عبرة ممّا حدث معهم.

غير أنّ اليهود تصرّفوا بوقاحة. رفضوا تفهّم رسول الله ﷺ، وسخروا من نصحه لهم. قالوا: «نحن لا نخشى قتالكم». هذا السلوك المتعجرف والمتصلّب أثار حفيظة رسول الله. فقد كانوا يرتكبون خطأً كبيراً في رفض دعوته الصادقة. على الرغم من النوايا الحسنة التي أظهرها النبيّ لليهود، كان واضحاً أنّهم غير راغبين في التخلّي عن أفعالهم. بعد رحيل وفد اليهود، تلقّى النبيّ أمراً من الله سبحانه وتعالى. فاتّخذ قراره بحسم هذه المسألة. سيعلن الحرب على يهود المدينة.

أغلق اليهود كلّ الأبواب في وجه تفاهم مع المسلمين. ولم يتركوا لرسول الله ﷺ أيّ خيار آخر سوى الحرب. بدأت الاستعدادات في اليوم التالي. أعطى رسول الله رايته البيضاء لحمزة، وزحف لقتال يهود المدينة مع مجموعة من الجنود. لقد حان الوقت لتلقين درس لأولئك الناس الذين خانوا العهد.

عندما سمع اليهود أنّ رسول الله يزحف بجيشه، هَرعوا وسجنوا أنفسهم خلف الأسوار المحصّنة المحيطة بحيّهم في المدينة. فضرب رسول الله حصاراً عليهم بجيشه. ويعني الحصار إحاطة المدينة أو القلعة بالجنود. دام الحصار خمسة أيّام. في النهاية، لم يجد اليهود مفرًّا من الاستسلام.

لم يكن رسول الله ﷺ يثق بهم. فقد سبق أن خانوا العهد معه. كان صديقهم المنافق، عبد الله، هناك أيضاً. أتى إلى رسول الله وبدأ يتوسّل إليه قائلاً: «يا محمّد، أحسن في مواليّ». فصمت نبيّنا الحبيب، في حين واصل عبد الله بن أُبَي توسلاته. أدار رسول الله ظهره، لكنّ عبد الله ظلّ يلحّ عليه، ويدور حوله.



إذا استمرّ اليهود بالعيش في المدينة المنوّرة، سيواصلون أفعالهم السيّئة، وينغّصون على المسلمين حياتهم. وإن اندلعت حرب مع العدوّ، قد يتعاونون معه. فكّر رسول الله ﷺ بهذه الاحتمالات، وأخذ يبحث عن حلّ مناسب. أخيراً، قرّر أن يطردهم من المدينة. فطلب منهم مغادرة المدينة المنوّرة بأسرع ما يمكن، والهجرة إلى الشام.

فرح اليهود لأنّهم نجوا بحياتهم، فغادروا المدينة فوراً. هكذا، استراح المسلمون من المشاكل التي سبّبها اليهود.

اليوم
190

يوم الجمعة

لكلّ ديانة يوم عبادة خاصّ بها. لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد. أمّا المسلمون، فيومهم المخصّص للعبادة هو يوم الجمعة. حتّى أنّه يُعتبر عيدهم. فيه يذهب الناس إلى المساجد لسماع خطبة الجمعة وأداء الصلاة جماعة.

حَثَّ رسول الله ﷺ يوم الجمعة على الاغتسال، وارتداء ملابس جميلة ونظيفة، ويتعطّر. وكان يقول عن يوم الجمعة: «خير يوم أشرقت فيه الشمس هو يوم الجمعة». كما قال عليه الصلاة والسلام: «من اغتسل يوم الجمعة وتطهّر بما استطاع من طهر، ثمّ ادهن أو مسّ من طيب (تعطّر)، ثمّ راح فلم يفرّق بيت اثنين، ثمّ إذا خرج الإمام أنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى». هكذا كان يشرح أهمّية يوم الجمعة للمسلمين. أراد رسول الله ﷺ من المؤمنين الاجتماع في المسجد كلّ جمعة. لهذا السبب، كان يشجعهم على التبكير في الحضور للمسجد قائلاً: «إذا كان يوم الجمعة، وقفت الملائكة على باب المسجد، يكتبون الأوّل فالأوّل، ومثل المهجِّر كمثل الذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة، ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم، ويستمعون الذكر». فكان المسلمون الذين يسمعونه، يحاولون تقليده.

كلّما حلّ يوم الجمعة، يقوم المؤمنون بالاغتسال، ثمّ يرتدون ملابس نظيفة، ويتعطّرون بروائح جميلة، ويُفرحون قلوب الفقراء بالصدقات. هكذا، انتشرت أهمّية يوم الجمعة بين الناس، واعتُبر منذ أيّام الرسول ﷺ عيد المسلمين الأسبوعي.

اليوم 191

فرحة في المدينة المنوّرة

مرّت سنتان على هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنوّرة. ومؤخّراً، عمّت الفرحة في كلّ مكان. فقد أتى من الله عزّ وجلّ أمر جديد، نزل على رسول الله في الآية الكريمة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾.

أبلغ رسول الله ﷺ المسلمين بهذا الأمر، ففرحوا كثيراً. سوف يصومون طوال شهر رمضان. قال لهم النبيّ إنّ عليهم أن ينووا الصيام. ثمّ راح يخبرهم عن منافع السحور، وهي الوجبة التي يتناولونها قبل أذان الفجر، لتغذية أجسادهم، ولكي لا يشعروا بالجوع خلال النهار. علّمهم أيضاً ما عليهم فعله والامتناع عنه خلال الصيام. فأطاعه المسلمون وملأت أجواء رمضان الحلوة شوارع المدينة المنوّرة.



لقد نزل الوحي على رسول الله ﷺ للمرّة الأولى في شهر رمضان. والقرآن هو آخر الكتب المُنزَلَة من الله عزّ وجل. لهذا السبب، كان رسول الله يعتبر أنّ شهر رمضان هو شهر القرآن. وقال ﷺ مرغِّباً في قراءة القرآن: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف". وهذه فرصة لا تعوّض بالنسبة إلى المسلم. هكذا بدأ المؤمنون يكثرون من تلاوة القرآن، وتتعالى أصواتهم من كلّ منزل.

راقب المسلمون كلّ حركة من حركات رسول الله ﷺ وكلّ سكنة من سكناته، لأنّهم كانوا يتعلمون منها على الدوام فوائد جديدة. لهذا السبب، حفظوا كلام النبيّ، وعاشوا حياتهم على سنّته. كان يحبّ تقاسم طعامه مع الضيوف، ويقول لهم إن الضيف يجلب البركة إلى البيت. أكثر ما كان يحبه هو إطعام المساكين ومساعدة المحتاجين. وعندما قال للناس إن أجر هذه الأعمال يتضاعف في رمضان، لم يعد المسلمون يجلسون إلى موائدهم من دون ضيوف.



ذكّرهم رسول الله أنّ الصيام لا يقتصر على الطعام والشراب، بل على الصائم أن يراقب أفكاره وسلوكه مع الناس. كان يوصيهم إذا غضب


د
ا
ر
ه
ث
ف
ت
ظ
س
ك
ن
م
لا
ج
و
ر

أحدهم وهو صائم أن يقول: إنّي صائم، إنّي صائم. فالصيام يعني الصبر.

يتمثّل المعنى الحقيقي للصيام في تطهير النفس. معه ندرك كم نحن ضعفاء وعاجزون أمام الخالق عزّ وجلّ، الذي هو مصدر كلّ النعم في هذا العالم. فننتظر إذنه لنبدأ بتناول الطعام. لهذا السبب، وعد الله الصائمين بأجر كبير. من أجل كلّ هذا، شعر مسلمو المدينة المنوّرة بالرضى، وغمرتهم سعادة لا توصف.

اليوم 192

نقطة من بحر الكنوز

في أولى أيّام رمضان، دبّ النشاط في كلّ أرجاء المدينة. انتظر الأطفال الذين يصومون للمرّة الأولى موعدَ أذان المغرب بفارغ الصبر. وعندما حان موعد الإفطار، اندفعوا إلى المائدة. والإفطار هو الاسم الذي أعطي لوجبة العشاء في شهر رمضان والتي تنهي صيام اليوم.

كانت لذّة تناول التمر والخبز الجافّ لا توصف، وكان للمياه طعم آخر بعد عطش النهار.

أهل الصُفّة هم تلامذة رسول الله الذين كرّسوا أنفسهم للمعرفة والتعلّم. كان كلّ منهم يبذل مجهوداً أكبر للقراءة، والتعلّم، وممارسة شعائر الإسلام على أكمل وجه مع نبيّنا الحبيب. وحتّى وهم يشعرون بالجوع والعطش، كان نور المعرفة التي يكتسبونها من رسول الله ﷺ كافياً بالنسبة إليهم. كان هؤلاء الصحابة يصومون كثيراً، حتّى خارج شهر رمضان. وقد أتت عليهم أيّام لم يجدوا فيها قوت يومهم حتّى في وقت السحور أو الإفطار. في تلك الأيّام الأولى من رمضان، عرفوا أوقاتاً عصيبة من الجوع والتعب. وصام بعضهم يومين متتالين لأنّهم لم يجدوا شيئاً يأكلونه في المساء، غير أنّ أحداً لم يعرف بذلك. هكذا أصابهم الوهن بفعل الجوع. أخيراً، ما عادوا يطيقون هذا الوضع، فذهبوا إلى رسول الله ﷺ وأخبروه عن حالهم.



على الفور، أرسل النبيّ شخصاً إلى منزله. لكنّه عاد خالي الوفاض، لأنّ كلّ الطعام في المنزل وُزّع على الفقراء. فجمع نبيّنا الحبيب أهل الصفّة ثمّ دعا الله لكي يغدق عليهم من فضله. فقال أهل الصفّة: «آمين».

لم يكد رسول الله يفرغ من الدعاء حتّى طرق أحدهم الباب. وعندما فتحوه، وجدوا رجلاً يحمل صينية عليها قطعة من اللحم وبعض الخبز. هكذا ساعدهم ربّ العالمين ببركة دعاء رسول الله. وبينما كانوا يأكلون قال لهم النبيّ إن هذا رزق ساقه الله إليهم.

كانت تلك نقطة في بحر الكنوز التي خبّأها الله سبحانه وتعالى لعباده المخلصين. وقد نالها أهل الصفّة بفضل دعاء رسول الله.

اليوم 193

العيد في المدينة المنوّرة

في صباح عيد الفطر، الذي يعقب شهر رمضان، عمّ الفرح شوارع المدينة المنوّرة. استيقظ رسول الله باكراً. فاغتسل وتوضّأ، ثمّ ارتدى ملابس نظيفة وتعطّر بعطر جميل. بعد ذلك، ذهب إلى مصلى العيد خارج المدينة لتأدية صلاة العيد. غصّ المصلّى بالمؤمنين، الذين صلّوا معاً وشكروا الله الذي بلّغهم هذا اليوم السعيد. ملأت ابتسامة رسول الله ﷺ الدائمة قلوبهم بالدفء والفرح. وبعد انتهاء الصلاة، هنّأ المسلمين بالعيد فرداً فرداً.

مشى رسول الله ﷺ في شوارع المدينة المنوّرة ليطّلع على أحوال الناس. كان الأطفال في كلّ مكان يلعبون بفرح أمام منازلهم بملابسهم الجديدة. فرح رسول الله برؤية السعادة على وجوههم في هذا اليوم المبارك.

حَثَّ رسول الله ﷺ الناس على إظهار الفرح والبهجة في العيد، ولبس أجمل الثياب. كذلك، كان النبيّ يحبّ تسلية الأطفال وقضاء الأوقات الجميلة معهم. فكان يأمر المؤمنين بتمضية بعض الوقت مع أولادهم. وكان ﷺ يمازح الأولاد ويقبّلهم، ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم. كانت سعادة الأطفال وفرحتهم لا توصف في هذا العيد. بملابسهم الملوّنة، وبهجتهم وحبورهم، كانوا يركضون في كلّ مكان بحيث ملأوا المدينة فرحاً.



اليوم
194

يتيمة أم سليم

كانت عند أم سليم فتاة يتيمة كنيتها أم أنس، وكانت تعتني بها وتحبّها كثيراً.

وفي أحد الأيام رأى رسول الله ﷺ الفتاة اليتيمة، فقال لها: «لقد كبرتِ، لا كبر سنّك!»

فرجعت الفتاة اليتيمة إلى أم سليم وهي تبكي، فرأتها أم سليم ففزعت لها وسألتها: ما لك يا بنيّة؟

فقالت الفتاة: دعا عليَّ نبي الله ﷺ أن لا يكبر سنّي أبداً!

فخرجت أم سليم مستعجلة تبحث عن النبي ﷺ حتى وجدته، فسألها: «ما لكِ يا أم سُلَيم؟»

فقالت: يا نبي الله، أدعوتَ على يتيمتي؟

قال: «وما ذاك يا أم سُلَيم؟»

قالت: زعمت أنك دعوتَ أن لا يكبر سنّها!

فضحك رسول الله ﷺ، ثم قال: «يا أم سليم! أما تعلمين أن شرطي على ربي أني اشترطت على ربي، فقلتُ: إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيّما أحد دعوتُ عليه من أمتي ليس لها بأهل؛ أن يجعلها له طهوراً وزكاةً وقُربةً يقرّبه بها منه يوم القيامة».

بعدما سمعت أم سليم كلام رسول الله ﷺ انقلب حزنها إلى فرح واطمأنت على يتيمتها، لأن دعاء النبي ﷺ سيكون في صالح الفتاة وليس عليها.



اليوم
195

زكاة المال

كان رسـول الله ﷺ قدوة للناس في كلّ المسـائل. وكان أكثرهم كرماً وجوداً. فقد وزّع كلّ ما يملكه على الفقراء، وأحبّ مساعدة الناس. لم يخطّط لجمع ثروة، ذلك أنّ ثروة المال لا تعني له شيئاً في هذا العالم. لهذا السبب، كان يفضّل الفقراء على نفسه، ويعتني بهم ويحميهم.

نظر حوله ورأى أناساً أغنياء لا يعرفون مقدار ثروتهم. كما رأى بالمقابل مساكين لا يجدون حتّى خبزاً جافًّا ليأكلوه. فرغب رسـول الله ﷺ في إزالة مظاهر عدم المسـاواة بين هاتين الفئتين من الناس. وأرشـده الله عزّ وجلّ في هذه المسـألة. فأوحى إليه عبر جبريل عليه السلام أن يأمر الأغنياء بإعطـاء جزء مـن أموالهم إلى الفقراء يعادل واحداً من أربعين بعد مرور سـنة على امتلاكها. فإن كان المـرء يملـك أربعين قطعة مـن الذهب، عليه إعطاء قطعة واحدة إلـى الفقراء. وإن كان لديه أربعون جملاً، عليه التصدق بواحد. ومن لديه أربعون شـاة، يتصدّق بشـاة للمساكين. من خلال ذلـك، تعلّم المسـلمون أنّ عليهم جمع ثروتهم الزائدة وقسـمتها على أربعين جـزءاً، والتصدّق بجزء منها على الفقراء كلّ عام.

بالإضافـة إلى ذلـك، يعطي الأغنياء هذه الصدقة من دون أن يتوقّعوا شـيئاً بالمقابل سـوى إرضاء الله عزّ وجلّ. وقد سمّيت هذه الصدقة بالزكاة. فبهذه الطريقة، يحمي الله سبحانه وتعالى حقوق الفقراء ويعلّم الأغنياء الكرم والزهد.

أخبـر رسـول الله ﷺ المسـلمين أنّ اللـه أمرهم بالـزكاة، وسـرعان ما طبّقوا هـذا الأمر، بحيث أصبـح جزءاً مـن حياتهم. فهمـوا أنّ الزكاة والصدقـة همـا شـيء يديـن بـه الأغنيـاء للفقـراء. إنّـه حـقّ الفقير في مـال الغني. مـن هنا، اعتُبر منع إعطاء الزكاة والصدقة لصاحبهما خطيئة وظلـم كبيرين. لذلك، بدأ المسـلمون يسـارعون إلى دفع الزكاة. هكـذا، لـم يعـد ثمّـة فقـراء فـي مجتمع



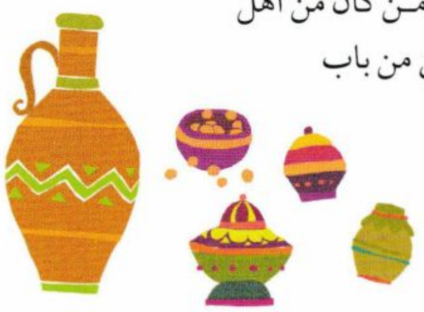
المسلمين. كما أنّ الأغنياء، تذوّقوا حلاوة العطاء والمساعدة، ورأوا ثرواتهم تتضاعف ببركة الزكاة. فعمّ الخير جميع الناس، واستوطنت محبّة الإسلام في القلوب.

اليوم 196

من أبواب الجنة: باب الصدقة

خطب النبي ﷺ في المسلمين يوماً فحثّهم على الصدقة، وأخبرهم أنه في صباح كل يوم لا بد للمسلم أن يتصدّق، والصدقة ليست محصورة في العطاء المالي، فقد قال رسول الله ﷺ: «يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحملها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»، وغيرها الكثير من أنواع الصدقة.

وأخبر رسول الله ﷺ أن في الجنة باب الصدقة، فقال وهو يتحدث عن أبواب الجنة ومن يدخلها: «من كان من أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعِيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعِيَ من باب الريان».



فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، هل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟

فأجابه رسول الله ﷺ: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

اليوم 197

فرحة صديقين

كان في المدينة المنوّرة صديقان، أحدهما يدعى عبد الله، والآخر أبو الدرداء. أحبّا بعضهما كثيراً، لكنّهما اختلفا في إحدى المسائل. فقد كان عبد الله مؤمناً، أمّا أبو الدرداء فما زال يعبد الأصنام. أسف عبد الله على صديقه، وأراده أن يتّبع طريق الحقّ. فراح يبحث عن طرق لإقناعه.

في أحد الأيّام، ذهب عبد الله إلى بيت أبي الدرداء حاملاً مطرقة بيده. لم يكن أبو الدرداء



في المنزل. فقام عبد الله بتحطيم التماثيل التي يعبدها صديقه واحداً تلو الآخر. عندما عاد أبو الدرداء إلى المنزل، وجد الأصنام محطّمة، واستغرب ذلك. قال في نفسه، لو كانت آلهة حقيقية، قادرة على أن تنفع أو تضرّ أحداً، لدافعت عن نفسها أوّلاً.

مشهد الأصنام المحطّمة أعاد أبا الدرداء إلى رشده. فكّر مطوّلاً، وفي النهاية، قرّر أن يعبد الله تعالى، خالق السموات والأرض، تماماً مثل عبد الله. فالله عزّ وجلّ هو القادر على كلّ شيء. هكذا، ذهب بحماسة إلى رسول الله وأسلم. عندئذ، التفت عبد الله بسرور إلى النبيّ ﷺ، وشكر الله على خلاص صديقه من الشرك. أتى أبو الدرداء، وسلّم على رسول الله، ثمّ نطق بالشهادة. ومنذ ذلك الحين، لم يعد يرغب في الابتعاد عن النبيّ، تماماً مثل صديقه. نظر إلى عبد الله الذي بدا مسروراً أكثر من عادته، وكان في نظرته امتنان عميق.

اليوم 198

فاطمة وعليّ رضي الله عنهما

السيّدة فاطمة هي أصغر بنات رسول الله وأكثرهنّ شبهاً به. كانت تشبهه في مشيتها، ووقفتها، وحديثها. كما كانت مثله صادقة، وأمينة، وباسمة الوجه. كانت فتاة بالغة التهذيب وخجولة إلى حدّ ما. وقد أحبّ رسول الله ابنته فاطمة حبًّا جمًّا. كلّما دخلت عليه، كان يقوم إليها، فيأخذ بيدها، ويقبّلها، ثمّ يجلسها في مجلِسه.



عندما كانت السيّدة فاطمة فتاة صغيرة، طلب يدها للزواج كثير من الرجال. إلاّ أنّ النبيّ ﷺ دعا الله لكي يرسل لها الزوج المناسب. فقد كانت تلك أعظم أمانيه. لهذا السبب، قال لكلّ من رغب في الزواج بها إنّه ينتظر أمر الله فيها.

أخيراً، أتى الأمر المنتظر. فقد طلب ابن عمه علي يد فاطمة للزواج. كان عليّ شابًّا فقيراً،

لكنّ إيمانه قوي جدًّا. وكان رسول الله يحبّهما هما الاثنين، لهذا السبب فرح كثيراً بذلك. فزوّج فاطمة من عليّ بموافقة الاثنين.

هكذا أُسّس منزل جميل مليء بالحبّ والسعادة، وفرح به رسول الله فرحاً كبيراً.

اليوم 199

أحفاد رسول الله

رُزق علي وفاطمة بطفلهما الأوّل، وكان صبياً. عندما عرف النبيّ بولادة حفيده، ذهب إلى ابنته وصهره مسروراً. قال لهما: «أروني ابني». فأحضروا له الطفل الصغير، الذي بدا وكأنّه يبتسم لجدّه. حمله رسول الله، ثمّ وضع شيئاً يسيراً من التمر في فمه. استغرق الطفل في النوم في حضن جدّه، وبدا سعيداً حيث هو.

وسمّوا الولد «حسن»، أي الجميل. عندما بلغ الطفل يومه السابع، ضحّيا عنه بكبشين، وهي سنّة تسمى العقيقة، وحلقا شعر رأسه، وتصدّقا بوزن شعره فضة على الفقراء. ولاحقاً، قاما بختانه. أخذ الطفل يكبر وينشر السعادة من حوله. ثمّ مرّ عام، ورُزق علي وفاطمة بابنهما الثاني، فأسمياه الحسين. أحبّ رسول الله حفيديه حبًّا جمًّا. وكان يدعو الله قائلاً: «اللهمّ إنّك تعلم أنّي أحبّهما فأحبّهما».

من وقت إلى آخر، كان النبيّ يزور حفيديه. وكان يقول عنهما: «الحسن والحسين هما ريحانَتاي من الدنيا». هكذا نشأ الحسن والحسين محاطَين بحبّ رسول الله وحنانه.



اليوم 200

طفلان سعيدان

كان الحسن والحسين من أسعد الأطفال. فهما حفيدا النبيّ ﷺ المدلّلين، يعيشان تحت رعايته وحمايته. كان الحسن يشبه جدّه كثيراً، بجبينه العريض ووجهه الجميل والمضيء. وغالباً ما كان رسول الله ﷺ يحتضن حفيديه ويقبّلهما. كما حرص على تخصيص الوقت لهما وبذل كلّ ما في وسعه لإسعادهما.

كان الحسن والحسين ينتظران وصول جدّهما بفارغ الصبر. وعندما يصل، كانا يندفعان إليه ويلعبان معه. فيحملهما النبيّ أحياناً على كتفيه، أو يلاعبهما على الأرض ويسمح لهما بالركوب على ظهره. وعندما يغلبهما النعاس، كان يضعهما على حضنه ويهزّ لهما حتّى يناما. لم يكن الأخَوان يكتفيان من صحبة جدّهما أبداً.

في بعض الأحيان، كان النبيّ يحمل حفيديه على كتفيه ويصطحبهما إلى المسجد. وعندما يراهما الصحابة على كتفي رسول الله، كانوا يقولون: «كم أنتما محظوظان بمحبّة رسول الله ﷺ». فكان النبيّ يبتسم قائلاً: «من أحبّني فليحبّ هذين». هكذا، عاش الطفلان بسعادة بالغة محاطيَن بحبّ رسول الله.

اليوم 201

الصحابة يتعلّمون حبّ أطفالهم

كان رسول الله يحبّ الأطفال الآخرين أيضاً ويقدّرهم. كما كان يحرص على إظهار محبّته لهم بالعناق والقبل. والناس الذين لم يعتادوا على تمضية وقت مع أولادهم، بدأوا يخصّصون لهم وقتاً أطول عندما رأوا الاهتمام الذي يوليه النبيّ للأطفال، ومدى حبّه لهم. وبفضل النبيّ، بادلهم أطفالهم تلك المحبّة التي لم يعرفوها من قبل. فبدأوا يتذوّقون حلاوة احتضانهم، وتقبيلهم، وتدليلهم.



فـي أحد الأيّـام، كان النبيّ ﷺ جالسـاً مع حفيديه الحسـن والحسـين، يمازحهمـا ويقبّلهمـا. فجأة، دخل عليـه رجل. رآه الرجـل كيف يدلّـل أحفاده، ففوجـئ بذلك. قال لرسـول الله: «أتقبّلهمـا يا رسـول الله؟ إن لي عشـرة فما قبّلت أحـداً منهم». تعجّـب النبـيّ ﷺ كيـف يتعامل أب مـع أطفاله على هـذا النحو. فأجابه: «أَوَأملِك لكَ (أي ما ذنبي) أن نزعَ الله من قلبك الرحمة».

فهـم الرجل ما عناه النبيّ، وأدرك عظيم ثواب محبّة الأطفال وحسـن معاملتهم. ندم علـى طريقة معاملته لأطفالـه، لكنّه تعلّم، شـأنه شـأن جميع الآباء المسـلمين، أهمّية حسـن معاملة الأطفال والعطف عليهم.

اليوم 202

الماء لمَن طلب أولاً

أراد النبيّ أن ينشـأ الحسـن والحسـين نشأة حسـنة. فكان يشـجّعهما على ممارسة الرياضة لتكـون بنيتهمـا قويّـة. لذلك، غالباً مـا كان يطلب منهمـا مصارعة بعضهما، وممارسـة الركض، والرماية، والقفز، والسباحة.



فـي تلك الفتـرات التي أمضاهـا مع حفيديه، لـم يفرّق بينهما أبداً، بل عاملهما بمساواة. وذات مرّة، جاء النبي ﷺ يزورنا وكان الأولاد نيام.

بعـد برهة، اسـتيقظ الحسـن وطلب شـرب الماء. فقـام النبـيّ وصبّ لـه بعض الماء ثـمّ أحضـره إليه. في تلك اللحظة بالضبط، استيقظ الحسين هو الآخر وطلب شـرب الماء الذي كان النبيّ يعطيه للحسن. غير أنّ النبيّ أعطى كوب الماء للحسن وليس للحسين. انتبهت السيّدة فاطمـة لما جـرى، وقالت: «كأنّـه أحبّهما إليـك». غير أنّ رسول الله ﷺ كان يحرص على معاملة الناس بالعدل، ولا

يعطي الحقّ إلاّ لصاحبه. فأجاب ابنته: «إنّه استسقى قبل أخيه»، أي أنّه هو من طلب الماء أوّلاً.

بهذا السلوك، أعطى نبيّنا الحبيب الحسن حقّه، وعلّم الحسين الصبر. كما أظهر له أنّ عليه أن يفضّل أخيه على نفسه وألاّ يحاول أن يسرق حقّه.

كان يقول دائماً: «لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه من الخير». فيا لجمال هذا النبيّ، ويا لسعادة من يعيش على خطاه!

اليوم 203

الحقا بأمكما

أصبح الحسن والحسين قرّة عين رسول الله ﷺ، ولم يعد يقدر على فراقهما. كذلك، تعلّق الولدان بجدّهما تعلّقاً شديداً. فكانت أسعد أوقات حياتهما هي تلك التي يمضونها بقربه. فكان الشقيقان يلعبان معاً ولا يفترقان أبداً.

وكان النبي ﷺ يُعَوِّذ الحسن والحسين ليحميهما من شر الشيطان، فيقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة». ويخبرنا أبو هريرة بحادثة عجيبة جرت مع الحسن والحسين، يقول: كنا نصلي العشاء مع رسول الله ﷺ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذاً رفيقاً، فوضعهما وضعاً رفيقاً، فإذا عاد عادا، فلما صلى وضعهما على فخذيه؛ واحداً ههنا، وواحداً ههنا. قال أبو هريرة: فجئته فقلت: يا رسول الله، ألا أذهب بهما إلى أمهما؟ فقال: «لا». فبرقت برقة (أي ظهر ضوء فجأة في الليل)، فقال رسول الله لحفيديه: «الحقا بأمكما». فما زالا يمشيان في ضوئها، حتى دخلا إلى أمهما.



اليوم 204

نصيحة من ذهب

نشـأ الحسن والحسين على نصائح جدّهما الذهبية. كان يربّيهما أفضل تربية. علّمهما حبّ الغير، وحسن معاملة الناس.

كان يخبرهمـا دائماً عن أهمّية عبادة الله. وأوصاهما بالصلاة عند بلوغ سـنّ السـابعة. كان الحسـين صغيراً جدًّا، واعتاد على الإصغاء إلى ما يقوله جدّه. أمّا الحسـن، فأراد تطبيق ما تعلّمه فوراً. رأى رسـول الله مدى حماسـته، فعلّمه الصلاة. وقال النبي ﷺ نصيحة ذهبية: «إن الصدق يهـدي إلـى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق ويتحرّى الصدق حتى يُكْتَب عند اللـه صِدِّيقاً، وإياكم والكـذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يـزال الرجـل يكذب ويتحرّى الكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً». كان الكذب هو أكثر ما يبغضه رسول الله، وأكثر ما أحبّه هو الصدق.

رغب نبيّنا الحبيب ﷺ ألاّ يحيد الحسن والحسين عن الصراط المستقيم. فكان يشرح لهما كيف يؤذي الكذب المجتمع والشخص نفسه. وكان يصغي إليه الطفلان جيداً.

شكّل رسول الله ﷺ قدوة للحسن والحسين اللذين قرّرا أن يكونا مثل جدّهما.

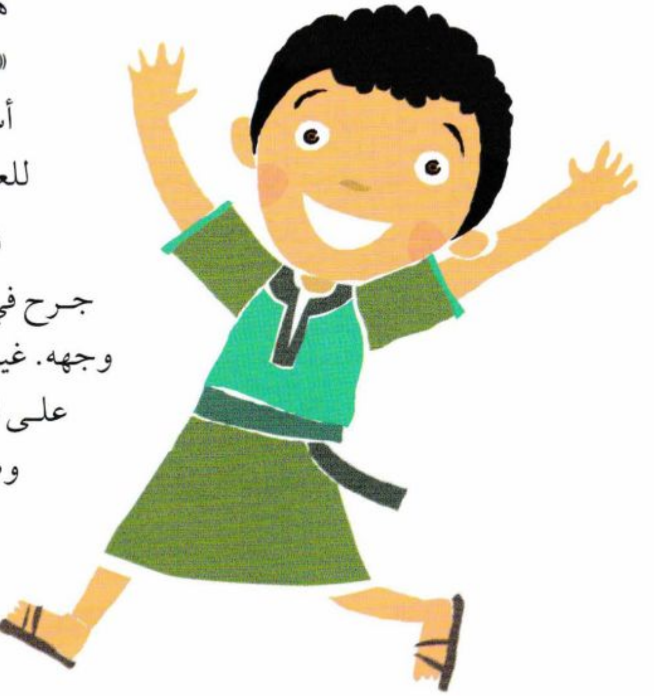


اليوم
205

أسامة، الطفل الذي أحبّه النبيّ كثيراً

كان أسامة صبياً لطيفاً، وذكياً جدًّا. وكان الابن الوحيد لأمّ أيمن، مربّية النبيّ. أمّا والده، فقد استُشهد في إحدى المعارك. غير أنّ أسامة نسي ألم اليتم بفضل حبّ رسول الله ﷺ ورعايته له.

اعتاد رسول الله على إجلاسه على ركبتيه هو والحسن، فيحتضنهما ويقبّلهما ويقول: «اللهم إني أحبهما فأحبهما». وكانت سعادة أسامة بنشأته في بيت رسول الله واضحة للعيان.



في أحد الأيّام، سقط أسامة وأخذ ينزف من جرح في جبينه. فطلب النبيّ من زوجته أن تنظّف وجهه. غير أنّ السيّدة عائشة تأخّرت، فقام رسول الله على الفور، ونظّف جرح الطفل وغسل وجهه وطيّب خاطره. غالباً ما كان يقول عن أسامة: «لو كان أسامة جارية، لكسوته وحلّيته حتّى أنفِقَه».

غالباً ما كان رسول الله يصطحب أسامة للتنزّه على ناقته، فيفرح أسامة كثيراً. هذا الطفل الذي نشأ على تعاليم رسول الله كبر تدريجيًّا ليغدو رجلاً محترماً، ومجتهداً، وحسن الخلق.

كره أسامة إضاعة الوقت، واعتاد على ملء وقته بالعمل. تعلّم الفروسية، والرماية، والسباحة، والركض في صغره.

كان هذا الطفل متقدّماً على أبناء جيله من نواح عديدة. ولمّا رأى رسول الله اجتهاده وتصميمه، سلّمه قيادة جيش المسلمين عندما كان في الثامنة عشرة من عمره. وقد افتخر أسامة وفرح كثيراً بتقدير رسول الله له، وعمل جاهداً ليستحقّ حبّه وصحبته دائماً.

اليوم
206

حسن خُلق الحسن والحسين

كبر الحسن والحسين ليصبحا شابّين مؤمنَين، يشعّ الذكاء في عينيهما. كانا دائمَي الابتسام، مثل جدّهما الذي تربّيا على يديه.



كان الشابّان يعيران اهتماماً كبيراً للعبادة والصلاة، ولا يفوّتان فرضاً واحداً. فقد كان الوقوف بين يدي الله عزّ وجلّ خمس مرّات في اليوم مصدر فخر بالنسبة إليهما. وعلى غرار جدّهما، كانا يتحلّيان بالأدب، ويحسنان معاملة الناس، ولا يؤذيان أحداً. فقد تعلّما من النبيّ ﷺ عدم الإشارة إلى أخطاء الناس. لهذا السبب، نالا إعجاب الجميع بسبب تهذيبهما ولياقتهما، وذاع صيتهما في كلّ مكان.

وبسبب أخلاقهما الحسنة وفضائلهما الحميدة، استحقّ الحسن والحسين رضي الله عنهما تلك المرتبة العالية في الجنة التي أخبر عنها النبي ﷺ فقال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

اليوم
207

قرار شائك

لم ينسَ مشركو مكّة الهزيمة التي لحقت بهم في بدر، وحال تكبّرهم دون ذلك. لهذا السبب، حشدوا كلّ ما لديهم من عتاد وقوّة للهجوم على المدينة المنوّرة. استعانوا بعرب من البادية، وحشدوا أقوى محاربيهم، وجمعوا أشهر الشعراء لكي يشجّعوا الجنود ويرفعوا من معنوياتهم. بعد ذلك، زحفوا بجيش من ثلاثة آلاف مقاتل.

عرف رسول الله ﷺ عبر رسالة من عمّه العبّاس، أنّ جيش المشركين يقترب من المدينة المنوّرة. فاجتمع مع الصحابة على الفور، وتشاوروا لاختيار أفضل مكان لملاقاة العدوّ.



اختلفت آراء الصحابة. فمنهم من أراد ملاقاتهم في المدينة، ومنهم من رغب في قتالهم خارج المدينة. كان بينهم شباب تملأهم الحماسة، فقالوا لرسول الله: «يا رسول الله، كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله، فقد ساقَه إلينا وقرُب المسير، اخرج إلى أعدائنا لا يرون أنا جَبُنَّا عنهم». وقال عمّ رسول الله، حمزة، المعروف ببطولته: «والذي أنزل عليك الكتاب، لا أطعم طعامًا حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة».

فهم رسول الله أنّ معظم الصحابة يريدون قتال المشركين خارج المدينة. فاتّخذ القرار على هذا الأساس ووصّى الصحابة بالدعاء والصبر عند لقاء العدو. واتُّخذ القرار بالخروج لقتال جيش المشركين البالغ عدده ثلاثة آلاف خارج المدينة المنوّرة.

اليوم
208

الجنود الصغار

خرج المسلمون من المدينة المنوّرة لملاقاة جيش العدوّ. كانت قلوبهم مليئة بالحماسة وألسنتهم تردّد «الله أكبر». أخذ رسول الله يتحقّق من الجيش من وقت إلى آخر ويسوّي صفوفه. وعندما التفت إلى جيشه مرّة أخرى، رأى عدداً من الأطفال بين الجنود.

كان رسول الله ﷺ يحبّ الأطفال ويحرص على عدم تعريضهم للخطر. ولم يكن هذا المكان مناسباً لمن هم في سنّهم. لهذا السبب، أمرهم بالعودة فوراً. كان بينهم طفل يدعى رافع، أراد الانضمام إلى الجيش من كلّ قلبه. فأثنى أحد الجنود عليه قائلاً: «يَا رَسُولَ اللّهِ، إِنّهُ رَامٍ».

كان النبيّ قد رأى الذكاء في نظرات رافع. فهم مدى لهفته للانضمام إلى جيش مسلمين، فسمح له بالبقاء.



انضمام رافع إلى الجيش أزعج صديقه سَمُرَة. فقال لأبيه وهو يمسح دموعه: «يَا أَبَتِ، أَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ وَرَدَّنِي، وَأَنَا أَصْرَعُ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ» (أي أتغلّب عليه في المصارعة). فأخبر الأب النبيّ برغبة ابنه بالبقاء مع الجيش. لم يكن النبيّ يحبّ إهانة أحد. لذلك طلب من رافع وسَمُرَة أن يتصارعا أمامه.

تغلّب سَمُرَة على رافع وطرحه أرضاً. عندئذ، سمح النبيّ له بالبقاء هو الآخر. لم يكن سَمُرَة قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره في ذلك الحين.

فرح الصديقان كثيراً بانضمامهما إلى جيش النبيّ ﷺ. أمّا بقيّة الأطفال، فنفّذوا أمر رسول الله وعادوا إلى بيوتهم. فقد كلّفهم النبيّ بالبقاء في المدينة وحماية أمّهاتهم وإخوتهم من المخاطر. بهذه الطريقة، رفع النبيّ ﷺ من معنويّاتهم وجبر قلوبهم. فعادوا إلى المدينة فرحين وفخورين بالثقة التي أولاهم إيّاها النبيّ.

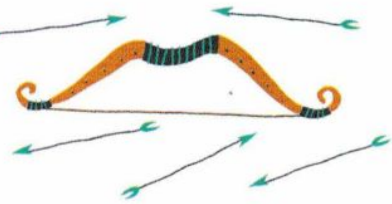
اليوم 209

الانتظار الصعب

أخذ رسول الله ﷺ استراحة مع جيشه قرب جبل أُحد. وعند شروق شمس اليوم التالي، تواجه الجيشان هناك. نزل رسول الله عن جواده، وأمر جنوده برصّ الصفوف. كان جيش المسلمين صغيراً من حيث العدد، لكنّه قويّ الإيمان. لمزيد من الحرص، أمر النبيّ عدداً من الرماة الماهرين بالوقوف على التلّ المجاور للجبل، وحراسة المساحة الفاصلة بين جبل أحد وجبل عَيْنَين. فقد كان يعرف أنّ العدو سيحاول العبور من هذا المكان عند أوّل فرصة، ومباغتة جيش المسلمين من الخلف. فأكّد للرماة مراراً: «اثبتوا مكانكم. لا نؤتى من قبلكم لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا. احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأناهم فلا تبرحوا أماكنكم حتّى أرسل إليكم».

تصاعدت من مخيّم العدو أصوات صاخبة. كانت قلوبهم مليئة بالحقد، لا سيّما النساء،

اللواتـي أخـذن يضربـن علـى الدفوف وينشـدن الأغانـي لرفع معنويات جيش المشركين.



علت أصوات التكبير والصلوات من جيش الإسلام وتردّدت أصداؤها في الأجواء. أخذ رسول الله يشجّع جنوده قائلاً لهم إنّهم بعون الله سينتصرون على العدوّ.

بعـد قليل، شـنّ جيش المشـركين هجومهم. بدأ القتـال عاصفاً، وتصاعدت من الجيشـين أصوات السـيوف، والسهام، والأحصنة، والجمال. نشبت معركة حامية. وأخذ بعض المشركين الماهريـن فـي القتال يقولون: «مـن يحاربني؟» وهـم يندفعون إلى الأمـام. فذهب عليّ المعروف بشجاعته لملاقاتهم.



في أرض المعركة، كان عليّ يعلّم الجميع درساً في القوّة التي استمدّها من إيمانه. حارب هو من جهة، وعمّ رسـول الله البطل، حمزة، من جهة أخرى مع بقيّة المؤمنين بكلّ ما أوتوا من قوّة. ولم يسمحوا لأيّ من المشركين بالتقاط أنفاسه.

ندم جيش العدو الذي بدأ هذا القتال ندماً شـديداً. فقد خسـروا الكثير في ساعات القتـال الأخيرة، مع أنّهم كانـوا أكثر عدداً وأقوى عِتاداً. وعندما أدركـوا أنّهم يُهزمون، دبّ الرعـب فـي قلوبهم، وبدأوا يفرّون من سـاحة القتـال. فترك كثير منهم أسـلحتهم، وجيادهم، وأمتعتهم، وهربوا للنجاة بحياتهم.

اليوم 210

رجل طيّب قلب

كان مخيريـق عالمـاً يهودياً طيّب القلـب، أحبّه النـاس واحترموه. كان أيضاً واسـع الثراء، يملك أجمل بساتين المدينة المنوّرة وحقولها. كما أحبّ القراءة والعلم.

آمـن أنّ آخـر الأنبياء هو محمّد. فهـذا الرجل هو النبيّ الذي ورد ذكـره في التوراة منذ زمن بعيد. لهذا السبب، أحبّه كثيراً، لكنّه لم يُعلن إيمانه به خوفاً من اليهود.

في تلك الأيّام التي سـبقت معركة أحد، شعر مخيريق باضطراب كبير. فعندما يكون رسول الله في محنة، يجد صعوبة في الجلوس من دون فعل شيء. في أحد أيّام السبت، قال لجمع من



اليهود: «يا معشر اليهود! والله إنّكم لتعلمون أنّ نصر محمّد عليكم لحقّ». لم يشأ اليهود الإصغاء إليه، بل تركوه وانصرفوا. عندئذ، لم يعد مخيريق يطيق الانتظار. فحمل سيفه واستعدّ للحاق بجيش المسلمين في أحد.

قبل مغادرة المدينة، استدعى أحد أقربائه الموثوقين وقال له: «إن قُتلت هذا اليوم فأموالي لمحمّد يصنع فيها ما أراه الله». وعلى ذلك، انطلق للمشاركة في القتال.

عندما وصل إلى أُحد، كانت المعركة قد بدأت. أصبح الآن مسلماً حقيقياً، مستعدّاً للتضحية بحياته في سبيل الله. وعندما اشتدّت المعركة، استُشهد مخيريق رضي الله عنه.

اليوم 211

ضياع النصر

كان خالد بن الوليد محارباً باسلاً، لا يقدم على أمر إلاّ ونجح فيه. لهذا السبب، عيّنته قريش قائداً لجيش المشركين.

حتّى ذلك اليوم، لم يُهزم أبداً، ولم يكن ينوي خسارة هذه المعركة. لذلك، لم يستسلم على الرغم من الهزيمة التي لحقت بجنوده. ذهب إلى مؤخّر جيشه، وبحث عن فرصة لتغيير مسار المعركة. كانت عيناه على جبل عينين. حاول عدّة مرّات العبور من هناك، لكنّ الرماة الذين وضعهم نبيّنا الحبيب هناك، لم يسمحوا لجنوده بالعبور. فكّر أنّه إن ترك هؤلاء الجنود أماكنهم، يمكنه الالتفاف خلف جيش المسلمين، وشنّ هجوم عليهم. راح خالد بن الوليد يضع الخطط وهو يراقب كلّ شيء.

لم يعرف الرماة المسلمون بتلك المخطّطات. فرحوا بالنصر الذي حقّقه المسلمون، ورأوهم وهم يهتفون بفرح كبير. كان جنود الأعداء قد تركوا كلّ شيء خلفهم، وفرّوا هاربين. ولاحظ الرماة أنّ جنود المسلمين يجمعون الغنائم التي تُركت في أرض المعركة. فرحوا كثيراً ولم يستطيعوا الانتظار في مكانهم، بل أرادوا الانضمام إلى أصدقائهم بأسرع ما يمكن. بدا لهم أنّ المسلمين حقّقوا النصر، وأنّ المعركة انتهت، ولم يجدوا سبباً للبقاء على قمّة التلّ. نسوا



أمـر النبيّ ﷺ لهـم: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير، فلا تبرحوا مكانكم هذا حتّى أرسـل إليكم، وإن رأيتمونا هَزَمْنا القومَ ووطأناهم، فلا تبرحوا حتّى أرسلَ إليكم».

هكـذا، غـادر الرمـاة مواقعهم واحـداً تلو الآخـر، ونزلوا إلى سـاحة المعركة. اسـتدعاهم قائدهم من الخلف: «أنسـيتم ما قال لكم رسـول الله ﷺ؟» مع أنّ بعضهم عاد، إلاّ أنّ كثيراً منهم تابع طريقه. وتلك كانت بالضبط الفرصة التي انتظرها خالد بن الوليد. ما إن رأى الرماة ينزلون، حتّى جمع بقيّة جنوده وتوجّه إلى جبل عينين.

مـع أنّ الرمـاة الذين لـم يبارحـوا الجبل قاتلوا ببسـالة، إلاّ أنّهم لم يتمكّنوا مـن صدّ العدوّ. فاجتاز خالد بن الوليد الجبل، وشنّ هجوماً على المسلمين من الخلف، في لحظة غير متوقّعة.

كان ثمّة سبب لكلّ ما يقوله النبيّ، وقد عرف المسلمون ذلك جيّداً. غير أنّهم نسوا أمره في تلك المرّة. ظنّوا أنّ المعركة انتهت، وأنّ العدوّ فرّ هارباً، فترك كثير منهم سلاحه، ولم يتوقّع أحد منهم هجوماً جديداً. بالمقابل، رأى جنود العدوّ قائدَهم ينفّذ خطّته الماكرة، فاستجمعوا قوّتهم، ولحقوا به. هكذا، خسر المسلمون في لحظة إهمال النصر الذي حقّقوه.

ندم الرماة لأنّهم عصوا أمر قائدهم، رسـول الله. وحلّ إرباك كبير في سـاحة المعركة. شعر المسـلمون أنّهـم أمـام كارثة. فالجنود القلائـل الذين بقوا مع رسـول الله، بذلوا ما في وسـعهم لحمايته. شـنّ العدو هجومه بكلّ قوته. فجُرح رسـول الله، واندفـع العديد من الصحابة كالبرق لحمايتـه. شـكّلوا حولـه درعاً بشـرياً. وكانوا على اسـتعداد للتضحيـة بحياتهم لكـي لا يصاب بمكروه، ما لـم يأذن الله بذلك.

اليوم
212

حمزة، البطل العظيم

كانت عيون المشركين على حمزة. فقد ظنّوا أنّهم بقتله يستطيعون الوصول إلى نبيّنا الحبيب ﷺ. لكنّ خوفهم منعهم من الاقتراب من حمزة. فهم يعرفون أنّه محارب باسل لا يمكن التغلب عليه بسهولة.

كان ثمّة عبد أسود اسمه وحشيّ، اشتُهر بمهارته في استخدام الرمح. خلال المعركة بأكملها، ظلّ يراقب عمّ رسول الله، لأنّ هنداً زوجة أبي سفيان، زعيم مشركي قريش، استأجرته لقتل حمزة. كانت هند زوجة أبي سفيان قد وعدت العبد بإعتاقه وإعطائه هدايا قيّمة إن هو نجح في قتل حمزة.

صوّب وحشي رمحه باتجاه حمزة ورماه في صدره. فسقط عم النبيّ على الأرض، واستُشهد على الفور. فرح المشركون لأنّهم حقّقوا هذا الأمر أخيراً. فدبّت فيهم الحماسة وهاجموا المسلمين مجدّداً. ثمّ تسلّق أحد المشركين تلّة مجاورة وأخذ يصيح: «ألا إنّ محمداً قد قُتل!».

وقع في صفوف المسلمين ارتباك شديد، وفقد بعضهم صوابه. شعر عليّ بقلق كبير. هل يعقل أن يكون هذا الخبر صحيحاً؟ هل قُتل نبيّنا الحبيب فعلاً؟ أخذ يبحث عنه في كلّ مكان على أمل رؤيته مرّة أخرى.



بينما كان عليّ يركض في ساحة المعركة، سمع صوتاً يصيح: «أبشروا! النبيّ ما زال على قيد الحياة! ها هو ذا!» عندئذ التفّ المسلمون حول رسول الله ﷺ بفرح، ولم يعد هدفهم سوى حمايته.

خشي المشركون الذين عرفوا أنّ رسول الله ما زال حيًّا من أن يستعيد المسلمون قواهم ويشنّوا عليهم هجوماً جديداً. فتخلّوا عن القتال وبدأوا ينسحبون من أرض المعركة.

لقد أوشك المسلمون على الانتصار، لكنّ معصية الرماة لأمر رسول الله حوّلت الانتصار إلى هزيمة، وهذا يعطينا درساً مهمًّا في حياتنا، أن لا نخالف أوامر رسول الله ﷺ أبداً، لأن الرماة خالفوا أمراً واحداً من أوامره فكانت الهزيمة، فإن كنّا نريد أن ننتصر علينا أن نتّبع أوامر رسولنا الحبيب ﷺ ولا نخالفها. عندما حلّ المساء، بدأ المسلمون يعودون إلى بيوتهم. كان رسول الله جريحاً ومنهكاً. فقد خسر عمّه، وعدداً كبيراً من أقاربه، ومن الجنود المسلمين الأباسل.

اليوم
213

أرجو أن أطأ الجنة بعرجتي

كان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج. وكان له أربعة بنون مثل الأسد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد أراد الأبناء حبس والدهم، وقالوا له: إن الله عز وجل قد عذرك. فأتى عمرو رسول الله ﷺ فقال: «إن أولادي يريدون أن يحبسوني عن الجهاد والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة».

فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك». ثم قال لبنيه: «ما عليكم أن تمنعوه، فلعل الله يرزقه الشهادة». فخرج معه فاستُشْهِد.



اليوم
214

شهداء معركة أُحُد



حصدت معركة أُحُد عدداً كبيراً من الشهداء. بعدما غادر المشركون أرض المعركة، انطلق النبيّ ﷺ بجيشه نحو المدينة المنوّرة. فاستقبلتهم النساء والأطفال في الشوارع. منهنّ من كانت تنتظر زوجها، ومنهنّ من انتظرت أباها أو إخوتها. وكان القلق بادياً على وجوههنّ.

وواساهم رسول الله ﷺ قائلًا: «لمّا أُصيب إخوانكم بأُحُد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خُضْر، تَرِدُ أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش»، وقرأ لهم قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾**.

عاد المسلمون من أُحد إلى منازلهم بصمت وحزن كبير. لكن مواساة النبيّ ﷺ لهم خفَّفت من حزنهم، وكان أمل رسول الله ﷺ بالمستقبل كبيراً. فقد كان مقتنعاً أنّ من يقف إلى جانب الحقّ سينتصر لا محالة.

عندما عاد النبيّ ﷺ إلى المنزل، وجد فاطمة تبكي على استشهاد حمزة وبقيّة المسلمين. فاحتضنها وحاول مواساتها. كما بشّرها أنّ المسلمين لن يخوضوا خسارة مثل خسارة أُحد قبل أن يتمّ فتح مكّة. وبالدعاء والصبر، سينتظرون تلك الأيّام.

اليوم 215

مكافأة هدية بمعجزة نبوية!

عاشت في المدينة امرأة طيّبة القلب تدعى أمّ مالك. كان لديها عدد من الأطفال. وعلى الرغم من فقرها، إلاّ أنّها كانت تتمتّع بغنى الروح. أحبّت تقديم الهدايا والصدقات، وكانت شديدة التعلّق برسول الله. فكّرت يوماً بإعطائه هديّة. وبما أنّها لم تكن تملك سوى بعض السمن في بيتها، فقد وضعته في وعاء من جلد وحملت ما بقي منه وقدّمته إلى النبيّ ﷺ، وتكرّرت منها هذه الهدية. وفي يوم من الأيام لم يكن في بيتها طعام، وجاء أولادها جائعين، فقامت إلى الوعاء الذي كانت تهدي فيه السمن، فوجدته ممتلئاً! فأطعمت أولادها منه وحمدت الله، وكلّما جاع أولادها كانت تقوم إلى الوعاء فتجده ممتلئاً من السمن، فتطعمهم منه.

وفي إحدى المرات، عصرت أم مالك الوعاء الجلدي لتخرج منه السمن، فوجدت الوعاء قد فرغ! فذهبت إلى النبي ﷺ وأخبرته، فقال لها النبي ﷺ: «لو تركتيها (أي لم تعصريها) ما زال قائماً». وكان تكثير السمن في وعائها من معجزات النبي ﷺ.

اليوم 216

تمر مبارك بالدعاء



كان عبد الله أحد شهداء معركة أحد. ترك وراءه ستّة أطفال أيتام وكثيراً من الديون. عندما حلّ موسم قطاف البلح، أتى الدائنون إلى أسرته لتحصيل ديونهم. غير أنّ الأسرة لم تكن تملك سوى شجرتي نخيل. ولم يكن لديها كثير من الثمار في بستانها، ما يعني أنّها لن تتمكّن من دفع ديون عبد الله. فوجدت الأسرة نفسها في وضع صعب.

كان لدى الشهيد عبد الله ابنٌ اسمه جابر. فأتى الدائنون إلى جابر واحداً تلو الآخر يطالبونه بدفع ديون أبيه. قالوا له: «نريد أموالنا، ولن نتركك وشأنك حتّى نستردّها!» لم يعرف جابر ماذا يفعل. بما أنّه الطفل الأكبر، وقع حمل الديون على كاهله. كان الدين كبيراً مقارنة بالإنتاج



القليل. وحتّى لو باع ثمار البلح كلّها، ومنزلهم، والأثاث، والملابس، وكلّ مقتنيات الأسرة، لن يتمكّن من تسديد ديون أبيه.

وجد جابر نفسه في وضع حرج. فمن جهة، كان يحاول أن يتجاوز محنة خسارة أبيه. ومن جهة أخرى، كان يواجه مطالب الدائنين. فقرّر استشارة رسول الله ﷺ. ذهب إليه وقال له: «يا رسول الله! لقد استشهد والدي في غزوة أحد وترك وراءه ديوناً كبيرة. والناس يطالبونني بمالهم. غير أنّني عاجز عن تسديدها». حزن رسول الله على وضع جابر، ورغب في التخفيف عنه. فاقترح عليه أن يقطف ثمار بستانه ثمّ يرسل في طلبه.

ذهب جابر على الفور إلى البستان وفعل كما أوصاه النبيّ، ثمّ أرسل في طلبه. أتى نبيّنا الحبيب ﷺ إلى منزل جابر، وألقى نظرة على الثمار المقطوفة. ثمّ دعا لجابر وطلب منه أن يُرسل بطلب الدائنين. أتى الدائنون فوراً إلى منزل جابر، وتمّ وزن الحصاد وتقسيمه بينهم. في وقت قصير، تمّ توزيع الثمار بين الدائنين، وكانت كافية لتغطية كلّ الديون.

دُهش الناس الذين أتَوا لاستعادة ديونهم. ولم يعرف جابر كيف يشكر رسول الله ﷺ على دعائه ومساعدته. فبفضل الله، وبمساعدة النبيّ من بعده، تمكّن من تسديد كافّة ديون أبيه، وشعر أخيراً بالارتياح. نظر إلى رسول الله، ورأى في عينيه السعادة والحبّ الكبير للمؤمنين. فشعر جابر في تلك اللحظة بحبّه العميق والصادق لله عزّ وجلّ الذي أتاح له العيش بصحبة رسول الله.

اليوم 217

زينب الجميلة



اعتاد رسول الله ﷺ على إظهار حبّه للأطفال بملاعبتهم والمرح معهم. لهذا السبب، كان الأطفال يركضون إليه فور رؤيته. في أحد الأيّام، كان يتوضّأ استعداداً للصلاة. فدنت منه فتاة صغيرة وراحت تراقبه بإعجاب. كان اسم الفتاة زينب، وكانت تحبّ رسول الله كثيراً. فأخذت تراقب كلّ حركة من حركاته بعناية.

بعدما انتهى رسول الله من الوضوء، التفت إليها وابتسم. ثمّ بلّل يديه بالماء، وراح يمازحها برشّ الماء على وجهها. فأخذت الطفلة تضحك مستمتعة.

منذ ذلك اليوم، لاحظ الناس جمالاً خاصًّا في وجه زينب، وكأنّ الماء الذي رشّه رسول الله على وجهها جعلها أكثر جمالاً. وأصبح الأطفال الآخرون ينظرون إليها بإعجاب، ويحدّقون إلى وجهها الجميل. أمّا زينب، فشكرت الله دائماً وأظهرت امتنانها لرسوله.

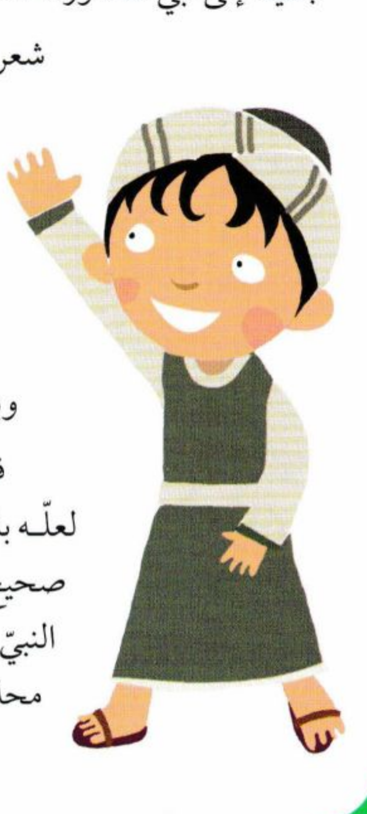
وقالت امرأة رأت زينب بعدما كبرت: رأيت زينب وهي عجوز ما نقص من وجهها شيء (أي بقي وجهها شابًّا لم يتجعّد).

اليوم
218

الفتى الذي استهزأ بالأذان

كان رسول الله ﷺ عائداً من غزوة حنين، وحان وقت الصلاة فأذّن مؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة، وصادف في ذلك الوقت مرور عدد من الفتيان من بينهم شاب كنيته أبو محذورة، ولم يكونوا قد أسلموا بعد، فسمعوا الأذان فبدأوا يقلّدونه ويستهزئون به!

سمعهم النبي ﷺ فأمر بجلب هؤلاء الفتيان إليه، فجلبوهم، فسألهم مَن كان يؤذن؟ فأشاروا جميعاً إلى أبي محذورة، فأطلق سراحهم كلهم ما عداه، ثم طلب منه أن يؤذِّن.



شعر أبو محذورة بإحراج كبير ولم يعرف ماذا يقول. استجمع شجاعته، وراح يؤذّن. في أثناء ذلك، أخذ رسول الله يصحّح أخطاءه ويذكّره كلّما نسي. عندما انتهى، أعطاه النبيّ ﷺ بعض المال ثمّ ربّت مرّتين على ناصيته، ومن ثمّ على يديه، وعلى كبده، وعلى سرّته. بعد ذلك قال له: «بارك الله لك وبارك عليك».

فوجئ أبو محذورة بالمعاملة التي تلقّاها من رسول الله وبتسامحه معه. وشعر بإحراج كبير بسبب سخريته من الأذان.

في ذلك اليوم، قرّر أبو محذورة أن يصبح مؤذّناً في مسجد النبيّ، لعلّه بذلك يكفّر عن أخطائه. فكرّس نفسه لحفظ الأذان وتأديته بشكل صحيح عوضاً عن السخرية منه. وعندما شعر أنّه أصبح يجيده، ذهب إلى النبيّ وطلب منه إعطاءه الإذن برفعه عند البيت الحرام. هكذا، أصبح أبو محذورة شغوفاً بالأذان بعدما كان يسخر منه.

بهذا الشغف، أصبح أبو محذورة مؤذّناً ناجحاً ومتفانياً، وكرّس نفسه لهذه المهمّة سنوات عديدة، واستلم عنه أولاده الأذان من بعده.

اليوم 219

كلما رآني تبسّم في وجهي

سافر جرير البجلي إلى المدينة النبوية ليتعرّف على هذا الدين الجديد الذي بدأ ينتشر، ولمّا وصل ربط ناقته ولبس أجمل ثيابه ودخل، فوجد رسول الله ﷺ يخطب، وعندما دخل التفت إليه الناس وأطالوا النظر إليه! فجلس وقال لمن بجانبه: يا عبد الله، هل ذكرني رسول الله ﷺ؟

فقال: نعم! ذكرك بأحسن الذِّكر، بينما هو يخطب، إذ عرض له في خطبته وقال: «يدخل عليكم من هذا الباب من خير ذي يمن، إلا أن على وجهه مسحة مَلَك!».

قال جرير: فحمدتُ الله على ما أبلاني، ثم أسلمتُ، وبايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن أقدِّم النصيحة لكل مسلم، وما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسّم في وجهي.

اليوم 220

حتّى الحيوانات تحترمه



أحبّ رسول الله ﷺ الحيوانات كثيراً وتجنّب إيذاءها. وكان يوصي دائماً أصحاب المواشي والحيوانات الأليفة بإحسان معاملتها وعدم إخافتها. وكانت لديه ناقة تدعى قصواء يعتني بها بنفسه، ويربّت على ظهرها من وقت إلى آخر.

كان النبيّ ﷺ يدافع عن هذه الحيوانات لأنّها عاجزة عن الكلام. فأحبّها تماماً كما أحبّ البشر وأظهر لها حبّه. وكانت الحيوانات بدورها تُظهر له الحبّ والاحترام.

كانت قصواء تقلّ النبيّ على ظهرها من دون أن تزعجه. فهي لم تعرف شخصاً بلطفه وحساسيته، ولم تبتعد عنه أبداً.

اليوم
221

فرحة الغلام المريض

لطالما أظهر نبيّنا الحبيب ﷺ محبّته وطيبته للناس. لذلك أحبّه الأطفال بشكل خاصّ. كان ثمّة غلام يهودي أحبّ النبيّ كثيراً، شأنه شأن بقيّة الأولاد. فكان يهبُّ لمساعدته في مختلف الأعمال.



مرّت بضعة أيّام، لم يرَ الصبي أحد فيها في الجوار. قلق عليه النبيّ، وأخذ يتساءل عمّا حلّ به. سأل أقرباءه عنه، فقالوا له إنّه مريض وطريح الفراش منذ مدّة.

حزن النبيّ ﷺ لدى سماعه هذا الخبر السيّئ. فنادى أنَساً على الفور، وذهبا معاً لزيارة الغلام. كان النبيّ يذكّر الناس دائماً بثواب زيارة المرضى. وكان كلّما ذهب لزيارة مريض، أخذ له هدية. لم يكن يتحدّث مع المرضى بأمور لا طائل منها، بل يقول لهم ما يريحهم، ويدعو لهم بالشفاء قبل أن يغادر.

عندما ذهب أنس لزيارة الغلام المريض، لاحظ كم يبدو شاحباً ومريضاً. كان الولد ممدّداً في سريره، لكن ما إن رأى النبيّ، حتّى فتح عينيه المتعبتين وأشرق وجهه. جلس نبيّنا الحبيب بقربه، وراح يؤنسه بكلامه الجميل. وكلّما تحدّث أكثر، اتّسعت ابتسامة الصبيّ ونسي مرضه.

بعد قليل، قام النبيّ بدعوة الغلام اليهودي إلى الإسلام. فنظر إلى أبيه بتردّد. مع أنّ أباه كان يهودياً أيضاً، إلاّ أنّه أدرك جيّداً أنّ محمّداً هو خاتم الأنبياء. فقال لابنه: «أطِع أبا القاسم!».

فرح الغلام، ونطق بالشهادة على الفور، وشعر وكأنّه وُلد من جديد. فرح النبيّ هو أيضاً، وقال: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

اليوم
222

شكوى الجمل



في يوم من الأيّام، أخذ أحد الجمال، وقد قُيّد إلى شجرة نخيل، يتأوّه بصوت عالٍ جدًّا. ظلّ يتصارع مع الحبل الذي رُبط به، ولم يسمح لأحد بالاقتراب منه. ومن تجرّأ على الدنوّ منه، رفسه ودفعه بعيداً. أفلت الجمل من عقاله أخيراً، وراح يركض بأقصى سرعته، ولم يجرؤ أحد على إيقافه. فقد كان غاضباً وشرساً. أخبر الصحابةُ النبيَّ ﷺ بحال الجمل، فقال لهم: «قوموا»، وذهبوا جميعاً إلى البستان الذي فيه الجمل. هدأ الجمل فجأة لدى رؤية النبيّ، وبرك أمامه، ولم يبدُ وكأنّه الجمل عينه الذي كان يعدو ثائراً منذ دقيقة خلت. ثمّ وضع جبينه على الأرض، كما لو كان يسجد.

ربّت النبيّ ﷺ على ظهره، وأعاد ربطه بالحبل. بدا وكأنّ الجمل أراد إخبار النبيّ بشيء ما. فدنا منه رسول الله أكثر وأصغى إليه، ثمّ أخبر الجميع أنّ الجمل يشكو صاحبه. استدعى النبيّ هذا الأخير، وطلب منه أن يحسن معاملة الجمل، وألاّ يثقل كاهله بالأحمال الزائدة، وجعله يعده بذلك.

فهم الجمل أنّ النبيّ استطاع إقناع صاحبه، ففرح وامتنّ لمساعدته له. قطع نبيّنا الحبيب خطبته ليهتمّ بذاك الحيوان ويصغي إلى شكواه. ومنع صاحبه من إساءة معاملته ومن ظلمه، لأنّ العدالة أهمّ من أيّ شيء آخر، حتّى بالنسبة إلى الحيوانات. وتلك العدالة لم تقتصر على البشر، بل شملت الحيوانات وجميع المخلوقات، وهنا تكمن عظمة نبيّنا الحبيب.



اليوم
223

بشرى من ملاك

من القبائل اليهودية التي استقرّت حول المدينة المنوّرة قبيلة تدعى بني النضير، التي عرفت بثرائها. عاش أهلها في قلاع وحصون. في الماضي، تعهّدوا لنبيّنا الحبيب ﷺ بالعيش بسلام مع المؤمنين من دون التسبّب بأيّ مشاكل. بيد أنّهم بدأوا في ما بعد بمخالفة شروط الاتّفاق. فراحوا يتعاونون مع أعداء النبيّ. سمع النبيّ بهذا، فذهب برفقة صحابته لزيارتهم. كان النبيّ يحبّ الوفاء بالعهود. ومن يخلّ بها، يحذّره بلطف. فقد كان دائماً إلى جانب السلام والأخوّة.

رحّب اليهود بالنبيّ ﷺ بحرارة. مدحوه وبشّوا في وجهه، وأخبروه أنّهم سرّوا بزيارته. لكنّهم كانوا يضمرون في الواقع عكس ذلك تماماً.

جلس النبيّ ﷺ مستنداً إلى حائط في الطريق مع بعض الصحابة. فوجد أحد الرجال الغدّارين فرصته في ذلك، وهمس لآخر: «إنّكم لم تجدوا محمّداً أقرب منه الآن، فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟» فأجاب رجل خبيث: «أنا».

لكنّ أحد العلماء اليهود قال لهم: «إن قمتم بعمل كهذا، سيُنذره الله به، وستُخلّون بمعاهدة السلام التي وقّعتموها معه؛ لذلك دعوا هذه المؤامرة». لم يأبه الرجل الماكر بكلام العالم، بل أخذ حجراً كبيراً، وصعد إلى السطح لرميه على النبيّ. بالطبع لم يكن الله تعالى ليدع نبيّه يقع في هذا الفخّ. فأرسل الملك جبريل عليه السلام لإخبار النبيّ بما يجري.



حالما علم النبيّ بذلك، غادر مكانه بهدوء، من دون أن يظهر عليه أيّ خوف أو قلق. هكذا أنقذه الله عزّ وجلّ.

بعدما رحل رسول الله، قال أحد الحاضرين: «هل تعلمون لماذا رحل محمّد؟ لأنّه أُبلغ بما خطّطتم له!» فنظروا إلى

بعضهـم البعض بذهول قائليـن: «كيف علمت؟» أجاب الرجل: «إنّه نبيّ، وجميع علامات نبوّته مذكورة في التوراة. محمّد هو خاتم الأنبياء، لا محالة. وإنّي أظنّكم ستغادرون هذا المكان قريباً علـى ظهور إبلكم». فقالوا له: «إذاً، بماذا تنصحنا؟» قال الرجل: «أسـلِموا وانضمّوا إلى صحابة محمّد. بهذه الطريقة، تنقذون أنفسـكم وأبناءكم». غير أنّهم رفضوا وقالوا: «كلاّ، لن نتخلّى أبداً عن دين أجدادنا».

بعـد ذلك، منـح النبيّ بني النضير مهلة عشـرة أيّام لتجديد الاتّفاق مع المسـلمين، إلاّ أنّهم رفضوا رفضاً قاطعاً. عندئذ، فرض النبيّ حصاراً عليهم إلى أن أعلنوا استسلامهم.

عندهـا، أمرهـم النبيّ ﷺ بمغادرة المدينة والانتقال إلى مـكان آخر. بهذه الطريقة، كفّ بنو النضيـر أذاهم عن المسـلمين. فحمّلـوا أمتعتهم وممتلكاتهـم على ظهور الإبـل، وانطلقوا نحو خيبر، التي يعيش فيها يهودٌ آخرون.

اليوم
224

امرأة وعنزاتها الاثنتا عشر



أشـار رسـول اللـه ﷺ إلـى بيتٍ فـي المدينـة، ثم قـال: «إن امـرأة كانـت فيـه، فخرجت في سـرية من المسـلمين، وتركت اثنتي عشرة عنزاً لها وصيصتها، كانت تنسج بها».

ثـم ذكر النبي ﷺ أنهـا حين عودتها مـن سـفرها فقـدت بعـض العنـزات، فأخـذت تدعو: يـا رب! إنك قد ضمنت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه وإني قـد فقدتُ عنـزاً من غنمـي وصيصتي، وإني أُنشـدك عنزي وصيصتي. فجعل رسول الله ﷺ يذكر شـدة مناجاتهـا ومناشـدتها لربها تبـارك وتعالى. فاستجاب الله الكريم دعاءها وزادها مثل عدد عنزها وصيصتها.

اليوم 225

حب الأمّ لصغيرها

في أحد الأيّام، وبينما كان النبيّ ﷺ يحدّث الصحابة، رأى أحدهم طيراً من بعيد. كان الطير يحوم حول عشّ فيه عصفور صغير. ذهب أحد الصحابة إلى العشّ، وحمل العصفور. عندما رأت الأمّ ذلك، راحت تحوم حوله محاولة حماية صغيرها. كانت تدور حول الصحابي بشراسة، وعلى وشك أن ترمي نفسها عليه. فنظر بقيّة الصحابة إلى الأمّ بدهشة كبيرة.

عندما رأى نبيّنا الحبيب ما يجري، سألهم من الذي أخذ العصفور الصغير. وطلب منهم إعادته إلى مكانه. ثمّ قال لصحابته: «جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه».

أخذ الصحابة يفكّرون بمدى رحمة الله عزّ وجلّ بهم. وشعروا بعد تلك الحادثة بالسلام والطمأنينة.

اليوم 226

فيضان في شوارع المدينة



أتى أمر جديد من الله سبحانه وتعالى، تجلّى في الآية القرآنية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾ [المائدة، الآيتان: 90-91].

في هاتين الآيتين، حرّم الله على المسلمين شرب الخمر التي كانوا مولعين بها. فأرسل رسول الله ﷺ المنادين يصيحون في شوارع المدينة ويخبرون الناس بذلك. جال المنادون في شوارع المدينة المنوّرة، ودعوا أهلها بصوت عالٍ



قائلين: "يا معشر المسلمين! اعلموا أنّ الخمر حُرّمت عليكم من الآن فصاعداً!" فعمّ الاضطراب بين الناس. من سمع بهذه الآية من المسلمين، لم يحتفظ بنقطة خمر واحدة في بيته. على الفور، أخذ الناس يلقون براميل الخمر في الشوارع، حتّى فاضت شوارع المدينة المنوّرة بالخمر.



كان إيمان الناس قوياً بحيث لم يحتفظوا بشيء من الخمر في بيوتهم، بل تخلّصوا منها في سبيل الله. وسرعان ما أدركوا جمال وفائدة هذا الأمر الذي نزل من الله تعالى. فاجتناب الخمر يحمي الناس من كلّ أشكال الشرور التي يتعرّض لها الإنسان الثمل، لأنّها تُذهب بعقل المرء وتركيزه.

قال النبيّ ﷺ: "الخمر أم الفواحش"، أي أنّها الباب إلى كلّ المعاصي. فاتّبع المسلمون هذا الأمر، وأطاعوا وصية الله. كما شكروه كثيراً على إنقاذهم من تلك العادات السيّئة.

اليوم 227

الشابّ الأنيق

كان نبيّنا الحبيب ﷺ يحثّ الناس على ارتداء الملابس النظيفة والأنيقة. وكان هو نفسه يحافظ على نظافته جيّداً، ويرتدي الملابس الملائمة لكلّ مناسبة. ذات يوم، أتى إليه شابّ يحبّ ارتداء الملابس الجميلة والمميّزة. وكان قد سمع النبيّ يقول مرّة: «لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من كِبَر». فقال له: «إنّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة». أجابه رسول الله: «إنّ الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحقّ وغمط الناس» (أي احتقار الناس).

فرح الشابّ كثيراً لدى سماع ذلك من فم رسول الله، الذي أضاف قائلاً: «البسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة». فتعلّم الشابّ من رسول الله أنّه لا خطأ في ارتداء الملابس الأنيقة والجميلة شرط أن لا يكون ثمنها غالياً جداً أو للمفاخرة على الناس. وبعد ذلك اليوم، أصبح يختار ملابسه المتميّزة وهو مرتاح البال، من دون أن يبالغ، أو يعامل الناس بغرور وتكبّر.

اليوم 228

دعوة للأمّ الثانية بالجنّة



بعدما أصبح رسول الله ﷺ يتيم الأب والأمّ، احتضنه عمّه أبو طالب وزوجته فاطمة. لم ينس رسول الله الحنان الذي غمرته به زوجة عمّه. فقد عاملته أفضل ممّا تعامل أطفالها. لهذا السبب، كان رسول الله يزورها غالباً، ولا يقلّل من احترامها أبداً. عاشت زوجة عمّه فاطمة حتّى أصبحت طاعنة في السنّ، وتوفّيت ذات يوم.

عندما بلغ رسولَ الله ﷺ خبرُ وفاتها، شعر أنّ أمّه هي التي توفّيت. ذهب لأداء مراسم الجنازة. عندما وصلوا إلى المقبرة، صلّى عليها صلاة الجنازة، ودعا لها بالمغفرة.

راحت الدموع تسيل من عينيه حزناً على أمّه الثانية. وما أروع الدعاء الذي قاله النبي ﷺ في صلاة الجنازة، قال: «اللهم اغفر لها وارحمها، وعافها واعف عنها، وأكرم نزلها، ووسِّع مدخلها، واغسلها بالماء والثلج والبرد، ونقِّها من الخطايا كما نقَّيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدلها داراً خيراً من دارها، وأهلاً خيراً من أهلها، وأدخلها الجنة، وأعذها من عذاب القبر، ومن عذاب النار». عندما رآه الناس يُظهر كلّ هذا الوفاء للأمّ التي ربّته، تضاعف حبّهم واحترامهم له.

اليوم 229

لن يكون عبئاً على أحد

عاش النبيّ ﷺ في بيته مثل أيّ إنسان عادي. لكنّه لو أراد، لتسابق الناس إلى خدمته. فمئات الأشخاص كانوا رهن إشارته. غير أنّ رسول الله فضّل عيش حياة بسيطة. كان يصلح بنفسه ما يتخرّب في بيته. ويخيط ملابسه ويرقّعها بيده. كما كان يقوم بشراء حاجياته، ويساعد زوجاته،

ويكنس، ويرتّب بيته، ويُطعم الحيوانات ويحلبها بنفسه. لم يكن يحبّ الكسل، بل يفضّل العمل والنشاط.

وقد سألوا زوجته عائشة: ماذا كان يفعل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: كان بشراً من البشر، كان يكون في مهنة أهله، يرقع ثوبه ويخيطه، ويحلب شاته، ويعمل ما يعمل الرجل في بيته. فأصبح الناس يقتادون به ويقلّدونه في كلّ الأمور. أخذ الرجال يساعدون زوجاتهم، ويحافظون على نظافتهم وترتيبهم، ويعملون بجدّ من دون أن يشكّلوا عبئاً على أحد.

اليوم
230

بدء الطعام بالبسملة

كان نبيّنا الحبيب ﷺ معتاداً على بدء كلّ شيء بعبارة «باسم الله». وقبل أن يبدأ بتناول الطعام، يقول باسم الله، ويأكل من الطبق المشترك، ولا يأكل سوى من أمامه. وكان يطلب من الجميع فعل الشيء نفسه. في أحد الأيّام، أتى الصحابة لزيارته، وقالوا له: «يا رسول الله! إنّا نأكل ولا نشبع». فقال لهم النبيّ: «فلعلّكم تأكلونَ مُتَفَرِّقين». قالوا: «أجل». فقال: «فاجتمِعوا على طعامكم، واذكروا اسمَ الله عليه يُبارَكْ لكم فيه».



وفي إحدى المرات، بينما كان رسول الله يتناول الطعام، أتى إليه غلام، فقال له: «يا غلامُ، سَمِّ اللَّه، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يلَيك».

كان هذا الكلام الحكيم مليء بالمنافع. وقد اتّبع الصحابة نصائح النبيّ حرفياً. فطبّقوا قواعد السلوك الاجتماعي التي علّمهم إيّاها طوال حياتهم.

اليوم
231

صلة الرحم

كان النبـيّ ﷺ يحـبّ أقربـاءه ويقدّرهم. غالبـاً ما كان يزورهم ويسـأل عـن أحوالهم، كما يسـاعدهم فـي كلّ شـيء. وكان يقول لمـن لا يهتمّون بأقربائهـم أن صِلة الرحم تزيـد في العمر وتبارك في الرزق.



فـي أحد الأيّـام، أتى إليه أحد الأشـخاص وقـال لـه: «يا رسـول اللـه! أنـا أحـبّ أقاربي كثيـراً. وأزورهـم دائمـاً، لكنّهـم لا يبادلونني هذه المعاملة الحسـنة، بل يؤذونني ويجرحون مشـاعري. ويتعاملـون معـي بقسـوة». أجابـه النبـيّ ﷺ: «لئـن كنت كما قلت فكأنما تُسِـفُّهم المَلَّ (أي تطعمهم الرمـاد الحـار)، ولا يزال معـك من الله ظهير ما دمـت على ذلك».
فحثّه على الاستمرار في صلة رحمه والصبر على أذاهم، والله ناصره ولن يضيّع أجره.

اليوم
232

لا تكذب ولو من باب المزاح

لـم يكن رسول الله ﷺ يحبّ الكذب ولو من باب المزاح.

فـي أحـد الأيّام، ذهـب لزيارة أحدهم. فنادت سـيّدة المنـزل طفلها وقالت: «تعـال يا بنيّ، سأعطيك شيئاً تحبّه». فسألها النبيّ: «هل ستعطينه؟» فأجابت السيّدة: «نعم». فقال النبيّ: «لو لم تعطِه لكُتبت عليكِ كذبة».

وحـذّر النبي ﷺ من المزاح بالكذب فقال: «ويلٌ للذي يحدِّث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويلٌ له، ويلٌ له».

اليوم
233

العباءة

كان رسـول الله ﷺ مثل الشـمس المشـعّة في سـماء المدينة المنوّرة. أصبـح الناس يرون جمـالاً مختلفـاً فـي كلّ ما يفعلـه. فقد كان كريماً جـدًّا، يعطي كلّ مـا لديه للفقراء والمسـاكين. وكان حبّه للناس كبيراً بحيث يعطيهم الأولوية ويفضّلهم على نفسـه. لقد أراد أن يشـعر الجميع بالسعادة.

فـي أحـد الأيّام، أتت إليه امرأة تحمل سـترة بين يديها. قالت له: «يا رسـول الله، لقد قمت بحياكـة هذه العباءة من أجلك. أرجو أن تقبلهـا منّي هدية». قبل النبيّ بهدية المرأة وسُرّ بها كثيراً.



كان رسول الله ﷺ يحتاج فعلاً إلى تلك السترة. فقال باسم اللـه، ثمّ ارتداها. خـرج من المنزل للاهتمـام ببعض الأعمال. هناك، اسـتوقفه أحد الرجال. بنظر الصحابة، كان كلّ ما ينتمي إلى رسول الله قيّماً جدًّا. وكانوا يحبّون كثيراً امتلاك شيء سبق أن ارتداه الرسـول. فلمس الرجل عباءة النبيّ وقال: «يا رسـول الله ما أحسن هذه، فاكسنيها».

لـم يكن رسـول الله معتـاداً على رفض طلب أحد. وحتّى لو لم يكـن يملك مطلب الناس، لـم يكن يردّهـم خائبين. ذهب النبيّ إلى بيته، وخلع عباءته، ثـمّ طواها وأعطاها للصحابي الذي طلبها. فرح الصحابي كثيراً بهدية رسول الله. غير أنّ أحد الصحابة الآخرين قال له: «ما أحسنت حيـن رأيت النبي صلى الله عليه وسـلّم أخذها محتاجاً إليها، ثمّ سـألتَه إيّاهـا، وقد عرفتَ أنه لا يُسـأل شـيئاً فيمنعه». فأجاب الرجل: «رجوت بركتها حين لبسـها النبي صلى الله عليه وسـلّم، لعلّي أكفن فيها». وكما تمنّى الرجل، كانت العباءة كفنه عند موته.

هـؤلاء الناس الذين كانوا مقرّبين من النبيّ إلى حـدّ أن يطلبوا منه خلع عباءة يرتديها، كانوا على اسـتعداد للتضحية بحياتهم من أجله. لهذا السـبب، لم يكن رسـول الله يبخل عليهم بشيء حتّى لو كان محتاجاً إليه. وهذا ما جعل كلّ المخلوقات تُعجب بأخلاقه العالية.

اليوم
234

كظم الغيظ

تعـارك رجلان في أحد شـوارع المدينـة المنوّرة. كانت علامات الغضب الشـديد بادية في عروقهما المنتفخة، ووجهيهما الزرقاوين، وأعينهما الحمراء.

في تلك اللحظة، مرّ بهما رسول الله ﷺ. فقال لمن حوله: «إنّي لأعلمُ كلمةً لو قالها ذهب عنه ما يَجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يَجد». عندئذ، ذهب الناس إلى الرجل الغاضب وقالوا له: «إنّ النبيّ ﷺ قال: تعوّذ بالله من الشيطان».

غير أنّ الرجل كان غاضباً جدًّا، فقال: «وهل بي جنون؟» من الواضح أنّ الرجل لم يكن قادراً في تلك اللحظة على كظم غيظه. فسـأل رسـول الله المحيطين به: «ما تَعُدُّون فيكم الصُّرَعَة؟». أجابوا: «من لا يُهزم أبداً». فقال النبيّ: «لا، ولكن الصُّرَعَة الذي يملك نفسه عند الغضب».

بذلك، انتقد رسول الله الناس الذين يثورون في لحظة غضب ويعجزون عن السيطرة على ردود أفعالهـم. ونصحنـا بالتفكير بهـدوء، واتّخاذ القـرار الصحيح، وعدم فقدان السـيطرة على النفس في ساعة الغضب.

اليوم
235

أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أصحابها

من حق المسلم على أخيه المسلم التي علّمنا إياها نبينا الحبيب ﷺ: إجابة دعوة المسلمين إلى وليمة الطعام، وخاصة إذا كانت وليمة عرس.

ولهـذا كان النبـي ﷺ إذا جاءتـه دعوة إلى طعـام لا يأنف عن تلبيتها، ومـرة خرج في جنازة رجـل مـن الأنصار، فلما انتهى وانصرف مع الصحابة لقيه رسـولُ امرأة من قريش تدعو رسـول اللـه ﷺ ومـن معه من الصحابة إلـى وليمة طعام، فتوجّـه إليها النبي ﷺ بمن معـه من أصحابه، وجلسوا جميعاً وجيء بالطعام، فوضع النبي ﷺ يده في الطعام ووضع أصحابه أيديهم، ونظروا



إلـى النبـي ﷺ، فوجدوه غيـر مرتاح لما يـأكل، ولقمته ما زالـت في فمه، لم يستسـغها، فتوقف الصحابة في انتظار ماذا سـيفعل النبي ﷺ، فأخذ لقمته فلفظها خارج فمه، وقال: «أجدُ لحم شاة أُخِذَت بغير إذن أهلها، أطعموها الأسارى!». هنا تعلّم الصحابة درساً مهماً، وهو أنه لا يصح أن يأخذ الإنسـان غرضاً ملكاً لغيره ويسـتعمله بغير إذنه، ولو كان طعاماً يريد أن يطعمه إلى رسـول الله ﷺ!

اليوم 236

كم نحن سعداء بك!

كان النبـيّ ﷺ يدعـو اللـه قائـلاً: «اللهـمّ أحيني مسـكيناً وأمتنـي مسـكيناً، واحشـرني فـي زمـرة المساكين».



في أحد الأيّام، أتى جمع غفير لزيارة رسول اللـه ﷺ. كان أولئك الناس فقراء جدًّا وملابسـهم بالية، حتّى أنّهم لفّوا أنفسهم بقطع صغيرة من القماش. عندمـا رآهـم النبـيّ على تلـك الحال، تبدّلـت ملامحه فجـأة. ثمّ بدأ يدخـل ويخرج إلى منزلـه محاولاً إيجاد شـيء يعطيهـم إيّاه. غيـر أنّـه كان قـد وزّع كلّ مقتنياته على الفقراء. شـعر بعجز كبير، فطلب من بلال أن يرفع الأذان. نفّـذ بـلال طلـب النبيّ ﷺ، واجتمع المسـلمون

هناك. فأمّ بهم رسول الله الصلاة، ثمّ دعاهم إلى التصدّق على أولئك الفقراء. خلال مدّة قصيرة، جمع المسلمون الكثير من الملابس، والأحذية، والمال، ووزّعوها على أولئك المساكين.

بهذه اللفتة الكريمة، أنقذ نبيّنا الحبيب أولئك الناس من البؤس. فعادوا إلى منازلهم مسرورين وهم يردّدون: «يا رسول الله! كم نحن سعداء بك».

اليوم 237

أخبروهم أنّكم تحبّونهم

في أحد الأيّام، كان رسول الله ﷺ جالساً مع الصحابة. في تلك اللحظة، مرّ بهم رجل. فقال له أحد الصحابة: «يا رسول الله، إنّي لأحبّ هذا». فقال له النبيّ: «أعلمته؟» فأجاب الرجل: «لا». قال: «قُمْ أعلِمه».

عندئذ، نهض الصحابي، وقال للرجل الذي مرّ بهم: «إنّي أحبّك في الله». فأجابه صديقه: «أَحبّكَ الله الذي أحببتني له». ضحك الصديقان بسعادة. فهل ثمّة ما هو أجمل من محبّة بعضنا في الله؟

اليوم 238

رسول الله ﷺ يلاعب الأطفال ويعلّمهم

اعتاد رسول الله ﷺ، كلّما صادف طفلاً، أن يذهب إليه ويلاطفه. وعندما يلتقي بأولاد يلعبون في الشارع، كان يأخذهم للركوب على ناقته، ويمضي معهم بعض الوقت.

ورأى رسول الله ﷺ حفيده الصغير الحسن وقد تناول تمرة من تمر الصدقة فأكلها، فقال له النبي ﷺ: «كِخْ كخ، أما علمت أنّا لا نأكل الصدقة؟!» فأرشده وعلّمه الأدب رغم أنه كان صغيراً. ورأى ﷺ أحد الأطفال وهو يأكل من كل جوانب صحنه، فعلّمه آداب الأكل قائلاً له: «يا غلام، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ ممّا يليك»، فلما كبر الطفل وصار رجلاً بقي يأكل كما علّمه النبي ﷺ. وهكذا تكون التربية في الصِّغَر كالنقش على الحجر.

اليوم
239

رسول من قريش إلى المدينة



الإسلام دين صدق وشرف ووفاء، لا يقبل الكذب ولا الدناءة ولا الغدر، ولا يقبل أن يكون في صفوفه أحد من الكاذبين أو الغادرين أو اللئام.

علّم النبي ﷺ أصحابه هذا ونشّأهم عليه، وكان ﷺ قدوتهم الحسنة فيه.

في يوم من الأيام أرسلت قريش إلى النبي ﷺ كتاباً مع مبعوث لها يقال له أبو رافع، فلمّا وصل المدينة رأى النبي محمد في أصحابه يعلّمهم العلم والحكمة ويهديهم ويزكّيهم، ورأى ما عليه المسلمون من أدب ونظام، ونظافة وثقافة، وأخوّة ومساواة، وتعاون على البر والتقوى.

قام أبو رافع بالمقارنة بين المسلمين وبين مشركي مكة الذين لا يتوضأ لهم وجه، ولا تقوم بينهم مساواة، ولا يهديهم إلى الخير هاد، ولا يقودهم إلا أبو جهل وأمثال أبي جهل!

لمّا رأى أبو رافع هذا كله، امتلأ قلبه بإجلال النبي ﷺ وحبّه، فهو صاحب الفضل في هذا التحول والامتياز الذي رآه في المسلمين، ومال قلبه إلى الإسلام وأحب أن يدخل فيه، وأن يكون واحداً من هؤلاء المسلمين الطيبين الصالحين.

اليوم
240

لا أنقض العهد ولا أغدر به

فاتح أبو رافع النبي ﷺ بالأمر، وعرض عليه رغبته أن يسلم، وأن يبقى بالمدينة سعيداً بأن يكون واحداً من هؤلاء المسلمين.



فقال له النبي ﷺ: «إني لا أخيس العهد (أي لا أنقضه ولا أغدر به)، ولا أحبس البُرُد (أي لا أمنع المندوبين حاملي الرسائل والبريد ولا أحجز السفراء، بل أحرص على أن يعودوا إلى قومهم)، لكن ارجع إلى قريش فأدِّ أمانتهم إليهم، وبلِّغهم جواب ما أرسلوك لأجله، فإنْ وجدت في قلبك وأنت في مكة هذا الميل للإسلام الذي تجده هنا في المدينة، فتعالَ فأسلم».

زاد هذا الموقف أبا رافع إكباراً وإجلالاً لرسول الله ﷺ، وثقة بصدق نبوته، وحرصاً على اتباعه، فعاد أبو رافع إلى مكة، فبلَّغ قريشاً جواب ما أرسلته به، ثم رجع من فوره إلى المدينة يحدوه الشوق إلى النور والطهر، والجمال والخير، والفرار من ظلمات الشرك والفساد في الأرض، حتى وصلها، فبايع النبي ﷺ على الإسلام والهجرة والجهاد، وانضمّ إلى صفوف المسلمين العاملين في خير أمة أخرجت للناس.

اليوم 241

خذ برأس جملك فهو لك!



في أحد الأيّام، خرج رسول الله ﷺ مع جابر في رحلة. وفي طريق العودة، نفد المال من جابر، فوقع في مأزق. لم يكن يستطيع متابعة الرحلة من دون مال، فأخبر رسول الله بالوضع.

نصح النبيّ ﷺ جابراً ببيع جمله. فباعه جابر الجمل. وبذلك المال الذي قبضه من النبيّ، سدّد مصاريف بقيّة الرحلة إلى أن وصلا إلى المدينة. غير أنّه استمرّ بركوب الجمل الذي باعه. أخيراً، عندما وصلا، ترجّل عن الجمل. ثمّ قال للنبيّ: «يا رسول الله، هذا الجمل أصبح ملكاً لك. لقد استخدمته خلال الرحلة، لكنّني أسلّمه الآن إلى صاحبه».

نظـر النبـيّ ﷺ إلى جابر، ثمّ ابتسـم وقال: «يا ابن أخي خذ بـرأس جملك فهو لك». دُهش جابر من هذا التصرّف. فقد سـاعده رسـول الله على حلّ مشـكلته، وها هو الآن يعيد إليه جمله. شكر النبيّ، ثمّ أخذ الجمل وعاد إلى بيته.

اليوم 242

ثمن ضربة السوط

كان رسـول الله ﷺ يحاول نشـر دين الإسـلام العظيم فـي جميع بقاع العالـم. فبذل ما في وسعه في سبيل ذلك. وقام برحلات طويلة وشاقّة، تحمّل فيها التعب والعناء.

ذهـب ذات مـرّة فـي رحلة مشـابهة مـع الصحابـة. كانـت الجِمال تتقـدّم ببطء فـوق رمال الصحـراء الحارقـة. جلس رسـول الله علـى ظهر ناقته، قصـواء، وركب صحابي آخـر ناقته إلى جانب الرسول. كان الصحابي قريباً جدًّا من النبيّ، بحيث أنّ ناقته كانت تحتكّ بناقة النبيّ. وكان طرف حذاء الصحابي يرتطم بسـاق رسـول الله. فوكز النبيّ قدم الصحابي بالسوط الذي يحمله لتنبيهه، وقال له إنّه يؤذيه. فانتبه الصحابي وحزن لذلك كثيراً، ثمّ مشى خلف رسول الله وحرص علـى أن يكـون مرتاحاً. في اليوم التالي، قيل له إنّ رسـول الله يطلـب رؤيته. فتذكّر ما حدث في اليوم الفائت، وقال في نفسه: «لا بدّ أنّ النبيّ استدعاني بسبب ما فعلته يوم أمس».

أسرع الصحابي واستعدّ لملاقاة رسول الله. نظر إليه النبيّ مبتسماً وقال له إنّه وكزه البارحة بالسوط وكزة خفيفة لأنّه آذاه بقدمه. لهذا السبب، فإنّه سيعطيه هديّة ثمينة.

ارتبك الصحابي. كان هو الذي آذى رسول الله، غير أنّ النبيّ يريد الآن أن يعوّض عليه. هذا هو نبيّ الرحمة. حتّى لو سبّب الأذى عن غير قصد للصحابة، إلاّ أنّه كان حريصاً على كسب محبّتهم.

اليوم 243

إياكم أن تُغضبوا أبا بكر!

كان أبو بكر الصديق وربيعة الأسلمي جارين متلاصقين في المدينة، وفي أحد الأيام اختلفا علـى موضـوع، وحصل بينهمـا كلام حاد، فقال أبو بكر لربيعة كلمة شـديدة، ثم ندم على قولها،



فقال لربيعة: يا ربيعة رُدَّ عليَّ مثلها حتى يكون قصاصاً! فرفض ربيعة أن يردّ عليه مثلها، فقال أبو بكر: لتقولن أو لأستعدينّ عليك رسول الله ﷺ! فرفض ربيعة أيضاً أن يردّ عليه. فانطلق أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، وانطلق خلفه ربيعة.

فجاء إلى ربيعة بعض الناس من قبيلته فقالوا: رحم الله أبا بكر! في أي شيء يستعدي عليك رسول الله وهو الذي قال لك ما قال؟!

فقال ربيعة: أتدرون مَن هذا؟! هذا أبو بكر الصديق، وهو ثاني اثنين، وهو ذو شيبة المسلمين، فإياكم يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب، فيأتي رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه، فيغضب الله لغضبهما! فتهلك قبيلتنا!!

قالوا له: فما تأمرنا؟ قال: ارجعوا.

فانطلق أبو بكر إلى رسول الله ﷺ وتبعه ربيعة وحده حتى أتوا النبي ﷺ، فحدّثه أبو بكر الحديثَ كما كان، فرفع النبي رأسه إلى ربيعة وقال: «يا ربيعة ما لك وللصديق؟» فأخبره ربيعة بما حصل وأنه رفض أن يردّ عليه كلمته، فقال النبي ﷺ: «أجل، فلا تردّ عليه، ولكن قُلْ: غفر الله لكَ يا أبا بكر!» فقال ربيعة عندها: غفر الله لك يا أبا بكر!

فانصرف أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي متأثراً من هذا الموقف!

وكيف لا يكون لأبي بكر الصديق هذه المنزلة العظيمة والإجلال في قلوب الصحابة، فهم يعرفون جيداً أنه أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ، رضي الله عنه وعن جميع الصحابة الكرام.



اليوم
244

نبيّ متواضع

في أحد الأيّام، أتى جبريل عليه السلام مع ملَك آخر إلى رسول الله ﷺ. ألقى عليه الملك التحيّة، وقال له جبريل: «هذا الملك ما نزل منذ خُلِقَ قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربُّك: أمَلِكاً أجعلك أم عبداً رسولاً؟».

نظر نبيّنا الحبيب ﷺ إلى جبريل عليه السلام الذي أخبره أنّ العيش كنبيّ عبد هو أفضل. فأجاب النبيّ: «لا، بل عبداً رسولاً». بعد ذلك اليوم، بذل رسول الله ما في وسعه ليعيش حياة بسيطة.

في أحد الأيّام سألته السيّدة عائشة عن سبب حبّه لبساطة العيش. فأجاب: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد». لقد فضّل رسول الله أن يكون عبداً لله بكلّ ما في الكلمة من معنى على أن يحتلّ المناصب العليا في الحياة.

بالنسبة إليه، فإنّ العبودية لله هي أعلى مكانة من الملوك. ولطالما قال النبيّ إنّ عيشة الفقراء هي أفضل من عيشة الأغنياء. وكان يقول: «واللهِ لو شئتُ لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة!».



لقد كان سيدنا محمّد سيّد الأنبياء والمرسلين. ولو أراد، لعاش حياة مترفة، ولحصل على وديان من الذهب أو أسّس مملكة تشمل العالم بأكمله. لكن ليس هذا ما سعى إليه. لقد اختار أن يعيش حياة عادية بملء إرادته. أحبّ حياة البساطة ليكون قدوة لكلّ المسلمين. وربّما لهذا السبب، فاز بحبّ الجميع؛ الأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء. لذلك أسّس مملكته في قلوب الناس، ودامت لقرون من الزمن.



اليوم
245

جزى الله الأنصار عنا خيراً

كان الأنصار من أحنّ الناس على رسول الله ﷺ وأرعى لحاجته، وكانوا يتسابقون إلى خدمته بكل ما يملكون.

ومرة صنع عبد الله بن عمرو بن حرام طعاماً اسمه خزيرة وأرسله مع ابنه جابر ليوصّله إلى النبي ﷺ، قال جابر: فأتيته وهو في منزله، فقال النبي ﷺ لي: «ماذا معك يا جابر؟ ألحم ذا؟» قال جابر: لا. ثم عاد جابر إلى بيت والده، فسأله والده إن كان رأى رسول الله؟ وهل سمعه يقول له شيئاً؟ فقال جابر: نعم يا أبي، قال لي: «ماذا معك يا جابر؟ ألحمٌ ذا؟»



فانتبه عبد الله وقال: لعل رسول الله ﷺ أن يكون اشتهى اللحم! فأمر بشاةٍ داجنٍ أن تُذبَح، ثم أمر بها فشُوِيَت، ثم أمر ابنه جابراً أن يأخذها إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله قال له: ماذا معك يا جابر؟ فأخبره جابر أنه لحم مشوي. فسُرَّ النبي ﷺ بهذه الهدية ودعا لعائلة جابر بالخير، وقال: «جزى الله الأنصار عنا خيراً، ولا سيّما عبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة».

اليوم
246

العمل خير من سؤال الناس

يُروى أنه جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ يسأله عطاء، فقال له النبي ﷺ: «أما في بيتك شيء؟» فقال الرجل: بلى يا رسول الله، عندنا بساط بسيط نفرشه على أرض البيت، وقدح خشبي نشرب فيه الماء.



فقال النبي ﷺ: «ائتني بهما»، فأتاه الرجل بهما. فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال لجلسائه: «من يشتري هذين؟». قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. فقال رسول الله ﷺ: «من يزيد على درهم؟». فقال رجل: أنا آخذهما بدرهمين.

فأعطاهما له، فأخذ رسول الله الدرهمين وأعطاهما للرجل الأنصاري، وقال له: «اشترِ بأحدهم طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشترِ بالآخر قدّوماً (أي فأساً) فأتني به».

فأتاه الرجل بالفأس، فشدّ فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده، ثم قال له: «اذهبْ واحتطبْ وبعْ، ولا أرينَّكَ خمسة عشر يوماً».

ففعل، ثم جاء إلى رسول الله بعدها وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ما يحتاجه من طعام وغيره.

وقال رسول الله ﷺ مشجّعاً الناس على العمل والكسب الحلال والاستغناء عن الغير: «لأنْ يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، فيكفّ الله بها وجهه، خيرٌ له من أن يسأل الناس؛ أعطوه أو منعوه».

اليوم

247

أجمل بستان

لم يكن الصحابة يكتفون من صحبة رسول الله ﷺ. فمشاركته الحديث سعادة بحدّ ذاتها، والإصغاء إليه يمنحهم الراحة والسكينة، لا بل إنّ مجرّد النظر إليه كان أشبه بامتلاك العالم.

ذات مرّة تلا رسول الله ﷺ على الصحابة الآية الكريمة: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾. أصغى أبو طلحة جيداً إلى كلام رسول الله. كان هذا الصحابي الجليل يملك بستاناً هو الأجمل في المدينة، يسمّى بَيرَحاء. وكان بستانه يحتوي على ستمئة شجرة نخيل. فنهض فوراً وقال: "إنّ أحبَّ أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة أرجو بِرّها وذُخرَها».



بعـد ذلـك، خرج أبو طلحة مرتاح البال، وذهب مباشـرة إلى بسـتانه. كانت زوجته رميسـة هنـاك، تأخذ اسـتراحة في ظلّ إحدى الأشـجار. عندمـا رأت أبا طلحة في الخـارج، نادته قائلة: "ادخل يا أبا طلحة، لماذا تقف في الخارج؟" فأجابها: "يا رميسة، هذا البستان لم يعد لنا، لهذا السبب لم أدخل. أنت أيضاً احملي أغراضك واخرجي منه».

لم تفهم رميسة، بل سألته: "لماذا؟". أجابها: "لقد تصدّقت بهذا البستان في سبيل الله".

كانـت رميسـة امرأة مؤمنة وتقيّة، فقالت لزوجها: "تقبّل الله منـك يا أبا طلحة. والله عندما كنـت أرى المسـاكين خارج البسـتان، كنت أتمنّى لو نتصدّق به، لكنّني أعـرف أنّه أحبّ أموالك إليك".

غادرت رميسـة البسـتان مع زوجها مـن دون أن ينظرا إلى الوراء. وعـادا إلى بيتهما فرحين راضيين.

لقـد كان هذان الزوجان مسـلمَين حقيقيين، طبّقا وصايا الله ورسـوله فـي حياتهما. وبتلك الأعمال الصالحة تذوّقا حلاوة الإيمان.

اليوم
248

الأولاد يجتمعون بآبائهم

كانت أمّ سَلَمة أرملة فقيرة ومسنّة، واجهت في حياتها كثيراً من المصاعب. استُشهد زوجها في إحدى المعارك، وكان لديها أربعة أولاد. أصبح أولادها أيتاماً بعد وفاة أبيهم، واحتاجوا إلى من يرعاهم.

رغب رسـول الله ﷺ في حماية أولاد أمّ سـلَمة، وأراد لهم أن ينشـأوا نشأة حسنة في منزل سـعيد. لتجنيـب الأسـرة المزيد من المصاعب، عرض رسـول اللـه ﷺ الزواج على أمّ سـلمة. فرحت أمّ سـلمة بهذا العرض، لكنّها لم ترغب في أن تسـبّب للنبيّ ﷺ أيّ إزعاج. فأرسلت إليه تقول: «مثلي لا يصلح للزواج، فإنّي تجاوزت السـّن، وأنا امرأة غيور، وعندي أطفال».

عندما تلقّى رسـول الله هذا الخبر، أدرك أن أم سـلمة لم تفهم هدفه من الزواج منها. فقد أراد أن يريح أمّ سلمة وأطفالها من المصاعب. لذلك قام، وذهب إلى منزلها. ثمّ كرّر العرض نفسـه قائلاً: «أنا أكبر منك سـناً، والعيال على الله ورسـوله، وأمّا الغيـرة، فأرجـو الله أن يذهبهـا». عندئذ، اقتنعت أمّ سـلمة وقبلـت بعرضه. وفرح



الأطفـال بهـذا الـزواج لأنّ الله عوّضهـم به عن أبيهم برسول الله.

رحّب الأولاد بهذا القرار لأنّهم كانوا يحبّون رسول الله كثيراً. من الآن فصاعداً، سيتّكئون على صدره الرحب، ويكونون تحت رعايته، وينشأون على تربيته الصالحة. ركضوا إليه بأعين تتألّق فرحاً، لأنّهم لم يعودوا أيتاماً من دون حماية. وعوّضهم الله بأب لا يساويه رجل في هذا العالم.

اليوم 249

المدينة ليست مستباحة

كان عدد المسلمين في تزايد مستمرّ. أزعج هذا الأمر مشركي مكّة إلى حدّ كبير، شأنهم شأن اليهود الذين طُردوا من المدينة المنوّرة.

منذ أن أُخرج بنو النضير من المدينة، بدأوا بوضع خطط ملتوية على الفور. فكّروا أنّهم يستطيعون تنفيذها ضدّ المسلمين إن اتّحدوا مع قبائل أخرى معادية للدين الجديد. وكانت تلك فكرة خبيثة.

ذهب اليهود إلى مكّة وأخبروا قريشاً بفكرتهم. رحّب بهم أبو سفيان، وقال: «أعداء محمّد هم أصدقاؤنا». فجلسوا على الفور وتوصّلوا إلى اتّفاق. جمعوا كلّ ما لديهم للاستفادة من قوّة هذا الاتحاد، واستأجروا جنوداً من المدن المجاورة. خلال مدّة قصيرة، جمعوا جيشاً من عشرة آلاف جندي. كان أبو سفيان هو قائد الجيش. فانطلق فوراً إلى المدينة المنوّرة على أمل مفاجأة المسلمين بالظهور أمامهم من دون منحهم أيّ وقت للاستعداد للمعركة.

كان في مكّة عرب يحبّون رسول الله كثيراً. فأرسلوا إليه يخبرونه أنّ جيش العدوّ يقترب من المدينة المنوّرة. سافر مخبرهم خلال أربعة أيّام، وقطَع مسافة تحتاج إلى اثني عشرة يوماً. فأبلغ رسولَ الله أنّ المشركين يزحفون إلى المدينة بجيش ضخم. عندئذٍ، جمع رسول الله الصحابة فوراً وشرح لهم الوضع. لم يكن المسلمون يتوقّعون أيّ هجوم، ولم يكونوا على استعداد للمواجهة.



تناقشوا مطوّلاً في كيفيّة لقاء العدو. وطُرحت أفكار متعدّدة. في النهاية، وقف أحد الصحابة، ويدعى سلمان الفارسي، وقال: «يا رسـول الله! إنّا إذ كنّا بأرض فارس وتخوّفنا الخيل، خندقنا علينا (حفرنا خندقاً). فهل لك يا رسول الله أن تخندق؟».

لـم يكـن العدوّ يتخيّل هـذه الحيلة. فبهـذه الطريقة، لن يكون على المسـلمين الخروج من مدينتهم. وسـيتمكّنون في الوقت نفسـه من إيقاف العدوّ خارج المدينة المنوّرة. أُعجب الجميع بهذه الفكرة وقبلوا بها. فقد رأى رسـول الله أنّها سـتجنّب المسلمين كثيراً من الوفيات. فهذا هو الهـدف الذي سـعى إليه رسـول الله طـوال حياته. وبحفر خنـدق حول المدينة، كان يرسـل إلى المشركين رسالة واضحة تفيد أنّ المدينة ليست مستباحة لأحد.

اليوم
250

خندق حول المدينة

بدأت أعمال الحفر من طرف المدينة إلى الطرف الآخر. شـارك فيها كلّ المسلمين. وبينما كان العدوّ يزحف بجيش من عشرة آلاف مقاتل، عمل المسلمون كالنحل، كباراً وصغاراً. وكان رسول الله يشاركهم ويشجعهم على العمل بجدّ.

نصب المسـلمون خيمـة صغيرة على إحدى التـلال. وغالباً ما كان النبـيّ يذهب إلى هناك ليراقـب تقدّم العمل ويتحقّق من وصـول العدو. كانت كلّ هذه الجهود ترمي إلى حماية المدينة المنوّرة ومنع نشـوب حرب. شـأنه شـأن الجميع، اتّسـخت ملابسه واكتسـت بالغبار. لم يعبأ لا بالجـوع، ولا بالتعـب، ولا بقلّـة النوم، بـل واجه كلّ المصاعـب بطيـب خاطـر وتنقّـل بين المسـلمين مـن مكان إلى آخر. عندمـا رآه الصحابة، قالوا لـه: «ليس عليك أن تعمل يا رسـول الله، فمجهودنـا كافٍ. استـرح ولا تتعـب نفسك».



غيـر أنّ نبيّنا الحبيب لم يسـتطع الجلـوس بينمـا كان الصحابـة يتصبّبون عرقاً، ويعانون من الجوع وقلّة النوم. رفض

أن يستريح قائلاً لهم إنّه يودّ مشاركتهم ثواب هذا العمل النبيل. بنهاية اليوم السادس، أصبحت المدينة المنوّرة محاطة بخنادق كبيرة وعميقة. وكان من المستحيل على العدو أن يقفز فوق هذا الخندق ويقتحمها. في الجزء الجنوبي من المدينة، كان ثمّة بستان كثيف. لهذا السبب، تمّ حفر خندق ضيّق في ذلك الجزء. أمّا بالنسبة إلى اليهود الذين ما زالوا يعيشون في المدينة المنوّرة، فقد سُمح لهم بالبقاء لأنّهم لم ينقضوا اتّفاقهم مع النبيّ. وإن لم يخونوا المسلمين، لن يتمكّن العدوّ من دخول المدينة. هكذا بدأ الجميع ينتظرون وصول جيوش المشركين بترقّب.

اليوم 251

طعام مبارك من يدي رسول اللّه ﷺ

عانى المسلمون من الجوع والتعب لعدّة أيّام. فقد أنهكتهم أعمال الحفر المتواصلة. نظر جابر إلى رسول الله وأشفق على حاله. فذهب إلى بيته وقال لزوجته: «رأيت بالنبيّ ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟» أجابت زوجته: «عندي شعير». وكان لديهما أيضاً عنزة صغيرة في الحظيرة. فقام جابر بذبحها، في حين طحنت زوجته الشعير، وحضّرت منه عجينة. ثمّ وضعا اللحم والعجين في الفرن.

ذهب جابر مباشرة إلى رسول الله ﷺ، ثمّ همس في أذنه قائلاً: «يا رسول الله! عندي بعض الطعام، فقُم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان». كان نبيّنا الحبيب معتاداً على التفكير بغيره أوّلاً. كان المسلمون الذين يحفرون الخندق جائعون هم أيضاً، فكيف يأكل قبل أن يشبعوا؟ سأل جابراً: «كم هو؟» فأجاب: «بعض الخبز واللحم». قال النبيّ: «كثير طيّب». ثمّ أضاف: «قل لها (لزوجتك) لا تنزع البُرْمَة (اللحم) ولا الخبز من التنّور حتّى آتي».

بينما عاد جابر إلى منزله، دعا رسول الله ﷺ المسلمين، من مهاجرين وأنصار، إلى منزل جابر قائلاً: «قوموا». فتوقّف الجميع عن العمل، ورافقوا النبيّ.

شعر جابر بالتوتّر، ذلك أنّه لم يكن يملك طعاماً كافياً لهذا الجمع الغفير من الناس. فقال لزوجته: «ويحك، جاء النبيّ ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم». غير أنّ زوجته المؤمنة كانت هادئة الأعصاب. فهدّأت من روع جابر قائلة له إنّ رسول الله أعلم بما يفعل. عندما وصل النبيّ مع الصحابة إلى بيت جابر، قال لهم: «ادخلوا ولا تضاغطوا» (أي لا تتزاحموا). بعد ذلك، ذهب إلى حيث وُضع الطعام ودعا ليبارك الله فيه، ثمّ أخذ كسرة من الخبز ووضع عليها بعض





اللحم وراح يوزّع على الصحابة. كان طعم الأكل من يده مختلفاً. بعدما شبع الصحابة، أكل رسول الله، وأطعم أهل البيت. شكر المسلمون جابراً وغادروا منزل. أمّا هو، فبقي تحت أثر الصدمة. أخذ يتمتم قائلاً: «والله من أتوا كانوا يقاربون ألف شخص. كلّهم أكلوا وشبعوا، وبقي بقيّة من الطعام. كان الخبز وكأنّ أحداً لم يلمسه واللحم ما زال على حاله. فأعطينا بعضاً منه إلى الجيران». كانت تلك معجزة رسول الله، وقد أدرك جابر وزوجته ذلك.

اليوم 252

النبيّ ﷺ يتناوب على الحراسة

عندما وصل جنود الأعداء إلى المدينة المنوّرة، فوجئوا بالخندق الذي يحيط بها. لم يكن أمامهم خيار سوى نصب خيمهم أمام الخندق. وراحوا يبحثون عن طرق أخرى لدخول المدينة المنوّرة. ظلّ رسول الله ﷺ مستيقظاً طوال الليل يحرس أضيق جزء في الخندق. فقد يحاول العدو دخول المدينة من هناك.

قبيل الفجر، أصبح الطقس بارداً جدًّا. فكان النبيّ يدخل خيمته لينعم ببعض الدفء، ثمّ يخرج منها. عندما رآه سعد بن أبي وقّاص، أتى وتولّى الحراسة عنه.

في الصباح التالي، وقع اضطراب بين الجنود. كان المنافقون يتحدّثون في ما بينهم،



ويحاولـون أن يقلّلوا من عزيمة المسـلمين قائلين: «كيف نحارب جيشـاً من عشرة آلاف مقاتل؟ نتيجة الحرب معروفة منـذ الآن. لا بـدّ أنّهـم سـيغلبوننا، فلنعد إلى منازلنا».

بعـد ذلـك، أتـوا إلـى رسـول اللـه ﷺ وقالوا له: «أنت تعـرف أنّ العدوّ قريب جدًّا، ومنازلنا بلا حماية. لذلك، نحن نرغب في ترك الجيش». عندئذ أذن لهم رسول الله العودة إلى بيوتهم. فهو لم يكن يجبر أحداً على البقاء. وكلّ من طلب الإذن، تركه يذهب.

هكـذا شـكّلت غزوة الخندق مناسـبة أخرى لكشـف حقيقـة المنافقين. فمـن لزم صفوف الجيش هم المؤمنون الذين يحبّهم الله ورسوله.

بعـد مدّة قصيرة، بدأ جنـود الأعداء بالتحرّك. تمكّن عدد منهم من عبور الخندق، ثمّ راحوا يمطرون المسلمين بالسهام. ردّ المسلمون عليهم بموجة مماثلة من السهام. واستمرّ هذا التبادل بيـن الطرفيـن لمـدّة من الوقـت. لم يتمّ التوصّـل إلى أيّ نتيجـة. ولـم يُعرف بعد مـن هو الجيش المنتصر، ومن الذي سيفقد الأمل ويستسلم. فاستمرّ الانتظار.

اليوم
253

عليّ وقتال عمرو بن عبد ود

كان عمـرو من أشـجع فرسـان العدو. وجد ثغـرة في الخندق، في أضيق مـكان فيه. فركب فرسه وذهب إليها. حتّى ذلك اليوم، لم يتمكّن أحد من التغلّب على عمرو في المبارزة. فقـد كان محارباً قوياً. أخذ يصول ويجول على صهوة جواده، وينادي المسلمين ساخراً بدينهم، وداعياً إيّاهم إلى المبارزة قائلاً: «ألا رجل؟» وراح يسبّهم ويهينهم. فلم يجرؤ أحد على مواجهته.



مشى عليّ بشجاعة نحو عدوّه. فابتسم عمرو عندما رآه، ورفض أن يقاتله قائلاً له بغرور إنّه ما زال شابًّا صغيراً.

لم يأبه عليّ بكلام عمرو، بل تحدّاه قائلاً: «إنّي أدعوك إلى مبارزتي راجلاً (على قدميك)».

غضب عمرو من جرأة عليّ. فترجّل عن فرسه بحركة عنيفة، ثمّ استلّ سيفه، واقترب منه بعينيه اللتين تقدحان شرراً. حاول عليّ أن يتجنّب إراقة الدماء، كما علّمه رسول الله ﷺ، وعرض على عمرو خياراً آخر، فقال: «إنّي أدعوك إلى الإسلام». فأجاب عمرو: «دع هذه». فقال عليّ: «فإنّي أدعوك إلى أن ترجع بمن يتبعك من قريش إلى مكّة». فقال عمرو: «إذاً تتحدّث نساء قريش عنّي أنّ غلاماً خدعني، وينشد الشعراء أشعاراً أنّني جَبُنتُ، ورجعت على عقبَيّ من الحرب، وخَذلت قوماً رأّسوني عليهم». عندئذٍ، تحدّاه عليّ بمبارزته، فأجابه عمرو: «ما كنت أظنّ أحداً من العرب يرومها منّي» (أي يجرؤ على طلبها منّي). ثمّ هاجم علياً بسيفه، فأصاب السيف العمامة ووصل إلى رأس عليّ. وقبل أن يقوم عمرو بهجوم آخر، رفع عليّ سيفه، وضرب عمرو. فسقط عمرو من الضربة الأولى على الأرض، ولم يتمكّن من النهوض مجدّداً.

سبّب مقتل عمرو صدمة كبيرة للمشركين الذين راقبوا المبارزة من الطرف الآخر للخندق. فشعروا بخوف كبير لدى رؤية أكبر فرسانهم يُهزم أمام أعينهم. أرسلوا جندياً آخر يبارز عليًّا، لكنّه لم يستطع أن يهزمه. ولم يجد من تحدّوه خياراً سوى الفرار.

تمتم قائد جيش الأعداء، أبو سفيان، مهزوماً: «إنّه يوم مشؤوم بالنسبة إلينا». أمّا المسلمين، فملأت الفرحة قلوبهم وأخذوا يهتفون: «الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر!».

اليوم 254

جند من رياح

من جهة، عانى المسلمون من الجوع، وقلّة النوم، والبرد. ومن جهة أخرى، كانوا في مواجهة الأعداء. دافعوا عن المدينة لعدّة أيّام في ظروف صعبة. في تلك الأثناء، استغلّ بنو قريظة، وهم اليهود الذين ما زالوا يعيشون في المدينة، هذا الوضع، وراحوا يتسبّبون بالمشاكل.

أخذ المسلمون يواجهون عدوًّا خارج المدينة وعدواً داخلها. وراحت السهام تنهال على خيمة رسول الله كالمطر. غير أنّه بقي ثابتاً على رأس جنوده. عندما اشتدّ الكرب على المسلمين، أخذوا يتساءلون كم ستدوم هذه المعركة بعد.

عندئذٍ، رفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء ودعا الله على وقع السهام: «اللهمّ منزل



الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب. اللهمّ اهزمهم وزلزلهم».

كانت ليلة مظلمة وباردة. في ساعة متأخّرة من الليل، أتى جبريل عليه السلام حاملاً البشرى إلى رسول الله. قال له إنّ الله عزّ وجلّ سيرسل العون إلى المسلمين. ففرح النبيّ ﷺ وشكر الله تعالى.

هبّت على الطرف الآخر من الخندق ريحٌ باردة وشديدة. ثمّ أخذت تزداد عنفاً. فشعر الأعداء بالخوف، واكتست وجوههم وأجسادهم بالرمال. اشتدّت الرياح حتّى اقتلعت خيم المشركين، وألقت الرعب في قلوبهم. فبدأت خيولهم تفرّ هاربة، وعجزوا عن السيطرة عليها.

شعر قائد جيش العدوّ، أبو سفيان، بالذعر. فامتطى حصانه ونادى جنوده قائلاً: «فلنغادر هذا المكان على الفور». هكذا، شتّت الله جيش العدوّ، الذي فرّ من أرض المعركة منهزماً.

وفى الله عزّ وجلّ بوعده لنبيّه. فترك المسلمون الخندق، وعادوا إلى منازلهم فرحين بالنصر. عانق الأطفال آباءهم، وشكر النبيّ الله عزّ وجلّ الذي حفظ المدينة من بطش الكفّار. فسمّيت تلك المعركة «غزوة الخندق».

اليوم 255

وجهك هو الأحبّ إلى قلبي

في أحد الأيّام، وجد المسلمون رجلاً مشركاً اسمه ثُمامة على مقربة من المدينة المنوّرة. فأسروه وأحضروه إلى مسجد رسول الله. خاف ثمامة من الموت. عندما سمع رسول الله ﷺ بخبر القبض عليه، أتى إليه وسأله: «ما عندك يا ثمامة؟» أجاب: «عندي يا محمّد خير. فإن تَقتُل تقتُل ذا دم، وإن تُنعِم تُنعم على شاكر، وإنْ كنتَ تريد المال فسَلْ منه ما شئتَ».

عاد رسول الله ﷺ إلى حجرته من دون أن يقول شيئاً.

فوجئ ثمامة بهذه المعاملة. فلو



عاد الأمر إليه، لقتل عدوّه الأسير فوراً. لكنّ رسول الله عامله بمحبّة، وأظهر له اللطف والرحمة. مرّت ثلاثة أيّام على هذه الحال والنبي ﷺ يُعرض على ثُمامة الإسلام، وثُمامة يرفض. وفي النهاية، قال النبيّ: «أطلقوه».

فتح الصحابة باب المسجد، وتركوا ثمامة يرحل. فغادر المكان حتّى من دون أن يشكرهم. لقد أدهشته المعاملة التي تلقّاها خلال هذه الأيّام الثلاثة، كما لو كان ضيف شرف. كان رسول الله يأتي إليه كلّ صباح ويسأله عن حاله، وما إذا كان يحتاج أيّ شيء. ولم يكن في سلوكه أيّ إشارة إلى الغضب أو الحقد.

فكّر ثمامة بكلّ هذه الأمور وهو جالس في بستان نخيل. أخيراً، اغتسل بماء وجده هناك، ثمّ عاد إلى المسجد. كان رسول الله موجوداً هناك. غير أنّ ثمامة الذي حاول مرّات عديدة اغتنام الفرصة لقتله، أصبح الآن مستعدًّا للتضحية بحياته من أجل إنقاذ النبيّ. فدنا منه ونظر إلى وجهه بإعجاب كبير، ثمّ قال: «أشهد أنْ لا إله إلا الله وأنّك رسول الله».

فرح النبيّ ﷺ بإسلام ثمامة الذي قال له: «لقد أصبحتُ وما وجهٌ أحبُّ إليّ من وجهك، ولا دينٌ أحبُّ إليّ من دينك، ولا بلدٌ أحبّ إليّ من بلدك».

علّمه نبيّنا الحبيب ﷺ مبادئ الإسلام، ثمّ أرسله إلى بلاده. فعاد ثمامة، فرحاً ومليئاً بالطاقة، كما لو أنّه ولد من جديد. وطوال رحلة العودة، كان يردّد أنّ هذا الدين هو أجمل الأديان، وأنّ النبيّ محمّد هو أعظم الأنبياء.

اليوم 256

العمل والكسب الحلال في سبيل الله أيضاً

مرَّ على النبي ﷺ رجلٌ شابٌّ ذو جَلَد وقوة، وقد خرج باكراً يسعى لطلب رزقه، فرأى أصحاب النبي ﷺ ما رأوا من قوته ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا النشاط والقوة في سبيل الله!

فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا هذا، فإنه إنْ كان يسعى على نفسه ليكفّها عن المسألة، ويغنيها عن الناس، فهو في سبيل الله، وإنْ كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرّية ضِعاف ليُغْنِيَهم ويكفيهم، فهو في سبيل الله».

وقد أمرنا الرسـول الحكيـم بالعمل والتوكل على الله حقّ توكلـه، أي: أن نحزم أمرنا على العمل، ونُشَمِّر عن سـواعد الكد، ثم نتوكّل على الله ونباشر أعمالنا بجد ومثابرة، فالتوكل ليس معناه التواكل والقعود والكسل!

وحثّ الرسـول ﷺ المسـلمين على العمل والتكسُّـب مـن كل الأعمال النافعـة من زراعة وتجارة وصناعة، وغير ذلك من الأعمال التي تجلب الرزق الحلال الوفير لمن يقوم بها وللناس جميعاً..

اليوم 257

أطيب الكسب عمل الرجل بيده

خرج رسول الله ﷺ يوماً مع بعض الصحابة إلى السوق ليشتروا بعض الأغنام، فقال رسول الله ﷺ ناصحاً لهم: «عليكم بالأسود منه، فإنه أطيبه»، فقال الصحابة: وهل كنت ترعى الغنم يا رسـول الله؟ فقال رسـول الله ﷺ: «نعم، كنتُ أرعاها على قراريط لأهـل مكة، ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم».

ودعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى العمل ليعتمدوا على أنفسهم في كسب معيشتهم، فقال: «ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده».

وقـد وعـى الصحابة هذا الإرشـاد النبوي، فعملـوا في مختلف الأعمال للكسـب الحلال، وكان أبـو بكر الصديـق يعمل في التجارة، وكان بزّازاً يبيع الثياب، وقد خرج إلى السـوق يحمل أثوابـاً ليبيعهـا بعدما بويع بالخلافة، فلقيه عمـر بن الخطاب وطلب منه أن يتفـرّغ لمهمـات الخلافـة، فقـال له أبـو بكر: ومِـن ماذا أنفق على أهلي؟ إني إنْ أضعتهم فأنا للمسـلمين أضيعُ! ففـرض له المسـلمون من بيت المال ما يغنيه عن العمل.



وسـيدنا عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عـوف كانا من كبار التجار، وكان سـعد بن أبي وقـاص يبـري النبـال، وكان عمرو بـن العاص جزّاراً، وهكذا باقي الصحابة رضوان الله عليهم.

اليوم
258

الشوق إلى الكعبة

مرّت ستّ سنوات على هجرة النبيّ ﷺ إلى المدينة المنوّرة. في تلك الأثناء، لم يكن المشركون يسمحون للمسلمين بدخول مكّة. غير أنّهم اشتاقوا كثيراً إلى المدينة التي وُلدوا وترعرعوا فيها، وإلى الكعبة المشرّفة. أدرك رسول الله ﷺ ذلك، لكنّه كان ينتظر إذناً من الله، ومجيء الوقت المناسب للذهاب إلى مكّة.

رأى في أحد الأيّام حلماً قام فيه بزيارة الكعبة مع الصحابة. فروى لهم الحلم في اليوم التالي. فرحوا كثيراً لأنّ أحلام النبيّ تتحقّق، ولا بدّ أن يتحقّق هذا الحلم أيضاً. امتلأت قلوبهم بأمل رؤية الكعبة المشرّفة ومكّة المكرّمة مجدّداً. فالحلم الذي رآه النبيّ ﷺ كان إشارة إلى أنّ الله عزّ وجلّ يعطيه الإذن بالذهاب إلى مكّة.

أمر رسول الله الصحابة بالاستعداد للانطلاق. وأكّد عليهم الذهاب عزّلاً، من دون أسلحة. فبدأ الصحابة يعدّون العدّة. زيّنوا الجِمال بالأقمشة الملوّنة والزهور. واصطحب الرسول معه زوجته أمّ سَلَمة. قبل بدء الرحلة، قال عمر: «يا رسول الله! لقد أعلنوا علينا الحرب، ونحن ذاهبون بلا أسلحة. ماذا لو آذونا؟ ألا يجدر بنا أن نأخذ أسلحتنا؟» غير أنّ رسول الله ﷺ رفض قائلاً إنّه لا يبغي سوى زيارة الكعبة، ولن يحمل معه أيّ سلاح.

انطلق المسلمون إلى مكّة في وفد كبير. وبعد رحلة طويلة، وصلوا إلى مكان قريب من مكّة. أخذوا يردّدون بصوت واحد: «الله أكبر! الله أكبر! لبّيك اللهمّ لبّيك!».



سرعان ما وصل الخبر إلى قريش: «محمّد آتٍ مع جمع غفير إلى الكعبة». وانتشر هذا الخبر كالنار في الهشيم. فثارت ثائرة الكفّار وصاحوا قائلين: «لن نسمح لهم بدخول مكّة ورؤية الكعبة».

حزن رسول الله عندما بلغه قرار قريش. فنيّته لم تكن الحرب بل السِلم. وهو لا يسعى إلى زيادة الأحقاد، بل يرغب في التوصّل إلى اتّفاق.

حزن الصحابة هم أيضاً. فقد ذابت قلوبهم شوقاً إلى الكعبة. بيد أنّهم جلسوا بلا حول ولا قوّة، ينتظرون أن تتغيّر الأمور. كان بإمكانهم رؤية الكعبة من بعيد وكأنّها ألماسة سوداء. وشعروا أنّهم على استعداد لفعل أيّ شيء لمجرّد الاقتراب منها ولمسها بأيديهم ووجوههم. لكن لم يكن أمامهم خيار سوى الدعاء والتحلّي بالصبر.

اليوم 259

قصواء لن تدخل مكّة

توقّف رسول الله ﷺ مع الصحابة بالقرب مكّة، في مكان يدعى الحديبية. انتظر معهم في ذلك المكان لعدّة أيّام، غير أنّ قريشاً لم تسمح لهم بدخول مكّة. كان في ذلك الموقف ظلم كبير.

أراد رسول الله ﷺ أن يعرف رأي الصحابة بالخطوة التالية. فربّما كان بينهم من يفضّل العودة إلى المدينة المنوّرة. فأجابوه بثقة وشجاعة: «يا رسول الله! لم نأت إلى هنا لإراقة الدماء، بل لأداء العمرة. وإن كانت قريش ستمنعنا من ذلك، فإنّنا لن نتراجع، بل سنقاوم حتّى النهاية».

فرح رسول الله ﷺ بموقف الصحابة. فوقف ودعاهم للسير إلى مكّة.

توجّه الجميع إلى مكّة وهم يكبّرون، يسبقهم حنينهم إلى رؤية الكعبة. في تلك الرحلة، كان النبيّ يمتطي ناقته قصواء. لكن عندما أوشك المسلمون على دخول مكّة، بركت قصواء، ورفضت النهوض. اجتمع الصحابة حولها، وبذلوا جهداً كبيراً لجعلها تقف وتتابع رحلتها، لكن عبثاً.

قال بعضهم: «خلأت القصواء!» (أي أنّها تعاندهم). لكنّ رسول الله قال: «ما خلأت القصواء، وما ذلك لها بخُلُق، لكن حبَسَها حابِسُ الفيل». وكان رسول الله يعني بذلك أنّ العناد ليس من عادتها، غير أنّ الله هو الذي منعها من دخول مكّة، تماماً مثلما منع فيلة جيش أبرهة من دخولها في الماضي.



اقترب رسول الله من ناقته ومسح على عنقها بعطف، كما تحدّث معها بصوت حنون. فوقفت ومشت ببطء باتجاه الحديبية. تبعها المسلمون إلى أن توقّفت وبركت مجدّداً بالقرب من ساقية. فنصب رسول الله والصحابة مخيّماً هناك، وقرّروا الانتظار.

اليوم 260

ماء يتفجّر من بئر جافّ

كانت الحديبية منطقة خالية من الماء. أخذ الصحابة يبحثون عن مصدر للماء العذب هنا وهناك. عندما رآهم رسول الله ﷺ يركضون من مكان إلى آخر، سألهم عن السبب. فأجابوه قائلين: «لقد انتهى أمرنا يا رسول الله. فقد نفد منّا الماء، ولم يعد بإمكاننا الشرب أو الوضوء».

كان ثمّة بئر جافّ على مقربة من مخيّم المسلمين. عندما رآهم رسول الله ﷺ على هذه الحالة، دعا الله عزّ وجلّ. ثمّ أخذ بعضاً من الماء الذي أحضروه معهم، وقال باسم الله، ثمّ سكبه في البئر. على أثر ذلك، حدثت معجزة! إذ فاض البئر بماء عذبٍ وصافٍ.

اجتمع الصحابة مدهوشين حول بئر الماء. فشربوا منه حتّى ارتووا، وتوضّأوا، وملأوا أوعيتهم، كما سقوا الدواب. ولم ينسوا أبداً طعم الماء العذب الذي تفجّر من ذلك البئر الجافّ على يدي رسول الله.

اليوم 261

دهشة عروة الثقفي

انتظر رسول الله ﷺ مع الصحابة في الحديبية وصول أخبار من مكّة تعطيهم الإذن لدخول المدينة. غير أنّ قريشاً اتّخذت موقفاً متصلّباً، وأجبرت المسلمين على الانتظار. فتبادل الطرفان السفراء في محاولة للتوصّل إلى اتّفاق.

كان عروة الثقفي أحد سفراء قريش إلى الحديبية. ذهب لإقناع المسلمين بالتراجع، وكان شديد الثقة بنفسه. عندما وصل إلى مخيم المسلمين، استقبله رسول الله ﷺ بوجهه الباسم. فجلس بقربه وبدأ يتحدّث. كان سلوكه وأسلوبه في الحديث فظّاً. وبعد مدّة من الوقت، أدرك أنّ عليه أن يتعامل مع النبيّ باحترام أكبر، نظراً إلى التقدير الكبير الذي يكنّه الصحابة له. فعندما يتحدّث النبيّ، يصغون إليه وكأنّ على رؤوسهم الطير. ولا تفوتهم كلمة واحدة من حديثه.



وعد عروة المشركين أنّه سيخبرهم بكلّ ما يراه أو يسمعه من المسلمين. لذلك، عندما كان بينهم، أخذ يسجّل كلّ شاردة وواردة. وعندما عاد إلى مكّة، قال لأصحابه: «أيْ قوم، والله لقد وُفِدتُ على الملوك كسرى، وقيصر، والنجاشي. والله ما رأيت ملكاً يعظّمه أصحابُه كما يعظّمُ أصحابُ محمّدٍ محمّداً». فقال له قادة قريش: «أوضح لنا ما تعنيه». قال عروة: «والله ما يشدون إليه النظر، وما يرفعون عندَه الصوتَ، وما يكفيه إلاّ أن يشيرَ إلى أمرٍ فيُفعل... وما يتوضّأ إلاّ ازدحموا عليه أيُّهم يظفَرُ منه بشيء. وقد عرض عليكم خطّة رشدٍ فاقبَلوها».

غير أنّ قريشاً لم تأخذ بنصيحته، بل رفضت بعناد طلب النبيّ الدخول إلى مكّة. مع ذلك، لم تنسَ كلام عروة.

اليوم 262

بَيعة تحت شجرة

استمرّ الانتظار في الحديبية لأيّام. وبحث النبيّ ﷺ عن طرق لدخول مكّة من دون حدوث مشاكل. من أجل ذلك، أرسل عثمان، الذي يكنّ له محبّة كبيرة، سفيراً إلى قريش.

كان عثمان رجلاً محترماً لدى قريش. عندما ذهب إلى وجهاء مكّة، أخبرهم أنّ هدف المسلمين ليس الحرب، بل السلام. وطلب منهم السماح للمسلمين بأداء العمرة. غير أنّ المشركين لم يتخلّوا عن عنادهم، بل قالوا إنّهم لن يسمحوا لمحمّد أبداً برؤية الكعبة. بالإضافة إلى ذلك، احتجزوا عثمان لديهم ثلاثة أيّام.

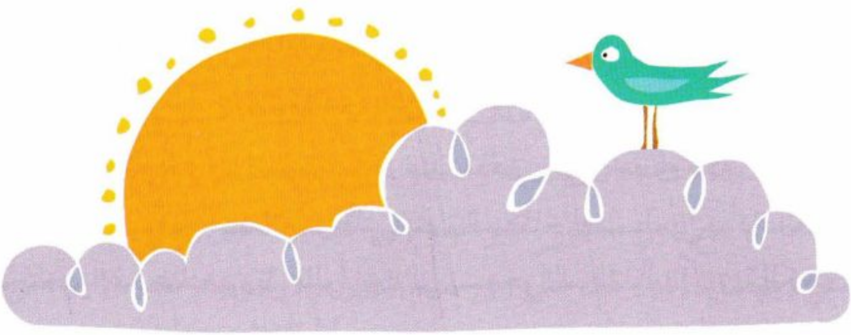


قلق المسلمون الذين فقدوا اتّصالهم بعثمان. وسرت شائعة أنّه قُتل. فحزنوا حزناً شديداً، وشعر النبيّ ﷺ نفسه بالقلق. إن قُتل عثمان فعلاً، فهذا يعني أنّ الخيار الوحيد المتبقّي هو الحرب. وهذا ما سعى رسول الله إلى تفاديه. فقد أراد أن يكون الصحابة مستعدّون على الأقلّ للدفاع عن أنفسهم قبل خوض معركة مع المشركين.

كانت تلك أيضاً رغبة الله عزّ وجلّ. وكانت تلك الأحداث تدور في أوائل أيّام الربيع. في ذلك الحين، بدأت الأزهار تتفتّح على الأشجار وبين الأعشاب. فجمع رسول الله ﷺ الصحابة تحت شجرة، وطلب منهم مبايعته. في تلك البيعة، تعهّد المسلمون بالبقاء متوحّدين في جميع الظروف، والدفاع عن بعضهم وعن نبيّهم. فتقدّم الصحابة واحداً تلو الآخر، وقطعوا على أنفسهم ذلك الوعد.

أقسم المسلمون على اتّباع أوامر الله ورسوله، وعدم الفرار من وجه المشركين، ومواجهة كلّ الأحداث بصبر وشجاعة. سمّيت تلك البيعة «**بيعة الرضوان**»، لأنّها أرضت الله سبحانه وتعالى.

عندما سمع المشركون أنّ الصحابة لن يتخلّوا عن رسول الله ﷺ تحت أيّ ظرف، انتابهم القلق والخوف. فعندما يتّحد المسلمون حول النبيّ، يمكنهم فعل أيّ شيء. عندئذ، أطلقوا سراح عثمان، بعدما احتجزوه ثلاثة أيّام. فعاد مسرعاً إلى رسول الله ﷺ، وفرح الجميع برؤيته حياً يرزق. احتضنوه بفرح كبير وسألوه ما إذا تمكّن من زيارة الكعبة المشرّفة. فأجابهم أنّه لو بقي هناك عاماً كاملاً، ما كان ليزور الكعبة والنبيّ ينتظر هنا بشوق كبير إليها.



اليوم
263

معاهدة الصلح

شعرت قريش بالقلق، فالنبيّ ﷺ ما زال ينتظر في الحديبية مع أصحابه. أمام هذا الوضع، لم يعد أمامهم سوى قبول العرض بعقد صلح.

مع نهاية اليوم العشرين، أرسلوا سفيراً إلى المسلمين يدعى سهيلاً. جلس سهيل أمام رسول الله ﷺ، وقدّم إليه معاهدة الصلح. بعد ذلك، قرأ البند الأوّل في الاتّفاق: إيقاف الحرب بين المسلمين وقريش لمدّة عشر سنوات.

كان هذا التطوّر إيجابياً، لأنّ المشركين كانوا دائماً هم البادئين بالمعارك. أمّا رسول الله ﷺ، فكان دائماً إلى جانب السلم والأخوّة. بعد ذلك، قرأ عليهم البند الثاني: رجوع رسول الله هذا العام، وعدم دخول مكّة حتّى العام القادم. عندئذ، يمكن للمسلمين أن يزوروا الكعبة من دون أن تتعرّض لهم قريش، شرط ألاّ يمكثوا أكثر من ثلاثة أيّام.

عندما سمع الصحابة بذلك، نظروا إلى بعضهم متعجّبين. فما الذي يمنع أن يزوروا الكعبة الآن بما أنّهم على أبواب مكّة. غير أنّ رسول الله ﷺ قبل بالشروط التي فرضتها قريش. فتلك الهدنة بين الطرفين، وإن كانت مجحفة بحقّ المسلمين، إلاّ أنّها مهمّة. على هذا الأساس، وقّع الطرفان على المعاهدة.

بعد ذلك، بدأ المسلمون يستعدون للعودة. كانوا مجبرين على مغادرة المكان، مع أنّهم يتوقون لرؤية الكعبة. فوجئ المسلمون، وشعروا بالحزن بسبب الشروط الظالمة. وكان عزاؤهم الوحيد هو أنّ رسول الله ﷺ قبل بها. بالطبع، هو أعلم بما يفعل.

في طريق العودة إلى المدينة المنوّرة، أتت البشرى لرسول الله. فقد أنزل عليه جبريل عليه السلام الآية الكريمة: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾. وهذا يعني أنّ كلّ الحواجز أمام السلام قد رُفعت، وأنّ أبواب النصر فُتحت. بالتالي، فإنّ حلم نبيّنا الحبيب سيتحقّق قريباً، وسيتمكّن المسلمون من فتح مكّة المكرّمة.

مع أنّ شروط صلح الحديبية لم تكن في صالح المسلمين، وصعب عليهم تقبّلها، إلاّ أنّها شكّلت محاولة لإحلال السلم. كانت البداية. فمن وقفوا في وجه رسول الله ومنعوه من دخول مكّة، وافقوا على عودته، حتّى لو بعد عام. هكذا لاحت في الأفق بشائر السلام، والأخوّة، والنصر.

اليوم
264

رسائل النبي ﷺ إلى ملوك الأرض

أُرسل رسول الله ﷺ إلى العالم أجمع، والدين الذي أتى به هو دين كوني. فالإسلام لم يفرّق بين اللغات، أو الألوان، أو الأعراق، بل شمل جميع البشر.



بعدما عقد رسول الله ﷺ هدنة مع قريش، شعر جميع المسلمين بالراحة والاطمئنان. فحتى لو كان الاتّفاق مؤقتاً، إلاّ أنّه إيجابي. أراد رسول الله ﷺ أن يستفيد الناس من هذا السلام. فجمع الصحابة وقال لهم إنّ الله عزّ وجلّ قد أرسله نبيًّا إلى البشرية جمعاء. وطلب منهم مساعدته على نشر هذا الدين الجميل في كافة أنحاء العالم. فوافق الصحابة وأخبروه أنّهم يؤيدونه ويدعمونه في كلّ ما يأمر به.

أمام هذا الموقف، طلب رسول الله أن تُكتب رسائل إلى كافة زعماء العالم. في تلك الرسائل، شرح النبيّ ﷺ مبادئ الإسلام، ودعا أولئك الزعماء إلى اعتناق دين الله. بعد ذلك، اختار أشخاصاً معيّنين لإيصال تلك الرسائل إلى أصحابها. وكان أولئك الأشخاص يتقنون لغات أجنبية.

ولمّا أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم، قال له الصحابة: إنهم لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً. فاتّخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة، ونقشه (محمد رسول الله)، ليختم به رسائله إلى الملوك.

اليوم
265

ابنة قائد الأعداء

كان لدى أبي سفيان ابنة ذكية ولامعة تكنّى بأمّ حبيبة. خلافاً لأبيها، أحبّت رسول الله ﷺ، وآمنت بدين الإسلام. لذلك، سبّب لها والدها وغيره من المشركين الكثير من المشاكل. وبذلوا ما في وسعهم لمنعها من اعتناق هذا الدين.

غيـر أنّ أمّ حبيبـة واجهـت كلّ هـذه المصاعـب بصبر كبيـر، ولم تُـدِر ظهرها للإسـلام. وفي النهاية، هاجرت مع مسلمين آخرين إلى الحبشة. عاشت هناك لمدّة طويلة. واشتاقت لأصدقائها، وأقربائها، لا سيّما لرسول الله ﷺ. بعد مدّة من الزمن، توفّي زوجها، وأصبحت وحيدة تماماً. كانت بحاجة إلى شخص يحميها ويكفلها.

بعـد فتـرة، أخذ يراودهـا حلم متكـرّر. كانت ترى فيه شـخصاً يدعوهـا «يا أمّ المؤمنيـن». لم تفهم معنى الحلم، وظلّت عيناها متعلّقتان بالأفق. راحت تفكر بالمكان الـذي ولدت وترعرعت فيـه، وبذكريات طفولتها، وبنبيّها الحبيب. وحزنت كثيراً بسـبب بعدها عنه وعن بقيّة المسلمين.

غيـر أنّ اللـه عـزّ وجلّ لا يترك عبـاده يواجهون مصيرهـم بمفردهم، لا سـيّما أمّ حبيبة التي عانت الكثير في سـبيل دينها. فأمر رسـولَه أن يكفل أمّ حبيبة ويتزوّج بها. عندئذٍ، أرسـل رسـول الله ﷺ شـخصاً يبلغ أمّ حبيبة بذلك. فلم تصدّق ما سـمعت. لقد تلقّت عرضاً للزواج من مكان بعيد جدًّا، من المدينة المنوّرة. ولم يكن هذا العرض من أيّ رجل، بل من النبيّ وبأمر من الله.

تضاربـت مشـاعر أمّ حبيبـة بيـن التوتّر، والفـرح، والمفاجأة. فهـي ابنة عدوّ الإسـلام، أبي سفيان، الذي تسبّب بمقتل مئات المسلمين. كما بذل ما في وسعه لقتل رسول الله.

إلاّ أنّ نبيّنـا الحبيـب ﷺ لـم يكـن يحمل في قلبـه حقداً تجـاه أحد. ولا يحمّل شـخصاً ما مسـؤولية أخطاء شـخص آخـر. وهذا هو العـدل بعينه. نبـيّ المحبّة والرحمة يفتـح ذراعيه لكلّ المؤمنين. هكذا فهمت أمّ حبيبة مجدّداً عظمة هذا الرجل.

طلب رسـول الله ﷺ من النجاشـي إرسـال أمّ حبيبـة إلى المدينة المنـوّرة. فأمر الملك من خدمه القيام بكلّ الاسـتعدادات. إذ أراد من كلّ قلبه أن يجتمع المسلمون مع نبيّهم. هكذا وضع المسـلمين على متن سـفينة، وأرسلهم إلى المدينة المنوّرة. أخذ قلبُ أمّ حبيبة ينبض فرحاً. فهي على وشك الزواج من نبيّ هذا الأمّة. وقد فهمت الآن معنى حلمها. فزوجات رسول الله يعتبرن أمّهات المؤمنين. وبذلك ستبدأ حياة جديدة.

اليوم 266

ردّ الملك هرقل

كان لا بـّد من أن ينتشـر الإسـلام في جميع أنحـاء العالم، ليضع حدًّا للبـؤس والظلم على

وجه الأرض. لهذا السبب، أخذ رسول الله ﷺ يبعث برسائل إلى قادة العالم، بعد أن طلب من الصحابة كتابتها. كلّف النبيّ دحية بإيصال إحداها إلى هرقل، ملك الروم، في بيزنطة.

امتطى دحية فرسه، وانطلق بسرعة البرق. عبر الجبال، والصحارى، والسهول إلى أن سلّم الرسالة إلى ملك الروم. فتح هرقل الرسالة وقرأها، ثمّ بدأ على الفور بالتحقّق من هويّة المرسل. فقد أراد أن يتأكّد من صحّة نبوّة هذا الشخص الذي يدعوه إلى دين جديد.

في ذلك الوقت، كان أبو سفيان ما زال مشركاً وسيّداً لقريش. وصدف أن كان في زيارة إلى الشام لأغراض تجارية. عندما عرف هرقل بذلك، طلب من رجاله إحضار أبي سفيان إليه. ثمّ طرح عليه بعض الأسئلة عن هذا الدين الجديد والنبيّ الذي أتى به: «سمعتُ أنّ فيكم رجلاً يدّعي النبوّة. وأودّ أن أطرح عليك بعض الأسئلة، لكن إيّاك والكذب».

شعر أبو سفيان بالخوف أمام هذا التهديد. وقرّر أن يقول الحقيقة عن النبيّ، حتّى لو لم يشأ ذلك. سأله هرقل: «كيف نسبه فيكم؟».

أجاب أبو سفيان على مضض: «هو فينا ذو نسب» (أي ذو نسب عريق).

تابع هرقل: «فهل كنتم تتهمّونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟» أجاب أبو سفيان: «لا».

قال هرقل: «فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟» أجاب أبو سفيان: «بل ضعفاؤهم». قال هرقل: «أيزيدون أم ينقصون؟» أجاب أبو سفيان: «بل يزيدون». فسأله الملك: «فهل يغدر؟» قال أبو سفيان: «لا». كان الرجل الذي يستجوبه الملك أكبر عدوّ لرسول الله. غير أنّه قرّر قول الحقيقة لأنّه خاف أن يكذب على الملك.



فكّر هرقل جيّداً، ثمّ سأله: «ماذا يأمركم؟» أجاب أبو سفيان: «يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة». عندئذٍ، صمت هرقل لبعض الوقت، ثمّ قال: «فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ. فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ، لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ».

عندما سمع أبو سفيان هذا الكلام من فم هرقل، شعر بقلق كبير. فخرج إلى أصحابه، وقال لهم إنّ محمّداً قد تمادى بهذه المسألة إلى حدّ أنّ أعظم الملوك باتت تخافه.

بدأ الإسلام ينتشر الآن في العالم. وراح المشركون يتابعون بقلق أخبار انتشار الدين الذي حاربوه. لم يعد بإمكانهم مقاومة هذا الدين العظيم، بل وقفوا مكتوفي الأيدي يتابعون التطوّرات.

اليوم
267

هرقل وضَغاطر

فرح هرقل كثيراً بالرسالة التي استلمها من رسول الله. وآمن أنّ محمّداً نبيّ مرسل. فجمع رجاله وأخبرهم بالدعوة التي تلقّاها قائلاً: «يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد وأن يثبُت لكم مِلكُكم فتبايعوا هذا النبيّ».

غير أنّ رجاله وقفوا ضدّه. أخذوا يتهامسون، ثمّ ارتفعت الأصوات تدريجيًّا. فخاف هرقل على عرشه أمام هذا الموقف المتشدّد من رجاله، وقرّر إغلاق الموضوع. إلاّ أنّه أخذ الرسالة التي تلقّاها من نبيّنا الحبيب، ولفّها بقماش حريري، ثمّ وضعها في علبة ذهبية وخبّأها في مكان آمن. وظلّ يعتقد أنّ مُلكه باقٍ ما دامت هذه الرسالة معه.

أمر هرقل بإرسال هدايا قيّمة إلى النبيّ محمّد ﷺ. وسلّم الرسالة والهدايا إلى دحية، وقال له: «والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، وأنه الذي كنا ننتظره، ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتّبعته». ثمّ أوصاه بالذهاب إلى ضغاطر، أحد رجال الدين الموقّرين.

كان ضغاطر كاهناً، لذلك فهم كلّ ما تحدث عنه رسول الله في رسالته. قال بعدما قرأها: «صاحبك والله نبيّ مرسل، نعرفه في صفته، ونجده في كتابنا باسمه». ثمّ خلع ملابسه السوداء، ولبس ثياباً بيضاء.



بعد ذلك، خرج على الناس المجتمعين في الكنيسة، وقال لهم من دون أيّ تردّد: «يا معشر الروم! إنّه قد جاءنا كتاب أحمد، يدعونا فيه إلى الله، وإنّي أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ أحمد رسول الله». غضب الحاضرون وثاروا في وجه ضغاطر. أمّا رجل الدين، فقد شعر بالارتياح لأنّه أعلن الرسالة التي تلقّاها من رسول الله.

بالطبـع، كان مـن المتوقّـع أن يتمـرّد البعض على هـذه الدعـوة، وأن يقبلها البعض الآخر. لكنّ ذلك الرجل الشجاع كان مستعدًّا لمواجهة غضب الناس بعد أن اجتمع بقلبه وروحه بالنبيّ محمّد.

اليوم 268

المقوقس، ملك مصر

استمرّ رسول الله ﷺ بإرسال الرسائل إلى ملوك العالم، ومن بينهم المقوقس، ملك مصر. كلّف رسـول الله الصحابي حاطب بإيصال تلك الرسـالة. ما إن اسـتلمها المقوقس، حتّى طلب من رجاله قراءتها له. بعد ذلك، قال لحاطب: «كنّا نتوقع ظهوره قريباً، لكنّنا لم نعتقد أنّه سيظهر في مكّة بل في الشام».

بعد ذلك، أخذ رسـالة النبيّ ووضعها في صندوق عاجي، ثمّ خبّأها. بعد ذلك، وأرسل إلى رسول الله ﷺ بعض الهدايا، من بينها مارية القبطية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، لكنه للأسف لم يؤمن بدين الإسلام!

لـم يكـن للهدايا ولا لتلـك الثروة أهمّية بنظر رسـول الله. فقد خسـر المقوقس أعظم ثروة في العالم، ألا وهي الإيمان بالله ورسـوله. حزن رسـول الله بسبب تردّد المقوقس وأشفق عليه. فملك مصر لم يستطع التضحية بعرشه، إلاّ أنّ هذا المُلك الغالي على قلبه لن يدوم له طويلاً.



بعـث رسـول اللـه ﷺ أيضـاً برسـائل إلـى كسـرى ملـك الفـرس، وإلى حاكـم اليمن داعيـاً إيّاهما إلى الإسـلام. وأوصـل أخبار هذا الديـن الجميل إلى كلّ بقـاع الأرض. فاعتناق الإسـلام هو أغلى من أعظـم المناصـب فـي العالـم. ومن فهمـوا ذلك، ضحّـوا بـكلّ شـيء ليصبحوا مسـلمين، وأدركـوا أنّهـم امتلكوا بذلـك أثمن الكنـوز. أخذ عدد المسـلمين يتزايد يوماً بعد يوم. وذاع اسـم رسـول الله في كلّ أنحاء العالم. فأخذ العالم القديم يتعرّف تدريجيًّا على خاتم النبيّين.

اليوم
269

أسدٌ يدلّ الصحابيّ على الطريق



خـرج النبـيّ ﷺ يوماً مـع صحابته في سـفر، وكان هناك رجـل من بينهم تطـوع أن يحمـل الأغراض التي يتعـب أصحابها عن حملهـا، فحمل حتى حمل على ظهره أغراضاً كثيرة، فمازحه النبي ﷺ قائلاً: «أنت سفينة»، ومن يومها أصبح اسمه بين الناس سفينة.

وفـي أحد الأيام ركب الصحابي سـفينة في مركب بالبحـر، فتحطم المركب! فركب سفينة على أحد ألواحه حتى وصل إلى جزيرة، وفجأة ظهر أمامه أسد. شعر سـفينة بالذعـر، ولـم يعرف ماذا يفعـل. راح يرتعد خوفاً، وأدرك أنّ الأسـد الجائع سـيلتهمه بكلّ سـهولة. راح الأسـد ينظر إليه بشـهية كبيرة. فبحث سـفينة عن مهرب، لكنّه لم يجد سبيلاً إلى ذلك.

فكّـر برسـول الله، وعـرف أنّه لن يتمكّـن من تأدية المهمّـة التي أوكله بها. فنظـر إلى عيني الأسـد وقال: «يا أبا الحارث، أنا سـفينة مولى رسـول الله ﷺ». نظر إليه الأسـد وأصدر أصواتاً غير مفهومة.

نظر الأسـد مطوّلاً إليه، ثمّ اقترب منه، وبدأ يدفعه بمنكبيه ليمشـي سـفينة باتجاه معين. تبع سـفينة الأسـد كما لو كان دليلـه في البادية، ومشـى خلفه مسـافة طويلة. بعـد مدّة من الوقـت، تبيّن طريقه. ففرح كثيراً، وسـار باتجـاه البلد التي كان يقصدهـا، بينمـا ذهب الأسـد في سـبيله. إن صحّ ذلك، فـلا بـدّ أن يكون قد عرف رسـول الله، شـأنه شـأن كلّ المخلوقـات على وجـه الأرض. وإجـلالاً لنبيّنـا الحبيـب، لـم يتعرّض لصاحبه بأيّ أذى.



اليوم 270

الرسول ﷺ يكافح الغلاء

وقف رسول الله ﷺ يوماً في سوق المدينة وقال ناصحاً التجار: «لا تلقوا الركبان لبيع، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، ولا تناجشوا، ولا يبيع حاضر لباد».

لا يريد الرسول ﷺ غلاء الأسعار، لذلك نهى أن يسارع التجار إلى القافلة قبل دخولها إلى المدينة ليشتروا منها البضائع ثم يبيعونها بأثمان غالية، فيصبح بعد ذلك الفقراء عاجزين عن شراء ما يحتاجون إليه، وقد أثّر هذا النهي في هبوط أسعار البضائع في المدينة.

وحثّ رسول الله ﷺ البائعين على احترام بعضهم لبعض، فإنْ باع أحدهم بسعر فعلى الآخر ألاّ يحاول أن يقنع المشتري على فسخ البيع والشراء منه بسعر أدنى، مما يولّد البغضاء والانقسام وعدم الاستقرار.

اليوم 271

الخاتم البرّاق

أُمامة هي حفيدة رسول الله ﷺ، وقد أحبّها كثيراً. عندما كان يصلي، كانت الفتاة الصغيرة تقترب منه وتجلس على حضنه. وعندما يسجد، تصعد على ظهره. غير أنّ النبيّ لم يكن يغضب منها، بل يتابع صلاته.



كان يوصي الآباء بتقدير بناتهم، وعدم النظر إليهنّ باستخفاف. وغالباً ما كان يقول لهم: «لا تكرهوا البنات، فإنهنّ المؤنسات الغاليات».

مع الوقت، كبرت أُمامة وبلغت سنّ العاشرة. واستمرّ رسول الله في معاملتها بالحبّ والتفهّم نفسه كما في طفولتها. فكان يبذل ما في وسعه لإسعادها. في أحد الأيّام، وصلته هدية من ملك الحبشة، الملك النجاشي. وكانت عبارة عن خاتم ذهب مزيّن بفص حبشي.

رأت أُمامة الخاتم، وأحبّته على الفور. لم تستطع إبعاد نظرها عنه، فقد أسرها لمعانه وانعكاس الضوء عليه. أدرك رسول الله أنّ أمامة أُعجبت بالخاتم. فناداها، وقدّمه إليها هدية. فرحت الفتاة الصغيرة كثيراً بهدية جدّها وقبلتها بسرور.

عامل رسول الله جميع الأطفال وكأنّهم أولاده. لم يفرّق بين ابنته، أو حفيدته، أو بنات الآخرين. بل عامل الجميع بالكرم والمحبّة نفسها.

شكرت أمامة جدّها كثيراً. فقد أدركت مدى كرمه ومحبّته لها، واحتفظت بتلك الهدية القيّمة طوال حياتها.

اليوم 272

أجمل هدية

اعتاد الصحابة على تحمّل كلّ الصعاب في سبيل الله من دون تذمّر. عندما كانوا يذهبون في رحلات طويلة وشاقّة مع النبيّ، كانوا يراقبون سلوكه، ويصغون إلى حديثه من دون ملل. بهذه الطريقة، يصلون إلى نهاية رحلتهم من دون أن يشعروا بالتعب.

في إحدى تلك الرحلات، كانت القافلة تتقدّم ببطء في الصحراء الشاسعة. ولم يكن يُسمع أيّ صوت حول المسافرين، بل خيّم السكون التامّ.



لم يكسر الوتيرة البطيئة لتقدّم القافلة سوى جمل واحد. مشى ذلك الجمل، وعلى ظهره رجل شابّ، أمام كلّ الجمال الأخرى. فأخذ أفراد القافلة يحذّرون الشابّ قائلين: «لا تُسرع، ولا تسبق رسول الله!» لكن مهما حاول الشابّ، لم يستطع إجبار جمله على الانصياع له. فكان الجمل يتقدّم دائماً بقيّة الجِمال، في حين يتلقّى صاحبه التوبيخ.

فهم رسول الله ﷺ أنّ الشابّ يواجه وقتاً عصيباً مع دابّته. عندما استراحت القافلة،

دنا منه وسأله ما إذا كان هذا الجمل السريع ملكه. أجاب الشابّ: «أجل، يا رسول الله». فسأله النبيّ ما إذا كان يرغب في بيعه له. فوافق بكلّ سرور، وباع الجمل إلى النبيّ ﷺ. بعد ذلك، التفت النبيّ إلى الشابّ وقال له إنّه يقدّم إليه هذا الجمل هدية، ويستطيع ركوبه كيفما يشاء.

فوجئ الشابّ، وعجز عن الكلام. فقد أُعجب كثيراً بتصرّف رسول الله لأنّه أنقذه بذلك من توبيخ أفراد القافلة. وكانت تلك أجمل هديّة حصل عليها في حياته.

اليوم
273

الرفق بالحيوان

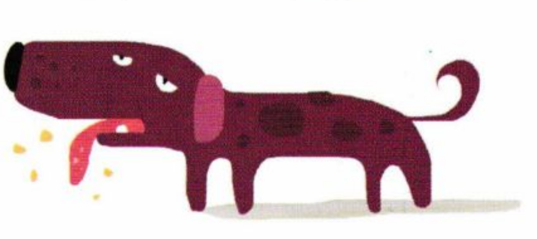
عطف رسول الله ﷺ على كلّ المخلوقات، سواء كانت أم لا، وأوصى الناس بها خيراً. كان حبّه كبيراً للأشجار، والحيوانات، وبني البشر، ولكلّ مخلوقات الله. ولم يعتد أن يرهق الحيوانات التي يركبها أو يؤذيها. فإن مرّ في أسفاره بحقول خضراء، كان يتوقف لكي يترك الدواب ترعى وتستريح.

في أحد الأيّام، مرّ بجمل نحيل جدًّا. عندما رأى النبيّ ﷺ، دمعت عيناه. فقال رسول الله لصاحب الجمل: «أفلا تتَّقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إيّاها، فإنه شكى إليَّ أنك تجيعه وتدئبه».

سأل الصحابة رسول الله ﷺ يوماً: «يا رسول الله، وإنّ لنا في البهائم أجراً؟» فأجابهم: «في كلّ ذات كبدٍ رطبة أجر».

ثمّ روى لهم قصّة حصلت قديماً. «بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب وخرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، حتى رَقِي، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له».

كان لتلك القصّة أثر كبير في نفوس الصحابة. فقد أدركوا أنّ الله عزّ وجلّ لا يترك عملاً صالحاً، حتّى لو كان تجاه كلب أو نملة، من دون أن يجزي صاحبه الثواب. قد يعفو الله عن الذنوب بسبب عمل بسيط يقوم به الإنسان تجاه حيوان. لهذا السبب، كان رسول الله يذكّرهم دائماً: «إذا أراد اللَّهُ عزَّ وجلَّ بِأهْلِ بيْتٍ خيْرًا أدْخل عليْهِمُ الرِّفْقَ».





منذ أن سمع الصحابة هذا الحديث، حرصوا على طاعته. فلم يتجرّؤوا يوماً على إيذاء حيوان. لا بل أصبحوا أكثر حذراً مع حيواناتهم لأنّ دينهم أمرهم بذلك.

اليوم
274

ما تريد أن يكون في صاحبك من خير؟!

أبو ذر الغفاري كان من خيار الصحابة الذين رافقوا النبي ﷺ في مسيرة دعوته منذ أيام مكة، وكان حريصاً على السؤال عن الخير ليفعله ويدخل الجنة، فسأل النبي ﷺ ذات يوم: يا رسول الله، دلّني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة.

فقال النبي ﷺ: «تؤمن بالله واليوم الآخر».

فقال أبو ذر: يا رسول الله، إن مع الإيمان عملاً.

قال ﷺ: «يرضخ مما رزقه الله» (أي يتصدّق).

فقال أبو ذر: يا رسول الله، أرأيت إنْ كان فقيراً لا يجد ما يرضخ به؟

قال ﷺ: «يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر».

فقال أبو ذر: يا رسول الله، أرأيت إنْ كان عيياً لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

قال ﷺ: «يصنع لأخرق».

فقال أبو ذر: أرأيت إنْ كان أخرق لا يستطيع أن يصنع شيئاً؟

قال ﷺ: «يعين مغلوباً».

فقال أبو ذر: أرأيت إنْ كان ضعيفاً لا يستطيع أن يعين مغلوباً؟



قال ﷺ: «ما تريد أن يكون في صاحبك من خير؟! يمسك عن أذى الناس».

فقال أبو ذر: إذا فعل ذلك دخل الجنة؟

قال ﷺ: «ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء إلا أَخَذَت بيده حتى تُدْخِله الجنة».

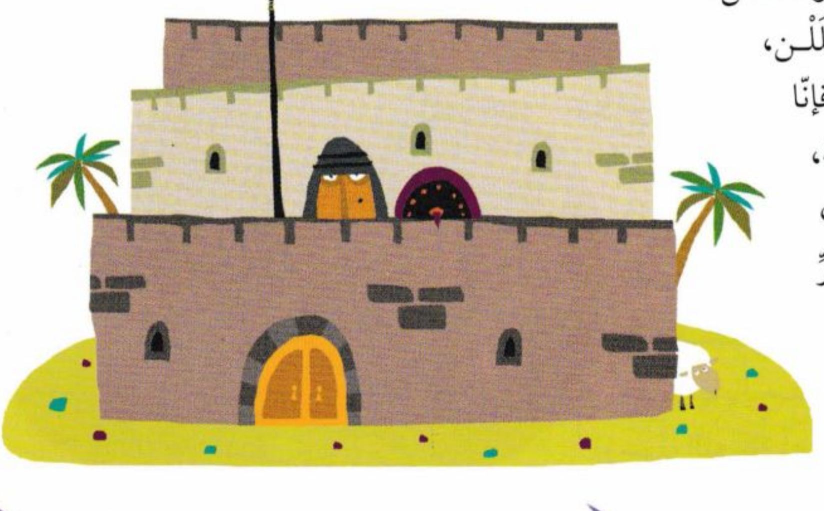
اليوم 275

مدينة خيبر وقصورها السبعة

كانت خيبر مدينة جميلة محاطة بسبعة حصون مهيبة، وكانت تقع شمال المدينة المنوّرة. بعد أن نقض يهود بني قريظة اتّفاقهم مع رسول الله، وتعاونوا مع قريش خلال معركة الخندق، استقرّوا في هذه المدينة. ثمّ راحوا يحيكون المؤامرات لتدمير المسلمين. عرف رسول الله ﷺ أنّ بني قريظة لن يكفّوا أيديهم عن المسلمين. فأخذ يفكر بطريقة ليتّقي شرّهم. اجتمع مع الصحابة، وتناقشوا مطوّلاً في هذه المسألة.

أخيراً، تمّ التوصل إلى قرار. سيقوم المسلمون بحصار خيبر. هكذا بدأوا يعدّون العدّة، ثمّ انطلقوا. خلال الرحلة، أخذ رسول الله ﷺ يدعو قائلاً: «اللهمّ إنّي أعوذ بك من الهمّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال». فيردّد خلفه جيش المسلمين «آمين».

واصل الصحابة رحلتهم بشجاعة كبيرة. أخيراً، في إحدى الليالي، نصبوا خيمهم أمام خيبر. بعد ذلك، رفع رسول الله يديه إلى السماء ودعا بهذا الدعاء: «اللهمّ ربّ السموات وما أظلَلْن، وربّ الأرضين وما أقلَلْن، وربّ الشياطين وما أضلَلْن، وربّ الرياح وما أذرَين، فإنّا نسألك خير هذه القرية، وخيرَ أهلِها، وخيرَ ما فيها، ونعوذ بك من شرّها، وشرِّ أهلِها، وشرِّ ما فيها». يا لهذا النبيّ الطيّب والصالح! كان



يدعو حتّى للناس الذين سعوا إلى إيذائه. ولم تكن نيّته سوى الخير والقضاء على مكامن الخطر.

فوجئ يهود خيبر عندما استيقظوا في الصباح، ورأوا جيش المسلمين يحاصر مدينتهم بأكملها. شعروا بذعر كبير، وبدأوا يركضون في كلّ اتّجاه ليصلوا إلى حصونهم وقلاعهم. وما إن أصبحوا هناك، حتّى بدأوا يُمطرون رسول الله ﷺ وجيشه بالسهام.

مرّ الجميع بوقت عصيب. فالمدينة الجميلة تحوّلت إلى مدينة خطرة بسبب سلوك اليهود الغادرين. فراح رسول الله ﷺ وصحابته يسألون الله عزّ وجلّ العون والنصر.

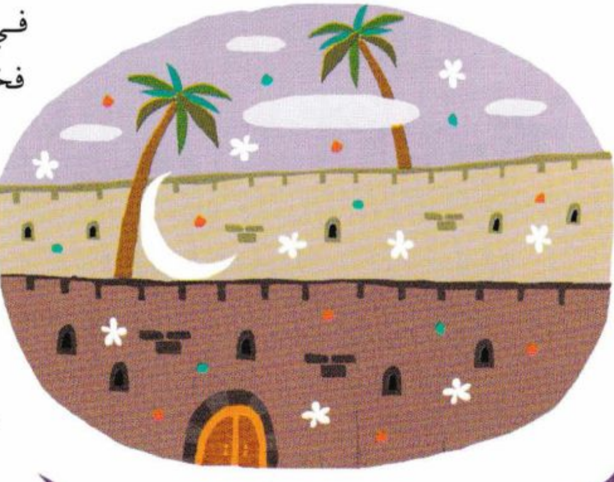
اليوم
276

فتح خيبر

استمرّ حصار خيبر عدّة أيّام. سلّم رسول الله ﷺ أثناءها راية الجيش لعددٍ من الصحابة، لكن لم يتم تحقيق أي نتائج، تبدّلت القيادات، لكن لم يتحقّق أيّ نصر. مع مرور الأيّام، بدأت المؤونة تنفد. وراح الجوع والعطش يهدّدان الجنود.

في مساء إحدى الأيام، قال رسول الله ﷺ: «لأُعطِيَنّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه».

سرعان ما انتشر كلام رسول الله بين الجنود. فانتظروا طلوع الصباح بفارغ الصبر. امتلأت قلوبهم بالأمل، إذ كان كلّ واحد منهم يحبّ الله ورسوله أكثر من نفسه. وأراد كلّ منهم أن يكون هو ذلك الشخص الذي ذكره النبيّ. فأخذوا يتساءلون من يكون هذا الرجل الذي أثنى عليه الرسول كثيراً.



في الصباح، اجتمع الجنود أمام خيمة النبيّ. فخرج منها، لكنّه لم يجد الشخص الذي يريده. أخيراً قال: «ادعوا لي عليًّا». كان الفضول قد بلغ من الصحابة كلّ مبلغ، لكن الأمور اتّضحت في تلك اللحظة. لا بدّ أنّ رسول الله سيسلّم الراية لعليّ. فقالوا له: «عليّ مصاب بالرمد، وعيناه تؤلمانه». غير أنّ رسول الله ﷺ أصرّ على مجيئه.

ذهب الصحابة ووجدوا عليًّا في حالة يرثى لها. كانت عيناه متورّمتان، وكان عاجزاً عن فتحهما. فأمسكوا بيده، وأحضروه إلى رسول الله. مسح النبيّ على عيني عليّ ودعا له. فجأة، زال الورم وتوقّف الألم، وعاد يرى بشكل طبيعي. فرح المسلمون، واستبشروا خيراً. فهل سيتحقّق فتح خيبر على يدي عليّ؟

في ذلك اليوم، وتحت قيادة عليّ، تمكّن المسلمون من فتح خيبر. أمّا اليهود، فتركوا كلّ مقتنياتهم للمسلمين، وفرّوا هاربين. أخيراً، انتهت معاناة الصحابة الذين أرهقهم الجوع والعطش. أمر رسول الله الصحابة أن يحسنوا معاملة الأطفال، والنساء، والشيوخ، والمرضى. فاتّبعوا تعليماته بحذافيرها. وعرفوا أنّهم حقّقوا هذا النصر بقوّة إيمانهم.

اليوم
277

فخّ المرأة اليهودية

استراح الجميع بعد فتح خيبر. فالمعركة لم تكن سهلة على الإطلاق. في تلك الأثناء، أتت امرأة يهودية تحمل صينية كبيرة مليئة بالطعام. نادت النبيّ ﷺ، وقالت إنّها أحضرت هذا الطعام هدية.

في الواقع، لم تكن نيّة المرأة تقديم هدية، بل قتْل رسول الله. من أجل ذلك، قامت بشواء بعض اللحم، ورشّت عليه السمّ.

اجتمع النبيّ مع الصحابة حول الطعام، استعداداً لتناوله. وضع النبيّ لقمة في فمه، لكنّه بصقها قبل أن يبتلعها. ثمّ قال للصحابة على الفور: «كفّوا أيديكم، فإنّ هذه الذراع تخبرني أنّها مسمومة». تعجّب الصحابة ونظروا إلى بعضهم بقلق.

رفعوا أيديهم فوراً عن الطعام. غير أنّ أحد الصحابة كان قد تناول لقمة وابتلعها. وكان السمّ قوياً بحيث استُشهد على الفور. فأخذ الجميع يتساءلون عن هوية الفاعل ودوافعه.



أرسل النبيّ ﷺ بطلب المرأة التي أحضرت الطعام، ثمّ سألها: «ما حملك على ذلك؟» أجابت المرأة: «إن كنتَ نبياً، لن يضرّك السمّ، وإن كنتَ ملكاً، استرحنا منك».

هكذا أنقذ الله عزّ وجلّ نبيّه مرّة أخرى، ولم يسمح أن يناله الأذى.

اليوم
278

معجزة سقاية ماء قليل لجيش كثير

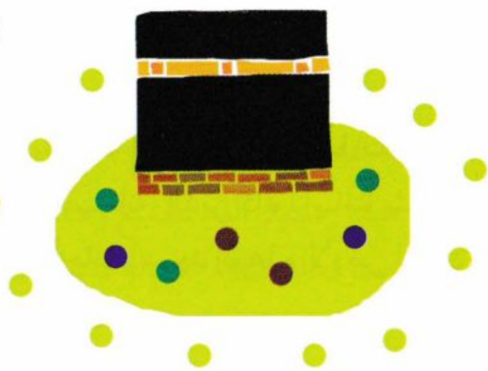
غادر جيش المسلمين خيبر وقفل عائداً إلى المدينة من طريق طويلة لا يكاد يوجد فيها الماء، وفي ظهر اليوم التالي بلغت حرارة الشمس أشدّها، وبدأ الناس يقولون: يا رسول الله! هلكنا! عطشنا! فقال النبي ﷺ: «لا هلك عليكم». ثم طلب أن يأتوا بقدحه الصغير، ونادى الصحابي أبا قتادة وطلب منه أن يجلب إنائه الذي يحتوي على قليل من الماء، فجعل رسول الله ﷺ يصبّ الماء وأبو قتادة يسقيهم، فعندما رأى الناس الماء في الإناء تزاحموا عليه، فقال النبي ﷺ: «أحسنوا الملأ، كلكم سيروى»، فأحسن الصحابة، فجعل رسول الله ﷺ يصب وأبو قتادة يسقيهم، حتى ما بقي غير أبي قتادة ورسول الله ﷺ لم يشربا، فصبّ رسول الله ﷺ الماء ثم قال لأبي قتادة: «اشرب»، فقال أبو قتادة: لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله! فقال النبي ﷺ: «إن ساقي القوم آخرهم شرباً»، فشرب أبو قتادة، ثم شرب النبي ﷺ، وشبع الجيش كله وارتوى.



اليوم
279

عام من الإنجازات

اشتاق المسلمون إلى مكّة كثيراً. قبل عام، لم يسمح لهم المشركون بدخولها. بل تركوهم ينتظرون أيّاماً وأيّاماً في الحديبية. في نهاية المطاف، توصّل الطرفان إلى عقد معاهدة. بموجبها، كان ممنوعاً على المسلمين العودة إلى مكّة قبل العام التالي. وعندما يأتون لزيارتها، عليهم



المجيء عزّلاً، وعدم البقاء لأكثر من ثلاثة أيّام.

خلال هذا العام من الانتظار، حقّق المسلمون كثيراً من الإنجازات العظيمة. فقد خفّ التوتر في ظلّ السلام، وتمّت دعوة كلّ قادة العالم إلى الإسلام. كما فتح المسلمون خيبر، ووضعوا حدًّا لخداع اليهود. فأصبحوا أكثر قوّة، وارتفعت معنويّاتهم.



حان وقت العمرة التي انتظروها طويلاً. فطلب رسول الله من الصحابة الاستعداد. هكذا، شدّوا الرحال، وقلوبهم ترقص طرباً. قريباً، سيعودون إلى الديار. مرّت سبعة أعوام بالضبط على خروجهم من مدينتهم. وها هم يتقدّمون نحو تلال مكّة المكرّمة خلف نبيّهم الحبيب.

اليوم 280

حسن خُلُق النبيّ ﷺ

امتلأت قلوب المشركين بالحقد والغيرة. صعدوا إلى تلال مكّة، وراحوا يراقبون المسلمين وهم يطوفون حول الكعبة المشرّفة. أخذوا يتهامسون: «عجباً! لا الهجرة ولا الحروب أضعفتهم. انظروا كم هم سعداء وكم يبدون أقوياء».

بالمقابل، استمتع المسلمون برؤية الكعبة المشرّفة مجدّداً. فقد اشتاقوا إليها كثيراً. تأمّل رسول الله ﷺ البيت الحرام مطوّلاً، وشعر بحنين كبير للصلاة عنده. فطلب من بلال أن يصعد على سطح الكعبة، ويرفع الأذان.

نفّذ بلال أمرَ رسول الله ﷺ. وبصوته الجهوري، بدأ يؤذّن. فتردّد صوته في مكّة وجوارها. قال عكرمة بن أبي جهل: «حمداً لله أنّ أبي لم يعش ليرى هذا اليوم». استمتع المسلمون لوجودهم في مكّة لثلاثة أيّام. وحان الوقت لرحيلهم بحسب الاتّفاق.

خشي المشركون أن يقرّر المسلمون الاستقرار في مكّة وعدم العودة إلى المدينة. فأوفدوا إليهم رجلَين. كان رسول الله ﷺ جالساً في خيمة نصبها له أحد الصحابة، عندما دخل عليه



الرجلان، وقالا له إنّ المهلة التي أعطيت للمسلمين قد انتهت، وعليهم الرحيل من المكّة الآن. غير أنّ هذا التصرف أزعج الصحابة، الذين كانوا أساساً يشدّون الرحال. فأجابهم سعد إنّ هذه الأرض ليست ملكهم، وإنّ رسول الله يحترم العهود وسيرحل بحسب الاتّفاق.

عندئذ، ابتسم رسول الله، ثمّ نظر إلى سعد، وطلب منه عدم إهانة الضيوف. في الواقع، لم يكن هدف الرجلين هو الزيارة، بل إزعاج النبيّ ﷺ، وقد عرف ذلك. غير أنّه تصرّف كما لو أنّه لم يعرف نيّتهم. وتعامل معهم بودّ، واحترام، وأخوّة. أمام هذه المعاملة، لم يعرف الرجلان كيف يتصرّفان.

ارتبك المشركان عندما قابل النبيّ تصرّفهما الفظّ باللياقة والاحترام. وعندما غادرا الخيمة بصمت، أدركا أنّ المسلمين بدأوا أساساً بالاستعداد لرحلة العودة إلى المدينة المنوّرة.

اليوم 281

فرح أُمامة

عندما أنهى المسلمون استعداداتهم للعودة إلى المدينة المنوّرة، انطلقوا والحزن يملأ قلوبَهم على فراق الكعبة المشرّفة. رحلوا مثلما أتوا، وهم يسبّحون الله ويحمدونه.

في بداية الطريق، سمعوا فتاة صغيرة تجري خلفهم وتنادي رسول الله ﷺ: «يا عمّ، يا عمّ». كانت الفتاة هي أُمامة، ابنة حمزة، عمّ النبيّ، الذي استشهد في غزوة أحد. وكانت تعيش في مكّة. عندما سمعت أنّ رسول الله آتٍ، أرادت الذهاب معه إلى المدينة المنوّرة. فهي لم ترغب في العيش مع المشركين بعد الآن.



أخبرت الفتاة الصغيرة رسول الله برغبتها، فحملها ووضعها على ظهر ناقته. تابع المسلمون طريقهم إلى المدينة المنوّرة مع أُمامة. وعندما وصلوا إلى المدينة، فرح أقارب الفتاة كثيراً برؤيتها. ورغب كلّ منهم في أن تعيش في منزله.

هدّأ رسول الله الجميع وقال لهم إنّ أمامة يجب أن تعيش عند جعفر لأنّه زوج خالتها. وقال رسول الله ﷺ: «الخالة بمنزلة الأم». ففرح جعفر كثيراً.

اليوم 282

ربيع الإسلام

أصبحت كلّ الأيّام الصعبة والمظلمة من الماضي. وبدا وكأنّ الإسلام يعيش ربيعه. في هذه الفترة، كان الناس يتوافدون إلى المدينة المنوّرة من أماكن بعيدة لاعتناق الإسلام.



من بين الناس الذين جذبهم نور الإسلام وجهاءٌ من مكّة أيضاً. وكان أحدهم هو قائد جيش المشركين، خالد بن الوليد. ففي معركة أُحُد، آذت خطّته الماكرة المسلمين كثيراً. وقد ندم عليها أشدّ الندم. والآن، آمن برسول الله ﷺ، ولم يعد ينكر نبوّته. فانطلق إلى المدينة لاعتناق الإسلام.



في الطريق، فوجئ بلقاء غير متوقّع. فقد صادفَ عدوّ النبيّ، عمرو بن العاص. سأله عمرو: «أين يا أبا سليمان؟» أجابه خالد من دون أن يخشى شيئاً: «والله لقد استقام المنسم، وإنّ الرجل لنبيّ، أذهبُ والله أُسلِم، فحتّى متى؟».

ظنّ خالد أنّ عمرو سيغضب. لكنّه فوجئ به يفرح بما سمعه، ويقول: «فأنا والله ما جئت إلاّ للإسلام». فلم يصدّق خالد بن الوليد أذنيه. أهذا هو عمرو بن العاص، الذي قال في ما مضى لو أنّ العالم بأكمله أسلَمَ، فلن أعتنق الإسلام أبداً؟ لقد وضع عمرو مخطّطات عديدة للقضاء على رسول الله. وها هو يتحول الآن إلى رجل ليّن القلب، جاهز لاعتناق الإسلام. هكذا انطلق الصديقان إلى المدينة فرحَين راضيَين.

عندما وصلا، أخبرا رسول الله أنّهما يرغبان في اعتناق الإسلام. فرحّب بهما، وأحسن معاملتهما. هنّأهما على اختيارهما الطريق المستقيم.

فرح المسلمون فرحاً كبيراً. عندما نطق خالد بن الوليد بالشهادة، قال له رسول الله إنّه كان ينتظر هذا اليوم منذ زمن طويل.

شعر خالد بن الوليد بالاطمئنان. بانضمامه إلى المسلمين، كسب جيش الإسلام واحداً من أقوى الجنود. ولكي يكفّر عن الأخطاء التي ارتكبها في الماضي، سيبذل ما في وسعه ليرفع راية الإسلام.

اليوم 283

نبي المحبّة والرحمة

وقف رجلان من أسياد قريش أمام نبينا الحبيب ﷺ. كان خالد بن الوليد قد نطق بالشهادة واعتنق الإسلام. وحان دور عمرو بن العاص. لم يستطع عمرو رفع نظره عن الأرض من شدّة خجله. فقد بذل جهداً كبيراً لقتل رسول الله. وساعد المشركين كثيراً في سبيل ذلك. وهو الآن نادم على كلّ أخطائه الماضية. راح يقول في نفسه، «أتمنّى لو أنّني لم أفعل كذا وكذا».

لم يكن رسول الله معتاداً على إحراج أحد بسبب أخطائه، أو لومه عليها. نادى عمرو وقال له: «يا عمرو، بايِع، فإنّ الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله، وإنّ الهجرة تجُبُّ ما كان قبلها». استراح عمرو عند سماع ذلك، وفكّر كم أنّ الله غفور رحيم. كما أعجب بتسامح رسول الله ﷺ وتفهّمه. فاعتنق الإسلام من دون أن يضيع المزيد من الوقت.

كان عمرو بن العاص أشبه بالعطشان الذي يبحث عن الماء. والآن وقد وجد ضالّته، سينهل من الإسلام حتّى يرتوي، وسيبذل ما في وسعه لنصرة الله ورسوله. أصبح رسول الله ﷺ هو الأحبّ إلى قلب عمرو، ولم يكن يملأ عينيه منه. كان إعجابه به يزداد مع الزمن. فقد فتح النبيّ ذراعيه له بكلّ محبة وتسامح. أمّا عمرو، فوجد في الإسلام الكنز الذي لا يفنى.



اليوم
284

القائد المقدام

بعد صلح الحديبية، أرسل النبيّ سفراء إلى مختلف أنحاء العالم لدعوة زعماء البلدان الأخرى إلى الإسلام. كان الحارث أحد أولئك السفراء. أرسله النبيّ ﷺ برسالة إلى شُرَحْبِيل، حاكم بُصرى. كان شرحبيل نصرانياً. غضب أشدّ الغضب عندما استلم رسالة النبيّ، بحيث قتل الحارث من دون رحمة ولا شفقة.

حزن رسول الله كثيراً عندما سمع بهذا الخبر. فلم يسبق لدولة أن قتلت سفيراً من قبل، حتّى لو كان عدوًّا. رأى المسلمون في هذا التصرّف إهانة كبيرة، وتحدّياً واضحاً.

أمام هذا التصرّف المشين، أمر رسول الله بتجهيز جيش تحت قيادة زيد بن حارثة. ثمّ كلّف زيداً بالذهاب بجيشه إلى مؤتة، التي قُتل فيها الحارث، ودعوة شرحبيل وشعبه إلى الإسلام. فإن رفضوا، يقاتلهم جيش المسلمين بسبب قتلهم السفير. قبل انطلاق المسلمين في هذه الحملة، خاطب رسول الله الجيش قائلاً: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا مَن كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً». أصغى الصحابة جيّداً إلى وصايا النبيّ الذي تابع قائلاً: «إن قُتل زيد فجعفر، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة». عندما انتهت الاستعدادات، ودّع رسول الله جيشه وهو يدعو له بالتوفيق. انطلق المسلمون على وقع حوافر الجياد، وذكر الله لا يفارق ألسنتهم، في حين امتلأت قلوبهم إيماناً بالنصر. في تلك الأثناء، بلغ شرحبيل خبرُ زحف المسلمين عليهم. فطلب من ملك الروم المساعدة.

عندما وصل المسلمون إلى مؤتة، وجدوا أمامهم جيشاً من مئتي ألف مقاتل. في حين أنّ جيش المسلمين لم يتجاوز ثلاثة آلاف جندي. إلاّ أنّ هذا الجيش الصغير واجه العدوّ ببسالة، واستمدّ قوته من إيمانه الكبير. فالمسلمون لم يخشوا الشهادة في سبيل الله. حمل قائد المسلمين، زيد، راية بيضاء بيده. ولم تلبث المعركة أن بدأت.





امتزجت أصوات السيوف بصهيل الأحصنة. وبينما كان المسلمون يقاتلون في مؤتة ببسالة، أخبر الله تعالى نبيّه بما يجري في أرض المعركة. فكان النبيّ ﷺ يروي ما يحدث قائلاً: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثمّ أخذ جعفر فأُصيب، ثمّ أخذ بن رواحة فأُصيب». سالت دموع رسول الله على خدّيه وهو يتابع قائلاً: «حتّى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتّى فتح الله عليهم». كان رسول الله يعني بذلك خالد بن الوليد، الذي كان قائداً بطولياً! دخل في الإسلام منذ مدّة قصيرة، لكنّه كان على استعداد للتضحية بحياته في سبيل دينه، بسبب صدق إيمانه.

اليوم 285

200.00 جندي يفرّون هاربين

دارت معركة عنيفة في مؤتة. قاتل خلالها المسلمون جيشاً ضخماً بشجاعة وبسالة. بعدما استشهد قادتهم الثلاثة واحداً تلو الآخر، انتقلت الراية إلى يدي خالد بن الوليد. فاندفع خالد على جواده نحو العدوّ. وعندما رأى المسلمون هجومه الشجاع، لحقوا به.

فجأة، عمّ الذعر بين صفوف جيوش الأعداء. وراح رجالهم يسقطون واحداً تلو الآخر. بحلول المساء، نال التعب من الطرفين، فقرّرا أخذ استراحة. لم يغمض جفن لخالد بن الوليد. ظلّ يفكّر طوال الليل، ووضع خطّة جديدة. استعدّ الجنود للقتال قبل طلوع الفجر. لتنفيذ الخطّة الجديدة، ذهب خالد إلى جنوده وبدّل مواقعهم. فنقل مقدّمة الجيش إلى مؤخّره، وميمنته إلى ميسرته، والعكس بالعكس. كما بدّل ملابس الجنود. عندما طلعت الشمس، فوجئ الأعداء، واعتقدوا أنّهم يواجهون جيشاً جديداً. فراحوا يتهامسون: «لقد جاءهم مدد». وأصابهم الرعب.



هبطت معنويات الأعداء عندما ظنّوا أنّ جنوداً جدداً وصلوا ليلاً، وانضمّوا إلى جيش المسلمين. لذلك، عندما هاجمهم المسلمون بشجاعة في اليوم التالي، بدأوا يفرّون هاربين. انهار جيش الروم الضخم أمام إيمان المسلمين وصمودهم. ولكي يزيد خالد بن الوليد من معنويات جيشه، قاتل في المقدّمة. خلال المعركة، انكسرت بين يديه تسعة سيوف. وهُزم جيش من مئتي ألف مقاتل في وجه جيش من ثلاثة آلاف. هذه

المعركة حيّرت العدوّ. وبينما انسحب جيش الروم خائفاً، جمع خالد بن الوليد جنوده، وعاد بهم إلى المدينة المنوّرة.

اليوم 286

فرحة اليتامى

تردّدت أخبار النصر في شوارع المدينة المنوّرة، وفرح بها المسلمون كثيراً. فقرّر النبيّ استقبال الجيش العائد من ساحة المعركة خارج المدينة، ورافقه جمع غفير من الناس.



اجتمع الأطفال هم أيضاً، للمشاركة في الاحتفال. غير أنّ النبيّ لم يرغب في إتعابهم، فوضعهم على ظهور الجياد والجِمال. أتت أيضاً ابنة زيد الصغيرة، التي استشهد والدها في المعركة. فنظر إليها رسول الله بحبّ كبير. كانت الفتاة الصغيرة تبكي حزناً على فقدان أبيها. عندما رآها رسول الله تبكي، بدأت الدموع تسيل على خدّيه. فراح يواسيها ويخفّف عنها، إلى أن توقّفت عن البكاء.

رأى هناك أيضاً ابن جعفر، القائد الثاني الذي استشهد في المعركة. فاحتضنه النبيّ ووضعه على ناقته، ثمّ تابع سيره في المدينة. أخذ رسول الله يخفّف عنه قائلاً له إنّ والده أُعطي جناحين، يطير بهما في الجنّة. لهذا السبب، لُقّب هذا الصحابي «جعفر الطيّار». هذا الكلام أفرح الصبيّ، وإن قليلاً. فبدأ يتخيّل أباه في الجنّة، ويعزّي نفسه بذلك. استقبل المؤمنون جيش المسلمين بفرح كبير، وهنّأوه بانتصاره على جيش الروم. أمّا خالد بن الوليد، فكانت فرحته لا توصف، لأنّه حقّق هذا النصر للإسلام.

اليوم
287

الاستعدادات الكبيرة

مـرّت ثمانـي سـنوات بالضبط منذ أن غادر المسـلمون مكّـة. خلال هذا الوقـت، أصبحوا أقويـاء جدًّا. وقّعـوا معاهدة مع قريش، وهزمـوا اليهود الذين كانوا يخطّطـون للنيل منهم. تمّت دعـوة زعماء العالم إلى الإسـلام. وأتى كثير من الناس من أماكن بعيـدة لاعتناق الدين الجديد، كما تمّ دحر جيوش الروم.

فرح رسول الله ﷺ والصحابة بكلّ هذه الإنجازات. مع ذلك، بقي في قلوبهم شيء من الحزن لأنّهم لا يستطيعون زيارة الكعبة متى شاؤوا ذلك. وهذا الأمر قضّ مضجعهم، لأنّ الكعبة هي أوّل بيت لعبادة الله، منذ سيّدنا آدم عليه السلام. غير أنّها الآن بين أيدي المشـركين، الذين ملأوها وأحاطوها بالأصنام. وعوضاً عن عبادة الله وحده، ربّ الكعبة، راحوا يعبدون تلك الحجارة الصمّاء.

أخـذ رسـول الله يفكّر أنّ الكعبة تسـتحقّ أن يُعبد فيهـا الله وحده، من قبـل أناس مؤمنين. ورغب في تطهير ذلك المكان من الأوثان والمعاصي. غير أنّ هذا الأمر لم يكن سـهلاً. فقريش لا تسـمح لأحد بالاقتراب من الكعبة. ولن يتمكن المسـلمون من تغيير هذا الوضع ما لم يُقدِموا علـى فتح مكّـة المكرّمة. عندئذ، سيكسـرون الأصنام وسـيتمكّنون من عبادة اللـه بحرّية هناك. والآن، أصبح المسـلمون أقوياء بما فيه الكفاية لتحقيق هذا الأمر. فهم يملكون جيشـاً قوياً جدًّا، لكنّ النبيّ لا يرغب في خرق معاهدة الصلح التي وقّعها مع قريش.

بينما احترم المسـلمون بنود اتّفاق الصلح بحذافيرها، عمد بعض المشركين في أحد الأيّام إلـى التعـرّض لعدد من الصحابـة. فمع أنّهـم وعدوا بعدم إيـذاء أحـد خلال السـنوات العشـر القادمـة، إلاّ أنّهم خرقـوا المعاهدة بتصرّفهم العدائي، وأراقوا الدماء. عندما عرف رسـول الله بذلك، حزن كثيراً. فأرسل إليهـم علـى الفور رسـالة أبلغهم فيهـا أنّهم خرقوا معاهـدة الصلح التـي عُقدت في الحديبيـة، وأنّهم إن استمرّوا في سلوكهم هذا، سيُجبرون المسلمين على قتالهم.



خاف المشركون عندما سمعوا ذلك. فقد عرف معظمهم أنّ رسول الله محقّ. أمّا وجهاء مكّة، فظلّوا على عنادهم، وقالوا إنّهم على استعداد للقتال. عندئذ اتّخذ رسول الله قراره: سيزحف على مكّة. لقد حان الوقت لتلقين قريش درساً لن تنساه. فطلب من الصحابة الاستعداد على الفور، لكنّه لم يخبرهم بوجهتهم، رغبة منه في حقن الدماء. أراد أن يفاجئ المشركين، وألاّ يترك لهم الوقت للاستعداد للمعركة.

أتمّ المسلمون استعداداتهم في مدّة قصيرة، وتمكّن رسول الله ﷺ من حشد جيش من عشرة آلاف جندي. أتى المسلمون من كلّ مكان للانضمام إلى المسلمين. من يدري، لعلّ الكعبة ترى النور قريباً.

اليوم
288

جيش من 10.000 مقاتل

انطلق رسول الله ﷺ بجيش يبلغ عدده 10.000 مقاتل باتجاه مكّة المكرّمة. كان الطقس حارًّا جدًّا. غير أنّ المسلمين لم يأبهوا لا بالحرّ ولا بالتعب، بل تقدّموا بفرح كبير وهم يكبّرون.

واستخلف رسول الله ﷺ أبا رُهم الغفاري أميراً على المدينة، وخرج بجيشه في اتجاه مكة في العاشر من شهر رمضان، فصام وصام الناس معه، حتى بلغ الكُدَيد، فدعا بإناء فشرب ليراه الناس، فرأوه وأفطروا جميعاً ليتقووا على قتال المشركين.

اليوم
289

10.000 مصدر للنور

تقدّم جيش المسلمين بخطى ثابتة وتصميم كبير باتّجاه مكّة. أراد رسول الله ﷺ أن يخلّص الكعبة من الأوثان من دون أن يريق الدماء أو يؤذي أحداً. حان وقت الغروب، ولم يعد الوقت يسمح لدخول مكّة في ذلك اليوم. لكنّهم أصبحوا قريبين جدًّا. وبعد مدّة وجيزة، سيدخلون مكّة من دون أن تعرف قريش شيئاً.

عندما حلّ الظلام، أمر رسول الله ﷺ جنوده بإشعال نار. نفّذ الصحابة طلبه، وأشعلوا

نيرانهـم في وقت واحد. وأُضيئت مكّة فجأة بعشـرة آلاف مشـعل. فوجئـت قريش بتلك النيران التي اشتعلت خارج المدينة، ولم تفهم ماهيّتها.

بعـد مدّة، أدركت قريش أنّ المسـلمين يحاصرون مكّة. يا له مـن جيش ضخم! قبل عامين وحسـب، لم يكن المسـلمون يملكون هذا الجيش القوي. فكيف أصبحوا بهذه القوّة خلال مدّة قصيرة؟ ندمت قريش كثيراً لأنّها خرقت صلح الحديبية، لكنّ الأوان فات. فأرسـلت على عجل زعيمها أبا سفيان إلى النبيّ.

عندما دخل أبو سفيان على رسول الله ﷺ، قال له النبيّ: «ويحك يا أبا سفيان! ألم يئن لك أن تعلم أنّه لا إله إلاّ الله؟» وجد أبو سـفيان نفسـه في موقف صعب. فأجاب متوتّراً: «بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيرك لقد أغنى عنّي شيئاً بعد».

كان أبو سـفيان على وشـك أن يفهم الحقيقة أخيراً. فسـأله النبيّ ﷺ مجدّداً: «ويحك يا أبا سفيان! ألم يئن لك أن تعلم أنّي رسول الله؟» ففكّر قليلاً ثمّ أجاب: «بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أمّا هذه (أي الأصنام) والله فإنّ في النفس منها حتّى الآن شيئاً».

عندئذ، قال له العبّاس، عمّ رسـول الله، الذي كان حاضراً هناك: «ويحك، أسلِم واشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله قبل أن تُضرَب عنقك». أمام هذا التشجيع من العبّاس، أسلم أبو سفيان ونطق بالشهادة.

بذلك، فإنّ القائد الذي أرسـلته قريش إلى جيش المسـلمين ليأتيها بالأخبار اعتنق الإسلام هو نفسه.



اليوم
290

حيرة أبي سفيان

أراد رسـول اللـه ﷺ أن يـرى أبـو سـفيان قوّة جيش المسـلمين بـأمّ عينيه. فكلّـف العبّاس باصطحابه إلى حيث تقف الجياد. بعد ذلك، انضمّ هو نفسه إلى الجيش ليمرّ من أمام أبي سفيان.

كان الجنـود يسـتعدّون لدخـول مكّة. فاصطحـب العبّاس أبا سـفيان إلى أضيـق مكان في الوادي. من هناك، كان بإمكانه رؤية الجيش على نحو أفضل. لم يصدّق أبو سـفيان عينيه عندما رأى الجيش المهيب. كان جنود رسـول الله ﷺ يتقدّمون على ظهر جياد قوية جدًّا. بلغ عددهم حوالى عشرة آلاف جندي، وكانوا يردّدون معاً: «الله أكبر، الله أكبر».

أخذ أبو سفيان يفكّر كيف تمكّن محمّد، عدوّ قريش، من جمع هذا الجيش الضخم. وكيف أصبح أعداء الأمس أعوانه اليوم.

عندما مرّ الجنود واحداً تلو الآخر أمام عيني أبي سـفيان، سـأل العبّاسَ: «هل مرّ محمّد؟» أجـاب العبّاس: «ليس بعد». وقف أبو سـفيان ينتظر مرور محمّد بفـارغ الصبر. رأى عند مدخل الممرّ في الوادي حوالى مئة جندي على ظهر الخيل. كانوا يحملون الدروع والرايات. انعكست أشعّة الشمس على دروعهم وهم يعبرون الوادي بنظام كبير. رأى أبو سفيان في وسطهم شخصاً علـى ظهـر الجمل، وبدا أنّهم يعيرونه اهتماماً كبيراً، فقال: «سـبحان اللـه يا عبّاس، من هؤلاء؟» فابتسم العبّاس وقال: «هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار».



ازداد أبو سفيان دهشة وقال: «ما لأحد بهؤلاء قِبَل ولا طاقة. والله يـا أبا الفضل، لقـد أصبح مُلك ابـن أخيك الغداة عظيمـاً». فأجابه العبّاس: «يا أبا سفيان، إنّها النبوّة». فقال أبو سفيان: «فنعم إذاً».

بعد ذلك، عاد أبو سفيان إلى مكّة. عندما اجتمع وجهاء قريش حوله، أخبرهم أنّه اعتنق الإسلام. فتضاعف ارتباك المشركين. غير أنّ أبا سـفيان تابع يقول: «يا معشـر قريش، هذا محمّد قد جاءكم بما لا قِبَل لكم به. فمن دخل دار أبي سـفيان فهو آمن، ومن دخل المسـجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن».

صُـدم المشـركون وعادوا إلـى منازلهم مـن دون أن يتفوّهـوا بكلمة واحدة. اقترح بعضهم القتال، لكنّ أحداً لـم يصغِ إليهم. فقد أدركوا أنّهـم لن يتمكّنوا من مقاومة المسلمين بعد اليوم.

اليوم
291

أسعدُ أيّام المسلمين

فـي صباح يـوم الجمعة، كانت قلوب الصحابـة تنبض فرحاً. فهم على وشـك رؤية الكعبة التـي افتقـدوا إليها كثيـراً. أمّا النبيّ، فقد علت وجهه ابتسـامة رضى. امتطـى ناقته قصواء، وأخذ يشـكر اللـه، ويتلو سـورة الفتح ليبـارك الله لهم في هـذا اليوم. دخل الجيش مكّة بشـكل موحّد ومتناغم. وفي أثناء ذلك، حنَّى رسـول الله ﷺ رأسـه تواضعاً لله. فقد أدرك أنّ هذا الفتح هو هبة مـن اللـه. التفت إلى جنـوده وأمرهم أن لا يقاتلوا إلا مَن قاتلهم. دخل المسـلمون شـوارع مكّة ووجوههم تفيض بشـراً وسـعادة. فقد انتظروا هذه اللحظة لسنوات طويلة. غير أنّهم احتفلوا بها بتواضع وخشوع.

لم يسـتخدموا سـيوفهم ضدّ أحد من أهـل مكّة إلا مَن قاتلهم. اقتـرب الجيش تدريجيًّا من الكعبة المشـرّفة، وعاشـت مكّة أسعد أيّامها. فالنبيّ ﷺ الذي نشـأ في ربوعها، والذي طُرد منها عنوة، يعود إليها اليوم على رأس جيشه فاتحاً منتصراً. صمت المشركون وانسحبوا إلى منازلهم، وملأت الفرحة قلوب المسلمين. عندما سمع أولاد قبيلة رسول الله بعودته، خرجوا من منازلهم واصطفّوا في الشوارع. كان أولاد المدينة المنوّرة هم الذين استقبلوه يومَ هجرته. وها هم أولاد مكّة يستقبلونه يومَ عودته.

ابتسـم لهم رسـول الله ﷺ وهو يتوجّه نحـو الكعبة على ظهر ناقته القصـواء. ولم يكن في سـلوكه أيّ غرور أو تكبّر. بل كان هو نفسـه الذي عرفوه قبل ثماني سـنوات. وضع النبيّ أسـامة ابن زيد على ظهر ناقته. ففرح الصغير كثيراً، وراح يصغي إلى رسول الله جيّداً. عندما رأى النبيّ الكعبـة، هتف قائلاً: «الله أكبر، الله أكبر». فكبّر خلفه عشـرة آلاف مسـلم. وتردّد صدى التكبير في أرجاء مكّة.

طاف رسول الله ﷺ حول الكعبة. ثمّ توجّه إلى بئر زمزم، وشرب، وتوضّأ منه، وحمد الله.

فحذا الجنود حذوه. هكذا، عاد رسـول الله إلى مكّة منتصراً، كما وعدَه الله. وأصبحت الكعبة، جوهرة الأرض، بين أيدي المسلمين. ففاضت قلوبهم وألسنتهم شكراً لربّ العالمين.

اليوم
292

إخلاص رسول الله

عاد رسـول الله ﷺ إلى الأرض التي ولد ونشـأ فيها. أخذ يشكر الله على ذلك وهو يشاهد مكّة من جبل الصفا. في تلك الأثناء، شعر بعض الأنصار بالقلق. أخذوا يتهامسون في ما بينهم: "أترون رسول الله ﷺ إذ فتَح الله عليه أرضه وبلده أن يقيم بها؟" كان رسول الله في هذه الأثناء يدعو على الصفا رافعاً يديه إلى السماء، فجاءه الوحي من السماء بما قال الأنصار. عندما فرغ من الدعاء، أتى إليهم وسألهم عمّا يشغل بالهم. إلاّ أنّ الأنصار لم يرغبوا في إزعاج النبيّ، فأجابوه: "لا شـيء يا رسـول الله". فألحّ عليهم النبيّ إلى أن أخبروه بالسبب. عندئذ قال لهم: "معاذ الله، المحيا محياكم، والمماتُ مماتُكم"، أي أنّه سيمضي حياتهم معهم وسيموت بينهم. عندئذٍ، تأثّر الأنصار، واجتمعوا حول رسـول الله وقد فاضت مآقيهم بالدموع. قالوا له إنّهم يحبّونه كثيراً، لهذا السـبب خافوا من بقائه في مكّة. فنظر إليهم رسـول اللـه بحبّ كبير. كيف يفتـرق عن أولئك النـاس الطيّبين الذين فتحوا له أذرعهم في أصعب الأوقات؟ لقد ضحّى الأنصار كثيراً في سبيل الإسلام، لهذا السبب، لا يمكن أن يتركهم ويعود للعيش في مكّة. مهما بلغ حبّه لمسقط رأسه، فإنّه لا يفكر في الابتعاد عن المدينة المنوّرة. عندما علم الأنصار بذلك، استراح بالهم، وعادت البسمة إلى وجوههم.



اليوم
293

غضب المشركين

كان الحقـد يتـآكل المشـركين الذيـن لم يسـتطيعوا مقاومة جيـش المسـلمين. وكان بينهم أشخاص يسعون إلى الانتقام من نبيّنا الحبيب. فبحثوا عن فرصة لقتله.



من بين هؤلاء شخص يدعى فُضالة بن عمير. بينما كان نبيّنا الحبيب يطوف حول الكعبة، أخذ فضالة يراقبه جيّداً. وكانت الأفكار السوداء تتزاحم في رأسه. حالما تسنح له الفرصة، سينقضّ على رسول الله. بعد شيء من الانتظار، أتت اللحظة التي كان ينتظرها، ومرّ رسول الله ﷺ من أمامه. في الثانية التي كان ينوي الهجوم عليه فيها، التفت النبيّ إليه وابتسم. سأله بصوت صادق ودافئ: "أَفُضالة؟" أجابه بدهشة: "نعم فضالة يا رسول الله". فسأله النبيّ ﷺ: "ماذا كنت تحدّث به نفسك؟" أجابه، وكان يدّعي الإسلام في ذلك الوقت: "لا شيء، كنت أذكر الله". بالطبع، كان فضالة يكذب، وقد أخبر الله عزّ وجلّ نبيّه بذلك. لقد ارتكب فضالة خطأين. الأوّل هو نيّته قتل رسول الله، والثاني هو الكذب. لكنّ نبيّنا كان متسامحاً جدًّا. فنظر إليه بمحبّة وقال: "أستغفرُ الله". ثمّ دنا منه، ووضع يده على صدره، ودعا له.

أدرك فضالة أنّ رسول الله علم بنواياه السيّئة، فندم أشدّ الندم. أمّا النبيّ فلم يعاقبه على ما خطّط له، بل دعا له بالخير. عندما رفع رسول الله يده عن صدر فضالة، زالت من قلبه كلّ مشاعر الحقد والكراهية. رفع رأسه ونظر إلى وجه النبيّ بحبّ كبير. وبينما مشى رسول الله في طريقه، راح فضالة يقول: «والله ما رفع يده عن صدري حتّى ما مِن خَلْق الله شيء أحبّ إليّ منه».

اليوم
294

إسلام هند زوجة أبي سفيان

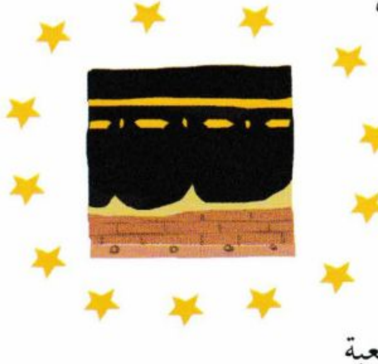
جلس النبي ﷺ يوم فتح مكة يبايع النساء، فكان يقول لهن: «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً، ولا تسرقن، ولا تقتلن أولادكن، ولا تعصين في معروف...» وبايعهن على أمور أخرى، وقال لهن: «قُلْن نعم فيما استطعتن».

وكانت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان من أشد المحاربات لدعوة رسول الله ﷺ، ولكن بعد فتح مكة دخل الإسلام في قلبها وأيقنت أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، فذهبت تبايع رسول الله ﷺ مع باقي النسوة، وقالت: يا رسول الله، ما كان على ظهر الأرض من أهل خِباء أحبُّ إليَّ أن يذِلّوا من أهل خبائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهلُ خِباء أحبَّ إليَّ أن يَعِزُّوا من أهلِ خِبائك. فرحّب بها رسول الله ﷺ وتقبّل مبايعتها.

اليوم
295

الماسّة السوداء

الكعبة هي قِبلة المسلمين. فقد أمر الله عزّ وجلّ عبادَه بالتوجّه إليها في صلواتهم الخمس اليومية. ومن استطاع منهم، عليه زيارتها لأداء فريضة الحجّ مرّة في حياته على الأقلّ. ومن المعروف أنّ الدعاء عند الكعبة لا يردّ أبداً بإذن الله.



قبل ولادة سيدنا محمّد ﷺ، كان أجداده يقومون بحماية الكعبة المشرّفة. وبما أنّ نبيّنا الحبيب ولد في مكّة المكرّمة، فقد نشأ على محبّة الكعبة وتقديرها. وعندما هاجر من مكّة، افتقد إليها كثيراً. لهذا السبب، فرح بعودته إلى مسقط رأسه. فالكعبة هي أثمن جوهرة على وجه الأرض.

مع الأسف، بقيت الكعبة بين أيدي المشركين لعقود طويلة. فملأوا هذا المكان المقدّس بشتّى أنواع الأوثان. وفي يوم الفتح، كان يحيط بالكعبة ثلاث مئة وستّون صنماً. هذا المشهد أزعج رسول الله ﷺ كثيراً. فالأصنام لا تلائم أبداً بيت الله الحرام. اقترب رسول الله من الأصنام الصمّاء حاملاً عصا بيده. ثمّ راح يشير بها إلى الأصنام وهو يتلو الآية الكريمة: ﴿... **جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾. فلا بدّ للباطل من أن يزول يوماً. هكذا، أزيلت الأصنام.

تمّ تطهير الكعبة المشرّفة من كلّ الأوثان التي دنّستها. فعادت تشعّ بالنور كما لو كانت ماسة سوداء.

اليوم
296

أذان بلال

ملأت الفرحة القلوب، وشعّت في عيون المؤمنين الذين انشغلوا بالحمد والتسبيح. بعد فتح مكّة، تمّ تطهير الكعبة من الأصنام، وارتاحت قلوب المسلمين بهذا الإنجاز. عندما حان

وقت صلاة الظهر، أمر رسول الله بلالاً برفع الأذان. فرح بلال كثيراً. فصعد إلى سطح الكعبة بحماسة كبيرة. بصوته الجميل، راح يؤذّن لدعوة الناس إلى الصلاة. أخذ يفكّر بالماضي، وحمد الله كثيراً. ففي بداية البعثة، التفّ حبل حول عنقه، وتمّ جرّه في شوارع مكّة لمجرّد أنّه قال «أَحدٌ، أَحد». تعرّض لشتّى أنواع التعذيب التي يمكن أن يتخيّلها المرء. لكن، ها هو اليوم يصعد بكلّ ثقة ليرفع الأذان، من دون أن يخشى أحداً من المشركين.

تردّد صدى صوت بلال في كلّ أرجاء مكّة. دعا الناس إلى الصلاة والفلاح. في تلك الأثناء، أخذت مجموعة من المشركين تراقبه، وبينهم أبو سفيان الذي أسلم للتوّ. قال أحدهم: «لقد أكرم الله أبي ألاّ يكون سمع هذا». وقال آخر: «أما والله لو أعلم أنّه حقّ لاتّبعته». فصمت أبو سفيان. وعندما سألوه عن سبب صمته، قال: «أما والله لا أقول شيئاً، لو تكلّمتُ لأخبَرَت عنّي هذه الحصباء».

لم يلبث رسول الله ﷺ أن خرج إليهم. فقال لهم: «لقد علمتُ الذي قلتم»، ثمّ أخبرهم بكلّ ما قالوه. نظروا إلى بعضهم البعض بدهشة كبيرة، ولم يعد في قلبهم أيّ شكّ. فما من أحد سوى نبيّ يمكنه أن يعرف ذلك. هكذا آمن المشركان على الفور.

فرح أبو سفيان لأنّه لم يقل شيئاً. أمّا رسول الله ﷺ، فانصرف مبتسماً.

اليوم
297

مفتاح الكعبة

لما نزل رسول الله ﷺ مكة، واطمأنّ الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعة أشواط على ناقته، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففُتِحَت له، فرفض النبي ﷺ أن يدخل البيت وفيه الأصنام، فأَمَر بها فأُخْرِجَت.

فأخرجوا صورة مكذوبة لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في أيديهما الأزلام، فقال رسول الله ﷺ: «قاتلهم الله! أما والله قد علموا أنهما لم يستقسما بها قط».

ثم دخل الكعبة، فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها ﷺ بيده، ثم طرحها، وتم تطهير الكعبة من رجس الأصنام.

مرّت سنوات طويلة على تلك الحادثة. ومع الوقت، فهم عثمان خطأه واعتنق الإسلام.

بقـي مفتـاح الكعبة لديه. والآن، بعد دخول رسـول الله ﷺ إلى مكّة، ذهـب إلى منزله، وأحضر المفتاح، وأعطاه إلى رسـول الله. فابتسـم النبيّ وقال له: «ألم يكن الذي قلتُ لك؟» كان عثمان قد تذكّر كلّ شـيء، وشـعر بالإحراج بسبب تصرّفه الفظّ في ذلك الوقت. تساءل إلى من سيعطي رسول الله المفتاح. نظر إليه بعينين مليئتين بالأمل. أمّا النبيّ فابتسم لعثمان بن طلحة، وأعاد إليه مفتاح الكعبة.

اليوم
298

تسامح رسول اللّه ﷺ



دخـل رسـول اللـه ﷺ إلـى الكعبـة، برفقـة عثمـان بن طلحة، وبلال، وأسـامة الصغير. كانت بعض الحجارة المتبقّيـة من الأصنام لا تزال على الأرض. فقاموا بلمّهـا ورميهـا خارجـاً، ثـمّ نظّفـوا كلّ أرجـاء الكعبة. شـكر النبيّ الله كثيـراً وعندما خرج من الكعبـة، رأى أهلهـا مجتمعين في الخـارج. بدا الخـوف فـي أعينهم. فقـد كانوا يخشـون عواقب الأذى الذي تسـبّبوا به للمسـلمين. وأخذوا يتساءلون ما إذا كان رسول الله سيعذّبهم. هل سيعاقبهم بالجوع والعطش، ويطردهم من مكّة كما فعلوا به وبالمسلمين في الماضي؟

كان رسـول اللـه هـو نبـيّ المحبّة والتسـامح. فقد أرسـله الله رحمـة للعالميـن. ولم يكن الحقـد والثأر من طبعه. كلّ ما سـعى إليه هو إحلال السـلام والأخوّة بين النـاس، ولن يقدم أبداً على الإسـاءة لقريش. فسـامح مشـركي أهل مكة رغم كل الأذى الذي ارتكبوه تجاهه إلا بعض الأشـخاص الذيـن كانوا من أشـد المحاربين للدعوة الإسـلامية، سـامحهم لأنـه كان يطمع في إسـلامهم وأن يصبحوا دعاة لهذا الدين. لم يصدّق أهل مكّة آذانهم. وشـعروا بإحراج كبير أمام هذا الكرم الذي أظهره النبيّ تجاههم. عادوا إلى منازلهم بفرح ودهشة. ورأوا مرّة أخرى تعاطف النبيّ، ورحمته، وحبّه للسلام.

اليوم
299

فرار عكرمة

عكرمة هو ابن أبي جهل. حتّى ذلك اليوم، لم يوفّر إهانة أو إساءة إلاّ وجّهها إلى رسول الله ﷺ. لذلك، عندما تمّ فتح مكّة، هرب من المدينة خوفاً على حياته. أسلمت زوجة عكرمة، وفهمت مدى عظمة وتسامح رسول الله. فذهبت إلى النبيّ ﷺ، وشرحت له ما جرى، وقالت: «قد هرب عكرمة منك إلى اليمن، وخاف أن تقتله، فأمِّنه». كان نبيّ الرحمة يفضّل أن يسامح الناس حتّى لو كانوا من أشرس أعدائه. لذلك، أجابها عن طيب خاطر وأمَّنه. عندئذ، بدأت المرأة المسكينة تبحث عن زوجها.

عثرت عليه أخيراً في بلدة ساحلية. كان عكرمة قد استقلّ سفينة للسفر إلى اليمن. فنادته زوجته: «يا ابن عمّ، قد جئتك من عند أوصل الناس، وأبرّ الناس، وخير الناس، لا تُهلك نفسك، إنّي استأمنتُ لك محمّداً ﷺ». لم يصدّق عكرمة ما سمعه. أيعقل ذلك؟ كانت فرحته لا توصف وهو يغادر السفينة فوراً، ويعود مع زوجته إلى مكّة.

عندما وصلا، ذهبا إلى رسول الله. فقام لاستقبال عكرمة بلهفة كبيرة، ورحّب به. شعر عكرمة بإحراج كبير بسبب سلوكه في الماضي تجاه المسلمين. فطأطأ رأسه وطلب السماح قائلاً: «إنّي أسألك أن تغفر لي كلّ عداوة عادَيتُكَها، أو مسير وُضعت فيه، أو مقام لقيتك فيه، أو كلام قلته في وجهك، أو أنت غائب عنه». فرفع رسول الله يديه إلى السماء ودعا قائلاً: «اللهمّ اغفر له كلّ عداوة عادانيها، وكلّ مسير سار فيه إلى موضع يريد في هذا المسير إطفاء نورك، فاغفر له ما نال منّي من عرض في وجهي، أو أنا غائب عنه». قال عكرمة: «إلامَ تدعو يا محمّد؟» فأجابه النبيّ: «أدعوك أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وإنّي رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وأن تؤتي الزكاة». وأخذ يعدّد عليه فرائض الإسلام. فقال عكرمة: «ما دعوتَ إلاّ إلى الحقّ وأمْر حسن جميل. قد كنتَ والله فينا تدعو إلى ما دعوتَ إليه، وأنت أصدقُنا حديثاً، وأبرّنا برًّا. فإنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّداً عبد الله ورسوله».

هكذا، انتقل عكرمة من الكفر إلى الإيمان بسبب حسن معاملة النبيّ للناس.

اليوم
300

سلام في مكّة المكرّمة

مرّ يومان على فتح مكّة. أصبحت الكعبة المشـرّفة بين أيدي المسلمين، وفرح أهل المدينة كثيراً. فقد استراح المسلمون لأنّهم عادوا إلى مسقط رأسهم. وشعرت قريش بالاسترخاء بعدما عفا عنها رسول الله ﷺ.

دامت عداوة قريش والمسلمين لسنوات. غير أنّهم تذوّقوا الآن حلاوة السلام. لم يتعرّض أحد للأذى أو الإهانة، ولم تُسفك نقطة دم. وكلّ هذا بفضل تسامح النبيّ وعطفه الذي لا حدود له.

صعد رسـول الله ﷺ الأدراج المؤدّية إلى باب الكعبة المشـرّفة. ونظر إليه الناس بإعجاب كبيـر. قـال لهم: «أيّها النـاس، إنّ الله حرّم مكّة يوم خلق السـموات والأرض. فهي حرام بحرمة اللـه إلـى يـوم القيامة. فلا يحـلّ لامرئ يؤمن باللـه واليوم الآخر أن يسـفك فيها دمـاً، أو يعضد (يقطع) فيها شجرة... فليُبلغ الشاهد الغائب».

فمكّة هي مدينة مقدّسة. ومن غير الملائم أن ترتكب فيها أمور شائنة. يجب أن تكون مطهّرة من الحقد، والشـرور، والعـداوات. وكان لهذا المناخ من الأخوّة والسـلام الذي خيّم على مكّة مـن أدناهـا إلى أقصاها أثـر كبير في نفوس المشـركين.



أعجبـوا بتسـامح النبـيّ، ذلك أنّـه لو أراد، لاسـتطاع الانتقام منهم بسـهولة. غير أنّه لم يفعل، كما أنّه لم يجبر أحـداً على اعتناق الإسـلام. بهذه الطريقة، تسلّل دفء الإيمان إلى قلوبهم تدريجيًّا.

فاضـت مكّـة بشـراً وسـعادة. لانـت القلـوب، وشـعّت المدينـة بالنـور. فقد كانت تحتضـن مجدّداً النبـيّ الـذي نفّذ وصيّة الله عـزّ وجلّ في كتابه الكريـم: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُـرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾.



اليوم
301

المشركون يبحثون عن رسول الله ﷺ

كان رسول الله ﷺ على جبل الصفا. وقف في هذا المكان منذ سنوات خَلَت، ودعا الناس إلى الإسلام. بيد أنّهم لم يصغوا إليه، بل صمّوا آذانهم وانصرفوا عنه.

هذه المرّة، اختلف الوضع تماماً. من رأوه، هَرعوا إليه. ودخل الناس في الإسلام أفواجاً. فغصّ جبل الصفا بالشباب والعجائز. وراح الأطفال يتسابقون لرؤية النبيّ والفوز بدعواته.

بايع الناس الذين يدخلون في الإسلام رسولَ الله واحداً واحداً على عدم المضيّ في ارتكاب الشرك والمعاصي. فوعدوا النبيّ ﷺ ألاّ يشركوا بالله شيئاً، وألاّ يسرقوا، وألاّ يسيئوا معاملة بناتهم، وأن يتحلّوا بمكارم الأخلاق، ولا يعصوا رسول الله في معروف.

كان بين النساء اللواتي يبايعن رسول الله امرأةٌ غطّت وجهها لكي لا يعرفها أحد. فقد كانت تشعر بالإحراج بسبب أفعالها الماضية. هذه المرأة هي هند، التي تسبّبت بمقتل حمزة، عمّ رسول الله. وبعد أن أكرمها الله بالإسلام، ندمت على ذلك أشدّ الندم.

عندما عرف رسول الله ﷺ أنّ هنداً أصبحت مسلمة، عفا عنها. فنبيّنا كان ينبذ الحقد والثأر، حتّى تجاه هذه المرأة التي قتلت عمّه الحبيب ومثّلت بجثّته. إنّه مثال حسن المعاملة ومكارم الأخلاق.



مع نهاية ذلك اليوم، تذوّقت قريش طعماً آخر للسعادة. ذلك أنّ رسول الله مدّ يديه وأنقذ الناس الغارقين في الشرك والمعاصي. وبينما كان المساء يسدل ستاره على مكّة المكرّمة، تصاعدت هتافات الفرح من جبل الصفا.

اليوم
302

ليس ملكاً، بل نبيًّا

كانت مكّة تتذوق للمرّة الأولى سعادة العيش في ظلّ الإسلام. فبدت أفضل مكان على وجه الأرض.

سمع مسكين يعيش في الصحراء أنّ رسول الله ﷺ أتى إلى مكّة. كان قد سمع عنه الكثير حتّى ذلك الحين. فتاق إلى رؤيته والتعرّف عليه. لذلك، ذهب إليه مسرعاً.

أخذه الناس إلى رسول الله. فوقف أمامه وقلبه ينبض من شدّة الحماسة والتوتّر. لم يعرف ماذا يقول. عندما رآه رسول الله ﷺ على تلك الحال، أراد أن يهدّئ من روعه. فطلب منه أن يتماسك، وقال له إنّه ليس ملكاً، بل هو ابن امرأة كانت تجفّف اللحم تحت الشمس وتطعمه إيّاه مع الخبز الجاف.



عندئذٍ، هدأ الرجل وسيطر على توتّره. فهو أمام نبيّ، لا ملك. وقد أعجب كثيراً بتواضعه وقربه من الناس.

اليوم
303

فرحة أبي بكر

مضت سنوات عديدة على ابتعاد أبي بكر عن والده. فعندما هاجر إلى المدينة المنوّرة مع رسول الله ﷺ، بقي والده أبو قحافة في مكّة، ولم يؤمن بالإسلام. فدعا أبو بكر كثيراً لكي يرِقّ قلب والده، ويتذوّق حلاوة الإيمان.



أصبح أبو قحافة شيخاً عجوزاً الآن. عند أوّل فرصة، ذهب أبو بكر إلى أبيه. فقبّل يده باحترام كبير، واحتضنه بشوق ولهفة. للتعويض عن سنوات الفراق، تحدّث الأب وابنه مطوّلاً. لم يكن أبو بكر يريد أن يتأخّر والده في إسلامه أكثر من ذلك. فأمسك بذراعه بلطف، وأحضره إلى رسول الله.

كان النبيّ ﷺ شديد التعاطف والاحترام لكبار السنّ. عندما رأى والد أبي بكر آتياً إليه، قال لصديقه: «هلاّ تركت الشيخ في بيته حتّى أكون أنا آتيه فيه؟».

غير أنّ لرسول الله ﷺ مكانة خاصّة، وقد عرف أبو بكر ذلك. فأجابه: «يا رسول الله، هو أحقّ أن يمشي إليك من أن تمشيَ أنت إليه».

عندئذٍ، قام رسول الله، ثمّ مسح على صدر العجوز، وقال: «أَسلِمْ». فتأثّر أبو قحافة بلياقة النبيّ كثيراً، وأسلم على الفور. أمّا أبو بكر، فكانت فرحته في ذلك اليوم لا توصف.

اليوم 304

«لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقَتْ...»

لم يغادر رسول الله مكّة فوراً، بل مكث فيها لمدّة من الوقت يُعلّم المسلمين الجدد أوامر الله ونواهيه. غير أنّه لم يكن سهلاً على أولئك الأشخاص تغيير عاداتهم القديمة.

كان من بينهم امرأة تدعى فاطمة، سرقت شيئاً. بسبب ذلك، كان لا بدّ أن تعاقَب لكي لا تكرّر فعلتها ثانية. لكنّ بعض الناس رفضوا تعريضها للعقاب، بحجّة أنّها تنتمي إلى أسرة عريقة.

فأرسلوا أسامة إلى رسول الله ﷺ، ظنًّا منهم أنّه سيستجيب لطلبه لأنّه يحبّه كثيراً. شرح أسامة المشكلة للنبيّ. ثمّ طلب منه العفو عن فاطمة لأنّها تنتمي إلى أسرة كبيرة.

عندما سمع رسول الله ذلك، ثار غضبه وقال: «أتشفع في حدّ من حدود الله؟» فحزن أسامة وندم على طلبه، ثمّ اعتذر من رسول الله.

قبل رسول الله ﷺ اعتذار أسامة، ثمّ جمع الناس وخاطبهم قائلاً: «إنّما أهلَكَ الذين من قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ. وأيم الله، لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقَتْ، لقطعتُ يدَها».

تأثّر الحاضرون بمبدأ العدالة والمساواة الذي فرضه الإسلام. فنالت فاطمة التي ارتكبت جرم السرقة العقاب الذي تستحقّه. وبعد ذلك، تابت وطلبت المغفرة من الله سبحانه وتعالى. من الآن فصاعداً، لن تقدم أبداً على معصية الله.

من كانت لديهم النيّة بالسرقة امتنعوا عنها خوفاً من العقاب. هكذا، وضع الإسلام حدًّا للسرقة، والظلم، والأذى في مكّة المكرّمة. فبدأت المدينة تكتسب وجهاً مختلفاً تماماً، وبرز فيها الجانب الخيّر لأهلها.



اليوم
305

أيّام حُنَين

كالعادة، ثمّة من انزعج في تلك الأيّام أيضاً من إنجازات رسول الله، واتساع رقعة الإسلام. مرّ بعض الوقت على فتح مكّة المكرّمة. خلال تلك المدّة، أدركت قريش خطأها، واعتنقت الإسلام. لكن ما زال في الجوار كثير من المشركين.

كان من بين هؤلاء قبيلة هوازن، الذين قرّروا حشد جيش كبير والزحف به إلى مكّة بقيادة مالك بن عوف. قرّر مالك إعطاء الانطباع أنّه يملك جيشاً كبيراً من خلال إدخال النساء، والأطفال، والحيوانات في الجيش. وأخذ يقول إنّ هذه المعركة ستكون آخر معركة لمحمّد، وإنّه انتصر حتّى الآن لأنّه لم يحارب مقاتلين حقيقيين.

بعد مدّة قصيرة، سمع أهل مكّة بنيّة قبائل هوازن شنّ هجوم على مدينتهم. لم يكن رسول الله ﷺ يحبّ الحرب، لكن لا بد من الجهاد وقتال الكفار المحاربين لدين الإسلام.

تمّت الاستعدادات بسرعة بمساعدة مسلمي مكّة الجدد. وانضمّ إلى الجيش أشخاص كانوا حتّى مدّة قصيرة يقاتلون رسول الله ﷺ. عندما انتهت التجهيزات، كان خلف رسول الله جيش من اثني عشر ألف مقاتل.

تواجه الجيشان قبيل الصباح في وادي حُنين. بدأ جيش هوازن بهجومه قبل الفجر لكي لا يكتشف المسلمون الخدعة. في الظلام، انقضّ ألفا جندي على المسلمين. فانقسم جيش المسلمين إلى نصفين، وتشتّتوا لمدّة من الوقت. في غمرة تلك الفوضى، راح المسلمون يركضون في كلّ اتجاه. واختلط صهيل الأحصنة مع صرخات الجنود. في غبار وادي حنين، تردّدت أصداء السيوف من الجانبين.



امتطى رسول الله ﷺ فرسه بحزم وثبات. وعندما رأى المسلمين يفرّون، قال لعمه العباس: «أي عباس، نادِ أصحاب السمرة (أي الشجرة)» فقال العباس - وكان صوته عالياً - بأعلى صوته: أين أصحاب السمرة؟ قال: فواللهِ لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها! فقالوا: يا لبيك! يا لبيك!





عندئذ، اجتمع المسلمون أمام رسول الله ﷺ، وقالوا له: «يـا رسـولَ الله وربُّ الكعبة إليـكَ والله». بـدا النبيّ وكأنّه يتحـدّى جيـش العـدوّ بأكمله بهـذه الشـجاعة. فارتفعت معنويـات المسـلمين. واسـتمدّ الصحابـة منه الشـجاعة والقـوّة، فاندفعـوا يقاتلـون بحماسـة كبيـرة. عندمـا رأى جيـش هـوازن صمـود المسـلمين ومقاومتهـم، لـم يعـد بإمكانه الصمود وانهزم.

ترك جيش هوازن وادي حنين بفزع كبير، وحقّق المسلمون النصر. فثبات رسول الله منحَ المسلمين الشجاعة حتّى في أصعب الأوقات.

اليوم
306

اعتراف عكرمة

وقف عكرمة ابن أبي جهل في وجه رسول الله ﷺ في الماضي، شأنه شأن أبيه. غير أنّه آمن بالنبيّ بعد فتح مكّة، واعتنق الإسـلام. وكان ممن حاربوا ضدّ قبائل هوازن في غزوة حنين. كان صديقه سهيل يقاتل مع جيش المسلمين هو أيضاً. لم يكن مسلماً، لكنّه شارك في المعركة دفاعاً عن مكّة. عندما رأى سـهيل المسـلمين مشـتّتين، اقترب من عكرمة وقال له إنّ محمّداً وأصحابه لـن يسـتعيدوا قوّتهم أبـداً بعد هذه المعركة. فأجابـه عكرمة: «هذا بيد الله، ليـس إلى محمد منه شـيء. إن أُدِيـل عليـه اليوم، فـإنّ له العاقبة غداً». عندئذ سـأله سـهيل: «واللـه إن عهدك بخلافه لحديث» (أي أنت لم تُسلم إلاّ منذ وقت قصير). فقال له عكرمة بحكمة: «يا أبا يزيد، إنّا كنا على غير شيء، وعقولنا ذاهبة، نعبد حجرًا لا يضرّ ولا ينفع».

دُهش سهيل بكلام عكرمة. وأدرك أنّ الشخص الذي استطاع تغيير رأي صديقه بهذا الشكل لا بدّ أن يكون رجلاً عظيماً بالفعل.

اليوم 307

أخت بالرضاعة

هرب جنود هوازن من ساحة القتال تاركين خلفهم زوجاتهم، وأبناءهم، ومقتنياتهم. فأخذت الجياد والجِمال تتجوّل في وادي حنين من دون أصحابها.

أحسن رسول الله ﷺ معاملة الأسرى. فأخذ الأطفال، والنساء، والمواشي تحت حمايته. وأمر الجنود أن يحسنوا معاملتهم وألاّ يتعرّضوا لهم بأيّ أذى. فقال له الصحابة: «يا رسول الله، إنّهم أولاد المشركين». عندئذ أجابهم النبيّ ﷺ: «كلّ مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه».

أصغى الصحابة إلى كلام النبيّ وأطاعوه. فأحسنوا معاملة الأطفال، والنساء، والخدم، والحيوانات. كان من بين أسيرات الحرب امرأة تردّد: «تعلمون والله إنّي لأخت صاحبكم من الرضاعة؟».

عندما سمعها الصحابة، أخذوها إلى رسول الله. فتعرّف عليها النبيّ ﷺ. كانت تلك المرأة شيماء، ابنة حليمة السعدية التي أمضى رسول الله مع أسرتها أيّاماً لا تُنسى في البادية.

أجلسها بقربه، وسألها عن أحوالها وما تحتاج إليه، وعرض عليها الإسلام.

فكّرت شيماء بزوجها، ومنزلها، وأولادها الذين تركتهم، ثمّ أجابت: «أريد أن تمتّعني وتردّني إلى قومي». فلبّى رسول الله ﷺ رغبتها.

أُعجبت شيماء كثيراً بكرم النبيّ ووفائه لأسرته. فنطقت بالشهادة واعتنقت الإسلام. بعد ذلك، عادت من حيث أتت، ومعها كثير من الهدايا من رسول الله.



اليوم 308

فرحة أسرى الحرب

أصبحت كلّ الغنائم التي تركتها قبائل هوازن في ساحة المعركة ملكاً للمسلمين. كان لديهم ست مئة أسير، معظمهم من نساء وأطفال جنود العدوّ.

أحضر إليهم رسول الله ﷺ ثياباً نظيفة، ثمّ بذل ما في وسعه ليؤمّن لهم الراحة والاطمئنان. لم يعاملهم أحد كأسرى، بل كضيوف. لهذا السبب، شعروا بامتنان كبير للنبيّ والصحابة.

بعدما فرّ جنود هوازن من أرض المعركة واختبأوا في قلعة الطائف، أوفدوا السفراء إلى رسول الله. أتى السفراء بأخبار جيّدة، وقالوا إنّ قبائل هوازن اعتنقت الإسلام.

فرح رسول الله ﷺ كثيراً بتوبتهم واختيارهم طريق الصواب. فسلّمهم الأسرى، الذين كانت فرحتهم فرحتين. فقد تعرّفوا على جمال الإسلام، واجتمعوا مجدّداً بأقربائهم. فهموا أخيراً مدى لطف النبيّ ومحبّته للمسلمين، على الرغم من إعلانهم الحرب عليه في الماضي.

اليوم 309

إبل سُراقة

في أثناء عودة رسول الله من الطائف، رأى الصحابة رجلاً يركض باتّجاههم. فأوقفوه فوراً، وسألوه من يكون. أجابهم: «أنا سراقة».

عرفه رسول الله ﷺ فوراً. إنّه الرجل الذي تعقّبه هو وصاحبه أبو بكر خلال هجرتهما من مكّة إلى المدينة المنوّرة. وعندما غرقت أقدام جواده في الرمال، آمن برسول الله، وامتنع عن إخبار قريش بما رآه. بالإضافة إلى ذلك، وعد النبيَّ أن يعتنق الإسلام عندما يصبح المسلمون أكثر قوّة.

قال لهم النبيّ ﷺ: «ائتوني به». عندما وقف سراقة أمامه قال له الرسول: «هذا يوم وفاءٍ وبرّ ادْنه». فدنا سراقة ثمّ نطق بالشهادة على الفور.



وفـي سـراقة بالوعـد الـذي قطعـه قبـل سـنوات. خلال هـذا الوقت، فهم أنّ الإسـلام هو آخر الأديـان وأكملها. ففرح النبيّ لأنّ هذا الرجل الصادق عرف طريق الحقّ.

سأل سراقة رسـول الله ﷺ عن ثواب سـقاية الإبل الضالّة، فقال: «يا رسـول الله! الضالّة من الإبل تغشى حِياضي، وقد ملأتهـا لإبِلي، هل لي من أجر في أن أسقها؟».

كان نبيّنـا الحبيـب يعطف كثيراً على الحيوانات، تماماً مثل البشـر. فأجـاب: «نعم، في كلّ ذاتِ كبدٍ حرى أجر».

رحل سـراقة مسـروراً، وعاد إلى منزله مؤمناً. من الآن فصاعداً، سـيصبح رسول الله قدوته في الحياة.

اليوم 310

شمس المحبّة تذيب الجليد

كان مالك بن عوف، قائد هوازن، غاضباً جدًّا. فعلى الرغم من إسلام عشيرته، إلاّ أنّ مشاعر الحقـد مـا زالـت تعتمل في قلبه. فهـو لم يتقبّـل هزيمته أمام رسـول الله. كان النبـيّ قد عفا عن الجنـود، ووعدهم بإعادة أسـرهم وممتلكاتهم إليهـم. غير أنّ مالكاً ظـنّ أنّ النبيّ لن يفعل ذلك معه. وكلّما فكّر بأسـرته وممتلكاته التي بقيت مع المسـلمين، ازداد حقداً على رسـول الله ﷺ. قال في نفسه، من يسامح قائداً أعلن الحرب ضدّه؟

عرف رسـول الله كلّ ذلك. وأراد لشـخص ذكي وشـجاع مثل مالك أن يجد طريق الحقّ. عندما سـأل عنه من أتَوا لأخذ الأسـرى، أجابوه: «إنّه في الطائف في حصون منيعة، يخشى على نفسه». كان النبيّ ﷺ قد أصدر قراراً أنه من يأته تائباً مسلماً رحب به.

عندما عاد الرجال، أخبروا مالكاً برسالة رسول الله. فدُهش كثيراً. بعدما تحدّى النبيّ علناً، وأعلن الحرب عليه، وآذى المسلمين كثيراً، يدعوه ليعفو عنه لا ليقتله؟



ركب مالك حصانه، وذهب إلى رسول الله على الفور. شعر بالإحراج أمام النبيّ ﷺ، وطأطأ رأسه نادماً. لكنّ نبيّنا الحبيب، المتسامح، لم يسأله عن شيء، ولم يحاسبه. رحّب به بحبّ كبير، أثار إعجاب مالك واستغرابه. فنطق بالشهادة ودخل في الإسلام.

أعاد إليه رسول الله أسرته وأمواله. كما أهداه مئة من الإبل. تأثّر مالك كثيراً بكرم رسول الله ﷺ غير المحدود. فزالت من قلبه كلّ مشاعر الحقد، مثلما يذوب الجليد تحت أشعّة الشمس. زالت العداوة التي كان يشعر بها تجاه المسلمين، ولم يعد لها أثر في نفسه. فنظم في النبيّ هذه الأبيات:

ما إن رأيت ولا سمعتُ بما أرى
في الناس كلّهم بمثل محمّدِ
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتُدي
ومتى تشاء يُخبرك عمّا في غدِ

بعد ذلك، خيّم السلام، والأخوّة، والاحترام على المسلمين في كلّ مكان. أدرك مالك خطأه، واقتنع بنبوّة محمّد. وأصبح منذ ذلك الحين مستعدًّا للتضحية بحياته في سبيل الإسلام.

اليوم 311

قطيع الإبل

بعد الحرب مع هوازن، وجد المسلمون بين أيديهم كثيراً من الأموال، والمواشي. بينما كان رسول الله ﷺ واقفاً في أحد الوديان بالقرب من قطيع كبير من الإبل، مرّ به صفوان ابن أمية. لم يكن صفوان قد أسلم بعد، غير أنّه كان يراقب سلوك رسول الله ويصغي إلى كلامه. وحاول بذلك أن يتعرّف أكثر إلى الإسلام.

انبهر صفوان بمشهد الإبل، فأعطاه رسول الله ﷺ مئة جمل. فوجئ صفوان، ولم يعرف

بمـاذا يجيـب. أربكـه كـرم النبيّ، واتّضحـت له الحقيقـة التي كانـت غائبة عن عينيـه طوال هذه السـنوات. فأسـلم، وكان بعدها يقول: والله لقد أعطاني رسـول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحبّ الناس إليّ.

اليوم 312

دهشة قريش

حان الوقت لتوزيع الغنائم التي كسبها المسلمون من غزوة حُنين. كان في جيش المسلمين أشـخاص اعتنقـوا الإسـلام بعد الفتح. لكـنّ مكّة ما زالـت تضمّ أناسـاً لم يُنعم اللـه عليهم بعد بالإسلام.

أراد رسـول اللـه ﷺ أن يقوّي إيمان المسـلمين الجـدد. كما رغب في تلييـن قلوب من لم يسلموا بعد. لهذا السبب، قرّر توزيع كلّ الغنائم على قريش. ولم يعط الأنصار شيئاً منها.

عاد مسلمو قريش إلى منازلهم محمّلين بالغنائم، من إبل، وجياد، وفضّة. فاستغرب الجميع ما جرى. حتى ذلك اليوم، لم تر قريش في حياتها مثل هذا الجود والكرم. كان أبو سفيان يصيح قائـلاً: «إنّـك الكريم، فداك أبي وأمّي يا رسـول الله!» فبهذه الطريقـة، كان الناس في ذلك الزمن يعبّرون عن ولائهم ومحبّتهم لبعضهم.

تابع يقول: «ولقد حاربتُك، فنِعْمَ المحارب كنت، ثم سـالمتك فنعم المسـالم أنت، جزاك الله خيراً».

اليوم 313

فرحة الأنصار

بينما كان مسـلمو مكّة يتقاسـمون الغنائم، وقف الأنصار جانباً، واسـتغربوا لأنّهم لم ينالوا نصيبـاً منهـا. لم يفهم بعضهم لماذا تصرّف رسـول الله ﷺ على هذا النحـو. واعتقدوا أنّه فضّل قريشاً عليهم، فأحزنهم ذلك.

عندما لاحظ رسـول الله ﷺ حزنهم، شـرح لهم سـبب توزيعه الغنائم على قريش، مع أنّها حديثـة العهد بالإسـلام. قال لهم: «إِنِّي لَأُعْطِـي رِجَالاً حَدِيثِي عَهْـدٍ بِكُفْرٍ لِأَتَأَلَّفَهُـمْ بِذَلِكَ». ثمّ أضـاف: «مَا مَقَالَـةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا عَلَيَّ فِي أَنْفُسِـكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالاً، فَهَدَاكُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ أَلاَ تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟".

فقالوا بأدب: "وبماذا نجيب يا رسـول الله؟ ولله ولرسـوله المنّ والفضل، وما أخذناه كان أكثر بكثير ممّا منع منا".

فرح رسول الله ﷺ بتفهّم الأنصار وبجوابهم. فقال لهم: "أما وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ: جِئْتَنَا طَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلاً فَوَاسَـيْنَاكَ، وَخَائِفًا فَأَمَّنَّاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَمُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ".

أصغـى الأنصار إلى كلام رسـول الله، الذي تابع يقـول: "أَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَـرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَـبَ النَّـاسُ بِالشَّـاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُـولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ؟".. ثمّ دعـا لهم النبيّ قائلاً: "اللهـمّ ارحـم الأنصـار، وأبناء الأنصـار، وأبناء أبناء الأنصـار". فقالوا بصـوت واحد: "رضينا برسول الله قسمًا وحظًا".

تأثّر الأنصار بهذا الدعاء الجميل، حتّى بكى بعضهم. فرسـول الله سـيغادر مسـقط رأسـه، الـذي يحبّـه كثيراً، ويعود معهم إلى المدينـة المنوّرة. وبذلك ينفّذ الوعد الـذي قطعه عليهم منذ سـنوات. لو أراد، لاسـتطاع أن يكون سيّداً مطاعاً في مكّة. لكنّه نبيّ متواضع، فضّل العيش بينهم كواحد منهم.

عيّن رسول الله أحد صحابته زعيماً على مكّة المكرّمة، وترك هذا المكان المقدّس بين أياد أمينـة. طـاف حول الكعبة، ثمّ ودّع أحبّاءه، وانطلق عائداً إلى المدينة المنوّرة. فرح الأنصار كثيراً وفاضت أعينهم بالدموع. فنبيّهم الحبيب عائد للعيش معهم في المدينة المنوّرة.



اليوم
314

حسن ضيافة النبيّ ﷺ



راح النـاس يتناقلون أخبار فتـح مكّة والنصر الذي حقّقه المسـلمون في غـزوة حُنين. وتوافدوا إلـى المدينة المنوّرة أفواجـاً لرؤيـة النبـيّ الـذي يعيـش هنـاك، والتعـرّف علـى الإسـلام. لطالما أحبّ رسـول الله ﷺ الضيوف وخدمتهم، فرحّب بهم بحرارة.

أمر الناس أن يطعموا الضيوف ويستقبلونهم. فهذه من أفضل الأعمـال وأكثرها ثواباً. فأخـذ الصحابة يقلّدونه فـي ذلك. فتحوا أذرعهـم وبيوتهم لمـن أتوا إلى المدينة المنـوّرة. أمّا الضيوف، فأعجبـوا بالمعاملـة التـي تلقّوها مـن النبيّ والصحابـة. هكذا عادوا إلى بلادهم بعدما تعرّفوا على الإسلام، وكلّهم تقدير لرسول الله.

فـي ذلك الوقت، كانت دول عديدة في شـبه الجزيرة العربية قد اعتنقت الإسـلام. وكان لا بـدّ مـن تعليم أهلهـا مبادئ هذا الدين. لهذا السـبب، عيّن رسـول الله ﷺ حكّامـاً جدد في تلك المناطـق. وأرسـل عـدداً من صحابته إليهـم. كان يوصي الصحابـة الذين يكلّفهـم بتلك المهمّة الصعبة قائلاً: «يسِّرُوا ولا تعسّرُوا، وسكّنُوا ولا تنفّروا».

سـافر الصحابة إلى تلك المدن، وشـرحوا للناس أوامر الإسـلام ونواهيه. فسمع أهل تلك الأماكـن أمـوراً جميلة لم يسـمعوا بها من قبل. رأوا سـلوك الإسـلام وأخلاقه الرائعـة. وتعرّفوا على جمال الأخوّة في الدين. فتغيّرت أحوالهم. أصبح الأغنياء يتقاسـمون شـيئاً من ثروتهم مع الفقراء. وهذا ما أفرح المساكين، وعرّف الأثرياء على حلاوة العطاء.

أعجب الناس بالنبيّ وبالدين الجديد الذي يدعو إليه. ومع الوقت، بدأ الظلم، والاضطهاد، والسـرقة تختفـي من المجتمع الإسـلامي. لقد شـعّ من المدينة نور سـاطع، وبـدأ يضيء العالم بأكمله.



اليوم
315

فرحة سفانة

استمرّت بعض القبائل في عدائها لرسول الله، على الرغم من دخول كثير من الناس في الإسلام. فشنّوا حروباً على المسلمين. في إحدى هذه الحروب، أسر المسلمون امرأة تدعى سَفانة. كانت سفانة امرأة ذكية وواسعة المعرفة. عندما رأت رسول الله، قامت إليه وقالت له: «يَا مُحَمَّدُ، هَلَكَ الْوَالِدُ، وَغَابَ الْوَافِدُ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخَلِّيَ عَنِّي، فَلا تُشْمِتْ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ، فَإِنِّي بِنْتُ سَيِّدِ قَوْمِي، كَانَ أَبِي يَفُكُّ الْعَانِي، وَيَحْمِي الذِّمَارَ، وَيُقْرِي الضَّيْفَ، وَيُشْبِعُ الْجَائِعَ، وَيُفَرِّجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَيُفْشِي السَّلامَ، وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ، أَنَا بِنْتُ حَاتِمِ طَيِّءٍ».



رحّب رسول الله ﷺ بها، وعرض عليها الإسلام. أمام لطف رسول الله وكرم أخلاقه، اعتنقت سفانة الإسلام فوراً. بعد ذلك، بحثت عن أخيها حتّى وجدته، وأخبرته بما جرى. كان شقيقها هو عَديّ بن حاتم الطائي، زعيم قبيلة طيء، المشهور بكرمه وجوده. فرح عديّ عندما سمع عن تسامح رسول الله وحِلمه. وأحبّ رؤيته بأسرع وقت ممكن. فانطلق إلى المدينة المنوّرة.

عندما وصل عديّ إلى المدينة، ذهب لرؤية رسول الله ﷺ. فسلّم عليه، وعندما عرف النبيّ من يكون، دعاه إلى بيته. بينما هما في الطريق، استوقفتهما امرأة عجوز، وأخذت تكلّم رسول الله ﷺ في حاجة لها. فاستغرب عَديّ صبر النبيّ وتفهّمه. فهو نفسه كان زعيماً في قومه، ولم يكن الناس الضعفاء يستوقفونه هكذا. وحتّى لو فعلوا، لم يكن يصغي إليهم، بل يرسلهم إلى وزرائه. أمّا هذا الرجل، فقد أبدى كثيراً من التعاطف والصبر تجاه المرأة. بعدما انصرفت العجوز، تابعا طريقهما.

أثّرت هذه الحادثة بِعَديّ كثيراً. فراح يحدّث نفسه قائلاً، «والله ليس هذا أمر ملك. لا بدّ أن يكون نبيًّا!» بعد وصولهما، تناول رسول الله وسادة مصنوعة من الجلد، وأجلس عديًّا عليها. أمّا هو، فجلس على الأرض. فأُعجب عدي كثيراً بضيافته وتواضعه!

آمن عَديّ الآن أنّ هذا الرجل ليس ملِكاً بل نبيّ حقيقيّ. وشأنه شأن أخته سفانة، نطق بالشهادة واعتنق الإسلام.

اليوم
316

حبّ النبيّ ﷺ للبساطة

كانت مبادئ الأخوّة الإسلامية تنتشر في مختلف أرجاء العالم. وأصبح في متناول رسول الله ﷺ كثير من وسائل الرفاهية. فقد ازدادت قوّة الدولة الإسلامية، وزال خطر المجاعة والفقر بين المسلمين.



حتّى في تلك الأيّام التي خيّم فيها الرخاء والغنى على العالم الإسلامي، فضّل رسول الله ﷺ عيش حياة متواضعة مع أسرته. في أحد الأيّام، أتى عمر لزيارته. وكان النبيّ مستلقياً على فراش من القشّ.

عندما وصل عمر، قام ودعاه للدخول. فرأى آثار القشّ على بشرة رسول الله. عندئذٍ، لم يتمالك نفسه، وأخذ يبكي. عندما رآه رسول الله على تلك الحال، سأله ما الذي يبكيه. فنظر إليه عمر وأجاب أنّه عندما رأى النبي على هذه الحال، تذكّر ملوك الروم والفرس. فهم يجلسون على العروش الذهبية، وينامون على فرش من الحرير، في حين أنّ رسول الله يعيش حياة في غاية البساطة.

عندئذ ابتسم نبيّنا الحبيب ﷺ وقال له إنّ زينة الحياة الدنيا هي لمن يسعون إليها. أما المؤمنون، فهم يطمعون في السعادة الأبدية التي تنتظرهم في الآخرة.

فهم عمر مغزى كلام رسول الله. فبوجود فقراء وجياع في هذا العالم، يأبى النبيّ أن يعيش حياة رخاء وترف. لهذا السبب، كان يوزّع كلّ ما لديه للفقراء والمحتاجين. سعى إلى الفوز بحياة جميلة في الآخرة، ذلك أنّ الحياة الدنيا مؤقّتة وزائلة بكلّ ما فيها.

اليوم
317

أخلاق الإسلام

توافد الناس من أماكن بعيدة ليتعلّموا أوامر الإسلام ونواهيه. بعد ذلك، كانوا يعودون إلى مدنهم لنشر تلك التعاليم بين الناس الذين لم يتمكّنوا من المجيء إلى المدينة المنوّرة.

ذات يوم، أتت مجموعة من الناس إلى رسول الله. فسأله أحدهم عن إكرام الضيف. أجابه النبيّ ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه". سرّ الرجل بهذا الجواب، وتابع يسأل: "وما جائزتُه؟" (أي ما مدّته). فقال النبيّ: "الضيافةُ ثلاثة أيام، وجائزتُه يوم وليلة، ولا يحلّ لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يُؤثِمُه" (أي يُحرجه فلا يجد ما يقدّمه إليه).



بذلك، أثنى رسول الله على المضيف الذي يستقبل الناس في بيته، كما حذّر الضيوف من عدم إحراج أصحاب المنزل بإطالة مكوثهم عندهم. كان رسول الله ﷺ يعلّمنا الآداب الاجتماعية. فأمرنا بالتصرّف باعتدال، والتفكير دائماً بالآخرين.

مكث ذلك الوفد في المدينة المنوّرة ثلاثة أيّام، ثمّ عاد إلى بلده. فودّعهم رسول الله بعد أن أكرمهم بالهدايا.

تعلّم أولئك الناس من النبيّ ﷺ كثيراً من الخصال، منها الكرم، والإنسانية، وتبادُل الهدايا. فعادوا إلى ديارهم وكلّهم إعجاب بنبيّنا الحبيب. كان المسلمون يكتسبون حضارة جديدة تماماً بفضل رسول الله. تلك الحضارة هي الحضارة الإسلامية التي سيذيع صيتها في العالم أجمع.



اليوم
318

السباق إلى عمل الخير

وفي رجب السنة التاسعة للهجرة، أمر رسولُ الله ﷺ الناس بالتهيؤ لغزو الروم، وكان ذلك في زمان أحوال الناس صعبة، والحر شديد، ويوجد قحط وجدب في البلاد.

ولمواجهة عدوّ بهذه القوّة، كان على المسلمين الاستعداد جيّداً. احتاجوا في سبيل ذلك إلى عدد كبير من الدروع. كما تحتّم عليهم تجهيز مؤونة كبيرة من الطعام والشراب. هذا بالإضافة إلى جياد سريعة وجِمال قويّة.

لتأمين كلّ هذه الاحتياجات، عمل الصحابة ليل نهار. أحضروا كلّ ما لديهم لرسول الله ﷺ، حتّى الفقراء منهم. فقد أراد الجميع المساهمة بشيء ما لجيش المسلمين لكي ينال الثواب على ذلك. بالإضافة إلى ذلك، أرسلت النساء كلّ ما لديهنّ من حلى وجواهر.



جهّز عثمان، صهر النبيّ، قافلة تجارية. وكان على وشك إرسال ثلاث مئة من الإبل المحمّلة بالبضائع القيّمة إلى الشام. ما إن سمع أنّ رسول الله يستعدّ للحرب، حتّى أحضر كلّ إبله إلى رسول الله. فرح رسول الله ﷺ كثيراً بمساهمة عثمان وقال: "ما ضرّ عثمان ما عمِل بعد اليوم".

أحضر عمر أيضاً نصف ماله، ووضعه بين يدي النبيّ. ثمّ أتى أبو بكر إلى رسول الله ﷺ وأحضر معه كلّ ما يملكه. فسأله النبيّ: "ماذا تركتَ لأهل بيتك يا أبا بكر؟" أجاب أبو بكر بثقة كبيرة: "تركتُ لهم الله ورسوله". تأثّر عمر كثيراً بتضحية أبي بكر، وقال: "والله يا أبا بكر لا أسابقك إلى خير قطّ، فإنّي ما سابقتك إلى شيء إلاّ قد سبقتني إليه".

اليوم
319

تخاذل جيش الروم



كالعادة، في أثناء الاستعداد للحرب، لم يجلس المنافقون مكتوفي الأيدي. فبدأ عبد الله بن أُبَي يبثّ أفكاره السامّة بين المسلمين لإضعاف عزيمتهم قائلاً: «هل يظنّ محمّد أنّ قتال الروم لعبة؟ أنا واثق أنّ أصحابه سيسقطون أسرى بين أيدي الروم».

تمكّن ابن أُبَي من التأثير على بعض الناس، فأخذوا يبحثون عن أعذار لعدم المشاركة في تلك الحملة. رفض معظمهم الانضمام إلى الجيش بحجّة الحرّ الشديد. فحزن المسلمون بسبب هذا التصرّف.

خطّط المسلمون لملاقاة العدو في منطقة تسمّى تبوك. كان كثير من المسلمين الذين سمعوا أنّ الروم أعلنوا الحرب عليهم قد التحقوا بالجيش. خلال مدّة قصيرة، حشد رسول الله ﷺ جيشاً كبيراً، فساروا باتجاه تبوك وهم يذكرون الله ويكبّرون بأصواتهم العالية. اعتقد رسول الله ﷺ أنّ جيشاً ضخماً ينتظره في تبوك، إلاّ أنّه لم يجد سوى وادٍ خالٍ. فجلس المسلمون ينتظرون.

أخذ رسول الله ﷺ يشجّع المسلمين ويرفع من معنوياتهم.

مكث رسول الله ﷺ وجنوده في تبوك عشرين يوماً بانتظار العدوّ الذي لم يحضر. عندئذ، قفل الجيش عائداً من حيث أتى. بموقف رسول الله الحكيم والشجاع، عرف المسلمون إحساس النصر مجدّداً. فهذا النبيّ هو خاتم الأنبياء. وقد أنعم الله عليه بالشجاعة، والتصميم، والتسامح، والحكمة.

تأثّر إمبراطور الروم بشجاعة رسول الله ونبله. وشعر بالتهديد أمام موقفه الثابت. فخاف وتخلّى عن فكرة شنّ حرب على المسلمين. في ذلك اليوم، ساعد الله عزّ وجلّ نبيّه وجنوده، وجنّبهم القتال.

اليوم
320

رسول اللّه ﷺ يضيع ناقته

بينما كان جيش المسلمين ينتظر في تبوك، أضاع رسول الله ناقته. بحث عنها مع المسلمين في كلّ مكان، لكنّه لم يعثر عليها. فقال بعض المنافقين: «هذا محمّد يخبركم أنّه نبيّ، ويخبركم خبرَ السماء، وهو لا يدري أين ناقته».

سمع رسول الله هذا الحديث، فأجاب: «وإنّي والله لا أعلم، إلاّ ما علّمني الله».

بينما كانوا ينظرون إليه باستغراب، تابع قائلاً: «وقد دلّني عليها، هي في الوادي قد حبستها شجرة بزمامها».

ذهب الصحابة إلى المكان الذي وصفه النبيّ، ووجدوا الناقة هناك. كانت بالفعل قد التفّت حول الشجرة عدّة مرّات، وتشابك رسنها بالأغصان. فقاموا بفكّ الحبل، وأعادوها إلى صاحبها. عندئذ، انصرف المنافقون محرَجين.



اليوم
321

تمر يكفي العالم بأسره

عانى جيش تبوك من نقص في الطعام في طريق العودة. أبلغ الصحابة رسول الله ﷺ بذلك، وطلبوا منه أن يسمح لهم بذبح الجِمال. لكنّ النبيّ طلب منهم أن يأتوه بما بقي معهم من زاد.

أحضر الجنود كلّ ما لديهم من طعام إلى النبيّ. كان أفضلهم يملك حفنة من التمر. وضعوا كلّ الطعام الذي جمعوه على خرقة صغيرة. فدعا رسول الله ﷺ وبارك في الطعام، ثمّ أمرهم قائلاً: «خذوا في أوعيتكم». فأتى الجيش بأكمله. أحضر كلّ جندي وعاء، أو كيساً، أو حقيبة، وملأها بالطعام. وبعدما أخذ كلّ منهم حصّته، بقي كثير من التمر.

كانت تلك معجزة من معجزات النبيّ. فبينما كان الجنود يأكلون، تعجّبوا كم ازدادت كمية طعامهم بعد أن سمّى عليها رسول الله. شعروا أنّ تلك التمرات ستكون كافية حتّى لو أتى العالم بأسره ليأكل منها. بعدما ملأ الجنود بطونهم، استأنفوا رحلتهم مجدّداً.

بعد رحلة مضنية، وصلوا إلى مشارف المدينة المنوّرة. عندما اقتربوا من جبل أُحد، قال لهم رسول الله: «هذا أُحُد، جبل يحبّنا ونحبّه». كان الصحابة قد شعروا فعلاً أنّ جبل أُحُد يحيّيهم.

كان خبر عودة الجيش قد وصل إلى المدينة المنوّرة منذ وقت طويل. فعمّ الفرح بين أهلها. وشعروا بفخر كبير لأنّ العدوّ لن يتجرّأ على مواجهة جيش المسلمين. لاستقبال الجيش العائد، اجتمعت النساء والأطفال وكلّ من بقي في المدينة ليرحّبوا بهم.

هَرع الأطفال إلى رسول الله وهم يهتفون فرحاً. واجتمع مسلمو المدينة مجدّداً بنبيّهم الحبيب، وبآبائهم، وأبنائهم، وأقاربهم.

اليوم
322

ثمرة الصبر

خالط ذوو النوايا السيّئة المسلمين وعاشوا معهم. غير أنّ رسول الله ﷺ تعامل مع الناس بلطف واحترام، ولم يبادلهم السيّئة بمثلها.

أمضى عبد الله بن أُبَي حياته في الإساءة لرسول الله ﷺ. عمل لسنوات طويلة ضدّ الإسلام، وأفشى أسرار المسلمين لأعدائهم. ومع أنّ النبيّ عرف كلّ ذلك، إلاّ أنّه لم يغيّر معاملته الحسنة له. مع ذلك، حرص على عدم إخباره بالأسرار الهامّة. قال الصحابة الذين يعرفون ابن أُبَي على حقيقته لرسول الله: «يا رسول الله، دعنا نتولّى أمره». فكان النبيّ يرفض ذلك، ويأمرهم أن يحسنوا معاملته ويحافظوا على صداقته ما دام بينهم.

كان لدى عبد الله ابن أُبَي ابن ذكي جدًّا يدعى أيضاً عبد الله. غير أنّ إيمان هذا الصبيّ كان كبيراً، على عكس أبيه. وكان يحبّ رسول الله ﷺ حبًّا جمًّا. فلو قام رسول الله بطرد عبد الله بن أُبَي خارج مجتمع المسلمين، سيُجبر عبد الله الصغير على العيش بعيداً عن رسول الله، ولن يعرفه على حقيقته. ومن فوجئوا في البداية بسبب صبر النبيّ على عبد الله الأب، أدركوا حكمة هذا التصرّف عندما رأوا حبّ الصغير وولاءه للنبيّ.

كان عبد الله الصغير مدركاً لكلّ الشرور التي يمارسها والده لإزعاج المسلمين. صحيح أنّه بذل كلّ ما في وسعه للوقوف في وجه الإسلام، إلاّ أنّه لم ينجح. بعد حياة قضاها في النفاق والخيانة، سمع الناس في أحد الأيّام بخبر وفاة عبد الله ابن أُبَي. فأتى ابنه إلى رسول الله ﷺ وأخبره، فقام رسول الله ﷺ بخلع قميصه، بناءً على طلب الابن، وأعطاه إيّاها كفناً لوالده. ليس هذا فحسب، بل صلّى على عبد الله صلاة الجنازة أيضاً.

أمام هذه المعاملة التي حظي بها عبد الله بن أُبَي، شعر أصدقاؤه المنافقون بإحراج كبير. تأثّروا كثيراً عندما رأوا النبيّ ﷺ يصلّي صلاة الجنازة على شخص اعتاد على أن يغتابه طوال حياته. فرقّت قلوبهم، وقرّر كثير منهم أن يصبحوا مسلمين صادقين. لم يواجه رسول الله ابن أُبَي بأخطائه، بل انتظر بصبر كبير فكسب أحد أبنائه. وبسبب هذا التفهّم غير المحدود، وجد الكثير من المنافقين أخيراً طريق الصواب. كلّ هذا بفضل صبر النبيّ ﷺ، وحبّه، وتسامحه.



اليوم
323

مسجد رسول الله ﷺ

عادة، يكون مسجد رسول الله مظلماً في صلاة الفجر والعشاء. فينيره الصحابة بمشاعل من سعف النخيل.



ذات يوم، أتت قبيلة تميم النصرانية من اليمن إلى المدينة المنوّرة، واعتنقت الإسلام. كان من بين أعضائها رجل يدعى تميم الداري. عندما أتى من اليمن، أحضر معه بعض الشموع، والفتائل، والزيوت. وفي ليلة الجمعة، أمر خادمه أن يعلّق الشموع على جدران المسجد. فنفّذ الخادم أمر سيّده. أحضر الشموع، وأشعلها، وعلّقها في المسجد. عندئذ، أضيء مسجد رسول الله وشعّ بالنور.

وكان النبيّ ﷺ يخطب قائماً، فلما كبر في السن عرض عليه تميم الداري أن يبني له منبراً، فقال: ألا أتّخذ لك منبراً يا رسول الله يحملك؟ فوافق رسول الله ﷺ، فبنى له منبراً بمرقاتين (أي بدرجتين).

كافأ رسول الله تميم الداري وخادمه بعملهما هذا، وكسب بذلك محبّتهما.

اليوم
324

وفاة إبراهيم الصغير

كان في الجانب العلوي من المدينة منزل محاط ببستان من شجر النخيل. عاش في ذلك المنزل طفل أحمر الخدّين يدعى إبراهيم. كان هذا الطفل الجميل هو أصغر أولاد رسول الله.

أحبّه رسول الله ﷺ كثيراً، مثلما أحبّ كلّ أولاده. يوم ولادته، ضحّى له بكبشين، ووزّع



لحمهما على الفقراء. وسمّى الطفل على اسم سيّدنا إبراهيم، وهو من أجداد رسول الله. شكر الله كثيراً لأنّه رزقه به، وبذل كلّ ما في وسعه لكي يحسن تربيته. فاستأجر له مرضعة، وحرص على أن يؤمّن له كلّ الأسباب لكي يصبح ولداً سليماً وقوياً.

كان هذا الطفل الجميل محبوباً جدًّا. اعتنى به الكلّ، وأحبّوه. نشأ إبراهيم في هذا الجوّ من المحبّة والعطف، وأصبح عمره ستّة عشر شهراً. في أحد الأيّام، أتى الناس مسرعين إلى رسول الله ﷺ، وأخبروه أنّ إبراهيم مريض. فذهب إليه رسول الله مسرعاً. كانت حرارة إبراهيم مرتفعة، وقد ذهب البريق من عينيه واستلقى بلا حراك.

أدرك رسول الله أنّ ابنه الوحيد على وشك أن يرحل عنهم. فوضعه على حضنه، ونظر إليه بحنان كبير. قال: «يا إبراهيم، لولا أنّه أمر حقّ، ووعد صدق، وأنّ آخرنا سيلحق أوّلنا، لحزنّا عليك حزناً أشدّ من هذا». كان هذا أمر الله الذي لا مفرّ منه ولا اعتراض عليه. غادر إبراهيم هذا العالم، إلى عالم آخر. طار من بين ذراعي أبيه مثل عصفور صغير. فسالت دموع رسول الله على خدّيه. قال بصوت منخفض وهو يعيد الطفل الصغير إلى مهده: «إنّ العينَ تدمع، والقلبَ يحزن، ولا نقول إلاّ ما يرضي ربّنا، وإنّا بفراقِك يا إبراهيم لمحزونون».

صحيح أنّ سيّدنا محمّد نبيّ، لكنّه بشر مثلنا. لهذا السبب، كان يشعر مثلنا بالألم أحياناً وبالسعادة أحياناً. لكن مهما بلغ ألمه، فإنّه لا يعترض أبداً على أمر الله أو يتمرّد عليه، بل يواجه المصائب بصبر ورضى. بهذا السلوك شكّل أسوة حسنة للناس من حوله. فتعلّموا منه الاعتدال وعدم التطرّف، سواء في الحزن أو في الفرح.

اليوم 325

تبادل الهدايا والعدل بين الأولاد

أراد رسول الله ﷺ أن تزداد روابط المحبّة والأخوّة بين الناس متانة وقوّة. من أجل ذلك، أحسن معاملة الناس، وأراد للمسلمين أن يحذوا حذوه.

كان يقول لهم: «خيرُكُم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي».

كما أحبّ رسول الله ﷺ تبادل الهدايا، وحثّ على ذلك. فعندما كان يتلقّى هدية من



شخص ما، يردّ بأحسن منها. وكان يحثّ الناس على ذلك قائلاً: «تهادوا تحابوا».

وحثّ رسول الله ﷺ على العدل بين الأولاد والتسوية بينهم، وقد قام أحد الصحابة - واسمه بشير الأنصاري - بالتصدّق على ابنه النعمان ببعض ماله ولم يعطِ باقي إخوته، فقالت له زوجته عمرة: لا أرضى حتى تُشْهِد رسول الله ﷺ. فانطلق بشير إلى النبي ﷺ ليُشْهده على تلك الصدقة، فقال له رسول الله ﷺ: «أفعلتَ هذا بولدك كلهم؟». قال بشير: لا. فقال ﷺ: «اتقوا الله واعدِلوا بين أولادكم». فرجع بشير وردَّ تلك الصدقة.

اليوم 326

نبيّ معطاء

كان نبيّنا الحبيب ﷺ أشبه ببحر يفيض كرماً وجوداً. لم يكن في العالم شخص أجود منه. ولم يكن يردّ أحداً يأتي إليه طالباً حاجة.



في أحد الأيّام، أتى إليه رجل يعرفه. كان قد طلب منه في الماضي كثيراً من الأشياء. وقد عاد الآن يطلب منه شيئاً. غير أنّ رسول الله ﷺ وزّع كلّ ما لديه للفقراء. فقال للسائل إنّه لا يملك شيئاً الآن يعطيه إيّاه، وطلب منه الذهاب إلى السوق وشراء ما يحتاج إليه على حسابه.

كان عمر حاضراً. فتدخّل، وقال له إنّه سبق وأعطى هذا الرجل من قبل. لم يُعجب هذا الكلام نبيّنا الحبيب.

فهم أحد الموجودين ذلك، فقال له إنّ عليه إعطاءه مجدداً من دون أن يخشى أن يقلّ ماله. ففرح رسول الله ﷺ بكلامه. نظر إليه مبتسماً، وقال إنّه محقّ وإنّ الله أمره بذلك.

فهم عمر مجدّداً مدى كرم رسول الله وحبّه لفعل الخير. فقد تقاسم النبيّ طوال حياته مع الناس كلّ ما يملكه، ولم يتوقّع شيئاً بالمقابل. كما أنّه لم يعتد أبداً على تذكير الناس بما يفعله من أجلهم. مهما أتى إليه المحتاج، لم يكن يجرح مشاعره، ولا يردّه خالي اليدين. لقد كان دوماً معطاءً، يجبر القلوب المنكسرة.

اليوم 327

الرجل الذي أراد تقبيل رسول الله ﷺ

أحبّ كلّ الصحابة نبيّهم من أعماق قلوبهم. لكن كان بينهم رجل اسمه سواد أحبّ رسول الله ﷺ حبًّا جمًّا.

وفي يوم بدر، كان رسول الله ﷺ يسوِّي صفوف الجنود بقدح يمسكه بيده، فوجد سواداً قد خرج عن حدود الصف، فدفعه في بطنه بالقدح الذي يمسكه وقال ﷺ: «استوِ يا سواد».

عندئذٍ، قال سواد: «أوجعتني يا رسول الله!» فقال له النبيّ: «اسْتَقِدْ (أي خذ حقك بالقصاص)». والقصاص، بحسب أحكام الدين، هو فعل الشيء نفسه للشخص الذي آذاك أو أخطأ في حقّك. وفي هذه الحالة، كان رسول الله يطلب من سواد أن يكزه، مثلما وكزه.



صمت الجميع، وتركّزت الأنظار على سواد. فالنبيّ ليس شخصاً يتعمّد إيذاء الناس. كما أنّ سواداً لم يتأذّ فعلاً، فلماذا قال ذلك؟

قال سواد: «إنّ عليك قميصاً، ولم يكن عليّ قميص حين غمزتني». حينئذٍ، رفع رسول الله ﷺ قميصه عن بطنه، فاحتضنه سواد وقبّل بطنه. ثمّ قال للنبيّ: «بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، ما أردتُ من القِصاص إلاّ هذا». سالت الدموع على وجه سواد وهو يشتمّ عطر نبيّنا الحبيب. فهذا كان أقصى ما تمنّاه منذ أن عرفه.

اليوم 328

حُسن المظهر

اعتاد رسول الله ﷺ على ارتداء ملابس نظيفة وملائمة للمناسبة التي يذهب إليها. وأوصى الناس بعدم المبالغة أو الغرور والتباهي. أكثر الألوان التي كان يحبّها هما اللونان الأخضر



والأبيض. فكان يختار ملابسه بحسب المكان والظروف. وبما أنّ الأرض التي عاش عليها كانت تمتاز بمناخ حارّ، فقد فضّل ارتداء الملابس البيضاء عموماً.

من جهة أخرى، كان اللون الأبيض يشير إلى النظافة والنقاء. في أيّام الجمعة والأعياد، أوصى النبيّ المسلمين بارتداء أحسن الثياب، والتطيّب بأحسن العطور.

حرص رسول الله ﷺ دائماً على أن تكون ثيابه نظيفة وغير مبالغ فيها. فأمر الناس باختيار ملابسهم من دون إسراف. في أحد الأيّام، أتاه رجل يرتدي ملابس مزرية، بحيث بدا شكله أشبه بمهرّج. لم يعجب حاله رسول الله على الإطلاق. فسأله محاولاً عدم جرح مشاعره: "ألَك مال؟" أجاب الرجل: "نعم". قال: "من أيّ المال؟" أجابه: "قد آتاني الله من الإبل، والغنم، والخيل، والرقيق". فقال له النبيّ: "فإذا آتاك الله مالاً، فليُرَ عليك أثر نعمة الله وكرامته". بهذا الحديث، أشار عليه رسول الله أن يهتمّ بملبسه ومظهره.

فهم الرجل مقصد رسول الله ﷺ. ومنذ ذلك اليوم، أصبح يهتمّ بملبسه أكثر. ولم يعد يرتدي ثياباً متّسخة أو منفرة.

اليوم
329

آداب المائدة في الإسلام

كان سلوك رسول الله ﷺ مميّزاً، سواء في طريقة جلوسه، أو وقوفه، أو حديثه، أو مأكله. وكانت كلّ حركة من حركاته تنطوي على فائدة للمسلمين. لذلك، اتّخذوا سلوكه قدوة لهم. حرص رسول الله على أن يكون طعامه وشرابه نظيفاً ومعدًّا بطريقة جيّدة، لكن لم يكن من

الصعب إرضاؤه. ولم يكن يجلس إلى المائدة قبل أن يجوع فعلاً. وعندما يأكل، لا يملأ معدته إلى حدّ التخمة، بل يترك المائدة قبل أن يشبع تماماً.

اعتاد النبيّ ﷺ أيضاً على تنظيف أسنانه جيّداً بالسواك، قبل الأكل وبعده. وبما أنّه كان يوزّع كلّ ما يملكه على الفقراء، فقد كان يجوع في معظم الوقت. عندما لا يجد ما يأكله، يتناول التمر مع الخبز، ويحمد الله على نعمه. أحبّ رسول الله الحلويات، لا سيّما العسل. ومن بين أنواع الفاكهة، كان يأكل التين، والعنب، والبلح، والبطّيخ. واعتاد أيضاً على تناول التمر مع البطّيخ الأصفر، والأحمر، والخيار. ومن بين المشروبات، أحبّ اللبن (الحليب)، وشربة العسل. واعتاد على تناول التمر مع اللبن. أحبّ أيضاً أكل الطعام المتبقّي في أسفل الطبق أو القدر. ولم يكن ينفخ أبداً على طعامه، ولا يأكل بيده اليسرى.



من بين الأطباق المطهوّة، كان النبيّ يحبّ اللحم والثريد كثيراً. وقد اعتاد على مساعدة زوجاته في المنزل. فعند الحاجة، كان يحلب الشاة، ويصلح أحذيته، ويشارك أحياناً في إعداد الطعام.

وقد اعتاد رسول الله ﷺ أن يوصي الصحابة قائلاً: «إذا طبخ أحدكم قِدراً فليكثر مرقها، ثم ليناول جارَه منها».

أخذ الصحابة بهذه النصيحة تماماً كما فعلوا مع وصايا النبيّ الأخرى. فعاشوا على خطاه حياة مفعمة بالصحّة، والعافية، والبركة.

اليوم 330

الذهاب إلى المساجد والمجالس بثياب نظيفة معطرة

شجّع النبي ﷺ المسلمين على النظافة والعناية بالمظهر، لِمَا في ذلك من تحقيق التحاب والتآلف والتواد بين المسلمين، فإن المظهر الحسن والروائح الطيبة تحبّها النفوس البشرية، والريح الكريهة تكرهها وبالتالي تكره صاحبها ولا شك، وعلى الرغم من شدة العيش التي كانت في عهد النبي ﷺ والفقر والقلّة التي عاشها مجتمع الصحابة، إلا أن النبي ﷺ لم يسكت عن تنبيههم على هذه المسألة.



قال عبد الله ابن عباس: كان الناس مجهودين، يلبسون الصوف، ويعملون على ظهورهم، وكان مسجدهم ضيقاً مقاربَ السقف، فخرج رسول الله ﷺ ليخطب فيهم يوم جمعة، وكان يوماً حاراً، وعَرِقَ الناس في ذلك الصوف، حتى ثارت منهم رياح وروائح فآذى بعضهم بعضاً، فلما وجد رسول الله ﷺ تلك الريح قال: «أيها الناس، إذا كان هذا اليوم، فاغتسلوا، وليمس أحدكم أفضل ما يجد من دهنه وطيبه».

قال ابن عباس: ثم جاء الله تعالى بعدها بالخير والتوسعة في المال فتحسنت حال المسلمين، ولبسوا الثياب الحسنة المعطرة، وذهبت الروائح التي كان يؤذي بعضهم بعضاً بها.

اليوم
331

الدعاء بالبركة في الثمار

أحبّ الصحابة رسول الله ﷺ وفضّلوه عن أنفسهم. كانوا على استعداد للتضحية بأيّ شيء ومشاركته معه. بالمقابل، بادل رسول الله الصحابة المعاملة نفسها.

وكان الصحابة إذا رأوا أول الثمر، جاءوا بأول قطفة إلى النبي ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدِّنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه».

ثم كان ينادي النبي ﷺ أصغر طفل بين الموجودين، ويعطيه الحبّة الأولى.

اليوم
332

آداب الشراب في الإسلام

كان رسـول الله ﷺ يعلِّم الصحابة آداباً تتناول تصرفات كثيرة في حياتهم اليومية، حتّى في شرب الماء. فلا يشرب واقفاً. ومهما بلغ منه العطش، فإنّه يسمّي أوّلاً، ثمّ يشرب. وكان يشرب ببـطء، على ثلاث دفعات. ولا يتنفّس أبداً في القدح الذي يشـرب منه. بعد الانتهاء، يحمد الله. فالله هو الذي يرزقنا، وهو وحده الذي يسـتحقّ الشـكر. لذلك، على المسلم أن يحمده على كلّ شيء، حتّى على الماء.

أوصى رسـول الله ﷺ الصحابة بعدم شـرب الماء دفعة واحدة مثل الإبل، وأمرهم بشـربه على ثلاث دفعات للاستراحة والتنفس. كما أوصاهم بالبسملة قبل الشرب وحمد الله بعده.

كان كلّ الأطفـال الذيـن نشـأوا على تربية رسـول الله، مثل عليّ، وزيـد، وأنس، وآخرون، يكنّون له إعجاباً وتقديراً عظيمَين. فقد تعلّموا منه كثيراً من الآداب الرائعة. وكانت نصائحه التي يعطيها من وقت إلى آخر لا تقدّر بثمن. ومن وصاياه ﷺ:



"إذا جنـح الليـل - أو أمسـيتم - فكفّـوا صبيانكـم، فـإنّ الشـياطين تنتشر حينئذٍ، فإذا ذهب سـاعة من الليل فخلّوهم، وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسـم الله، فإنّ الشيطان لا يفتح بابـاً مغلقـاً، وأوكوا قربكم، واذكروا اسـم اللـه، وخمّروا آنيتكـم، واذكروا اسـم الله، ولو أن تعرضوا عليها شـيئاً، وأطفئوا مصابيحكم".

أصغـى إليه أولئك الأولاد جيّداً، وطبّقـوا وصاياه. فتحوّلـت أوامـر رسـول اللـه إلـى عـادات فـي حياتهـم. وتعلّمـوا منـه الأدب، والحـذر، والصبر، حتّـى في طريقة شرب الماء.

اليوم 333

صديق كلّ الناس

كان نبيّنا الحبيب ﷺ ودوداً مع كلّ فئات المجتمع. فهو سيّد الأنبياء والمرسلين، وأشرف خلق الله. وكلّ من لديه حاجة أو سؤال، كان يلجأ إليه.

على الرغم من عظمة هذا النبيّ، إلاّ أنّه لم يتكبّر يوماً. أمضى وقته مع الناس. فأحبّه الأطفال وفرحوا بعطفه وحنانه. كما أحبّه الشباب، واستمتعوا بصحبته. وعندما كانت النساء تواجهنَ مشاكل في حياتهنّ، كنّ يأتين إليه طلباً للمساعدة. وجد المسنّون الأمل عنده. وبالمقابل، بادلهم رسول الله ﷺ المحبّة، والسرور، وقدّم إليهم حلولاً لمشاكلهم.



خصّص النبيّ يوماً من أيّام الأسبوع للنساء. في ذلك اليوم، كانت نساء المدينة يجتمعن، ويطرحن عليه الأسئلة. في أحد تلك الأيّام، اجتمعت النساء حول رسول الله، وبدأن يتكلّمن معاً ويطرحن الأسئلة. ثمّ ارتفعت أصواتهنّ، بحيث طغت على صوت النبيّ. ولم يعد مفهوماً من التي تتكلّم، ولا ماذا تقول. غير أنّ النبيّ ﷺ لم يغضب، بل أصغى إلى كلّ منهنّ، وقدّم لهنّ الحلول.

في تلك اللحظة، مرّ عمر، واستأذن بالدخول. فخافت النساء، وهدأن استعداداً لدخوله. عندما دخل عمر، كان قد خيّم صمت تامّ. والنساء اللواتي كنّ يقاطعن بعضهنّ، ويتسابقن على طرح الأسئلة قبل لحظة، أصبحن الآن مختلفات تماماً. خيّم عليهنّ الانضباط والهدوء، وبدأن يتحدّثن همساً.

لاحظ رسول الله ﷺ التغيير الذي طرأ مع وصول عمر. فظهرت ابتسامة على وجهه وقال: «عَجِبتُ من هؤلاء اللاتي كُنّ عندي، لمّا سَمِعْن صوتَك تبادَرن الحجاب». قال عمر: «والله أنتَ أحقّ أن يهبنَ يا رسول الله». ثمّ التفت إلى النساء وأضاف: «يا عدوّاتِ أنفسِهن، أَتَهَبْنَني ولا تَهَبْنَ رسول الله؟» فأجابت إحداهنّ: «أنت أغلظ وأفظّ من رسول الله».

فختم رسول الله تلك الحادثة بملاحظة مرحة: «يا عمر، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فَجًّا (يعني طريقاً) إلا سلك فجًّا غير فَجِّك».

اليوم
334

أمانةُ رسول الله ﷺ



في أحد الأيّام، توقّفت قافلة للاستراحة على مقربة من المدينة المنوّرة. كان في القافلة جمل مميز. رأى رسول الله ﷺ الجمل عند مروره في تلك المنطقة، فأعجبه. عندئذٍ، اقترب من أصحاب القافلة وسأل عن سعر الجمل. أخبره أصحاب الجمل بثمنه، غير أنّ النبيّ لم يكن يحمل معه مالاً. فقال لهم إنّه سيذهب إلى البيت ويرسل إليهم الثمن. هكذا قبلوا، وأعطوه الجمل.

لم يكن أصحاب القافلة يعرفون أنّهم باعوا الجمل لسيّدنا محمّد، آخر الأنبياء. لذلك، قلقوا بعد ذهابه، وراحوا يتعاتبون قائلين: «كيف فعلنا ذلك؟ كيف أعطينا الجمل لشخص لا نعرفه. ماذا لو لم يدفع لنا مالنا؟» فقالت لهم إحدى النساء: «ألم تروا أنّ وجهه كان مضيئاً مثل البدر؟ لم يسبق لي يوماً أن رأيت وجهاً كهذا. فليهدأ بالكم، لا بدّ أنّه سيدفع لكم المال».

بحلول المساء، ثبتت صحّة كلام المرأة. فقد أرسل رسول الله ﷺ ثمن الجمل إلى أصحابه. بالإضافة إلى ذلك، أهداهم وجبة عشاء. فأُعجب أصحاب القافلة بصدقه، وأمانته، ولباقته.

اليوم
335

مؤمنون لم يروا النبيّ ﷺ

كان رسول الله ﷺ يطرح على الصحابة أسئلة من وقت إلى آخر تدفعهم إلى التفكير، في أحد الأيّام سألهم: «أيُّ الخلق أعجب إيماناً؟». قالوا: الملائكة. قال: «الملائكة كيف لا يؤمنون؟!». قالوا: النبيون. قال: «النبيون يُوحَى إليهم فكيف لا يؤمنون؟!». قالوا: الصحابة.

قـال: «الصحابـة مع الأنبيـاء فكيف لا يؤمنـون؟! ولكن أعجب النـاس إيماناً: قـوم يجيئون من بعدكم فيجدون كتاباً من الوحي؛ فيؤمنون به ويتبعونه، فهم أعجب الناس إيماناً».

كان رسـول الله ﷺ يعني بذلك المسـلمين الذين لم يولدوا بعد في زمانه. فهؤلاء سيأتون، وسـيؤمنون بالإسـلام مـن دون رؤية رسـول الله. سـيحبّونه كثيراً، وسـيتلون القـرآن، ويطبّقون أوامره. أولئك هم أفضل الناس إيماناً.

فكّر الصحابة بأولئك الناس الذين سيأتون بعد قرون من الزمن. لقد عرفهم رسول الله لأنّهم سيؤمنون به من أعماق قلوبهم من دون أن يعيشوا بصحبته. لذلك فازوا بإعجاب النبيّ ﷺ. منذ تلـك اللحظـة، صار الصحابـة يكنّون نوعاً مختلفاً مـن المحبّة لإخوانهـم وأخواتهم في الإيمان الذين لم يولدوا بعد.

اليوم 336

أدب رسول الله ﷺ

مع تعاليم رسـول الله، كان مجتمع الإسـلام يكتسـب حضارة جديدة. فقـد تعلّم الصحابة كيـف يتصرّفـون فـي المجتمع. تعرّفوا علـى آداب الطعـام، والحديث، ومعاشـرة الناس. طلب منهم النبيّ أن يتعاملوا مع جميع البشر بأدب واحترام. وقد طبّق هذه السلوكيات بنفسه، واحترم الصغير والكبير.

عندما كان رسـول الله ﷺ يلتقي بشـخص ما، كان يحيّيه ويصافحه. وقبل دخول مكان ما، كان يسـلّم علـى أصحابه، ثمّ يسـتأذن بالدخول. فإن أذنوا له، دخل. ولـم يكن يحبّ إهمال هذه الآداب، بل ينبّه الناس بتهذيب إلى سلوكيّاتهم الخاطئة.



ذات يوم، أتاه رجل يدعى كِنْدة. كان مع الرجل غزال صغير، وبعض الحليب، وقطع من الحطب. من دون أن يستأذن، دخل كندة واقترب من رسول الله. فانزعج النبيّ من هذا السـلوك وطلب منه الخروج والاسـتئذان قبل الدخول. فخرج كندة، ثمّ سـلّم ودخل. بهذه الطريقة، تعلّم من رسـول اللـه آداب الدخول على الناس. فالتعايـش فـي المجتمـع يفـرض علينا احتـرام بعـض القواعد. وقـد تعلّم الصحابـة تلـك القواعد من نبيّهم الحبيب، وطبّقوها في حياتهم، فعاشـوا في ألفة ومودّة.

اليوم
337

صبر النبيّ على الأطفال

كان في المدينة المنوّرة طفل فقير جدًّا. ذات يوم، شعر بجوع شديد. عندما مرّ بأحد البساتين المليء بالثمار، رأى على الأغصان بلحاً ناضجاً ذهبي اللون وشهي المنظر، فسال لعابه. نظر حوله، ولم ير أحداً. فتناول حجراً عن الأرض ورماه على النخلة. عندئذ، تساقط البلح على الأرض كالمطر. فجمع الولد الثمار وبدأ بأكلها.



في تلك اللحظة، مرّ صاحب البستان، وقبض على الغلام بالجرم المشهود. فخاف وبدأ يتوسّل إليه قائلاً: "أنا آسف يا عمّ، لن أكرّرها ثانية. لا تضربني أرجوك، فأنا لن أسرق مجدّداً". لكن صاحب البستان ضربه وعاقبه بأن أخذ كساءه الذي كان يلبسه، فذهب الغلام إلى النبي ﷺ ليشكو إليه ما فعل به صاحب البستان، فاستدعى النبي ﷺ صاحب البستان وسأله لماذا فعلت به ما فعلت، فشرح له صاحب البستان أنه دخل بستانه وأخذ من ثماره بدون إذنه، فقال له النبي ﷺ: "ما علّمته إذا كان جاهلاً، ولا أطعمته إذا كان جائعاً، ارْدُدْ عليه كساءه". فأرشد النبي ﷺ صاحب البستان أنه كان عليه أن يعلّمه خطأ فعلته، وأن يطعمه لأنّ الجوع هو الذي دفعه إلى فعلته الخاطئة، أما ضرب الغلام وأخذ كسائه فما نفعته شيئاً.

ثم أعطى النبي ﷺ الغلام ما يكفيه حاجته من الطعام وزيادة.

اليوم
338

لا تدخل الجنّة عجوز

لم يكن رسـول الله ﷺ يتحدّث سـوى بكلام حكيم، لا يملّ منه الناس. اعتاد على ممازحة المؤمنين، لا سيّما الأطفال، والعجائز، والفقراء، الذين توقّعوا منه المحبّة والعطف.

فـي أحـد الأيّام، أتته امرأة عجوز. كان لديها سـؤال تودّ طرحه على النبيّ. فقالت له بشـيء من الإحراج: «يا رسـول الله ادعُ لي بأن يدخلني الله الجنّة». فنظر إليها النبيّ مبتسـماً وقال: «لا تدخل الجنّة عجوز».

لـم تتوقـع المرأة المسـكينة هـذا الجواب. فحزنـت كثيراً وعـادت إلى منزلها فـوراً. بكت وهـي تفكّـر أنّها لن تتمكّن من دخول الجنّة. غير أنّ رسـول الله ﷺ كان يمازحها بصدق. فقال: «أخبِروها أنها لا تدخلها وهي عجوز». وأخبر النبي ﷺ أن جميع أهل الجنة يكونون شباباً.

عندما فهمت المرأة مغزى حديث رسول الله، توقّفت عن البكاء، وبدا الفرح على وجهها. شكرت الله كثيراً. ومنذ ذلك اليوم، أخذت تزيد من عباداتها وصلواتها.



اليوم 339

رسول اللّه ﷺ يسابق زوجته

اعتاد رسول الله ﷺ على معاملة النساء بلطف كبير. كان يحميهنّ كالأزهار، ولا يؤذيهنّ أو يهينهنّ. لقد كان مثالياً، سواء كزوج أو كأب. كانت السيّدة عائشة أحبّ زوجاته إليه بعد السيّدة خديجة. وقد عُرفت بذكائها وتفهّمها.

في أحد الأيّام، كانا يسيران في الصحراء. فقال رسول الله ﷺ لزوجته: «تعالي أسابقُكِ». تسابق الزوجان فوق الرمال. وبما أنّ السيّدة عائشة كانت شابّة وقوية، فقد فازت في نهاية السباق. فنظر رسول الله إلى زوجته مبتسماً.

مرّت مدّة من الزمن على تلك الحادثة. وفي أحد الأيّام، عرض رسول الله ﷺ مجدّداً على زوجته أن يتسابقا. فقبلت عائشة. غير أنّها مع مرور الوقت، ازدادت وزناً. تسابق رسول الله مع زوجته، وهذه المرّة، كان هو الفائز. فنظر إلى زوجته مواسياً، وقال لها: «هذه بتلك السبقة».

اليوم 340

دعاء يقي المسلم

خيّم السلام على المدينة المنوّرة. كلّ من بحث عن السعادة، أو واجه المشاكل والصعاب كان يلجأ إلى رسول الله ﷺ ويجد لديه الحلّ الشافي.



أولى رسول الله أهمّية كبيرة للدعاء. فأوصى الناس أن يطلبوا من الله عزّ وجلّ أيّ حاجة في أنفسهم، وأن يلجأوا إليه في كلّ شيء. فلم

يكـن لسـانه يملّ من الدعاء وذكر الله. أوصى الصحابة يومـاً أن يدعوا قبل النوم: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق، لم يضرّه شيء حتّى يرتحل».

كما أوصى ﷺ الصحابة قائلاً: «إذا جاء أحدكم فراشـه، فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرّات، وليقـل: باسـمك ربّـي وضعتُ جنبي وبـك أرفعُه، إن أمسكتَ نفسـي فاغفر لها، وإن أرسـلتَها فاحفظها بما تحفظ به عبادَك الصالحين». فتعلّم منه المسـلمون تلك الأذكار، ونشـروها بينهم، كما علّموها لأولادهم.

اليوم
341

من غشّنا فليس منّا

وضـع الإسـلام حـدًّا للظلـم والفسـاد، وفـرض مبـادئ العدالـة فـي المجتمـع. كان نبيّنا الحبيب ﷺ يخرج من وقت إلى آخر للتجوّل بين الناس بحثاً عن مكامن الظلم، ويقضي عليها.



فـي أحـد الأيّـام، خـرج النبـيّ ﷺ إلى السـوق، واقترب من رجل يبيـع أطعمة جافّة. كان قد كـدّس الأكياس واحـداً فوق الآخر، وملأهـا بالقمح، والذرة، والأرزّ. أدخـل رسـول اللـه يده فـي أحد تلـك الأكيـاس، فوجد أنّ الحبوب الموجودة في جوف الكيس مبتلّة. عندئذ سأل البائع: «مـا هـذا يـا صاحـب الطعـام؟» أجابه: «أصابته السـماء (أي أمطرت عليه) يا رسـول الله». اسـتاء رسـول الله ﷺ كثيراً من هذا العمل. فالرجل لم يكن صادقاً عندما وضع الحبوب الجافّة على سـطح الكيس، وأخفى ما ابتلّ منها في القعر. وهذا السلوك غير مقبول على الإطلاق.

لتحذيره، قال له النبيّ: «أفلا جعلتَه فوق الطعام كي يراه الناس؟!» شعر الرجل بإحراج كبير وندم على فعلته. أضاف النبيّ ﷺ قائلاً: «من غشَّ فليس منّي».

اليوم
342

الخصال التي تُدخل الجنّة

جلس رسول الله ﷺ ذات صباح مع أصحابه، وسألهم: «من أصبح منكم اليوم صائماً». فقال صاحبه أبو بكر: «أنا». ثمّ سأل النبيّ: «من أطعم منكم اليوم مسكيناً». فأجاب أبو بكر: «أنا». سأل النبيّ مجدّداً: «من تبع منكم اليوم جنازة». فأجاب أبو بكر: «أنا». فقال: «من عاد منكم اليوم مريضاً؟» ردّ أبو بكر أيضاً: «أنا». عندئذٍ، قال نبيّنا الحبيب ﷺ: «ما اجتمعت هذه الخِصال قطّ في رجل في يومٍ إلاّ دخلَ الجنّة».

اليوم
343

لم يميّز نفسه

سار المسلمون من المدينة إلى أرض بدر وعددهم ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، ومعهم سبعون بعيراً، فجعل رسول الله ﷺ لكل ثلاثة رجال بعيراً يتناوبون في الركوب عليه؛ أي: يركب واحد منهم ثم يسير الرجلان الباقيان، ثم ينزل الرجل ويركب أحد الرجلين، وبعده ينزل الثاني ثم يركب الثالث، وهكذا دواليك حتى وصلوا أرض بدر.

وفي أثناء سيرهم جاء دور الرسول ﷺ بالنزول بعد الركوب، فقال الرجلان اللذان يمشيان مع البعير للرسول ﷺ: لا تنزل يا رسول الله، فنحن نظل ماشيين. فقال الرسول ﷺ: «ما أنتما بأقدر مني على المشي، وما أنا بأغنى منكما عن الأجر». ونزل من البعير ومشى ﷺ. فالله عزّ وجلّ لم يميّز نبيَّه عن بقيّة المسلمين. أُعجب الصحابة مجدّداً بتواضع النبيّ وحبّه للمساواة. فهكذا يكون القائد العادل.



اليوم
344

برّ الوالدين

لطالما شدّد رسول الله ﷺ على أهمّية برّ الوالدين. فحثّ أصحابه دائماً على إحسان معاملتهم وكسب رضاهم.

في أحد الأيّام، أتاه رجل من اليمن. وبعد أن ألقى عليه السلام، وسأله عن حاله، قال له: «يا رسول الله، أودّ العيش معك من الآن فصاعداً، أريد الانضمام إلى جيش المسلمين والمشاركة في الحرب والجهاد لكي أكسب رضى الله عزّ وجلّ».

فرح رسول الله ﷺ بهذا الكلام، غير أنّه سأل الرجل: «هل لك أحد في اليمن؟» فأجاب الرجل: «أبواي». سأله النبيّ: «أذِنا لك؟» أجاب: «لا». عندئذ قال له رسول الله: «فارجع إليهما، فاستأذنهما، فإن أذِنا لك فجاهِد وإلاّ فبرَّهُما».

فهم الرجل أنّ إرضاء الوالدين هو أهمّ من أيّ شيء آخر بنظر النبيّ. فعاد فوراً إلى اليمن، وقرّر أن يعامل والدَيه بمزيد من الحبّ والاحترام، وأن يبذل ما في وسعه لإسعادِهما وإرضائِهما.

اليوم
345

هذا هو الحبّ الحقيقي

في إحدى المرّات، قام رسول الله ﷺ ليتوضّأ. رأى الصحابة الماء يقطُر من يديه وقدميه، فبدأوا يمسحون أيديهم ووجوههم به. لم يُعجب هذا السلوك رسول الله، فسألهم: «لمَ تفعلون هذا؟» أجابوه: «نلتمسُ البركة». عندئذ نصحهم قائلاً: «من أحبَّ أن يحبَّه اللهُ ورسولُه فليصدُقِ الحديث، وليؤدِّ الأمانة، ولا يؤذِ جارَه».

فهم الحاضرون ما يعنيه حبّ النبيّ. فأخذوا بنصيحته، وحرصوا لبقيّة حياتهم على قول الصدق، وتأدية الأمانة، واحترام الجار. كانوا يعرفون أنّ من يحبّ رسول الله ﷺ عليه السير على خطاه. فأطاعوا أوامره، وأخذوا بنصائحه ووصاياه.

اليوم
346

صغير الجمل



ذاتَ يوم، أتى رجل إلى رسـول اللـه ﷺ وطلب منه أن يعطيه ناقة يركبها. فأجابه رسول الله بكلام مربك. إذ قـال له: «إنّا حاملوك على ولد الناقة». اسـتغرب الرجل وقال له: «وما أصنع بولد الناقة؟» فابتسم النبيّ وأجاب: «وهـل تلدُ الإبل إلاّ النوق». ففهم الرجل مزحة رسـول اللـه. ركب الرجـل الجمل الذي أعطاه إيّـاه النبيّ، وظلّ يفكّر مبتسـماً بردّه على رسـول الله. حتّى مـزاح النبيّ كان صادقاً.

اليوم
347

قيمة الرجل القبيح

عـاش في جوار المدينـة المنوّرة رجل يدعى زاهراً. عاش زاهر فـي البادية حياة فقيرة، ولم يكـن جميل المظهر. لهذا السـبب، لم يكن أصدقاؤه كثراً. غيـر أنّ الله رزقه بأفضل صديق على الإطلاق، ألا وهو رسـول الله ﷺ. أحبّه زاهر كثيراً، ولم ير منه سـوى التواضع والعطف. فكان يُحضـر إليـه من وقت إلى آخر بعضاً من غلّته. وبالمقابل، يهديه رسـول الله ما يتوفّر في المدينة. كان يقول عنه: «زاهر باديتنا، ونحن حاضروه (أي مدينته)».

في أحد الأيّام، ذهب زاهر إلى سوق المدينة ليبيع ما أحضره من البادية. فجاء رسول الله ﷺ من خلفه، واحتضنه إلى صدره. لم يعرفه زاهر في البداية. فحاول الإفلات منه قائلاً: «أرسِـلني، من هذا؟» لكن عندما التفت ورأى رسـول الله، فرح به كثيراً. أخذ النبيّ ﷺ يقول متابعاً مزاحه: «من يشتري العبد؟» فقال زاهر بصوت حزين: «يا رسول الله، إذاً تجدُني كاسداً». عندئذٍ، قال له رسول الله كلاماً أفرح قلبه: «أنت عندَ الله غالٍ».

اطمأنّ زاهر عندما سمع هذا الكلام، وفهم القيمة التي اكتسبها بإخلاصه لله ورسوله. حمد الله كثيراً لأنّه أنعم عليه بالإسلام. وعندما حرّره النبيّ ﷺ، وقف ينظر إليه بمحبّة وتقدير كبيرَين.

اليوم 348

توقير الكبير

كان رسـول الله ﷺ يحبّ كبار السـنّ ويوقّرهـم، تماماً مثلما أحـبّ الأطفال. حرص دوماً على عدم إزعاجهم أو إحزانهم. كما دافع عن حقوقهم وأمر بحمايتهم أينما ذهب.

في أحد الأيّام، وبينما كان يتحدّث مع الصحابة، أتى رجل مسـّن وشـقّ طريقه بين الناس. قال إنّه يريد رؤية رسول الله والتحدّث إليه. استاء الحاضرون من تلك المقاطعة، ولم يفسحوا له المجال بسرعة. لاحظ نبيّنا الحبيب سلوكهم. ولكي يُظهر لهم خطأ ما فعلوه، قال لهم: «ليس منّا من لم يرحم صغيرَنا ويوقّر كبيرَنا». بعدما سـمع المسـلمون هذا الحديث، أصبحوا أكثر حرصاً في تعاملهم مع المسنّين.

اليوم 349

عمرو، الإمام الصغير



كان عمـرو ولـداً ذكيـاً. صحيح أنّه لـم يكن من أهـل المدينة المنوّرة، لكنّه سـمع عن نبيّ يعيش هنـاك. اعتاد على طرح كثير من الأسـئلة عـن الناس الذين ذهبوا لزيـارة النبيّ، وأخذ يطبّق مـا يتعلّمـه منهم على الفور. عرف أنّ القـرآن كتاب منزَل من اللـه. فصمّـم على تعلّـم تلاوته. لذلـك، كلّما رأى شـخصاً يقرأ القرآن، اسـتغلّ الفرصة ليتعلّم منه ولو حرفاً واحداً. في النهايـة، أثمرت جهود عمرو. وأصبـح الآن قادراً على تلاوة القرآن بطلاقة.

فـي أحد الأيّـام، انضمّ عمرو إلـى مجموعة ذاهبة إلـى المدينة المنوّرة لزيارة رسـول الله. رحّب بهم النبيّ ﷺ بحرارة، ثمّ سألهم وكأنّه يعرف عمرو، من هو أفضلهم في تلاوة القرآن.

فجأة، تحوّلت كلّ الأنظار إلى عمرو. أشاروا إليه وأجابوا: «هذا الغلام. مع أنّه أصغرنا، إلاّ أنّه أفضلنا في التلاوة». نظر النبيّ ﷺ إلى عمرو بعطف كبير، ثمّ طلب منه أن يؤمّ الصلاة في هذه المجموعة من الناس. فنفّذ المهمّة التي أوكلها إليه رسول الله بسرور.

فرح عمرو لأنّه كسب إعجاب نبيّنا الحبيب. وشكر الله كثيراً على تلك المهمّة التي أوكلها إليه رسول الله، على الرغم من صغر سنّه.

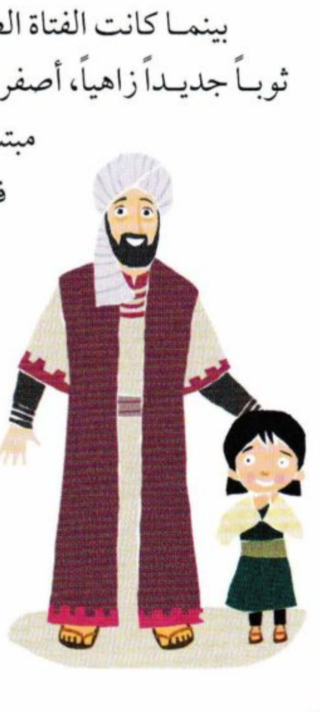
اليوم 350

هذا هو الحبّ الحقيقي

أحبّ أطفال المدينة المنوّرة رسول الله، وأحبّوا زيارته، والإصغاء إلى كلامه.

مـن بين أولئك الأطفال، الذين امتلأ قلبهم حبًّا لرسـول اللـه، كان ثمّة فتاة صغيرة تُكنّى بأمّ خالد. ذهبت يوماً إلى بيت رسـول الله ممسـكة بيد أبيها. قيل لها إنّ النبيّ ﷺ لديه ختم نبوّة بين كتفيه، نادراً ما يراه أحد. لهذا السبب، شعرت بفضول كبير لرؤيته.

بينمـا كانت الفتاة الصغيرة تفكّر بكلّ ذلك، وصلت مـع أبيها إلى منزل النبيّ. كانت ترتدي ثوبـاً جديـداً زاهياً، أصفر اللون. دعاهما رسـول الله ﷺ إلى الدخول، ونظـر إلى الفتاة الصغيرة مبتسـماً. أراد النبـيّ أن يُفـرح الفتاة ويبـدي لها إعجابه فأثنـى على جمال فسـتانها. فرحت أمّ خالد كثيراً بمجاملة رسـول الله، وجلسـت بالقرب منه.



بينما كان النبيّ يتحدّث مع أبيها، نهضت بهدوء ووقفت خلفه. أخـذت تروح وتجـيء وراء النبيّ، وبدت وكأنّها تبحث عن شـيء مـا. فجأة، انزلق رداء النبـيّ ﷺ عن ظهره قليلاً، فرأت علامة كبيرة بين كتفيه. لا بدّ أنّ هذا هو ختم النبوّة. شعرت بالسرور، وحاولت لمسه بأصابعها الصغيرة. فقد وجدته جميلاً جدًّا.

فـي تلك اللحظـة، رآها والدها. فناداها قائـلاً: «يا بنيّة، تعالي

إلى هنا، وكفّي عن إزعاج نبيّ الله». فهم النبيّ سبب فضول الطفلة، ولم يشعر بالانزعاج منها. فقال لأبيها أن يتركها تلعب.

شعرت الفتاة الصغيرة كما لو أنّها ملكت العالم. فكم من الأطفال وجدوا فرصة للاقتراب إلى هذا الحدّ من رسول الله؟ بينما أمّ خالد تتأمّل ختم النبوّة، التفت إليها النبيّ وقال مبتسماً: «أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي».

بهذه الكلمات اللطيفة، دعا النبيّ ﷺ للفتاة وتمنّى أن ترتدي ثوبها الجديد بصحّة وهناء. فنظرت الصغيرة إلى ثوبها ومن ثمّ إلى وجه النبيّ الباسم. أخيراً، ابتعدت وركضت إلى والدها مسرورة مثل فراشة، وقد عاشت الفتاة عمراً طويلاً ببركة دعاء النبي ﷺ.

اليوم 351

رائحة النبيّ كالمسك

كان جابر واحداً من الأطفال المعجبين كثيراً برسول الله. كلّما رآه، ركض إليه، وفاز بدعائه. وقد اعتاد دائماً على الذهاب إلى المسجد، والصلاة معه.

في أحد الأيّام، صلّى جابر مع رسول الله ﷺ صلاة الظهر في المسجد. وعندما خرجا، التقيا بأولاد يلعبون في الشارع. عندما رأوا رسول الله، تركوا اللعب وركضوا إليه. اعتاد رسول الله، كلّما رأى طفلاً، أن يمسح على خدّه بحنان. فتصبح رائحة الأطفال كالورود. أخذ النبيّ يمسح خدود الأطفال واحداً واحداً، ويدعو لهم. ثمّ التفت إلى جابر ومسح خدّيه هو الآخر، ثمّ دعا له بالسعادة في هذه الدنيا وفي الآخرة، وتركه ورحل.



قال جابر لأصدقائه: «وجدتُ لِيَده برداً وريحاً كأنّما أخرجها من جؤنة عطّار (أي ما يضع فيه العطّار عطره)». فوافقه بقيّة الأطفال لأنّهم اشتمّوا العطر الجميل نفسه.

كان أبو جحيفة واحداً من صغار الصحابة هو أيضاً. روى مرّة أنّ رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه في رحلة، وكان معهم. عندما حانت صلاة الظهر، أخذوا استراحة في أحد الأماكن من أجل أداء الصلاة.

أحضر بلال بعض الماء للنبيّ ﷺ لكي يتوضّأ. فقام الناس وراحوا

يلمسون يدي النبيّ المبتلّتين ويمسحون بها وجوههم وأيديهم. كان أبا جحيفة صغيراً، ولم يستطع الاقتراب. فراح يراقب الناس وهو يقف جانباً، وحاول اغتنام الفرصة ليفعل مثلهم.

عندما ابتعد الصحابة، ركض إلى رسول الله ﷺ، ثمّ أخذ يده ووضعها على وجهه. فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك.

كم كان أولئك الأطفال محظوظون لأنّهم عاشوا مع نبيّنا الحبيب، وتعلّموا منه.

اليوم
352

خيار عباد الله الموفون المطيّبون

في أحد الأيّام، ابتاع رسول الله ﷺ بعض اللحم من رجل من الأعراب مقابل كمية من التمر، ولما رجع رسول الله إلى بيته وبحث عن التمر لم يجده! فخرج إلى الأعرابي يعتذر له أنه لم يجد التمر الذي وعده إياه.

لكن للأسف تصرّف الأعرابي بفظاظة مع رسول الله ﷺ، فثار عليه الصحابة يوبخونه لفظاظته مع رسول الله، لكن النبي الحكيم ﷺ قال: «دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً»، ردّد ذلك رسول الله ﷺ مرتين أو ثلاثاً، ثم قال لأحد أصحابه: «اذهب إلى خولة بنت حكيم فقل لها: رسول الله يقول لكِ: إن كان عندك وسق من تمر الذخرة فأسلفيناه حتى نؤديه إليك إن شاء الله».

فذهب الرجل إلى خولة، وعاد بجوابها، قالت: نعم، هو عندي يا رسول الله، فابعث من يقبضه، فقال رسول الله ﷺ للرجل: «اذهب به فأوفه الذي له». فأخذ الرجل الأعرابي وأعطاه حصته من التمر، وفي طريق العودة قال الأعرابي للنبي ﷺ: جزاك الله خيراً قد أوفيت وأطيبت.

فقال رسول الله ﷺ: «أولئك خيار عباد الله عند الله يوم القيامة: الموفون المطيّبون».



عندها نظر المسلمون إلى بعضهم البعض، وفهموا أنّ سلوكهم لم يكن ملائماً. فرسول الله لا يريد الناس أن يثوروا على بعضهم البعض، ويتجادلوا في أمور لا طائل منها. وبيّن لهم كيف يمكنهم العناية بكلّ شؤونهم بالحسنى والكلمة الطيّبة. فهذا النبيّ المحبوب لم يدعُ الناس إلى الجنّة بالجدال والشجار، بل بالحكمة والموعظة الحسنة.

اليوم
353

الرجل الذي أضحك رسول الله ﷺ

ذات يوم، أتى رجل إلى رسول الله ﷺ، وكان حزيناً جدًّا. أخذ يردّد: «يا رسول الله، هلكتُ!» دعاه رسول الله إلى الدخول، ثمّ سأله عن مشكلته.



قال الرجل إنّه ارتكب خطيئة كبيرة، وسأل رسول الله كيف يكفّر عنها. فقال له رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبةً تعتِقُها؟» أجابه: «لا». فقال النبيّ: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتالين؟» فأجابه الرجل: «لا». قال: «هل يمكنك إطعام ستّين مسكيناً؟» فطأطأ الصحابي رأسه مجيباً: «لا». كان الرجل عاجزاً عن تكفير ذنبه بالاقتراحات التي قدّمها إليه رسول الله بسبب شدّة فقره.

عندئذٍ، أعطاه النبيّ ﷺ كيساً من التمر أتاه هدية، وقال له: «خذها فتصدّق بها». فاعترض الرجل مجدّداً وقال: «أَعَلَى أفقر منّي يا رسول الله؟ فوالله لا يوجد بالمدينة أهلُ بيتٍ أفقرُ منّي». فضحك رسول الله وقال له: «أطعِمْه أهلَ بيتِك».

اليوم
354

نبيّ يكره الغضب

لم يكن رسول الله ﷺ يحبّ الغضب والقسوة. لطالما قال لصحابته إنّ الغضب وسوء المزاج يسمّمان الإنسان. وأظهر لهم، بسلوكه، مدى جمال الليونة والتسامح. غالباً ما قال لهم: «ليس الشديد بالصُرعة (الذي يفوز بالمصارعة)، إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب». وكان يذكّرهم دائماً بالعواقب السيّئة للسلوك العدواني، ويبيّن لهم جمال مكارم الأخلاق.

في أحد الأيّام، أتاه رجل، ثمّ وقف أمامه وقال: يا رسول الله، قُلْ لي قولاً، وأَقْلِلْ لعلّي أعيه (أي أفهمه). فقال له النبي ﷺ: «لا تغضب». فأعاد الرجل عليه كلامه عدة مرات، وكل مرة يجيبه النبي ﷺ نفس الإجابة: «لا تغضب».

تعلّم الرجل درساً عظيماً من جواب رسول الله على السؤال نفسه عدّة مرّات. رحل معجباً بصبره ولياقته، وتعلّم منه أهمّية عدم الغضب.

اليوم 355

أكثر من يستحقّ صحبتنا

كان رسـول اللـه ﷺ ودوداً مـع جميع الناس. لم يكـن صغار المدينة المنـوّرة يتردّدون في إمساك يده، وقول أيّ شيء له. لم يجرح أو يُهِن أحداً في حياته، ولم يرفض استقبال أحد أتاه من مكان بعيد.



في أحد الأيّـام، أتى إليه رجل وقال: «يـا رسـول الله، مـن أحقّ الناس بحسـن صحابتـي؟» فأجابه النبيّ: «أمّك». سـأله الرجـل: «ثمّ مـن؟» أجابه النبـيّ: «أمّك». فكرّر الرجل: «ثمّ من؟» قال: «أمّك». فسـأل للمـرّة الرابعـة: «ثـمّ مـن؟» أجابـه النبـيّ: «أبوك، ثم أدناك أدناك».

فهم الرجل عندئذٍ أنّ عليه أن يكون بارًّا مع أمّه أوّلاً، ومن ثمّ مع أبيه، وأخيراً مع أقاربه. فرحل شاكراً رسول الله الذي أجابه بهذا الصبر والحكمة.

اليوم 356

اللهمّ صلِّ على سيّدنا محمّد!

لم يكن بعض الصحابة يفارقون رسـول الله أبداً. اعتادوا على خدمته، والاهتمام بحاجاته، والإسراع إليه عندما يناديهم.

مـن أولئك الصحابة عبـد الرحمن بن عـوف. في أحد الأيّام، خرج رسـول اللـه ﷺ من داره إلى الباحة، ثمّ بدأ يصلّي هناك.

وقف عبـد الرحمن بجانبه، وانتظره حتّى انتهى من الصلاة.

غير أنّ رسول الله ﷺ أطال سجوده إلى حدّ أثار قلق عبد الرحمن.

خاف الصحابيّ وبدأ يرتجف، ظنًّا منه أنّ رسول الله مات وهو ساجد. بينما كانت الدموع تسيل على خدّيه حزناً، نهض رسـول الله من السـجود. فتنفّس عبد الرحمن الصعداء، ومسـح دموعه فوراً عن خدّيه. غير أنّ النبيّ ﷺ رآه يبكي فسأله: «ما لك؟» أجابه عبد الرحمن: «يا رسول الله! أطلتَ السجود، قُلت قبضَ اللهُ روحَ رسوله، لا أراه أبداً».

ابتسم النبيّ ﷺ عند سماع ذلك، وشرح له ما جرى: «سجدتُ شكراً لربّي في ما أبلاني في أمّتي، من صلّى عليّ صلاة من أمّتي، كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيّئات».

لهذا السـبب، لا نذكر اسـم رسـول الله ﷺ من دون أن نصلّي عليه، فنقول «صلّى الله عليه وسلّم» أو «عليه الصلاة والسلام».

فـرح عبد الرحمن كثيراً بهذا الخبر. فقد أعطى الله عزّ وجلّ المسـلمين فرصة للمغفرة من خلال الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ. وهذا دليل أيضاً على سعة رحمة الله عزّ وجلّ الذي لا يترك باباً من أبواب المغفرة إلاّ ويفتحه أمام عباده.

اليوم 357

حبّ النبيّ ﷺ للنظافة

كان رسـول الله ﷺ دائم الابتسـام. كلّما ابتسـم، لمعت أسـنانه البيضاء كاللؤلؤ. فقد اعتاد على تنظيف أسـنانه بانتظام. حتّى في أثناء المرض، لم يُهمل تنظيف أسـنانه بالسـواك. والسواك هو غصن من شـجرة السواك التي تنبت في شـبه الجزيرة العربية، ويُستخدم مثل فرشاة الأسنان. فالغصن ليّن، وعصارته صحّية.

علّق رسـول اللـه ﷺ أهمّية كبيرة على النظافـة، وأوصى الناس بها. وكان يقول: «السـواك مطهرة للفم مرضاة للربّ».

فـي أحـد الأيّام، أتاه رجل يرتـدي ملابس غير مرتّبة. وكان قد وضع عطـراً غريباً، ترك بُقعاً منفرة على ملابسـه. لم يُعجب حاله رسـول الله أبداً، غير أنّه لم يرغب في إيذاء مشـاعره. بعدما رحل، طلب من الصحابة أن يلفتوا نظره إلى ذلك بطريقة لائقة، وليس أمام الناس.

شـكّل هذا درسـاً لكلّ الموجودين. فأصبحوا أكثر حرصاً علـى نظافتهم وجمال مظهرهم. وحاولوا الاقتداء برسول الله الذي كان يهتمّ كثيراً بتلك الناحية، كما أوصى الإسلام.

اليوم 358

العصر الذهبي أو عصر السعادة

سُـمّيت الفتـرة التي عاش فيها رسـول الله ﷺ عصر السـعادة. ذلك أنّه كان كالشـمس التي أشـرقت علـى مكّـة المكرّمة. بفضله، وجدت البشـرية ما كانـت تبحث عنه منـذ عصور. تعرّض النبيّ ﷺ وأصحابه للتعذيب والذلّ خلال السنوات العشرين الأولى من البعثة. طُردوا من مسقط رأسهم، ولم يهنأوا براحة البال في المدينة التي هاجروا إليها. فقد لاحقهم المشركون، وقاتلوهم، ونصبوا الأفخاخ لرسول الله. غير أنّ نبيّنا الحبيب لم يقابلهم بالغضب أو الحقد، بل أحبّهم ودعا لهم دائماً بالمغفرة. أخيراً، وبعد سـنوات عديدة عانى فيها النبيّ والمسلمون من أذى المشركين، عادت قريش إلى رشدها، واعتنقت الإسلام أخيراً. فعفا عنها نبيّنا الحبيب على الرغم من ظلمها، وفسادها، وعدائها له. وكيف لا يفعل ذلك، وهو النبيّ الذي أُرسل رحمة للعالمين.

لقد أثمرت سنوات الصبر على الألم والعذاب. الآن، لم يعد القوي يستغلّ الضعيف. على العكـس، خيّمت الأخوّة والمسـاواة بيـن الناس. فصـار الغنيّ يسـاعد الفقير. وحظي المسـنّون بالاحترام والوقار. لم يعد الرجال يعاملون النسـاء وكأنهنّ قطع أثاث، بل أصبحوا يقدّرونهنّ كما لو كنّ أحجاراً كريمة. كما انقضى الزمن الذي لم يكـن فيه للفتاة أيّ قيمة، فصارت مسـاوية للصبيّ. أمّا الجريمة، والفسـاد، والظلم، والخيانة فقد اختفت من مجتمع المسلمين.



علت البسمة وجوه الفقراء لأنّ رسول الله ﷺ قال: «ما آمن بي مَن باتَ شبعان وجارُه جائعٌ إلى جنبِه وهو يعلم به». فأصبح الناس يتقاسمون طعامهم مع جيرانهم.

بالإضافـة إلى ذلك، شـجّع النبيّ الناس على القراءة والكتابـة. فبدأت مظاهر الأمّية تختفي بين المسلمين.

أشرقت شمس جديدة على العالم. فتبدّد الظلام، وخيّمت السعادة والطمأنينة. والنور الذي شعّ من المدينة المنوّرة أضاء العالم بأسره. فغيّر مفاهيمَ الناس، وأحلَّ بينهم السلام، والمحبّة، والتفاهم. عرفت الإنسانية أفضل أيّامها في ظلّ هذا الدين الجميل. لكلّ هذه الأسباب، عُرفت تلك الفترة بعصر السعادة، أو العصر الذهبي.

اليوم 359

الرحلة الأخيرة

بدأ رسول الله ﷺ يتحضّر لأمر مختلف. يبدو أنّ الله عزّ وجلّ أبلغه أنّ ساعة رحيله عن هذا العالم قد أزِفت. فرغب في رؤية الكعبة مرّة أخيرة. لذلك، بدأ يستعدّ للرحلة.

اغتسل نبيّنا الحبيب، وتعطّر، ثمّ لبس ملابس الإحرام المؤلّفة من قطعتين من القماش قبل أن ينطلق هو والصحابة إلى مكّة المكرّمة. من وقت إلى آخر، كان رسول الله يقول: «لبّيك اللهمّ لبّيك». فيردّد الصحابة خلفه: «لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك»، وتتعالى أصوات آلاف المسلمين في السماء.

قبل سنوات عديدة، بدأ رسول الله ﷺ بنشر رسالة الإسلام بمفرده. واليوم، انضمّ إليه ما يقرب من مئة ألف مسلم. والنبيّ الذي أحرز هذا النجاح بمشيئة ربّ العالمين، وبمساعدة



الصحابة، لم يُبدِ أيّ تكبّر أو غرور. فقد عرف أنّ كلّ ما حقّقه المسلمون تمّ بعون الله عزّ وجلّ. لهذا السبب، قبل أن ينطلق في رحلته لأداء فريضة الحجّ، دعا الله قائلاً: «اللهم حجّة لا رياء فيها ولا سمعة».

عاش نبيّنا الحبيب ﷺ حياة بسيطة، وتجنّب البذخ والترف. وبينما كان ذاهباً لأداء فريضة الحجّ مع مئة ألف شخص، لم يشعر أنّه ملك، بل عبدٌ مخلص لله تعالى.

مع مرور السنوات، لم يتغيّر النبي ﷺ بل ما زال كما عرفه الناس منذ البداية. والنجاح الحقيقي الذي حقّقه هو تغيير عقول الناس، وقلوبهم، ومشاعرهم. فقد علّمهم المحبّة، والاحترام، ومخافة الله. علّمهم القرآن، وكيفية العيش وفقاً لتعاليمه. وتلك الآلاف التي كانت تسير خلفه، فهمت المعنى الحقيقي للسعادة.

اليوم
360

في الطريق إلى الكعبة المشرّفة

مرّ المسلمون المسافرون مع رسول الله ﷺ بقرية الأبواء، في طريقهم إلى مكّة لأداء فريضة الحجّ، التي أمرنا بها الله عزّ وجلّ ولو لمرّة واحدة في حياتنا. والحجّ يؤدّى بطريقة معيّنة وفي وقت معيّن لا يتكرّر سوى مرّة واحدة في السنة.

قرية الأبواء هي القرية التي توفّيت فيها أمّ نبيّنا الحبيب عندما كان طفلاً. هنا، ودّعها قبل خمسين عاماً. فترك الصحابة، وذهب لزيارة قبر أمّه. تأثّر رسول الله عند قبر أمّه، وتساقطت دموعه على الأرض. ودّع أمّه مجدّداً، ثمّ غادر المسلمون قرية الأبواء.

حملت قصواء رسول الله ﷺ على ظهرها، ومشت به بسلاسة محاولة عدم إزعاجه. رافقت رسولَ الله زوجتُه، وابنته فاطمة، وبعض النساء الأخريات. وكان حادي إبل النساء والأطفال رجلٌ يدعى أنجشة. عندما لاحظ رسول الله ﷺ أنّ الإبل تتقدّم مسرعة بسبب نشيد أنجشة، ناداه قائلاً: «ويحك يا أنجشة، رويدَك سَوقاً بالقوارير». كان رسول الله ﷺ يعني أنّ النساء والأطفال رقيقون وحسّاسون مثل الزجاج. وقد خاف عليهم من الضرر والسقوط بسبب السرعة. فَهِم أنجشة ذلك، وقاد الإبل بحذر أكبر.

اليوم
361

حجّة الوداع

وصل وفد المسلمين إلى مكّة المكرّمة. طافوا معاً حول الكعبة بقلوبهم المشتاقة إليها. كان معظم الأطفال يرون الكعبة للمرّة الأولى في حياتهم. فاحتضنوها بفرح وسعادة، وأدّوا مناسك الحجّ ببراءتهم وبساطتهم.

علّم رسول الله ﷺ المسلمين كيفيّة أداء المناسك. فالحجّ هو من أهمّ أركان الإسلام الخمس. هكذا، قام المسلمون بتأدية تلك الفريضة معاً.

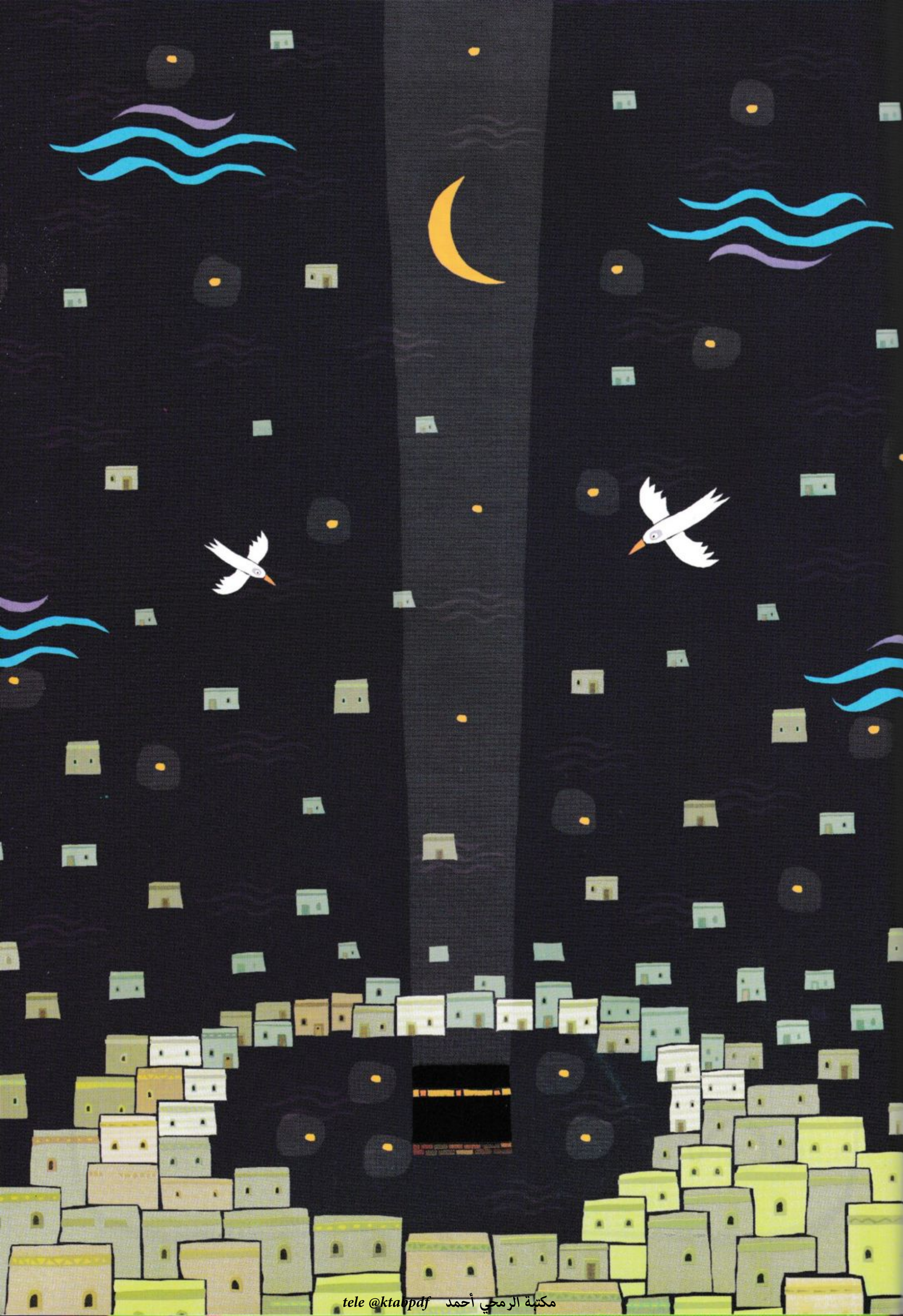
بعد ذلك، خطب نبيّنا الحبيب ﷺ بالناس. في تلك الخطبة علّمهم كيفيّة تحقيق السلام والسعادة في المجتمع. ولم تكن موجّهة لأولئك المسلمين فحسب، بل للبشرية جمعاء. قال لهم: «أيّها الناس، اسمعوا قولي. فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً. أيّها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربّكم... وإنّكم ستلقون ربّكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلّغت. فمن كان عنده أمانة فليؤدِّها إلى من ائتمنَه عليها، وإنّ كلّ رباً موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون... وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبداً، أمراً بيّناً، كتاب الله وسنة نبيّه... أيّها الناس، إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، أبوكم آدم، وآدم خُلِقَ من تراب. إنّ أكرمَكم عند الله أتقاكم. لا فضلَ لعربيّ على أعجميّ، ولا لأبيض على أسود إلاّ بالتقوى، ألا هل بلّغت؟ وأنتم تُسألون عنّي، فما أنتم قائلون؟

أجاب المسلمون معاً: «نشهد أنّك قد بلّغتَ الرسالة وأدّيتَ الأمانة، ونصحتَ الأمّة وجاهدتَ في سبيل دينك».

بعد ذلك، رفع رسول الله ﷺ إصبعه، وقال: «اللهمّ فاشْهَدْ».

أنهى رسول الله خطبته، ثمّ رفع بلال أذان الظهر. مكث المسلمون في مكّة عدّة أيّام، أتمّوا فيها أحد أركان الإسلام الخمس. وفرح الأطفال كثيراً لأنّهم أدّوا هذه الفريضة في سنّ مبكرة. كما استمتعوا بالتعرّف على كثير من المسلمين الذين أتوا من كافة أنحاء العالم الإسلامي.

عندما حان وقت العودة إلى المدينة المنوّرة، طاف رسول الله ﷺ بالكعبة مرّة أخيرة قبل رحيله. كانت تلك أوّل وآخر حجّة لنبيّنا الحبيب بعد فتح مكّة، وسُمّيت حجّة الوداع.



اليوم 362

بداية مرض النبيّ ﷺ

بعد عودة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنوّرة، وفي أواخر شهر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة، مرض رسول الله ﷺ، واستمر به المرض حتى وفاته. وأخذ وضعُه يزداد سوءاً مع الأيّام. أصبح يمشي بصعوبة، ويتّكئ على عليّ والفضل بن العباس للذهاب إلى المسجد.

خرج رسول الله ﷺ عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلّم به أنه صلّى على أصحاب أُحُد، واستغفر لهم، فأكثر الصلاة عليهم، ثم قال: «إن عبداً من عباد الله خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله».

ففهم أبو بكر مراد رسول الله ﷺ، وهو أعرف الناس به، وعرف أنه يريد نفسه، فبكى وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا يا رسول الله. ثم عاد رسول الله ﷺ إلى بيت عائشة.

اليوم 363

فرحة السيّدة فاطمة

كانت السيّدة فاطمة هي الأكثر شبهاً برسول الله ﷺ بين أولاده. كانت رفيقته الحبيبة والحنونة، ولم تبتعد عنه أبداً وهو على فراش المرض.

بينما كانت جالسة بالقرب منه، انحنى وهمس شيئاً في أذنها. فبدأت فاطمة تبكي. عندما رآها رسول الله على هذه الحال، همس في أذنها مجدّداً. عندئذٍ، ابتسمت. رأت السيّدة عائشة ما جرى، وانتابها الفضول. فسألت فاطمة عن سبب بكائها وابتسامها.

أجابتها فاطمة لاحقاً بما قاله لها والدها: «أخبرني رسول الله ﷺ أنه قد حضر أجَلُه وأنّه يُقبَض في وجعه هذا، فبكيتُ. ثمّ أخبرني أنّي أوّل أهله لحوقاً به، فضحكتُ».

اليوم
364

وداع نبيّنا الحبيب

في أوائل أيّام شهر ربيع الأوّل، هبّ نسيم خفيف، وبدا وكأنّه يحمل معه خبر الفراق. كان رسول الله ﷺ في الثالثة والستّين من عمره. في تلك الأيّام، كان يتحدّث غالباً عن الموت، ويذكّر الناس أنّه سيفارقهم قريباً. بعد مدّة، ازداد مرضه سوءاً. فأصيب بالحمّى، ولم يعد قادراً على الذهاب إلى المسجد. فطلب من أبي بكر أن يؤمّ الصلاة عوضاً عنه.

في أحد أيّام الاثنين، عانى رسول الله ﷺ من صداع مؤلم. اجتمعت أسرته حوله، واستند إلى زوجته السيّدة عائشة. حتّى في تلك اللحظات، حاول أن يؤدّي واجبه كنبيّ. فكان ينصح الناس الذين يأتون إليه قائلاً: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم». ولم يفارق ذكر الله شفتيه. أدار ظهره لهذا العالم، ورغب في الالتحاق بالرفيق الأعلى.

بينما كان رسول الله ﷺ يعيش لحظاته الأخيرة بين أسرته والمسلمين، أخذت ابنته فاطمة تبكي. فهدّأها رسول الله قائلاً: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم». ثمّ راح يبلّ يديه في وعاء ماء ويمسح وجهه وهو يقول: «لا إله إلاّ الله».

أمضى رسول الله ثلاثة وستّين عاماً ينشر فيها السلام والأخوّة. فأدّى هذا النبيّ الذي اختاره الله واجبه على أكمل وجه. وها هو الآن يرحل عن هذا العالم.





اليوم
365

على خطاك يا رسول الله

سرعان ما انتشر خبر وفاة رسول الله ﷺ بين الناس. فراح المسلمون ينتحبون في شوارع المدينة. وخيّم عليهم الحزن.

أتى أبو بكر وهو يركض إلى دار رسول الله ﷺ. فكشف عن وجه النبيّ، الذي بدا وكأنّه يغطّ في نوم عميق. لم يستطع أبو بكر أن يمسك دموعه فأخذ يقول: «طِبتَ حياً وميتاً يا رسول الله!».

في الوقت نفسه، حاول أن يهدّئ مَن حوله. كان عمر يصيح: «والله ما مات رسول الله ﷺ!» فهو لم يستطع أن يتقبّل حقيقة وفاته. عندئذٍ، اقترب منه أبو بكر وقال: «أيّها الحالف على رِسْلِك».

وخطب أبو بكر بالناس قائلاً: «ألا من كان يعبد محمّداً ﷺ فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت».

بعد ذلك، قام نبيّنا الحبيب ﷺ برحلته الأخيرة من هذا العالم إلى القبر. اجتمع آلاف المسلمين هناك وأعينهم تفيض بالدموع وهم يؤدّون واجبهم الأخير تجاه نبيّهم الحبيب. فقاموا بتأدية صلاة الجنازة، ورفعوا أيديهم بالدعاء له. لقد رحل عنهم رسول الله، لكنّه ترك خلفه هديتين كبيرتين: **القرآن والسُنّة**. بهما، سيهتدي الصحابة والمؤمنون للأجيال القادمة.

اللهمّ يا من أرسلته لنا قدوة، وأنزلت عليه القرآن هدى ورحمة لنا، وعلّمتنا بواسطته أوامرك ونواهيك، أعنّا لكي نسير على خطاه. اجمعنا به في الجنّة، ولا تحرمنا شفاعته، ولا رفقة من أحبّه.

لقد ترك نبيّنا الحبيب ﷺ للبشرية رسالة الإسلام. بهذا الدين الجميل، ألّف بين قلوب الناس، بمختلف ألوانهم. فأصبحوا إخوة في الإسلام. ومن لبّوا نداءه، عرفوا طعم السعادة الحقيقية.

اليـوم، تذكّرنا الأزهار التي تتفتّح على سـطح الأرض بعطر رسـول الله. مـا زال جبل أُحُد يحبّـه، وما زال غار حراء يحتفظ بسـرّه. ما زالت الكعبة تسـمع اسـمه يتردّد كلّ يـوم بين الناس. ومـا زال مـاء زمزم يجري من أجل أمّته. ما زال الحبّ الذي علّمه للناس يملأ قلوبهم. وما زالت أيديهـم تفيـض بكرمه وجوده. مثل الألوان العديدة التي تلوّن قـوس قزح، فإنّ غنى تلك الأخوّة هـو دليـل على حبّ الله للبشـرية. ونحـن الذين لم نر نـورَ وجه نبيّنا الحبيب، ولـم نسـمع صوته العـذب، سـنظلّ نـردّد وقلوبنا توّاقة إليه: اللهمّ صلّ وسـلّم وبارك على سـيّدنا محمّد خيرِ الأنام وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



خريطة العالم الإسلامي




غار حراء
مكة
الكعبة
صلاة الوداع
حنين
جدة
الحديبية
البحر الأحمر
غار ثور
الطائف
اليمن
إثيوبيا
الحبشة
مكتبة الرمحي أحمد

نهدف من خلال كتابنا هذا أن يشعر الأطفال كما لو أنّ رسول الله ﷺ زائر في بيوتنا، وأن يمضوا في قراءته أوقاتاً ممتعة ولا تنسى.

تمّ إعداد الكتاب بحيث يمكن قراءته يومياً خلال عام واحد. هكذا تمّ اختيار 365 قصّة من حياة نبيّنا الحبيب بالترتيب الزمني. ونحن نشـجّعكم على قراءة القصص مع أطفالكم من اليوم الأوّل حتّى اليوم 365، لكي تطّلعوا أنتم أيضاً على حياة رسول الله.

بمـا أنّ الأطفـال قد يواجهون صعوبة فـي متابعة فترات زمنية طويلة، نوصيكـم بقراءة قصة واحدة كلّ يوم. فهذا الأمر يتيح للأطفال التفكير في القصّة، كما سيشـعرهم بالفضول والحماس لسـماع القصّة التاليـة. قـد يجـد أطفالكم صعوبة فـي فهم بعض النصوص بسـبب المفـردات الجديدة. لهذا السـبب، نشـجّعكم علـى الإشـراف عليهم في أثنـاء القـراءة، والإجابة عن تسـاؤلاتهم للتأكّد مـن صحة فهمهم لمضمـون القصّة. وتجدر الإشـارة إلـى أنّ الكتاب يتضمّن خارطة للعالم الإسـلامي في عهده الذهبي، كهدية مع الكتاب. ونرجو منكم أن تطلبوا من الأطفال العثور على اسم المكان الذي يرد في القصة على الخارطة. بهذه الطريقة يتعرّف الأطفال على المناطق الهامّة المرتبطة بأحداث وشخصيات ذلك الزمن.



facebook.com/ASPArabic

twitter.com/ASPArabic

ISBN 978-614-01-1184-4

9 786140 111844

TIMAS ÇOCUK

نيل وفرات.كوم

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت في مكتبة نيل وفرات.كوم

www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون

Arab Scientific Publishers, Inc.

www.asp.com.lb - www.aspbooks.com